المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

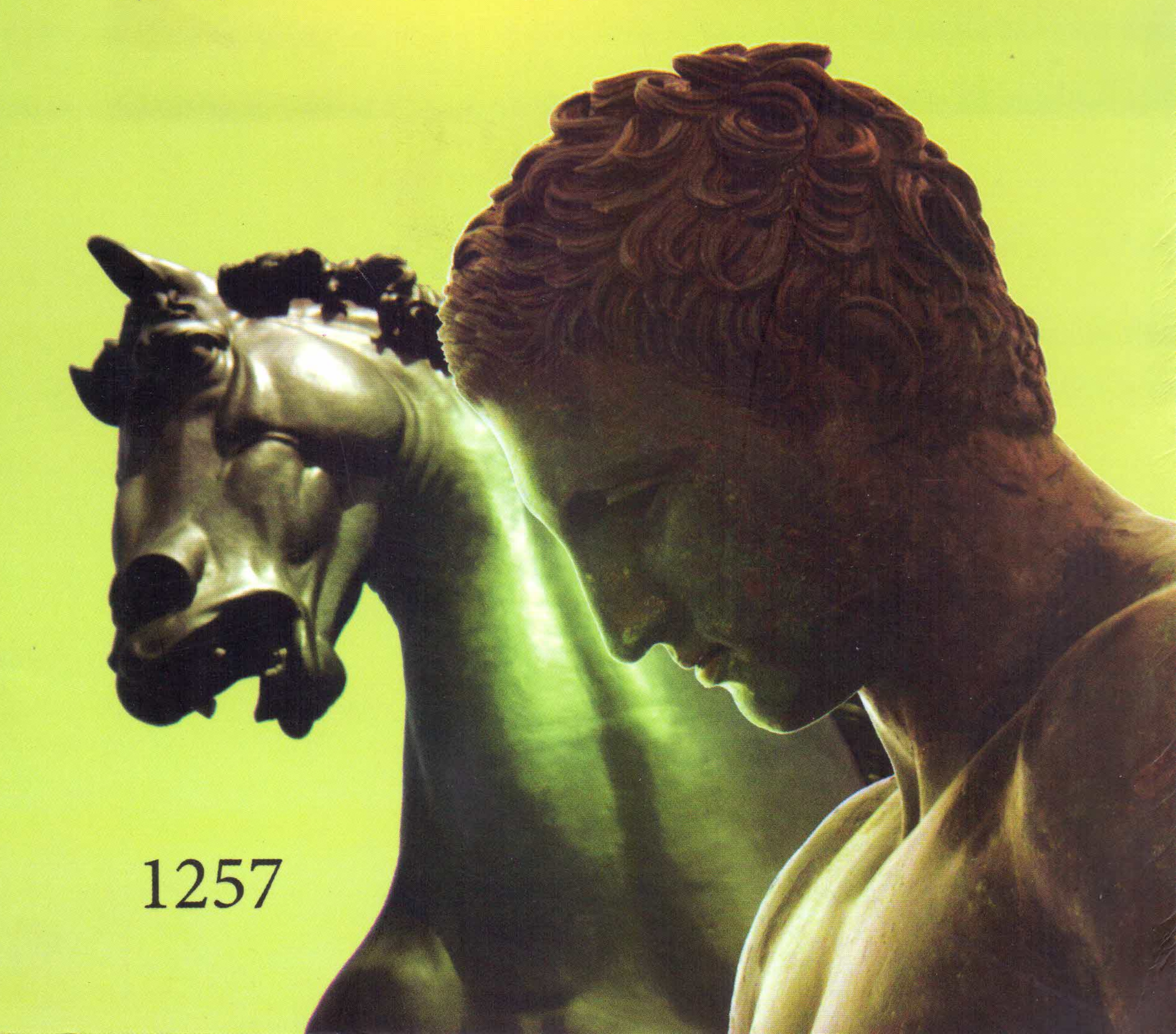
فرانك ولبانك

العالم الهيللينستى

حملة الإسكندر على الشرق ونشأة الممالك الهيللينستية

مملكة مقدونيا - مملكة البطالمة فى مصر - المملكة السلوقية فى سوريا

ترجمة وتقديم: آمال محمد محمد الروبى
مراجعة: محمد إبراهيم بكر



1257



يتحدث هذا الكتاب عن حملة الإسكندر الأكبر العسكرية، التى خرج بها من مقدونيا وبلاد الإغريق عام 334، قبل الميلاد، واكتسح فيها آسيا الصغرى وسوريا وفينيقيا وفلسطين والعراق وإيران، ووصل فيها إلى الهند وأفغانستان، والصراع الدامى الذى اشتعل بين خلفاء الإسكندر بعد وفاته المفاجئة فى بابل 323 ق.م، وانتهى بتفتيت إمبراطوريته إلى ثلاث ممالك كبرى متنافسة: مقدونيا ومصر وسوريا. ونتج عن ذلك سلسلة الحروب التى دارت بينها لمدة قرن من الزمان والتى أدت إلى إنهاك قوى تلك الممالك؛ مما أتاح الفرصة لقوة الرومان المتنامية للتدخل فى المنطقة، واكتساح دول المنطقة الواحدة منها وراء الأخرى.

لم يقتصر الكتاب على رصد الأوضاع السياسية والعسكرية فى الممالك الثلاث فقط، بل خصص فيه خمسة فصول لتناول الدراسة الحضارية: الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية فى ميدان العلوم النظرية، وفى مقدمتها الفلسفة وما صاحبها من نظريات ومدارس فلسفية سادت العصر، والعلوم التطبيقية فى ميادين: الفلك والطب والأحياء والرياضيات والهندسة والعلوم العسكرية، إلى جانب دراسة الكشوف الجغرافية للعالم الهيللينستى. كما أفرد فصلاً للتطورات الدينية فى هذه المرحلة المهمة التى ظهرت فى خواتيمها المسيحية فى فلسطين مما يجعل للكتاب أهمية بالنسبة إلى المتخصص والمثقف على قدم المساواة.

تصميم الغلاف: عبد الحكيم صالح

العالم الهيللينستى

حملة الإسكندر على الشرق ونشأة الممالك الهيللينستية

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١٢٥٧
- العالم الهيللينستى : حملة الإسكندر على الشرق ونشأة الممالك الهيللينستية .
- فرانك ولبانك
- آمال محمد محمد الروبى
- محمد إبراهيم بكر
- الطبعة الأولى ٢٠٠٩

هذه ترجمة كتاب :

The Hellenistic World

by : Frank Walbank

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.Mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

العالم الهيللينستى

حملة الإسكندر على الشرق ونشأة الممالك الهيللينستية

(مملكة مقدونيا - مملكة البطالمة فى مصر - المملكة السلوقية فى سوريا)

تـأليـف : فرانك ولبانك

ترجمة وتقديم : آمال محمد محمد الروبى

مراجعة : محمد إبراهيم بكر



٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ولبانك ، فرانك .
العالم الهيللينستى : حملة الإسكندر على الشرق ونشأة الممالك الهللينستية / تأليف فرانك ولبانك ؛ ترجمة وتقديم : آمال محمد الروبى ؛ مراجعة : محمد إبراهيم بكر .
ط١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٩ .
٣٥٢ ص ؛ ٢٤ سم .
١ - الحضارة الإغريقية .
(أ) الروبى ، آمال محمد محمد (مترجم ومقدم)
(ب) بكر ، محمد إبراهيم (مراجع)
(د) العنوان ٩٣٨

رقم الإيداع ٢٠٠٩/٧١٠٩
الترقيم الدولى I.S.BN. 978 - 977 - 479 - 118-4
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

تقديم المترجمة

يحمل الكتاب عنوان "العالم الهيللينستى The Hellenistic World" ، الذى يمتد من عام ٣٣٤ إلى عام ٣٠ ق.م . ويبدأ بخروج الإسكندر المقدونى (الإسكندر الأكبر) على رأس حملته العسكرية الكبرى من بلاد الإغريق ، عابرا مضيق الدردنيل Hellespontos ، متجها شرقا إلى آسيا الصغرى ،ومنها إلى حدود الهند وأفغانستان المعاصرة ، بقوة عسكرية بلغت فى البداية حوالى خمسين ألفا ، مصطحبا معه مساحين ومهندسين ورسامين وعلماء وموظفين ومؤرخين ، الأمر الذى يوضح أن الإسكندر كان لديه منذ البداية تصور لعملية عسكرية وكشفية غير محدودة .

ويسمى العصر – اصطلاحا على مدى القرون الثلاثة التى تلت ذلك – بالعصر الهيللينستى ، وينتهى باستيلاء الرومان على ممالكه ودوله ، الواحدة تلو الأخرى ،وآل إليهم آخر جزء تبقى منها ، بعد أن لدغت الحيّة كليوباترا السابعة ملكة مصر البطلمية فى أغسطس من ٣٠ ق.م ، مُسدلة الستار على الفصل الختامى من حكم البطالمة لمصر ، الذى بدأ عقب موت الإسكندر المفاجئ عام ٣٢٣ ق.م ، عن عمر يناهز الثالثة والثلاثين عاما ، بعد أن حكم اثنى عشر عاما وثمانية شهور .

والمقصود بالاصطلاح (الهيللينستى) : أن حضارة ذلك العصر كانت مزيجا من الحضارة الهيللينية (الإغريقية) لبلاد الإغريق (اليونان) والحضارات الشرقية ، التى تشكلت منها حضارة جديدة ، ميزت الممالك والدول التى قامت على أنقاض إمبراطورية الإسكندر ؛ لذلك كان العصر الهيللينستى فاتحة لحِقبة تاريخية وحضارية جديدة، لعبت فيها الإمبراطوريات الهيللينستية الثلاث الكبرى (المقدونية فى بلاد

اليونان – البطلمية فى مصر – السلوقية فى سوريا) دورًا بارزًا فى صياغة تاريخ المنطقة وحضارتها ، ومنطقة البحر المتوسط على نحو خاص ، منذ عام ٣٢٠ ق.م، عندما بدأ النمط المميز للعالم الهيللينستى فى الظهور ، وأصبح واضحا تفكك إمبراطورية الإسكندر إلى مجموعة من الممالك المتنافسة ، وانطلاق الطبيعة البشرية من عقالها فى الصراع الدامى الذى نشب بين قادة الإسكندر المتنافسين على السلطة والحكم ، والذى ما كان يكاد ينتهى حتى يبدأ من جديد فى مسلسلات من الحروب الدامية ، دارت بين قادة الإسكندر نفسه والأجيال التالية من الأسر الحاكمة التى قام كبار قادته بتأسيسها ، والتى قدمت لقوة الرومان المتنامية الفرصة الذهبية فى الزحف التدريجى على المنطقة ، منتهزة كل ثغرة أتيحت لها لتنفذ منها ، حتى انتهى الأمر بتدمير الجميع ووضع يدها على ممالكهم .

وجاء التركيز الأساسى فى الكتاب على تلك الممالك الهيللينستية والعلاقات بين بعضها من جهة ، وبينها وبين المدن الإغريقية التى تقع فى آسيا وأوروبا من جهة أخرى ، إضافة إلى التيارات الاقتصادية والاجتماعية ، مع الإنجازات الثقافية التى قامت بها مؤسسات البحث العظيمة التى وقف معهد الإسكندرية العلمى بمكتبته الشهيرة على قمتها ، مع الاهتمام بالإنجازات العلمية والخبرات الدينية لشعوبها ، موزعة على النحو التالى:

مقدمة تفصيلية عن المصادر ، واثنا عشر فصلا ؛ خصص منها سبعة فصول لدراسة الأحداث التاريخية التى تدور معظمها فى القرن الثالث وأوائل القرن الثانى ق. م. وفيها نُسجت خيوطه ، وأصبح واضحا فى الأذهان مدى تضخم نفوذ روما وسيطرتها على الجانب الشرقى من البحر المتوسط منذ النصف الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد ؛ وخصصت خمسة فصول للدراسة الحضارية :الاجتماعية والاقتصادية ، والتطور الثقافى والعلوم النظرية ، وفى مقدمتها الفلسفة وما صاحبها من نظريات ومدارس فلسفية سادت العصر ؛ والعلوم التطبيقية فى ميادين: الفلك والطب والأحياء والرياضيات والهندسة والعلوم العسكرية ، إلى جانب دراسة حدود العالم الهيللينستى

من الناحية الجغرافية ،وجاء الحديث فى الفصل الثانى عشر عن التطورات الدينية فى هذه المرحلة الهامة ، التى ظهرت فى خواتيمها المسيحية فى فلسطين بعد وصول الرومان إلى المنطقة ، الذى جاء فى الفصل الثالث عشر والأخير .

وقد زُود الكتاب بعدد من الخرائط وملحق لأهم الحوادث ، طبقا للتسلسل الزمنى ؛ وعدد من الصور ، أثرت الدراسة ، وأضافت إليها مزيداً من التوضيح ؛ بالإضافة إلى قائمة تفصيلية للمصادر مع شرح تفصيلى لأهم الخطوط فيها .

ويعد الكتاب "The Hellenstic World" من الدراسات المميزة التى قدمت عن العالم الهيللينستى ٣٤٣-٣٠ ق.م ،وصاحبه الأستاذ فرانك ولبانك F.W.Walbank فى غنى عن تقديمه للباحثين الأكاديميين ؛ لأن المعروف لا يعرف ، فهو أحد أعمدة الدراسات اليونانية ، ليس فقط فى المملكة المتحدة ، ولكن على مستوى التخصص . وجاء أول عمل منشور له حين أصدر كتابا عن أراتوس من سيكيون Aratus of Sicyon (Cambridge,1934، وهو صاحب الدراسة العميقة الشهيرة عن المؤرخ الإغريقى بوليبيوس Polybius، التى أخرجها فى ثلاثة أجزاء (ترجمة ودراسة) ، استغرقت منه أكثر من عشرين سنة A Historical Commentary on Polybius,3 vols.(Oxford 1957-79 ؛ وصدر له كتاب أخر عن نفس المؤرخ ،وهو : Polybius(Berkeley, Los Anglos London,1972;pbk,1990) ؛ إضافة إلى المؤلفات الأخرى القيمة المشار إليها فى قائمة المراجع والتقديم الخاص بالمؤلف ،ولا يزال عطاؤه العلمى متواصلاً إلى اليوم ، أطال الله فى عمره .

لقد تعلمت منه الكثير ، بصورة مباشرة وغير مباشرة ، فى أثناء دراستى فى كمبردج ،وهو والد أستاذتى دوروثى تومبسون Dorothy Thompson التى كان لى شرف التتلمذ على يديها ، والتى أكن لها كل احترام وتقدير ،والتى مازال التواصل العلمى قائما بيننا (بكل الطرق) حتى يومنا هذا ، وسيظل على مدى العمر بإذن الله تعالى.

وسوف يلاحظ القارئ أن هذا العمل العلمى الدقيق ، الذى صدر حتى الآن فى ثلاث طبعات فى لغته الأصلية ، قد أخرجه الأستاذ فرانك ولبانك Wallbank بطريقة

غير نمطية ، لا يتضمن هوامش فى ذيل المتن ، كما جرت عليه العادة ؛ ويرجع السبب فى ذلك إلى أنه قام باستخدام المصادر الأصلية ،وأزعم أنه لم يغفل شيئا منها ، وأدخلها فى المتن ، وقام بتحليلها بطريقة دقيقة هادئة محايدة ، مما جعلها تؤلف مع المتن سيمفونية تاريخية رائعة ، نَدُرَ أن وجدت لها سَميا ؛ لذلك كان لابد من تقديمها إلى القارئ العربى لأهميتها الكبيرة للمتخصص والمثقف ، على نحو سواء .

وحاجة القارئ لمثل هذا الكتاب كبيرة ؛ لأنها تضيف إلى رصيده فى المعرفة الإنسانية قدرا كبيرا ، فعلى الرغم من الصراعات والدماء التى سالت فى العصر لمدة قرن على الأقل ،والمشاكل التى نشأت بسبب التفرقة فى المعاملة بين القاعدة العريضة من الأهالى الوطنيين من الشعوب المحكومة والطبقة الحاكمة من الإغريق ، ناهيك عن المشاكل الاقتصادية التى عانى منها السكان نظرا لعدم وجود إصلاح جوهرى لأسلوب الإنتاج الاقتصادى ،فإنه كان عصر المعرفة الذى لعبت فيه المؤسسات البحثية فى الإسكندرية وبرجامون وأنطيوخ وأثينا دورا قياديا ،وهو العصر الذى اتسع فيه أفق العالم المادى ، منذ أن حركت حملات الإسكندر نفسها الاهتمام بأقصى بلاد المعمورة بُعداً، بالقيام بالرحلات الكشفية الإغريقية التى تعددت الأسباب التى دعت إليها. فكان منها عنصرالرغبة فى الاستطلاع العلمى وعنصر البحث عن الثروة ،وبضائع الترف الاستهلاكية ذات القيمة ، والتجارة الشرقية بصفة خاصة ؛ وتضخمت النتائج التى حققها الإسكندر على يد خلفائه الذين ورثوا إمبراطوريته من بعده .

وفى الوقت نفسه لم يفقد السيلوقيون فى سوريا اهتمامهم بالشرق الأقصى ومنتجاته ، بعد فقدانهم الولايات الشرقية لصالح إمبراطورية الماوريان Mauryan Empire منذ وقت مبكر ،فقد تمسكوا بها ، وفكروا فى إقامة علاقات مع بعض المناطق التى لم يسبق للإسكندر أن قام بالسيطرة عليها من قبل ، فقد كانت هناك حملة فى عهد سيليوقوس الأول (ت ٢٨١) ، أو أنطيوخوس الأول (٢٨١-٢٦١) إلى إقليم جاكسارتيس Jaxartes (سيرداريا الحديثة Syrdarya) بقيادة ديموداماس من ميليتوس Demodamas of Miletus ، كما كانت هناك محاولة لاكتشاف بحر قزوين Caspian sea بإشراف ضابط سيلوقى آخر اقتفاء لخطة الإسكندر ، وهو باتروكوليس Patrocles ، الذى نشر عملا جغرافيا عنه حوالى عام ٢٨٠ ، وضم - الكتاب - فقرات وصفية عن المنطقة.

وكتب ميجاستنيس Megathenes كتابا عن الهند ، تضمن قدرا كبيرا من المعلومات التى يمكن الاعتماد عليها ،من بينها وصف نظام الطبقات caste system ، وذكر جزيرة سيلان Ceylon (تابروبانى Taprobane) . وعَبر الإغريق مرة أخرى إلى الهند عبر باكتريا ، عقب سقوط إمبراطورية الماوريين عام ١٨٤ ، لكن لم يقدر لهم جمع قدر كبير من المعلومات الفرعية عن شبه القارة ؛ لأن الفتوحات الفارسية سريعا ما أدت إلى تقليص هذا الاتصال ، بقيامهم بالفصل بين إغريق الشرق الأقصى والمملكة السلوقية.

ونشطت كشوف الملوك البطالمة فى البحر الأحمر بعد فقدهم جوف سوريا Coele -Syria عام ٢٠٠ ؛ من أجل الحصول على البضائع القادمة من الشرق باستخدام الطريق البحرى عبر البحرالأحمر، خاصة بعد اكتشاف الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، التى قادت البحارة إلى الوصول إلى سيلان وإندونيسيا ، هذا إلى جانب اهتمامهم بالكشوف فى إفريقيا للحصول على البضائع الإفريقية ، وفى مقدمتها الفيلة الإفريقية ، التى كانت جيوشهم فى حاجة إليها . وافتتح بطلميوس الثانى فيلاديلفوس عام ٢٦٩-٢٧٠ القناة الفرعونية القديمة التى كانت تمتد من النيل عند بوبسطة Bubastis فى شرق دلتا النيل إلى البحر الأحمر عند بيثوم Pithom ، على طول خط قناة المياه العذبة الحديثة (ترعة الإسماعيلية) ،وقدم ذلك طريقا مائيا بديلا لربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط عن طريق نهر النيل ساهم فى النشاط التجارى . ويضاف إلى ما تقدم الكشوف التى قام بها بيثياس Pytheas فى القطب الشمالى ، بعد نجاحه فى الوصول إليه.

وترتب على نشاط حركة العصر العلمية وسلسلة الرحلات التى تم القيام بها وضع بعض الأسس الهامة فى النظرية الجغرافية ، من حيث شكل وحجم ووضع الأرض والمناطق المناخية وتوزيع الأرض والمياه . وكثير من التفاصيل لرسم خريطة للعالم على أسس علمية ترتكز على قدر كبير من المعلومات الفلكية والملاحظات الشخصية ، مثل تلك الخاصة ببيثياس التى ذكرها عن القطب الشمالى ، وتمكن هيبارخوس من وضع قائمة لخطوط الطول والعرض ، كانت خطوة نحو فهم جديد لتنظيم المعرفة العلمية .

وكان العصر الهيللينستى أيضا هو عصر الإدراك العقلى الذى حققه العلم على يد إيراتوسثينيس Eratosthenes وأرشيميدس Archimedes، وكانت فنون العصر المعمارية وتخطيط مدنه البديعة طليعة لعصر النهضة فى أوروبا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وخلا العصر من التعتيم والرقابة على الفكر ، وكان الأفراد أحراراً فى معتقداتهم وأفكارهم وتنقلاتهم من مكان إلى آخر، وظهرت فيه مدارس فلسفية أساسية ، تمثلت فى الرواقية Stoicism والأبيقورية Epicureanism والكلبية Cynicism ، التى كان لها تأثيرها فى تاريخ الفلسفة وتطورها .

ويمثل العصر حلقة هامة من تاريخ الإنسانية والتواصل الحضارى بين حضارة الشرق والغرب ، دون ضغط أو إكراه ، على النقيض مما يحدث اليوم تحت مسمى العولمة ، التى تهدف فى المقام الأول إلى طمس هوية جميع الحضارات الإنسانية لصالح الحضارة الغربية .

وقد أضاف العصر تجارب فى ميدان الخبرة السياسية ، ففيه خطت بلاد الإغريق خطوة جديدة نحو تطوير الحكومة الفيدرالية ، التى كان لها مردودها على تطور الفكر السياسى فى المرحلة التالية ، والتى تقدم الدليل على حيوية الشعب الإغريقى وإبداعه السياسى ، على الرغم من الصراع السياسى والعسكرى الذى كان يعانى منه . وقد طورت بلاد الإغريق خلال قرون ثلاثة نظاما للتبادل الدبلوماسى الداخلى ، نقله الرومان فيما نقلوه عنهم . وعلى الرغم من أن العالم الإغريقى لم يكن له نظام قانونى موحد ، فإن القوانين تقاربت وتداخلت مع بعضها بمرور الزمن ، وهو الأمر الذى يمكن استنتاجه من زيادة اللجوء إلى استخدام قضاة من مدن إغريقية متعددة للتحكيم فى قضايا الحدود وغيرها من القضايا بين المدن - الدول الإغريقية . وكانت الأسر الحاكمة تتحرك بمرونة ، وتقدم فرصا مفتوحة أمام المواهب ، وأحاط الملوك أنفسهم برجال تم اختيارهم بحرية من مختلف الأنحاء ؛ لكفاءتهم الشخصية وقدرتهم على التكيف فى الممالك الجديدة .

ويقدم الكتاب دروسا هامة ، قد يستفيد منها من يرغب من العاملين فى الحقل السياسى ، تتلخص فى أن مصادر دراسة التاريخ تسجل كل شاردة وواردة ، ولا تغفل عن شىء ، سلبا كان أو إيجابا ، وفيها ومنها تظهر الحقيقة عارية دون لبس ، عندئذ لا يجد أولئك الذين يستغلون شعوبهم ويعملون ضد مصالحها من يقف إلى جانبهم ويدافع عنهم ، عندما تُصدر محكمة التاريخ حكمها العادل عليهم ، كما توضح أنه مهما تنامت مصادر القوة فى أى دولة ، وسادت بها ، واحتلت قمة الهرم العالمى ، وسخرت الضعفاء من قادة الشعوب لخدمتها ، مستغلة حرصهم على التمسك بخبال السلطة الفانية على حساب كرامة شعوبهم - فهذه القوة العالمية مآلها إلى التدهور والاضمحلال ، طال العهد عليها أم قصر ؛ لتفسح المجال لأخرى تحتل مكانها ، لتعاود مَحكمة التاريخ بمؤرخيها إصدار حكمها عليهم ، وهكذا دواليك ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فيكون الحكم النهائى العادل لله وحده ، جلت قدرته.

والكتاب الذى بين يدى القارئ يقدم نموذجا لما ينبغى أن تكون عليه الكتابة فى التاريخ ، الذى أصبحت ساحته مفتوحة لكثيرين بدون حياء ، يجمعون معلومات من هنا ، ويلتقطون أخرى من هناك ، ويلصقونها إلى جوار بعضها ، ويسطون على عمل هذا أو ذلك ، دون رادع ، ناهيك عن أصحاب الكتابات الهزيلة من أنصاف المؤرخين أو أرباعهم ، ممن يدعون زورا الانتماء إلى العاملين فى حقل هذا العلم المحيط .

ويلاحظ القارئ الكريم أن ترجمتى لهذا الكتاب جاءت خالية من أى خلاف فى الرأى ، على غير العادة فيما قمت به من تراجم سابقة ؛ لعدم حاجة العمل إلى مزيد من التوضيح أو التعقيب ؛ نظرا لدقة العمل وحيادية الفكر فيما قدمه من أفكار واستخلصه من نتائج ، واقتصر الأمر على تفسير بعض المصطلحات القليلة التى ربما يشُقُّ على قارئ العربية فهمها ، ووضعت شرحا لها فى حاشية الصفحة وبجوارها العلامة التالية(*)، وأضفت للمتخصص بعض الاصطلاحات الهامة القليلة بلغتها الأصلية الإغريقية (اليونانية) ليسهل عليه الرجوع إليها عند الحاجة. وأود التنويه إلى

أننى حافظت فى الترجمة على منطوق الأسماء الإغريقية واللاتينية ، كما وردت باللغة الإنجليزية ، وفيها ورد اسم هومر بدلا من (هوميروس) الشكل الإغريقى له ، واسم الكاتب المسرحى ترنس بدلا من (ترينتيوس) الشكل اللاتينى له. وكان حرصى كبيرا على أن أرفق بالترجمة ملاحق الكتاب الخاصة بدراسة المصادر ، وقوائم أهم الأحداث التاريخية ، والخرائط والصور التى أضفت القليل عليها لمزيد من التوضيح ؛ وحرصا منى على إفادة القارئ الإفادة القصوى من الترجمة .

وهناك جانب هام آخر لا بد من الإشارة إليه ، وهو أن ترجمة هذا المرجع الهام لم تكن بالأمر الهين ؛ نظرا لبلاغة الأسلوب الذى سُطر به ، والذى يتميز بأنه شديد التركيز ، مكتنز بثروة فى معلوماته التاريخية المتدفقة ، التى عالجها الأستاذ ولبانك بعلمه وخبرته الطويلة من جهة ،وصعوبة الأسلوب الذى دونت به كثير من النصوص الكلاسيكية(الإغريقية واللاتينية) التى حوتها المصادر المعاصرة لموضوع البحث التى اعتمدت الدراسة عليها من جهة أخرى . فهناك من يظن أن الترجمة ليست سوى نقل المعرفة من لغة إلى أخرى فحسب ، وفى هذا الظن شىء يستحق التوضيح ؛ لأن المعرفة لا يمكن أن تنتقل من لغة إلى أخرى ، وتبقى هنا كما كانت هناك ، فكل لغة لها منطقها وثقافتها ، وكل كلمة لها تاريخها وعلاقاتها التى تحملها دلالات تختلف قليلا أو كثيرا عن دلالات الكلمة التى تقابلها فى أى لغة أخرى . فالكلمات ليست مجرد علامات رياضية محايدة ،وإنما هى رموز مشحونة بالصور والإيقاعات والتجارب والمعتقدات . فالعرب يؤنثون الشجرة ، والفرنسيون يذكرونها ،وهؤلاء يؤنثون القمر ويذكّرون الشمس ، ونحن نفعل العكس ،فعلى المترجم أن يكون واعيا بهذه الاختلافات الحافلة بالمعانى ، حتى يتصرف فيها على النحو الذى يضمن له فهم دلالتها فى اللغة الأصلية ، ونقلها بأدواتها إلى اللغة التى يترجم إليها .

ومعنى هذا أن الترجمة ليست مجرد نقل سلبى ، كما تنتقل الورقة النقدية من مكان إلى آخر وتظل محافظة على قيمتها ، وإنما الترجمة حوار بين لغتين أو بين عقليتين ، مما يتطلب تعديلات أو إضافات تحقِّق الهدف منها ؛ لذلك فإن عمل المترجم

لا يتمثل فى الحرص على صحة النقل فحسب ، بل أن يتأكد من قدرة النقل على الوصول بمضمونه الكامل إلى القارئ قدر الإمكان ؛ لأن النص الأصلى له مصادره فى ثقافة اللغة التى كُتب بها ، وهى مصادر لا يعرفها قارئ اللغة التى نقل إليها ، فعلى المترجم أن يزود الترجمة بما قد تحتاج إليه من شروح ؛ حتى يتمكن القارئ من فهمها والتحاور معها.

كذلك فإن المراجعة فى الترجمة واجب ضرورى وشرط أساسى لا بد من احترامه ، حتى فى ترجمة صحيحة موثوق بمن قام بها ، لتصويب ما قد يقع فيه المترجم من أخطاء لا ينجو منها أحد .

لذلك فقد شرَّفنى سعادة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم بكر بتكرمه بالقيام مشكورا بالمراجعة الدقيقة لهذا العمل ، الذى تتميز لغة كاتبه بالأسلوب البليغ فى ثوب سهل ممتنع ، يقتضى معه بالضرورة الدقة الكاملة فى الترجمة وفى المراجعة التى قام بها سعادته بواسع علمه ودقته التى يتميز بها ؛ لذلك خرج العمل بفضله بهذا الشكل الذى أرجو أن يفيد منه القارئ.

وفى الختام لا يفوتنى التقدم بالشكر إلى سعادة المهندس شادى أحمد قريش ؛ لأن الأجزاء العلمية فى الترجمة لم تكن لتخرج بتلك الدقة لولا قيامه بمراجعتها وتعديل مُسمى بعض المُصلحات العلمية فيها ، إضافة إلى قراءة الترجمة ومراجعتها المراجعة الأخيرة قبل الطباعة ؛ لأن التاريخ على الرغم من أنه ليس مجال تخصصه فإنه قارئ جيد له ؛ لذلك أفدت من بعض الملاحظات التى أبداها لى ، فللجميع منى الشكر والتقدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته المطهرين.

١٠ محرم ١٤٣٠

الموافق ٧ يناير ٢٠٠٩

مقدمة دار فونتانا لتاريخ العالم القديم

Introduction to The Fontana History of the Ancient World

يقول الباحثون فى العصر الحديث إنه ليس هناك مبرر فى الحقيقة لكتابة تاريخ جديد للعالم القديم ، لكن الاكتشافات الأثرية الحديثة غيرت الصورة فى جوانب عديدة هامة ؛ ولذلك حان الوقت للقيام بتقديم نتائجها وإتاحتها للقارئ العام .

وسلسلة فونتانا للتاريخ القديم لا تحاول فقط تقديم تقرير حديث ؛ لأنه من المعروف أن العقبة الرئيسية فى دراسة الماضى البعيد تتمثل فى نقص المصادر القديمة والمعاصرة والمشاكل الخاصة بترجمتها ؛ ولكن هذا يؤدى - بالتالى - إلى أمر ممكن ومطلوب ، هو تقديم مصادر وأدلة لها أهمية أكبر بالنسبة للقارئ ليقوم بمناقشتها ؛ لأنه ربما يستطيع أن يجد بنفسه الوسيلة التى يمكن عن طريقها إعادة بناء تاريخ الماضى ، ويحكم بنفسه أيضا على مدى نجاحها .

لذلك تهدف المجموعة إلى تقديم الخطوط الإجمالية لكل عصر تتعامل معه ، وتقدم - فى الوقت نفسه - كل ما يمكن تقديمه من مصادر لذلك التقرير ، باختيار الوثائق ومناقشتها متداخلة فى الرواية التى كثيرا ما تقدم الأساس لها ، وعندما تتعارض المناقشات تُعرض على القارئ. كما أن كل جزء يحتوى على مسح عام لأنواع المصادر المتاحة عن ذلك العصر ، وتنتهى الدراسة باقتراحات تفصيلية تقود إلى مزيد من القراءة ، وتأمل السلسلة أن تهيئ القارئ لإشباع رغبته الخاصة وحماسه ، بعد أن يكون قد حصل على بعض الرؤية للحدود التى يجب أن يعمل المؤرخ من خلالها .

الناشر العام : أوزوين ميوراى Oswyn Murrayh

زميل ومرشد التاريخ القديم

كلية باالليول ، أوكسفورد Balliol College ,Oxford

مقدمة المؤلف

ليس من السهل الخوض فى الكتابة فى موضوع العصر الهيللينيستى ؛ بسبب وقوع التضارب عند معالجة المؤرخ للوقائع التاريخية بالترتيب الزمنى لمجريات الأحداث السياسية وعند مناقشة المشاكل الخاصة بالعصر ، سواء تلك المتعلقة بأقاليم معينة أو المرتبطة بجميع المناطق ؛ لهذا السبب فإن هذا الكتاب ليس الوحيد الذى واجهته تلك المشكلة ، إضافة إلى أن القدر الأكبر من أحداثه يدور فى القرن الثالث وأوائل القرن الثانى، وفيهما نسجت خيوطه ، كما تنتمى إلى المرحلة نفسها أكبر منجزات العالم الهيللينستى ، وأصبح واضحًا فى الأذهان مدى تضخم نفوذ روما وسيطرتها على الجانب الشرقى من البحر المتوسط ، منذ النصف الثانى من القرن الثانى والمرحلة التى أعقبته ، وتمت معالجة الجوانب الرومانية للموضوع فى مجلد آخر من هذه المجموعة .

وأنا أدين بالفضل إلى يقظة دوروثى كروفورد Dorothy Crowford التى قامت بقراءة الوثائق ؛ مما ترتب عليه إجراء عدة تعديلات ، واستفدت من عدة اقتراحات قيمة أبدتها ، خاصة بالأجزاء المتعلقة بمصر فى العصر البطلمى . و قام أوزوين موراى Oswyn Murray بقراءة النسخة الخطية للكتاب ، واقترح عدة تعديلات أدين له بالفضل فيها ، وأود – كذلك – أن أعبِّر عن شكرى لنشر هذا العمل إلى أنتونى لونج Antony Long وجيفرى لويد Geoffrey Lloyd ، اللذين قمت بالاعتماد عليهما فى أثناء تواجدى هنا– فى كمبردج – . وهناك دين آخر أدين به لقسم النوميات فى متحف فتزوليام Fitzwilliam فى كمبردج Cambridge لتزويدى بصور العُملة ، ولمتحف الآثار الكلاسيكيةMuseum of Classical Archaeology فى كمبردج الذى ساعدنى فى الحصول على بقية الصور.

وأود أن أعبر عن شكرى – على نحو خاص – للأستاذ سنوديراس Snodyrass،
والسيد ت. فولك T.Volk والأستاذ جونز E.E. Jones. أما صورة نقش آى خانوم Ai Khanum
التى أعيد نشرها فكانت بإذن حصلت عليه من الأستاذ ديبون سومر A.Dupont Sommer،
نيابة عن أكاديمية النقوش والآداب الكلاسيكية فى باريس Academie des Inscrip-
tions et Belles Lettres ,Paris ؛ لذلك أود أن أعبِّر له عن عميق شكرى.

وفى الختام فإننى أتقدم بالشكر إلى الآنسة هيللين فريزر Hellen Fraser ، وإلى
العاملين فى مؤسسة فونتانا Fontana لإعادة طبع الكتاب ، وخاصة الآنسة لين بلورز
Lynn Blowers للمساعدة التى قدمتها فى إخراجه.

ويمكن للقارئ الذى يرغب فى الرجوع إلى المصادر الأصلية التى اقتبستها،
الرجوع إلى القائمة التى أعددتها فى نهاية الكتاب ، وأشرت فيها إلى كيفية الحصول
على الفقرات المطلوبة ، إضافة إلى الحصول على المراجع الأخرى التى وردت فى
الفصول، وتتمثل أساسا فى الكتب والمقالات المكتوبة باللغة الإنجليزية . وقد غامرت
بذكر بعض المراجع بلغات أخرى ، وبالتحديد باللغة الفرنسية لعدم وجود بديل لها
باللغة الإنجليزية ، وجميع التواريخ المذكورة ترجع إلى قبل الميلاد ، إلا لو جاءت
الإشارة بغير ذلك .

كمبردج يناير ١٩٨٠

الفصل الأول

المدخل :المصادر

Introduction:The Sourses

أولا:

واصلت المدن الإغريقية التنافس والنزاع فيما بينها لأكثر من قرن من الزمان فى المرحلة الممتدة من عام ٤٨٠/٣٦٠ ق.م ، بدون وقوع خطرحقيقى عليها من الخارج ، لكن منذ عام ٣٥٩ وما يليه ألقى نمو قوة الملك فيليب الثانى المقدونى(*) بظله على شبه جزيرة الإغريق ، وتمكن فيليب فى عام ٣٣٨ من إنزال الهزيمة الفاصلة بجيوش مدينتى طيبة Thebes وأثينا Athens فى معركة خيرونيا Chaeoronia ، واستطاع أن يفرض السلام وسياسته على معظم المدن الإغريقية فى المجلس الجديد الذى عُقد فى مدينة كورنثة Corinth . وكان فيليب قد وجه نظره بالفعل نحو فارس ، تلك القوة الضاربة التى تقع (فى الشرق) خلف البحر الإيجى ،والتى كُشف الستار عن نمو سريع لمظاهر الضعف فيها منذ ستين سنة سابقة ، عندما قامت جماعة من المرتزقة الإغريق بقيادة إكسينيفون Xenephon الأثينى ، دفعها أمير (فارسى) ثائر فاشل ، بالسير على طول الطريق من منطقة مابين النهرين Mesopotamia إلى البحر حتى تريبيزون Trebizond (٤٠٠/٣٩٩) ، وكتب بوليبيوس Polybius عن ذلك فيما بعد يقول :

"من السهل على أى فرد رؤية الأسباب الحقيقية لجذور الحرب ضد الفرس ، ويتمثل السبب الأول فى انسحاب الإغريق بقيادة إكسينيفون من الولايات العليا التى كان يمكن للدولة المعتدية العبور منها إلى جميع أنحاء آسيا ،والذين لم يقدم أحد من البرابرة – من قبل – على مواجهتهم"(iii,6,10) .

(*) تقع مقدونيا فى أقصى الشمال الشرقى لشبه جزيرة بلاد الإغريق (اليونان) ، وظل دورها هامشيا فى أحداث التاريخ الإغريقى حتى عصر فيليب الثانى فى منتصف القرن الرابع ق.م (المترجمة) .

وقد شجعت هذه الحادثة فيليب ، كما شجعته حملة الملك الاسبرطى أجيسيلاوس Agesilaus فى آسيا الصغرى ، التى وقعت بعد ذلك بفترة قصيرة ، على التخطيط لغزو أملاك الفرس الهامة فى آسيا الصغرى فى إطار بحثه عن أموال وأراض جديدة ، على الرغم من ادعائه أن السبب فيها يرجع إلى الأخطاء التى ارتكبها الفرس تجاه الإغريق ، خلال الغزو الفارسى من قبل فى مطلع القرن الخامس ، ولم يمتد العمر بفيليب لينفِّذ مشروعه ، وتم اغتياله عام ٣٣٦ ، وترك تنفيذ مشروع غزو فارس ليكون جزءاً من ميراث ابنه الإسكندر.

وحكم الإسكندر فترة بلغت ثلاث عشرة سنة فقط ، لكنه تمكن خلالها من القيام بتغيير شامل لوجه العالم الإغريقى ، و كان الإغريق قد قاموا خلال فترة تأسيس المستعمرات الكبرى بين القرنين الثامن والسادس بتأسيس مستوطنات فى المنطقة الممتدة الواقعة على شواطئ إسبانيا والأراضى المطلة على البحر الإدرياتى جنوب إيطاليا ، وفى صقلية وشمال أفريقيا وشواطئ البحر الأسو د ، لكن الانتشار الجديد كان له نمط مختلف . لقد سار الإسكندر بجيشه - الذى بلغ فى البداية حوالى خمسين ألفا - واخترق به آسيا الصغرى وفلسطين ومصر ، ومنها إلى بلاد مابين النهرين ، متجها إلى الشرق عبر فارس ووسط آسيا ، حيث تقع الآن سمرقند ، وبلخ ، وكابول ، واخترق بعد ذلك البنجاب Punjab . وبعد انتصاره على الملك الهندى بوروس Porus . عاد بجزء من قواته عن طريق البر ، والجزء الآخر بطريق البحر إلى مدينة بابل Babylon ، حيث توفى هناك .

كانت الإمبراطورية المترامية الأطراف التى تركها الإسكندرالأكبر لخلفائه من بعده لا نظير لها فى التاريخ الإغريقى ؛ إذ كانت تمثل - فى حقيقة الأمر - الإمبراطورية الفارسية القديمة تحت إدارة الإغريق والمقدونيين ، وبذلك كونت المسرح الذى سوف تجرى عليه وقائع التاريخ الإغريقى وأحداثه فى القرون الثلاثة التالية ، ووجد الإغريق الذين تقاطروا واتجهوا جنوبا وشرقا خلال السبعين سنة للفترة التى أعقبت وفاة الإسكندر ليلحقوا بالمستوطنات الجديدة ، أو ليسجلوا أسماءهم فى

الجيوش المرتزقة على أمل تكوين ثروات لهم - وجدوا أنفسهم بعد فترة قصيرة محاصرين بنظم المدينة الدولة ، لكنهم كانوا يعيشون فى أحد المجتمعات المحلية العديدة التى تتكون من كل جنس وقومية.

اشتق اصطلاح هيللينيستى Hellenistic من الكلمة الإغريقية التى تعنى " من يتحدث بالإغريقية to speak Greek " ، وفى الواقع جرى إطلاقه - عادة - على ذلك العالم الجديد ، الذى كانت فيه الإغريقية تعتبر لغة أجنبية Lingua Franca. ويتضمن الاصطلاح صلة مخففة بالهيللينية Hellenism ، بقدر ما يعنى انتشار الهيللينية بين غير الإغريق ، وما قد يتبع ذلك من وقوع صدام بين الثقافات. وكانت المدن الدول- city states لا تزال قائمة فى بلاد الإغريق والمنطقة الإيجية - بطبيعة الحال - وكان بعضها لا يزال قويا مثل رودس Rhodes ، وكانت العلاقات بين المدن الإغريقية الأم ومقدونيا كثيراً ما تتوتر ، لكن توترها لم يكن حادا بسبب التباين الثقافى ؛ لأننا إذا أمعنا النظر فى الممالك التى أسسها خلفاء الإسكندر فى مصر وآسيا ، وحيثما نظرنا سنجد أن كلا من الإغريق والمقدونيين كانوا يشغلون ، فى الجيش و فى الإدارة ، المراكز القيادية على المصريين والفرس والبابليين وجميع شعوب الأناضول Anatolia. لقد كانت العلاقات التى أقاموها هناك غير مريحة وبعيدة عن الاستقرار . و كان التوتر قائما فيها منذ البداية ، ولكن بدأ يحدث تبدل تدريجى لوضع الإغريق والبرابرة عندما جف تدفق الإغريق فى عدة وجوه . واختلف نمط هذا التحول بين مملكة وأخرى ، فهناك إغريق كان لهم تأثيرهم فى البرابرة فى واحدة ، وفى أخرى كان للبرابرة تأثير فى الإغريق ذاتهم. وفى الواقع فإن هذا الصدام والالتقاء الذى وقع بين الثقافات كان واحدا من بين الإسهامات الرئيسية التى حدثت فى تلك المرحلة.

وبدأت روما تظهر كقوة جديدة فى العالم الهيللينستى منذ أواخر القرن الثالث . وتم رواية استيلاء روما على الممالك الهيللنيستية الواحدة تلو الأخرى ومناقشته فى مجلد آخر من المجموعة (Michael Crawford The Roman Republic) ؛ لذلك لن نقوم بإعادة الرواية هنا ، على الرغم من النتائج المتراكمة الفاعلة التى تمخضت عنها على مدى نصف قرن فى الأحداث التى نوقشت فى الفصل الثالث عشر. وسوف يكون التركيز الأساسى فى هذا الكتاب على الممالك الهيللنيستية نفسها والعلاقات بين

بعضها والمدن الإغريقية التى تقع فى أسيا وأوروبا. كذلك سوف نوجه اهتمامنا نحو التيارات الاقتصادية والاجتماعية ، مع التطورات الثقافية فى المراكز الجديدة التى أسست فى الإسكندرية وبرجامون Pergamum ، على امتداد الحدود (المتعارف عليها) لذلك العالم الجديد ، مع الاهتمام أيضًا بالإنجازات العلمية والخبرات الدينية لشعوبها .

ثانيا:

إن المصادر العلمية التى تتناول العصر غير متسقة. كما أن سيرة الإسكندر نفسها تعد أصل المشكلة بالتحديد ، ويتمثل أهم مصدر باق عن حملته فيما كتبه أريان Arrian ، الذى يتحدث اللغة الإغريقية ، وكان عضوا فى مجلس الشيوخ الرومانى من بيثينيا Bithynia التى تقع فى أسيا الصغرى ، وكان ناشطا فى القرن الثانى الميلادى. وافتتح أريان كتابه عن الإسكندر" أناباسيس الإسكندر "Anabasis of Alexander – والعنوان مأخوذ من رواية إكسينيفون Xenephon المعروفة باسم أناباسيس Anabasis – بهذه الكلمات :

"لقد سجلت هنا ما ذكره بطلميوس بن لاجوس Ptolemy son of Lagos وأرستوبولوس بن أرستوبولس Aristobulus son of Aristobulus فى تقاريرهما عن الإسكندر بن فيليب ؛ إذ اتفقا فيما ذكراه عن الإسكندر ، وأسجل ما ذكراه على أنه صحيح بالكامل ؛ أما فى حالة اختلافهما فإننى أختار مما ذكر ما يبدو لى أكثرها احتمالا ، والذى يعد أكثر ارتباطا بالموضوع . (Arrian., Anabasis praef.I)

(لا شك أننا لاحظنا أن عبارة "أكثر احتمالا" و" أكثر ارتباطا "ترتبط بالظن ولا تتطابق بالضرورة مع الواقع).

وكتب بطلميوس Ptolemy الذى كان أحد قادة الإسكندر ، وأصبح ملك مصر فيما بعد – كتب فى تاريخه أغلب الظن بعد سنين عديدة فى مصر ، عن يوميات Journal الإسكندر الرسمية ، وكان أريان محقا عندما اعتمدها(أقرها) بوجه عام ، وصاحب أرستوبوليس Aristobulus الحملة أيضا بصفته مهندسا عسكريا فى أغلب الظن ، وكان على عكس بطلميوس إغريقيا وليس مقدونيا ، وكتب ما كتب بعد وفاة

الإسكندر بعقدين زمنيين على الأقل . وهناك آخرون كانوا شهود عيان على الأحداث وكتبوا تقارير عن الحملة . وأحدهم هو كاليستينيس Callisthenes مؤرخ الحملة الرسمى وابن أخى (أو أخت) مُعلم الإسكندر ، الفيلسوف المشهور أرسطو Aristotle ، لكن تقريره توقف فى فترة مبكرة لسبب منطقى نتيجة لإعدامه ، متهما بالخيانة عام ٣٢٧ ، والثانى هو نيارخوس الكريتى Cretan Nearchus الذى أبحر بالأسطول الملكى ، عائدا إلى سوسا Susa من وادى الإندوس Indus ، وضمن تقريره وصفا للهندIndia وتقريرا (استخدمه أريان) عن رحلته ؛ وشارك بعد ذلك فى حروب خلفاء الإسكندر ؛ كما ترك أيضا النقيب نيارخوس أونسيكريتوس lieutenant Nearchus Onesicritus قائد سفينة الإسكندر نفسه فى رحلة العودة من جيلوم Jhelum ، تقريرا لم يتبق منه سوى قُصاصات fragments – قطع مجزأة – ليس من السهولة بمكان تقدير ملامحها ، كما أنها ليست لها قيمة جوهرية تذكر (Arrian, Indusa, 18.1) ، وأخيرا لا بد أن يذكر كليتارخوس Cleitarchus السكندرى ، على الرغم من الاحتمال القائم بأنه لم يكن أحد أفراد الحملة ، فقد كتب تاريخ الإسكندر ، ويقع فى ١٢ كتابا على الأقل . وهناك كتابات كثيرة عن هذه المصادر التى فُقدت ، ومن المحتمل ، وليس مؤكدا ، أن كليتارخوس Cleitarchus ، وبطلميوس Ptolemy ، وأرستوبوليس Aristobulus قاموا بنشر أعمالهم بهذا التتابع . وكان كليتارخوس أكثر الثلاثة شهرة ، خاصة خلال المرحلة المبكرة من الإمبراطورية الرومانية ، على الرغم من نقد كاتب مميز مثل أريان له (دون أن يذكر اسمه صراحة) ، بسبب الأخطاء العديدة التى وقع فيها Arrian) Anabasis,vi,11,8) ، ويُعد تاريخ أريان أحد المصادر غير المباشرة عن" رومانسية الإسكندر" التى أخذت تتنامى فى الكتابات المتعاقبة منذ القرن الثانى الميلادى وحتى العصور الوسطى ، فى أكثر من ثلاثين لغة ، والتى تُعد شهادة تثير الانتباه عن الأثر الذى تركه سجل أعمال الإسكندر وشخصيته فى خلفائه المباشرين وفى الأجيال التالية.

وقد فُقدت جميع هذه المصادر الأولية ، وجاء اعتمادنا عليها من خلال أعمال الكتاب اللاحقين الذين رجعوا إليها ، وكانوا سببًا فى أن تحل كتاباتهم مكانها بطريقة غير مباشرة . وفيما عدا أريان فإن ديودوروس الصقلى Diodorus Siculus يُعد أكثر هذه المصادر أهمية ،وهو إغريقى كتب تاريخًا للعالم فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد ،

عن الإسكندر ، وتبعه أرستوبولوس Aristobulus ، وكليتارخوس Cleitarchus ، وكوينتوس كورتيوس Quintus Curtius (وكل من تاريخه ومصادره غير مؤكد) ، وجستينوس Justinus الذى كتب فى مختصراته epitomizes عن عمل المؤرّخ الرومانى تروجوس بومبيوس الغالى Trogus Pompeiusالذى فُقد ، وبلوتارخوس الخايرونى Plutarchus of Chaeronia الفليسوف وكاتب السير المشهور فى القرن الثانى الميلادى ،الذى كتب عن حياة الإسكندرLife of Alexander (الذى زاوج بينها وبين حياة قيصر Caeser) ، وذكر فى مؤلفه ليس أقل من أربعة وعشرين (كاتبا) موثوقا به ، على الرغم من عدم معرفتنا بالعدد الذى استخدمه منها بطريق مباشر . وأصبح كم هائل من المادة متاحا منذ عصر بلوتارخ عن حياة الإسكندر فى كتابات كبار الخطباء ، والآثار ، والكتاب الفضوليين ، وكثير منهم اليوم ليسوا سوى مجرد أسماء ؛ لضآلة قيمة كثير من أعمالهم .

لذلك فليس هناك قصور فى المصادر الأدبية الخاصة بسيرة الإسكندر ، لكن المشكلة تتعلق فى التأكد من أين تم الحصول على المعلومات وفى تقويم أحكامها وتقديرها ، سواء كانت فى صالح البطل أو ضده . وقد واجه المؤرخون فى العصر الذى أعقب وفاة الإسكندر -عصر الهيللينستية الحقة - مواقف كثيرة التباين ، فنحن لا نزال نعتمد - بكل تأكيد - على مصادر ثانوية حتى المرحلة التى يمكن فيها استخدام بوليبيوس Polybius ، ابتداء من عام ٢٦٤ وما يليه ، ولكنها تختلف عن تلك الخاصة بالإسكندر ؛ لأنه بعد وفاة الإسكندر انقسمت إمبراطوريته بين قواده ، وألحق الكتاب أنفسهم ببلاط واحد منهم أو بآخر ؛ لذلك فإن أفضل طريقة هى الرجوع فى فترة السنوات الخمسين الأولى من الحكم الجديد إلى المؤرخ الكبير هيرونيموس الكاردى Hieronymus of Cardia ، الذى خدم فى البداية مع يومينيس Eumenes مواطن بلدته ، وسكرتير الإسكندر ، والذى حارب بإخلاص مع ورثة الملك الشرعيين ، وخدم عقب ذلك بعد وفاة يومينيس عام ٣١٦ - مع أنتيجونوس Antigonus الأول ، وابنه ديمتريوس الأول Demetrius وحفيده أنتيجونوس جوناتاس Antigonus Gona-tas (ص ص٦٢ - ٧٠) . ووصل هيرونيموس فى تقريره المفقود عن حروب خلفائه حتى وفاة بيرهوس Pyrrhus فى إبيروس Epirus عام ٢٧٢ على الأقل ، واستخدمه

أريان فى عمله عن "الحوادث بعد الإسكندر Events after Alexander ". كما استخدمه ديودوروس بطريقة غير مباشرة (فى كتبه ١٨-٢٠) ، مثله فى ذلك مثل بلوتارخ ، الذى استخدمه فى عدة كتب (مثل تلك الخاصة بيومينيس Eumenes وبيرهوس Pyrrhus وديمتريوس Demetrius) . ومن سوء الحظ أن ما تبقى بعد الكتاب الحادى والعشرين من أعمال ديودوروس عبارة عن بعض قصاصات ، ومن أهمها مجموعة المقتطفات التى تم إعدادها بناء على أوامر من الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين السابع فى القرن العاشر الميلادى .

ومن بين الكتّاب الذين فقدت أعمالهم فيلارخوس Philarchus ، الذى يغطى السنوات بين ٢٧٢-٢١٩ فى ٢٨ كتابا ، والذى كان طبقا لما ذكره بوليبيوس (وكان - الأخير- متحاملا عليه لمساعدته لكليومينيس Cleomenes الإسبرطى عدو آخيا Achaea) يكتب بطريقة حماسية ومثيرة للعواطف . وشن المؤرخ الإغريقى بوليبيوس Polybius عليه هجمة شرسة فى تقريره عن حصار الآخيين فى معركة مانتينيا Mantinea عام ٢٢٣قائلا:

"لقد قام فيلارخوس Phylarchus فى سعيه الحثيث لإثارة الأسى وجذب انتباه القارئ بتقديم صورة سيدة تمسك بشعرها المسدول وثديها العارى ، ومرة أخرى استحضر صورة لحشد من الجنسين مع أطفالهم وآبائهم المسنين الذين كانوا ينتحبون ويبكون ، كما لو أنهم كانوا يساقون إلى العبودية "(II,56,7) .

ولم يكن منهج فيلارخوس مقصوراً عليه فقط ، لكنه كان يمثل نموذجا للكتابة التاريخية ، كان موجودا خلال العصر الهيللينستى . ويلاحظ المنهج السابق عند دوريس من ساموس Doris of Samos تلميذ ثيوفراستوس Theophrastus ، الذى كتب تاريخًا فى أوائل القرن الثالث يتعلق بالأحـــداث المقدونية والإغريقية حتى عام ٢٨٠ (وأيضا كتب كتابًا عن أجاثوكليس السيراكيوزى Agathocles of Syracuse) . ومن كُتاب القرن الثالث أيضا الكاتب ميجاسثينيس Megasthenes ، الذى زار باتاليبوترا Pataliputra كسفير لأنطيوخوس الأول ، وكتب كتابًا عن رحلته استخدمه الكُتاب فيما بعد ، والمؤرّخ الصقلى تيمايوس Timaeus من تاورومينيوم Tauromenium (تاورمينا Taormena الحديثة) ، الذى أمضى حوالى خمسين عاما فى المنفى فى أثينا ،

والذى انتقده بوليبيوس بضراوة ، على اعتبار أنه مؤرخ كسيح لم يكلف نفسه عناء زيارة الأماكن التى يتحدث عنها أو الحصول على الخبرة السياسية الضرورية . ويبدو أننا ندين لتيمايوس بالتجديد غير المسبوق الذى حققته حرفة (فن) المؤرخ باختيار التأريخ بالسنوات الأولمبية منذ السنة الأولى لنشأة الاحتفال بها عام ٧٧٦ ، لتؤرخ به جميع الأحداث التى وقعت فى العالم الإغريقى (والرومانى بعد ذلك) ، والذى كان يتناسب معها . وهو الأمر الذى صرح به بوليبيوس نفسه قائلا (I,3.1) : إن التاريخ الذى أقترح أن أبدأ به هو -الاحتفال - الأولمبى المائة والأربعون (عام ٢٢٠/٢١٦) ، وبعد أن ذكر لقرائه (I,5.1) أنه سوف يبدأ كتابة المقدمة من"المرة الأولى التى عبر فيها الرومان البحر من إيطاليا "(عام ٢٦٤) واصل شرحه بأن ذلك يعنى أنه سوف يقوم بمتابعة الحديث مباشرة من حيث انتهى إليه تاريخ تيمايوس ، الذى وقع فى السنة الأولمبية ١٢٩ (وتوافق عام ٢٦٤/٢٦٠) . وكانت العادة التى درج عليها المؤرخون الإغريق أن يبدأوا كتابة تاريخهم من حيث انتهى من سبقهم.

وكان بوليبيوس Polybius نفسه أهم مصدر للفترة من ٢٦٤ - ١٤٦ ، وكانت روما محور اهتمامه الأول ، وكان هدفه معرفة" الأدوات و نوعية نظام الحكم - الدستور- الذى تمكن الرومان من خلاله من تحقيق النجاح وإخضاع العالم المسكون لحكومتهم فى مدة بلغت أقل من ثلاثة وخمسين عاما فقط "(I,1.5) لكن بوليبيوس نفسه كان أركاديا من ميجالوبوليس Megalopolis ، التى كانت عضوا فى الحلف الكورنثى (راجع ص ١٨٠ وما يليها) وقام بوصف تطور ذلك الحلف ، بالإضافة إلى عدة أحداث أخرى فى بلاد الإغريق ليس لها صلة مباشرة بروما ، مثل الحرب بين أنطيوخوس الثالث فى سوريا وبطلميوس الرابع فى مصر ، التى انتهت بهزيمة الأول فى معركة رفح Rafhia عام ٢١٧ . ومن سوء الحظ أنه لم يتبق كاملا من مؤلفه غير الكتب الخمسة الأولى وقصاصات فقط من كتبه الخمس والثلاثين الأخرى . لقد كان بوليبيوس كاتبا متعقِّلا ومتوازنا (على الرغم من أنه كان لا يخلو من التحيز بصورة كاملة) . ولكن الخسارة كان يمكن أن تكون بلا حدود بدون العمل الذى قدمه. وقد كتب المؤرخ الألمانى مومسن Mommsen يقول عنه :"تُعد كتبه الشمس الساطعة فى حقل التاريخ الرومانى؛ فعند فتحها يتبدد الضباب.......... ، وعندما تنتهى يهبط كثيرا من

الشفق الذى يسبب الضيق ". وبصفة عامة لا تُعد قيمتها أقل من ذلك بالنسبة لطالب التاريخ الهيللينستى. أما بوسيدونيوس الأبامى Poseidonius of Apamea الذى عاش سنوات طويلة فى روديس Rhodes (حين كان فى زيارة روما) ، فقد كان فيلسوفا ومؤرخا فى الوقت نفسه ، وبدأ كتابة تاريخه Histories (الذى تبقت منه فقط قصاصات) من حيث انتهى بوليبيوس Polybius ،ويغطى عمله الحديث عن إغريق الشرق والجانب الغربى من البحر المتوسط من عام ١٤٦ إلى (عصر سُلاَّ) Sulla (توفى عام ٧٨) واستخدمه كل من سالوست Sallust ، وقيصر Caeser ، وتاكيتوس Tacitus . وقدم بوسيدونيوس ثروة من المعلومات خصوصا فيما يتعلق بالغرب ، وكان يبدو – فى بعض الأحيان – بمثابة المتحدث باسم الاحتلال الرومانى .

ولا تتوافر المصادر فى بعض الأحيان بالنسبة لجميع المناطق فيما يخص بناء الأحداث ، أو بالنسبة لجميع فترات العصر الهيللينستى فى أحيان أخرى ؛ لذلك يجب على المؤرخين اللجوء إلى المؤلفين الثانويين الذين من بينهم (كما هو الحال بالنسبة للإسكندر) ديودوروس وأريان وبلوتارخ ،وكذلك أبيان ، وهو سكندرى إغريقى ، قام بتأليف كتاب عن تاريخ روما فى القرن الثانى الميلادى ، متتبعا فيه تاريخ شعوب مختلفة ، كل على حدة ، عند بداية انصهارها فى الإمبراطورية الرومانية ، واستخدم أبيان بوليبيوس على نحو كبير ،مثله فى ذلك مثل ديودوروس ، وعلى الرغم من استخدامه الكثيف له فإن ذلك لم يكن دائما من المصدر الأصلى رأسا. ولدينا من بين الكتاب اللاتين مختصر epitome لجستينوس Justinus يسمى التاريخ الفيليبى Philippic Histories لتروجوس بومبيوس من غالة Trogus Pompeius of Gaul (ويشير ذلك العنوان للتاريخ "العالمى" إلى رؤيته لتفرد الوطنية الرومانية المتواتر) ، وأكثر أهمية من ذلك ، كتاب ليڤى Livy ، الذى استخدمه بوليبيوس – من حسن الحظ – كمصدر أساسى فى الشئون الشرقية . لكن تاريخ ليڤى الذى كتب فى أثناء حكم أغسطس وصل إلينا على هيئة قصاصات متفرقة ،ولم يتبق منه غير الكتب من ١–١٠ومن ٢١–٤٥ التى تقودنا إلى عام ١٦٨ ونهاية الحرب المقدونية الثالثة (١٧٢–١٦٨).

وكتب الجغرافى سترابون Strabo خلال حكم أغسطس ، ووضع باوسانياس Pausanias ،كتاباً فى وصف رحلاته periegesis لبلاد الإغريق فى منتصف

القرن الثانى الميلادى ، قدم فيه معلومات تاريخية وطبوغرافية لها قيمتها ، وفيما يخص التاريخ اليهودى وضعت عدة كتب للعهد القديم ،وكتب أخرى Apocrypha مهمة (وخصوصا كتاب المكابيين Maccabees) ، وكذلك يوسيفوس Jusephus ، الذى كتب الآثار اليهودية Jewish Antiquities فى أثناء حكم الأباطرة الفلافيين emperors Flavian (٦٩ – ٩٨) فى روما (راجع للمزيد ص٢٥٧ وما يليها). وأخيرا يوسيبيوس Eusebius أسقف قيصرية Caesarea (٢٦٠ – ٣٤٠) ، الذى ألف حوليات فى التاريخ العالمى لها أهميتها فى التتابع الزمنى. وتمت ترجمتها إلى اللغة اللاتينية ،وقام القديس جيروم بالإضافة إليها.

ويقدم ذلك العرض السريع للمصادر المجزأة framentary sources (غير المكتملة) بجملتها مشاكل عديدة ، من حيث مدى دقتها أو الاعتماد عليها ،ويجب أن نضع من بينها ما كتبه ممنون من هيراكليا Memnon of Heraclea التى تقع فى بونتوس Pontica (فى آسيا الصغرى) ، الذى كتب تاريخا هاما لمدينة موطنه ، أغلب الظن فى القرن الأول الميلادى ، وبوليانوس Polyaenus الذى ألف كتاباً عن الخدع العسكرية military stratagems بعد قرن تال . ويمكن بمساعدة هذه المصادر ، مع المصادر الأخرى الأقل أهمية ، وغير المتسقة فى اتساع دائرة معلوماتها ، التى كثيرا ما تستشهد بالحوادث خارج السياق ، يمكن كتابة نوع من التاريخ لبعض أجزاء من القرون الثلاثة التى تشكل العصر الهيللينستى . ومن حسن الحظ أنه يمكن تزويد ذلك ببعض القرائن التاريخية الأخرى . والحق أن ذلك كان ينجم عنه مشاكل ، لكنه يسمح لنا بمراجعة ما ذكرته المصادر الأدبية للمؤرخين ، فى مقابل وثائق تأتى منها مباشرة ، وتتمثل بطبيعة الحال فى وثائق غير أدبية . ويرجع الفضل للنمو المطَّرد فى كم تلك الأدلة عن هذه المرحلة التاريخية (وكذلك بالنسبة لباقى العصور القديمة الأخرى) ، التى يمكن منها إعادة رسم تفصيلاتها بصفة مستمرة – إلى توافر المعلومات الجديدة التى تقود إلى مراجعة سيل الفروض القائمة .

ثالثا:

تنقسم هذه المادة الجديدة بصفة رئيسية إلى ثلاث فئات . تضم الفئة الأولى النقوش الحجرية أو الرخامية ، فقد أدمن العالم القديم الاعتماد على المعلومات المستمدة من النقوش المدونة على مواد صلبة من هذا النوع . وأغلب نقوش المرحلة التى نحن بصددها ، ومن بينها فترة حكم الإسكندر ، دونت باللغة الإغريقية ، بيد أن لدينا من مصر ،نقوشا مصرية بكل من الخطين الهيروغليفى والديموطيقى ، وحجر رشيد الشهير Rosetta Stone ، الموجود الآن فى المتحف البريطانى ، عبارة عن قطعة من البازلت الأسود ، يضم قرارًا أصدره مجمع كهنة ممفيس Memphis فى ٢٧ مارس عام ١٩٦ ، يُعدد فيه الأعمال الجليلة التى قام بها الملك بطلميوس الخامس إبيفانيس Epiphanes (الإله الظاهر) ،ومظاهر التكريم التى قرر الكهنة القيام بها من أجله (OGIS,90) . وأُرفق بالنص المسجل باللغة الإغريقية ترجمة له باللغة المصرية مدونة بالهيروغليفية والديموطيقية ، وهى تلك التى مكنت العالم الفرنسى شامبوليون Champollion منذ عام ١٨٢٠ والمرحلة التى تلته ، من القيام بمحاولات طويلة فى ميدان كشف النقاب عن الكتابة المصرية الهيروغليفية التى كانت مجهولة . كما يوجد أيضا عدد قليل من النقوش اللاتينية ، لكن أغلب وثائق المرحلة الخاصة بالعلاقات الرومانية مع بلاد الإغريق جاءت من بلاد الإغريق وباللغة الإغريقية (=اليونانية) . وجمعها شيرك R.S.Sherk بصورة ملائمة فى Roman Documents From the Greek East ، وتوجد أيضا عدة نقوش مسمارية cuneiform من بابل ، ترتبط بتاريخ السلوقيين Seleucids .

أقيمت النقوش لأسباب متعددة ، يتعلق عدد قليل منها بتسجيل وقائع تاريخية بصورة مباشرة ، مثل النقش المسمى باسم نقش باريان الرخامى Parian ، الذى تبقى منه قطع مكسورة تتحدث عن تقرير أعده مؤلف مجهول:

"عن التواريخ المستقاة منذ البداية من جميع أنواع السجلات وكُتب التاريخ العامة ، منذ عصر كيكروبس Cecrops أول ملوك أثينا ، وصولا إلى أرخونية أستيانكس -ya nax[Ast] فى باروس Paros وديوجينتوس Diognetus فى أثينا (٢٦٤/٢٦٣) -Frag) mente der griechischen Historiker,239) .

لكن حفظت أغلب – النقوش – لأسباب أخرى . وسجلت أكثريتها شئونًا رسمية ، مـثل مـعـاهدة أو قـانون أو اتفـاق علـى تبـادل حـقوق المواطنة (sympoliteia) أو أحكام المُحكمين ؛ و كان الهدف من تسجيلها فى هذه الحالة أن تكون سجلا عاما ، متاحًا للجميع (للاطلاع عليه) ،وكذلك بالنسبة لمختلف القرارات المتنوعة التى يريد الحاكم أو الهيئـات الأخرى القيـام بإعـلانهـا . وتسـجل مـجـمـوعة خـاصـة من نقـوش العصـر الهيللينستى العلاقات بين المدن الإغريقية والملوك ،وكثيرا ما كان يتم تسجيل خطاب كامل من الملك يتبعه القرار الذى تم اتخاذه ، مـرفقًا به الأوامر الخاصـة بتنفيذه ، وسـوف نقدم نمـاذج من هذا النوع فى الفصل الثامن . وهنـاك نقوش أخرى سـجلت القرارات التى اتخذتها مجالس المدينة لتكريم بعض الشخصيات المرموقة من مواطنى المدينة أو من المدن الأخرى نظير خدماتهم المالية والسياسـية ،وعلى وجه الخصـوص الخدمة فى السفارات الهامة ، كما أقيمت نقوش أخرى لتسجيل النفقات ،وتفاصـيل الديون التى تكبدتها المدن ،وطلبات الحماية من الأخذ بالثأر (راجع ص ١٧٠ وما يليـها) من المعابد ،والمدن وهيئات أخرى وسجلات الامـتيازات التى حصلوا عليـها من الملوك والمدن ،وتفصـيـلات السـفارات التـى أرسلت لطلب الاشـتـراك فى إقامة احـتـفـال دينى جديد ، أو رفـع درجة أحد الاحتفالات الموجودة أو تحرير العبيد (و كان هـذا الأمر من اختصاص معبد أبوللون فى دلفى Delphi بصفة منتظمة) ،وهناك مجموعة من أنواع أخرى تشترك جميعها فى صفة واحدة عامة ؛ مما يدفع إلى الحاجة لوجود سـجل دائم لها .

ويحـتـاج المؤرخ إلى أسلوب فنـى وخبـرة لاسـتـخـراج المعلومـة بأكـملهـا من مـادة النقوش . كما أن المصدر الدقيق لعدد آخر من النقوش غير مؤكد ؛ لأنها فى العادة عبارة عن قصاصات(جذاذات) ، أو لأن جزءا منها غير مقروء . ومن حسن الحظ أنها تجنح بعض الشىء إلى اسـتـخـدام أسلوب نمطى . وعن طريق دراسـة مـفـردات لغـة النصوص العديدة التى ترجع لمراحل تاريخية مختلفة وأسلوبها ، يمكن لقارئ النقوش الماهر القيام بعمل ترميمات لملء الفجوات lacunae الموجودة على الحـجر. وعلى أى حال فإنه من الأهمية بمكان التمييز بوضـوح بين مـا هو قائم على الحـجر وذلك الذى قام شـخص أو أكثر بإجراء ترميم مُقنع له . ومن الأمور الجوهرية عند القيام بالترميم

القدرة – بطبيعة الحال – على تأريخ النص على نحو تقريبى على الأقل ، ويمكن القيام بذلك عن طريق ملاحظة شكل الخط والمَتن وخصائص النقش ، ويشمل من بينها – فى بعض الحالات – أسماء الأشخاص الذين ورد ذكرهم فيه . لكن يلاحظ أن أشكال الخطوط كان يمكنها الاستمرار لعدة عقود ، كما أنه لم يكن من الممكن دائما التعرف على الأشخاص الذين ورد ذكرهم على نحو مؤكد فى النقش ؛ لشيوع كثير من الأسماء الإغريقية ، فكثيرا ما حمل الصبية أسماء أجدادهم. وعلى سبيل المثال فإن سلسلة قرارات ميجارا Megarians decrees الثمانية عشر التى ذكرت ملكا باسم ديمتريوس Demetrius كانت تعد لفترة طويلة تشير إلى ديمتريوس الأول بوليكراتيس Demetrius I Policrates ، الذى استولى على ميجارا Megara فى أواخر القرن الرابع ، إلى أن توصل باحث فرنسى عام ١٩٤٢ إلى أن ديمتريوس المقصود فى النقش هو ديمتريوس الثانى ، الذى حكم مقدونيا من عام ٢٣٩ إلى ٢٢٩ . وعَدل هذا الافتراض تعديلا جوهريا الصورة التى كانت لدينا عن حكم ديمتريوس الثانى ونشاطه فى بلاد الإغريق . وعلى أى حال فقد أعيد مناقشة الموضوع حديثا على أن نسبته إلى ديمتريوس الأول كانت صحيحة ، وهكذا تداخل مرة أخرى تاريخ حكم الملكين معا .

وتحتاج النقوش إلى عناية خاصة وخبرة لاستخدامها الفاعل ، ومما لا شك فيه أنها من بين المصادر الهامة فى الحصول على المعلومات الجديدة ، بل أكثر من ذلك لأنه يمكن استخدامها فقط فى ترميم الفجوات فى نقش آخر ، ليس بسبب كونها نمطية فقط ، ولكن أيضا لكونها تقع ضمن عدة فئات معينة ، مثل نقوش المبانى ، وعتق (تحرير) العبيد ، وقرارات لتكريم الأطباء ، والنقوش الجنائزية ، وسجلات الجمعيات الخاصة ، إلخ . وكلها يمكن استخدامها للحصول على معلومة عن هذه الموضوعات المختلفة ، مثل مستويات الأسعار ، وأوضاع الاحتلال ، وأوضاع العبودية ، أو هيكل الإدارات الملكية ،وكما رأينا منذ قليل فإن نشر نقوش جديدة (أو إعادة تصحيح نقش أو أكثر من النقوش القديمة) كان كثيراً ما يؤدى إلى مراجعة أو إهمال ما سبق وضعه من نظريات وفروض .

رابعا:

تتمثل المجموعة الثانية من الوثائق الهامة لدراسة هذه المرحلة فى البردى ، الذى جاء من مصر الوسطى ، وخاصة من إقليم الفيوم ، حيث حفظ جفاف التربة والجو هناك عبر القرون بقايا الورق الذى ألقى به فى المُهملات أو الذى أعيد استخدامه ، على سبيل المثال فى تغليف ممياوات طيور إبيس المقدسة Ibises والقطط أو التماسيح المقدسة . وتختلف المعلومات التى تقدمها أوراق البردى عن تلك التى نستمدها من النقوش فى عدة وجوه ، فقد عاشت الأخيرة لأن الهدف منها كان المحافظة عليها ، وعاشت أوراق البردى ؛ لأنه لم يكن هناك حاجة إليها . كما يقدم البردى معلومات لها طابع محلى . وإذا تجاهلنا القصاصات التى تتضمن نصوصا من الأعمال الأدبية ، والتى من بينها ما تم الكشف عنه منذ حوالى قرن مضى من عمل أرسطو المفقود دستور أثينا Constitution of Athens إلى ما هو أكثر حداثة منه المتمثل فى جزء طويل من إحدى مسرحيات ميناندر Menander المفقودة – فإننا نتعامل – فى الواقع – بصفة رئيسية مع أوراق بردى خاصة بالطبقة المدنية لصغار الموظفين ، تشمل مراسلاتهم والتماساتهم ، ومسودات من الردود عليها ، والاستدعاءات ، وإقرارات الأحكام وسجلاتها ، وتفاصيل إدارية خاصة بإيواء القوات العسكرية ، وإصدار المنشورات والأوامر ، ومزادات عقود الإيجار ، ومحررات من عقود الإيجار من الباطن للأراضى الزراعية ، والعلاقات المضطربة مع المعابد ، والإعلانات العامة ، مثل تلك المتعلقة بتقديم مكافأة لمن يُقدِّم معلومات عن مكان إقامة عبد هارب . ويتضمن البردى الذى تم العثور عليه مجموعات ضخمة – خاصة بأفراد وأسر – مثل المجموعة الخاصة بأرشيف زينون من كاونوس Zenon of Caunus ، وكيل أعمال أبوللونيوس – وزير مالية – dioiketes ، ورئيس الإدارة المدنية فى عهد بطلميوس الثانى ، الذى قدم صورة تفصيلية عن العمل فى ضيْعة كبيرة ، كانت هدية من الملك ، والتى ربما لا تعد كبيرة الشبه بنموذج الحياة الذى كان سائدا بين الإغريق فى مصر بصفة عامة (ولمزيد من المعلومات عن الموضوع راجع ص ١٢٣ ، ١٢٩) ، أو ما يسمى أيضا بقوانين الدخل لبطلميوس الثانى Revenue Laws of Ptolemy II (cf.Select Papyri,203) ، التى وضعها أبوللونيوس ، والتى تضمنت قواعد السيطرة على احتكار الزيت الملكى .

ويوجد لدينا عدة قوانين ملكية وأخرى خاصة بالعفو (خاصة بمنح لعامة الشعب فى شكل إعفاءات عامة ، وتنازل عن ضرائب وهكذا). ومثال على ذلك القرار الصادر عام ١١٨ ، وفيه:

" يعلن الملك بطلميوس يورجتيس الثانى Euergetes وأخته الملكة كليوباترا الثانية وزوجته الملكة كليوباترا الثالثة عفوا عامًا عن جميع الأخطاء التى ارتكبها رعاياهم ، وعن الجرائم والتهم التى اتهموا بها ،وجميع أنواع الجنح التى ارتكبوها حتى التاسع من شهر برمودة للسنة الثانية والخمسين ، فيما عدا الأفراد الذين أدينوا بالقتل العمد وتدنيس الأماكن المقدسة"(Select Papyri,210) .

وتتوسع هذه الامتيازات بعد ذلك لتصل إلى ٢٦٠ سطرا . وهناك بردية أخرى من تيبتونس Tebtunis- أم البرجات الحالية فى الفيوم- (P.Tebt.,703) تتضمن تعليمات أرسلها وزير المالية dioketes إلى أحد مرءوسيه الذى عين حديثا فى منصبه فى الريف المصرى (راجع ص ١٢٣-١٢٤).

ويُلقى البردى الضوء على الحياة اليومية وبالمثل على الحياة السياسية الرسمية والنشاط ؛ ولكن يجب استخدامه بحذر ، حيث يتوافر لدينا ٣٠,٠٠٠ بردية يونانية مقابل ٢٠٠٠ بردية ديموطيقية فقط ، ومن الواضح أنها ستؤدى فى النهاية إلى ميل الميزان لصالح الأقلية الإغريقية ، وهو الوضع الذى يمكن تصحيحه فقط بنشر الوثائق المصرية التى لم يتم نشرها بعد ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأدلة البردية تتعلق بالإدارة ، خاصة بالمحليات البعيدة ، أكثر من كونها تتعلق بمركز الحكومة فى الإسكندرية ، التى حالت ظروف التربة بها دون الاحتفاظ بأوراق البردى فيها . وما لدينا من البردى الذى يمكن استخدامه فقط بأمان ، هو ما يخص المكان والزمان الذى ينتمى إليه ؛ نظرا لأن لدينا سببا يتمثل فى تغير الظروف تغيرا كبيرا من مكان لآخر ومن عقد إلى آخر . وعلى أى حال فإن الوضع هنا يماثل الوضع نفسه بالنسبة للنقوش الحجرية ؛ نظرا للنمو الهائل فى الأدلة التى لا تقدر بثمن لدراسة تاريخ مصر فى العصر البطلمى . ولا يتوافر هذا النوع من المصادر عادة بالنسبة لأماكن أخرى ، على الرغم من وجود مجموعة وثائق البحر الميت والوثائق الأخرى المشابهة من كهوف وادى الأردن التى أضافت معلومات إلى المصادر المكتوبة ، والتى ترجع إلى فترة زمنية متأخرة عن تلك التى هى محور اهتمامنا .

وتقدم النقود أيضا للمؤرخين أدلة لها قيمتها ؛ إذ كانت النقود تضرب فى العالم القديم فى كثير من الأحيان لمواجهة احتياجات الحكومة أكثر من ضربها لتسهيل التجارة (على الرغم من قيامها بذلك). وتقدم كنوز العُملة التى تم إخفاؤها فى فترات الأزمات والتى لم يقدر لأصحابها استعادتها وسيلة لها قيمتها فى التأريخ ، وإذا كان تاريخ إصدار العُملة ملحقًا بها فإنه يصبح من الممكن أحيانًا تحديد العلاقة التى تربط بين صكها وبين السياسة العامة . كما تقدم الأماكن التى يتم العثور فيها على العُملة معلومات عن سير التجارة ، ويدل الغياب النسبى للعملة البطلمية فى الخارج على سياسة الاحتكار الحازمة التى فرضها البطالمة على الذين يقومون بالتجارة مع مصر (راجع ص ١٢٢) . ويلقى طراز العُملة الضوء على السياسة وأوضاعها ؛ لذلك كان قرار الإسكندر بضرب العُملة الفارسية على الطراز الداريوسى darics بعد وفاة دارا Darius يوضح بجلاء هدفه فى مطالبته بالعرش الفارسى ، على الرغم من أن فتح مناجم سيكيون Sicyon وكورنثة Corinth كان هدفًا أكثر فائدة من الناحية العملية لتمويل الجنود المرتزقة . وقد واصل خلفاء الإسكندر بعد وفاته إصدار النقود لفترة من الزمن بأسماء الملوك : فيليب أرهيدايوس-Philip Arrhi daeus وبعد ذلك الإسكندر الرابع بنفس الوحدات . ومنذ أواخر القرن الثالث بدأ الواحد منهم بعد الآخر (*) يُصدر عملة تظهر عليها- رسم - رءوسهم على وجه obverse العُملة ، مما يشير إلى رفضهم للإمبراطورية المتحدة والمطالبة بالملكية المستقلة . وتقدم هذه العُملة الدليل على الغرور السياسى ، والطموح العسكرى ، وعلى السياسة الاقتصادية بطبيعة الحال ، وتحتاج العُملة إلى خبرة معينة من جانب المؤرخ ليتمكن من التغلب على المشاكل النقدية الخاصة بقوالب العُملة ، ودور ضربها ، ومستوى وزنها ، وعلى الأخص تاريخها .

ويأتى بعد ذلك مصادر أخرى أقل أهمية ، ولكن لا يمكن إغفالها بأى حال من الأحوال ، وهى الوثائق المدوَّنة على مواد أو بلغات أخرى ، وسأقوم هنا بذكر مثالين

(*) خطأ مطبعى فى النص الأصلى ، والصحيح منذ أواخر القرن الرابع (المترجمة) .

على ذلك . ففى عام ١٩٥٤ قام كل من ساكس A.J.Sachs وويزمان D.J. Wiseman بنشر لوحة مسمارية من بابل تضم قائمة بأسماء الملوك السلوقيين Seleucid الذين حكموا منذ الإسكندر الأكبر حتى وصول أرساسيد Arsacid (الفارسى) إلى الحكم فى بلاد مابين النهرين Mesopotamia ، وقدم تواريخ جديدة وأكد تواريخ أخرى قديمة للحكم السلوقى حتى حوالى عام ١٧٩ (Iraq(1954),pp.202-12). والثانية فى عام ١٩٧٦ ، حين قام راى J.R.Ray ، بنشر أرشيف من الوثائق المدوّنة على شقافات(قطع من كسر) الفخار (الأوستراكا) ، تتضمن مسودات خطابات كتبها شخص يدعى هور Hor ، وهو مصرى من سيبينيتس Sebennytus (سمنود حاليا) ، قام لتعزيز طلبه فى نزاع بذكر نبوءة له بأن أنطيوخوس الرابع ،الذى كان يقوم بغزو مصر فى ذلك الحين ، سوف يرحل عن تلك البلاد بحرا "قبل السنة الثانية ، فى آخر يوم من شهر بؤونة" (٣٠ يوليه عام ١٦٨) ، وعلى قطعة منفصلة أخرى من الأوستراكا ادعى أن أنطيوخوس قام تنفيذا لنبوءته بالرحيل قبل ذلك التاريخ ، وهكذا استطعنا الحصول من وثيقة غامضة ومن نص غريب على حادث هام ، ليس فقط بالنسبة لتاريخ العلاقات بين السلوقيين والبطالمة ، ولكن بالنسبة لتاريخ البحر المتوسط بصفة عامة .

إن استخدام هذا الدليل غير الأدبى ، الذى يعد جوهريا بالنسبة لزيادة معلوماتنا عن تلك المرحلة ، يعتمد على مدى توافره بالنسبة للمؤرخين ، وبعض المجموعات الرئيسية التى نشرت فيها النقوش والعُملة وأوراق البردى ، والتى يمكن الحصول عليها من خلال المراجع والدوريات ، سرعان ما تصبح قديمة ؛ لذا يجب استكمالها من خلال الأبحاث المنشورة فى المجلات – المتخصصة – والحوليات السنوية لما يتم نشره حديثا، مثل المجلة العلمية الشاملة Bulletin épigraphique التى يقوم بنشرها سنويا كل من ج ول . روبرت J.&L.Robert فى المجلة الفرنسية ربع السنوية Revue des Études Grecques .

إن تلك الأدلة المستمدة من هذا النوع من المصادر غير الأدبية من النوع التكميلى ، ولكنها لا تحل محل أعمال الكتاب القدامى ، حتى لو كانت هذه متوسطة القيمة ؛ لأنها الوحيدة التى يمكن أن تقدم لنا رواية للأحداث ، وهى فى العادة جوهرية لوضع الإطار الزمنى لترتيب الأحداث ، أما النقوش وأوراق البردى فتقدم لنا رؤية جديدة وكثيراً من المعلومات التى تتيح الفرصة للمؤرخ لطرح طُرز جديدة من

الأسئلة ، فهي تقدم لمحات من عمل الحكومات ،وتمكننا في بعض الأحيان من الحصول على أسماء الموظفين أنفسهم ،وتسمح – في أحيان أخرى – بتتبع العائلات من جيل إلى آخر ،وتوضح الحركة الاجتماعية في مجتمع معين ،وقد استطعنا بمساعدتها في أحيان أخرى اكتشاف تفاصيل التزام الأرض ، والهيراركية الاجتماعية ، والأوضاع الاقتصادية لمختلف الجماعات والطبقات. وعلى الرغم من أننا نكون على حذر وندرك الفجوات الواسعة في معلوماتنا ، فإنه ما يزال في الإمكان محاولة الإجابة بدرجات أكثر تفاوتا عما كان عليه الحال في الماضي على تلك الأسئلة ، مثل أين كان يقع مركز السُّلطة في هذه المملكة أو تلك . ولكن الإجابة على هذه الأسئلة تصلح فقط – كما سبق أن أشرنا – لتاريخ المصدر الذي يشير إليه ومكانه . لقد كان العالم الهيللنيستي مجتمعا ديناميكيا (متحركا) ،ولم يتحقق الاستقرار في أي جزء منه ، وواصل مسيرته في حالة من التوتر نشأت في حقيقتها من قبول التوازن في السلطة ، على اعتبار أنه الأفضل faute de mieux ، وليس لأنه وسيلة لتحقيق العلاقات الدولية وتنظيمها ،هذا من جهة ، ومن جهة أخرى بسبب العلاقة المضطربة بين الطبقة الحاكمة الإغريقية – المقدونية والسكان الوطنيين . ومنذ البداية ، أي منذ أن قام الإسكندر بالصدمة الأساسية ، كان العالم الهيللينستي ينحدر بالتدريج نحو الهاوية منفصلا عن كل ما كان واقعا شرق الفرات ، إلى أن أدمج في الإمبراطورية الرومانية ، وعندما انشطرت الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع إلى قسمين ، ظل العالم الهيللينستي يتمتع بوجود هامشي في العصر البيزنطي .

الفصل الثانى
الإسكندر الأكبر ٣٣٦ - ٣٢٣
Alexander the Great (336-323)

أولا :

عندما خلف الإسكندر والده فيليب الثانى ملكا على مقدونيا عام ٣٣٦ ، وجد أن الدولة تغيرت تغيرا جذريا عما كانت عليه من قبل ، عندما انتزع فيليب المُلك قبل ثلاث وعشرين سنة مضت . كانت المملكة تُعد ، حتى ذلك الوقت ، على الأطراف الخلفية لبلاد الإغريق الأصلية ، وحوّل فيليب مقدونيا إلى دولة عسكرية قوية لها جيش ضارب ، وحدود جيدة الاختيار، تسيطر على بلاد الإغريق بواسطة حلف كورنثة (راجع ص ٢١) ، وكانت جميعها مستعدة لغزو فارس ، كما ارتقى مستوى الشعب الثقافى . وفى الخطبة التى وضعها أريان (Arrian,Anabasis (vii,9,20) على لسان الإسكندر وصف فيها التغييرات التى أدخلها فيليب على الشعب المقدونى بهذه العبارات:

"لقد وجدكم فيليب مشرّدين وفقراء ، يرتدى أغلبكم ملابس من جلود الأغنام ، تقومون برعى أعداد ضئيلة من الأغنام فى الجبال ، وتنخرطون فى حروب هزيلة للدفاع عن ذلك ضد الإليريين Illyrians والتريباليين Triballians والطراقيين Tracians على حدودكم ، لقد منحكم العباءات لترتدوها بدلا من جلود الأغنام ، وأنزلكم من الجبال إلى السهول وأعدكم لمعركة مع البرابرة barbarians الذين بجواركم ، وأصبح لديكم الآن ثقة أكبر فى شجاعتكم بدلا من الحصون القوية ، وحولكم إلى سكان مدن وقام بتحضيركم بمنحكم القوانين والعادات الجيدة ".

وقد يرفض أحد هذا القول البلاغى ، لكن هذا النص يصف بحياد تحول شعب رعوى إلى مزارعين مستقرين وسكان مدن ، من الذين أصبحوا يرتدون الملابس الصوفية ، وينعمون بمميزات الحياة المُنظمة . كما ازداد عدد السكان وقام جرفث G.T. Griffith

بإحصائهم على أساس ما تم تسجيله من أعداد القوات العسكرية ؛إذ ترتب على سياسة فيليب الاقتصادية زيادة في العدد بنسبة بلغت حوالى ٢٥٪ من عدد الرجال اللائقين للخدمة العسكرية فيما بين عام ٣٣٤ ، عندما قام الإسكندر بتجنيد ٢٧,٠٠٠مقدونى لحملته الفارسية وللخدمة فى بلاد الإغريق ، (إضافة إلى حوالى ٣,٠٠٠ رجل كانوا موجودين بالفعل فى آسيا ،وربما حوالى ٢٠,٠٠٠من الكبار والشباب للدفاع عن الوطن) ،وعام ٣٢٣حينما وصل العدد إلى ٥٠,٠٠٠ (ويشمل الرقم هامشًا من الخسائر ، تم تعويضه فى آسيا).

وقد حقق الجيش لفيليب السيطرة على بلاد الإغريق ، لكن فيليب لم يعطه الفرصة ليتراخى ويصبح خاملا ؛ لذلك قام بعد أن وطد السلام بالتخطيط مباشرة لغزو فارس Persia. ولم تكن الفكرة جديدة . فقبل عشر سنوات قام الكاتب أيسوقراط Isocrates بتوجيه حديث إلى فيليب يحثه فيه على تحقيق ذلك الهدف قائلا :

"سوف أقدم لك نصيحة لكى تصبح قائدا لكل من الوحدة الإغريقية والحملة ضد البرابرة barbarians؛إن الفرصة مواتية لإقناع الإغريق بأنه من المفيد استخدام القوة ضد البرابرة . إن هذا هو جوهر الموضوع بدرجة أكبر أو أقل" . (Isocrates,Philip,10).

وواصل أيسوقراط بعد فترة قصيرة نفس الحديث قائلا :

"ما الرأى الذى تتخيل أن يكون لدى كل فرد عنك ، إذا حاولت القيام بالقضاء على جميع أرجاء المملكة الفارسية ، أو (عند) التقصير فى إلحاق أكبر قدر من الأقاليم التى يمكنك الحصول عليها ، والاستيلاء على آسيا ،كما يحاورك البعض من كيليكيا Cilicia إلى سينوب Sinope، سوف تجد أنه يقيم فى مدن هذه الأقاليم رجال شاردون يتجولون حولها الآن بسبب نقص احتياجاتهم اليومية ، ويقومون بالاعتداء على كل فرد ، وهؤلاء سوف يسقطون معها ؟"(Isocrates, ibid.,120)" .

من المحتمل أن فيليب نظر إلى آسيا على اعتبار أنها مصدر للثروة والأراضى الجديدة التى يمكن أن يقيم فيها عدد كبير من المنفيين والمطرودين ، الذين كانوا يمثلون حتى ذلك الوقت تهديدًا عامًا لكل من بلاد الإغريق ومقدونيا بإنشاء الدول التى يتوافر لديها قدر كافٍ من الثروة يمكنها من تأجير هؤلاء كجنود مرتزقة . ولا نستطيع

أن نقرِّر ما إذا كانت حدود الأقاليم التى اقترحها أيسوقراط كانت تعد جزءًا من خطة فيليب الأصلية أو لا . لقد اعترف أيسوقراط فيما بعد بأن نصيحته اتفقت بالمصادفة مع رغبة فيليب فى ذلك ،وربما يتمثل الأمر ، الذى كان أكثر أهمية من ذلك ، فى انتشار مثل هذه الأفكار ،وعلى أى حال فقد رأى فيليب مشروعه فى سياق مقدونى أكثر وضوحا مما تخيله أيسوقراط .

وعندما تم اغتيال فيليب عام ٣٣٦، كانت هناك قوة عسكرية تبلغ ١٠,٠٠٠رجل قد عبرت الدردنيل Hellespont بالفعل . وعلى ذلك فعندما تولى الإسكندر وجد أن الحرب الفارسية قد بدأ نصفها لذلك حصلت على تدعيمه الكامل ؛ لأنه كان يأمل فى تحقيق مجد شخصى له – بالإضافة إلى تقوية مركزه فى مواجهة vis-a- vis كبار المستشارين الذين خلفهم فيليب (الذى كان لديه عشرون منهم فقط). وأمضى الإسكندر أول عامين ٣٣٦/٣٣٥ فى تأمين حدوده الشمالية فى تراقيا Thrace وإلليريا Illyria وفى القضاء على الثورة فى بلاد الإغريق . وعبَر بعد ذلك فى ربيع عام ٣٣٤ إلى آسيا بقوة متواضعة تبلغ حوالى ٣٧,٠٠٠رجل . كان من بينهم ٥,٠٠٠ من الفرسان ، وعدد ١٢,٦٠٠ من الإغريق (٧٦٠٠ أرسلهم الحلف وخمسة آلاف من الجنود المرتزقة) وحوالى ٧,٠٠٠ من مجندى قبائل البلقان ، منهم حوالى ٢,٠٠٠ تقريبا من ذوى الأسلحة الخفيفة وفرسان الكشافة من تراقيا وباؤنيا ، Paeonia، وكان العدد الباقى الذى تراوح بين ١٥,٠٠٠–١٦,٠٠٠ من المقدونيين والتساليين . وترك الإسكندر أوروبا تحت مسئولية قائده أنتيباتير Antipater بجيش يتكون من ١٢,٠٠٠ من المشاة و١٥٠٠ من الفرسان ، وأخذ الإسكندر غالبية المقدونيين معه (Diodorus,xviii 17,3&5) . وتناقصت موارد الإسكندر المالية ، وعند وصوله إلى آسيا خطط للرحيل عن البلاد .

وقد أثبت جيش الإسكندر فاعلية خاصة نتيجة للتوازن بين الأسلحة التى كان يتكون منها . ووقع العبء الأكبر على الكريتيين المسلحين بالأسلحة الخفيفة ورماة السهام المقدونيين والطراقيين ورماة النبال الأجرانيين Agranians ، لكن الفرسان كانوا هم القوة الضاربة ،و تبدأ مسئوليتهم فى الظهور عندما يكون الوضع مايزال متردياً ، ويلغت وحدة جنود مشاة الفيالق phlanx ٩,٠٠٠جندى قوى ،وتكون سلاحها

من رماح يتراوح طولها بين ١٥-١٨ قدما ، وكذلك من الدروع ، أما جنود الكتيبة الملكية hypaspists الذين بلغ عددهم ٣,٠٠٠ فكانت مهمتهم القيام بالضربة القاضية . ورافق الجيش مساحون ومهندسون ورسامون وعلماء وموظفون مدنيون ومؤرخون . ويبدو أن الإسكندر كان لديه منذ البداية تصوُّر لعملية غير محدودة .

وبعد قيام الإسكندر بزيارته الرومانسية لطروادة Troy، أحرز أول انتصار له عند نهر جرانيقوس Granicus بالقرب من بحر مرمرة Marmara ، وقام فى بادرة بإرسال ٣٠٠ حُلة من الدروع من غنائم الحرب هدية إلى الربة أثينا Athena فى مدينة أثينا Athens "من الإسكندر بن فيليب ، ولجميع الإغريق (ما عدا الاسبرطيين) هدية من البرابرة الذين يقطنون فى آسيا " (Arrian, Anabasis,I,16,7) . وكان هدف الإسكندر الواضح من إسقاط أى إشارة إلى المقدونيين التأكيد على طابع الوحدة الهيللينية panhellinic لحملته. وعلى الجانب الآخر قام بتنصيب خمسة وعشرين تمثالا نحاسيا فى ديوم Dium فى مقدونيا للجنود الخمسة والعشرين الذين سقطوا فى المعركة الأولى (Arrian, Anabasis,I,16,4)، والذين أتاح لهم الانتصار فيها الحصول على منفذ إلى غرب آسيا الصغرى ، وفى ربيع عام ٣٣٣ سيطر الإسكندر على الجانب الغربى من البحر ، وغالبية كاريا Caria ، وليكيا Lycia ، وبسيديا Pisidia ، وتمكن من القيام بالضغط للتقدم عبر جورديوم Gordium (وذكرت الرواية قيامه بتحرير -أو قطع- عقدة جورديوم الشهيرة ، وهو ذلك العمل البارع الذى كان مُقدراً للشخص - طبقا للنبوءة - الذى يقوم به أن يئول إليه حكم آسيا) ، ثم تقدم إلى أنقرة Ancyra، وبعد ذلك إلى كيليكيا Cilicia ، وفى خريف عام ٣٣٣ تمكن الإسكندر من هزيمة الملك دارا Darius نفسه فى معركة إسوس Issus (بالقرب من اسكندروم Iskenderum) ، ونتيجة لانتصاره الثانى الكبير فُتح الطريق أمامه إلى سوريا . حيث حاصر مدينة صور Tyre لمدة سبعة شهور ، ولم يتراخ الإسكندر فى ضرب الحصار ، ووصله فى الوقت نفسه عَرْض الملك دارا للسلام ، الذى كانت عائلته قد وقعت فى يد الإسكندر فى معركة إسوس .عرض عليه دارا فدية تبلغ ١٠,٠٠٠ تالنت فى مقابل تحرير أسرته ، إضافة إلى تنازله للإسكندر عن جميع الأراضى التى تقع غرب الفرات وعقد حلف زواج (Arrian, Anabasis,II,25,I)، لكن طموح الإسكندر - الذى أصبح واضحا مدى اتساعه -

رفض العـرض . وبحلول شـتـاء عـام ٣٣٢ وقـعت كل من سـوريا وفلسطين فى يده، واستولى على مصر ، حيث أسس مدينة جديدة هى الإسكندرية ، قبل القيام برحلته مخترقا الصحراء لاستشارة وحى الإله أمون Amon الشهير فى واحة سيوة Siwah، ويبدو أن خطته كانت تهدف فى ذلك الوقت إلى الاستيلاء على كل الساحل البحرى لكى يؤمن قاعدته فى بلاد الإغريق ومقدونيا من أى محاولة للغزو البحرى . هذا على الرغم من أنه كان قد قام باتخاذ خطوة جريئة بالفعل "بقراره بتسريح أسطوله بسبب نقص موارده المالية فى حينه ، وربما كان يرى أيضا عدم قدرة الأسطول على القيام بأى عمل فعلى ضد الأسطول الفارسى " (Arrian, Anabasis,I,20,I) . ومن المحتمل أيضا أن يكون السبب أنه لم يكن يثق فى الإغريق الذين كانوا مجنَّدين فيه ، وفى الواقع فإن وفاة الأدميرال ممنون Memnon قائد دارا البحرى عام ٣٣٣ حرمت الأسطول الفارسى من أكبر قدر من فاعليته ، إضافة إلى فشل ضربة الفرس البرية التى قاموا بها فى آسيا الصغرى شتاء ٣٣٣/ , ٣٣٢

قابل الإسكندر فى صيف عام ٣٣١ جيش دارا ثانية فى جاوجاميلا Gaugamela الواقعة خلف نهر دجلة Tigris التى لم تكن تبعد كثيرا عن نينوى Nineveh ، وكانت المعركة الفاصلة فى الحرب التى انتصر فيها الإسكندر مرة أخرى ،وطارد القوات المتقهقرة لمسافة خمسة وثلاثين ميلا ،وتقدم بسرعة لاحتلال بابل ، واستولى الإسكندر على الكنوز الملكية ،التى بلغت ٥٠,٠٠٠ تالنت ذهبى ، وتقدم متوغِّلا داخل بلاد فارس الأصلية ،حيث استولى على برسبوليس Perespolis وبسارجاداى Pasargadae. وربما كان هدفه من إحراق قصر إكسركسيس Xerxes فى برسيبوليس أن يُعد ذلك رمزا ختاميا للحرب الثأرية ، حرب الهيللينيين -الإغريق- جميعا ؛ كانت هذه على الأقل وجهة نظر أريان (Arrian ,Anabasis,iii,18,11) ، على الرغم من أنها كانت أقل احتمال بالنسبة لبقية الكتاب الذين شرحوا الحادثة على أنها كانت نتيجة لمغامرة مخمور ، دفعته محظية إلى القيام بها . وعلى أى حال فقد أرسل الإسكندر "عند وصوله إلى إكباتانا Ecbatana إلى البحر الفرسان التساليين وبقية الحلفاء ،ودفع لكل منهم المبلغ الذى تم الاتفاق عليه كاملا وأخذ لنفسه الجزء الأكبر ، وهو ٢,٠٠٠ تالنت " (Arrian,Anabasis,iii,19,5)، وهنا نرى الإسكندر يحصل على أجْر من حربه

الشخصية . ووضع الإسكندر الكنز تحت إشراف هربالوس Harpalus تاركا بارمينيون ، أحد قادة فيليب ، للإشراف على المواصلات ، وقام بملاحقة دارا بأقصى سرعة ، وكان بيسوس Bessus ، وهو أحد المدعين ، قد قام بعزل دارا ، لكن الإسكندر عثر عليه وعاجله بطعنة ، وتوفي بالقرب من شاهرود Shahrud ، ولم يعد يقف أمامه الآن أى حائل فى المطالبة بأن يصبح الملك العظيم ، وتم العثور على إهداء دينى من الأسلحة ورءوس لثيران فى لينـدوس Lindus من المحتمل أنها ترجع إلى عام ٣٣٠ ، مسجل عليها التالى :

" بعد أن قهر الملك الإسكندر دارا فى المعركة ، وأصبح سيد آسيا ، قدم تضحية إلى أثينا الليندليانية بناء على نبوءة كِهانة ثيوجينيس ، بن بيستوكراتيس
Theogeness son of Pistocrates .
(TimachidasFragmente der griechischen Historiker 532,c.38)

وتشير العبارة إلى أن غرور الإسكندر الآن أصبح موجّهًا إلى الإغريق فى بلادهم.

وبعد عبور جبال إلبروز Elbruz تقدم الملك – الإسكندر – داخل هيركانيا Hyrcaia الواقعة جنوب بحر قزوين Caspian sea ، وبعد الانحراف لفترة قصيرة باتجاه إقليم أمول Amol ، قَبِل استسلام مرتزقة دارا من الإغريق، واتجه بعد ذلك شرقًا عبر آريا Aria ودرانجيانا Drangiana ؛ إذ وجد عند فرادا Phradah سببا للتخلص من بارمينيون Parmenion الذى أصبح مملا . وهنا اتهم فيلوتاس Philotas بن بارمينيون قائد الصفوة من الفرسان بتدبير مؤامرة ضد حياة الإسكندر ، وأدانه المقدونيون ، ونفذ فيه حكم الإعدام . وعلى الفور أرسل عميلاً سريا إلى ميديا ليتأكد من اغتيال والده :

"من المحتمل لأن .... بارمينيون نفسه كان يمثل بالفعل خطرا كبيرا لو ظل على قيد الحياة بعد وفاة ابنه ،وكان ذلك هو الرأى السائد لدى كل من الإسكندر نفسه والجيش بأكمله" (Arrian, Anabasis,iii,26,4). وقد واصل الإسكندر فى شتاء عام ٣٢٩/٣٣٠ طريقه من فرادا Phradah على طول هيلماند Helmand إلى باروباميسادای Paropamisadae ، حيث أنشأ مدينة تسمى الإسكندرية بجانب القوقاز Caucasus ، قبل عبور هندو

كوش Hindu Kush شمالا إلى بكتيريا فى ملاحقة المدعو بيسوس Bessus ، الذى فرَّ خلف أوكسوس Oxus، وهناك قام سبيتامنيس Spitamenes قائد السوجديان Sogdian بخلع بيسوس الذى أخذه القائد المقدونى بطلميوس أسيرا ، وضرب بالسياط ، وقطعت أطرافه ، وأعدم بطبيعة الحال فى إكباتانا Ecbatana . هكذا مارس الإسكندر كملك عظيم تقليداً فارسيا أصيلاً بأخذ ثأر سلفه دارا.

عبر الإسكندر فى الوقت نفسه جاكسارتيس Jaxartes للهجوم على السكيثيين Scythians ودَحَرهم بفضل المنجنيق ، وأسس إسكندرية إسخات Eschate "الأقصى"،مكان لينين اباد Leninabad المعاصرة فى طاجيكستان Tadzhikistan، واستغرق ذلك منه حتى خريف عام ٣٢٨ لسحق ثورة وطنية قادها سبيتامنيس Spita-menes، وساعد زواج الإسكندر من روكسانا ابنة البارون السُجديانيSogdian أوكسيأرتيس Oxyartes على التصالح مع خصومه فى تلك المناطق المتطرفة ، وتميزت إقامته على مقربة من هناك بوقوع أحداث فى معسكره الشخصى تشير إلى تنامى الملكية الاستبدادية التى ستكون موضع اهتمامنا أدناه (ص٤٩/٥٠) .

وقد عبر الإسكندر فى صيف عام ٣٢٧ هندوكوش Hind Kush،وأخذ قواته وقسمها إلى قسمين ، وعبر بها من خلال ممرين منفصلين إلى الهند ،وبعد أن حقق فى الربيع التالى عدة انتصارات باهرة فى ميدان الحرب ، كان من بينها الاستيلاء على أكبر عدد من أبراج أورنوس Aornus (بير – سار Pir-Sar) الحصينة ، عبر نهر الإندوس Indus عند آتوك Attock. وقدَّم له الأمير القوى تاكسيليس Taxilesحاكم هذه المنطقة التى تقع بالقرب من جيلوم Jhelum وشيناب Chenab، قدم له فيلة وقوات فى مقابل مساعدته ضد منافسه بوروس Porus على الجانب الأيسر من هيداسبيس Hydaspes (جيلوم المعاصرة Jhelum) ، وأحرز الإسكندر آخر انتصار كبير له ضد بوروس الذى أصبح الآن حليفه الاسمى . وليس من المعروف الآن على نحو مؤكد مدى معرفة الإسكندر بالأراضى التى كانت تقع خلف البنجاب Punjab ، ولكنه كان سيتجه أبعد شرقا لو لم تتمرد قواته عليه ؛ لذلك لم يتردد فى الموافقة على العودة . وفى جيلوم Jhelum قام ببناء أسطول يتراوح عدد سفنه بين ٨٠٠–١٠٠٠ سفينة ، وواصل

نزوله فى النهر مع التيار إلى نهر الإندوس Indus ومن ثم إلى المحيط الهندى ، وكان يحارب ويقيم المذابح أينما ذهب . وشيد مرفأ وموانئ فى بَتالا Patala على رأس الدلتا ، وقام باستكشاف ضفتى النهر . وعاد أخيرا فى أكتوبر من عام ٣٢٥ مع جزء من قواته عبر جيدروسيا Gedrosia (بلوخستان المعاصرة Baluchistan) فى حين أبحر الأسطول بقيادة نيارخوس Nearchus على طول الساحل ، وكان قد سبق وأرسل الضابط كراتيروس Craterus بالأمتعة وعتاد أدوات الحصار ، والأفيال والمرضى والجرحى عبر كندهار Kandahar ووادى هيلماند Helmand ، وهناك كان عليه الالتقاء بالإسكندر على نهر ميناب Minab فى كارمانيا Carmania ، هنا تجمعت قوات الإسكندر مع بعضها بعد أن عانى من خسائر مروعة فى جيدروسيا Gedrosia.

وقد قام الإسكندر عندما كان فى الهند وبعد عودته إلى بلاد ما بين النهرين ، باتباع سياسة عنيفة بطرد عدد من الولاة وإعدامهم .

"قيل إن الإسكندر الذى كان قد نضج فى ذلك الوقت أصبح لديه استعداد أكبر لسماع أية وشايات ، كما لو أن جميعها كانت قابلة للتصديق، وكان يعاقب بشدة الذين يرتكبون أصغر الأخطاء ؛ لأنه غدا يشعر أنه فى إطار ذلك التفكير العقلى -لمن قاموا بها - ربما يقومون بارتكاب جرائم خطيرة ".(Arrian,Anabasisiii,26,4) .

وفى الواقع ، وسواء أكانت هذه الحملة تُعد عنيفة بعض الشىء لكنها قابلة لتبرير القصاص للحكام الضالين ، أو أنها تمثل حكمًا إرهابيًا ابتلى بطاغية فهو موضوع اختلف فيه المؤرخون ، لكن أغلب تعليقات أريان التى ذكرها كانت - عادة - فى صالح الملك ، ومن المعروف أن كل الولاة الفرس فى باروباميسادای Paropamisadae وكارمانيا Carmania وسوسيانا Susiana وبيرسيس Persis قد اختفوا ، وتم إحضار ثلاثة من القادة العسكريين على الأقل من ميديا Media إلى كارمانيا ، وأدينوا هناك بالابتزاز وتم إعدامهم . وفى هذا السياق فعندما وصل الإسكندر إلى سوسا Susa اكتشف فرار هاربالوس Harpalus أمين خزائنه ومعه (٦,٠٠٠) من الجنود المرتزقة وخمسة آلاف تالنت talent إلى أثينا ، وتمت إدانته فى نهاية الأمر ، لكنه فر إلى كريت ، حيث قُتل هناك .

تميز وجود الإسكندر فى سوسا بإقامة مهرجان كبير للاحتفال بهزيمة الإمبراطورية الفارسية وللدعاية للسياسة الجديدة التى تتمثل فى دمج المقدونيين والفرس فى جنس واحد يسود . وتزوج الإسكندر وصديقه هيفايستيون Hephaestion وثمانون من كبار ضباطه بزوجات فارسيات (وقام جميعهم تقريبا بتركهن بعد وفاة الإسكندر) وقد أدت هذه السياسة إلى حدوث عدة أفعال أثارت المرارة الشديدة بين المقدونيين ،منها على سبيل المثال وصول ٣٠,٠٠٠ شاب أسيوى من الذين حصلوا على التدريب العسكرى المقدونى ،وإنشاء وحدات الفرسان الشرقية من باكتريا Bactria وسوجدينا Sogdina وأراقوسيا Arachosia ضمن وحدات الفرسان . وأدت هذه الخطوة والخطوات الأخرى إلى إذابة الفوارق بين المنتصرين والمهزومين ،ووصلت إلى قمتها فى أوبيس Opis عام ٣٢٤عندما تمرد جميع أفراد الحرس الملكى ؛ لهذا السبب – كما يذكر أريان – (Arrian,Anabasis,vii,8,3) "ازداد مزاجه (أى الإسكندر) سوءا فى ذلك الوقت ، وأدى اتجاهه فى سياسته نحو الشرق إلى أنه أصبح أقل ميلا إلى الاعتماد على المقدونيين عن ذى قبل "وقام بإعدام ثلاث عشرة من زعماء التمرد وطرد الباقين ، وانهارت المعارضة ،وأقيمت مأدبة كبيرة للاحتفال بالصلح ، "وفيها صلى الإسكندر للشفاء من جميع الجراح ،وخاصة لتحقيق الانسجام والتآلف بين المقدونيين والفرس فى جميع أرجاء الإمبراطورية "(Arrian,Anabasis,iii,11,9) ، مشيرا بوضوح إلى رؤيته فى الحكم المشترك بين الشعبين (وليس بالنسبة إلى الآخرين كما ظن بعض الباحثين) . أرسل الإسكندر فى نفس السنة بطلبين إلى بلاد الإغريق : الأول قرار حمله نيكانور Nicanor of Stagira إلى أوروبا ،وأعلن فى أولمبيا Olympia ، يطلب فيه من المدن الإغريقية إعادة جميع الذين سبق نفيهم وعائلاتهم (ما عدا الذين كانوا من مواطنى طيبة) ،والثانى خاص بموت هيفايستيون Hephaestion فى إكبتانا Ecbatana ، يطلب فيه تكريمه كبطل (وربما أيضا فى الوقت نفسه)حصول الإسكندر ذاته على تكريم دينى . وسنقوم بمناقشة ما تدل عليه هذه الطلبات بعد ذلك .

واستقبل الإسكندر فى ربيع عام (٣٢٣) فى بابل سفارات من أنحاء متفرقة من عالم البحر المتوسط ،وشغل نفسه بخطط للكشوف (كان من بينها بحر قزوين

Caspian) ، لكنه سقط مريضًا فجأة في يونيه بعد حضوره مائدة طويلة للطعام والشراب ،وتوفًى في ١٣ يونيه في بابل عن عمر يناهز الثالثة والثلاثين ،بعد حُكم دام اثنى عشر عاما وثمانية شهور.

ثانيا :

كان من الضروري رسم الخطوط العريضة فقط لحياة الإسكندر ؛ وهي تثير عدة مشاكل ، لا يمكن وضعها هنا في الاعتبار . وعلى أي حال يجب أن يكون موضع الاهتمام مراعاة المدى الذي تنبأت به تلك الأعمال وأثرها المستقبلي في المؤسسات والخصائص التي تميز بها العصر الهيللينستي الذي وضع الإسكندر أساسه بشكل ما ،وسيخصص باقي الفصل لبعض جوانب من حياة الإسكندر .

(ا) أولا ،إن التغيير الذي حدث في موقف الإسكندر تجاه فارس ومحاولته تحويل جيشه من قوة مقدونية في المقام الأول ، كانت ولا تزال لها السلطة على الشعب المقدوني ، إلى قوة عالمية مختلطة تدين بالولاء له فقط ،ظلت هذه الفكرة قائمة بأشكال متعددة في المؤسسات العسكرية التي اعتمدت عليها الملكيات الشخصية التي قامت في العالم الهيللينستي . لقد كان" الملك الإسكندر "في عام ٣٢٣ هو الحاكم الشخصي لإمبراطورية واسعة شيدت بحد السيف ، لم يكن لها سوى علاقة واهية بمقدونيا . وبالمثل قام خلفاؤه بنحت ممالك لهم بمساعدة جيوش ، مرتبطة بهم بارتباطات شخصية فقط .

(ب) وبالمثل ألقى نمو سلطة الإسكندر الأوتوقراطية (الفردية) بظلاله على الملوك الهيللينستيين، ولقد دفعت الضرورة الممثلة في ابتعاد الإسكندر عن مقدونيا وتقاليدها إلى استحواذه على سلطة أوتقراطية (فردية) أكبر ،ويمكن تتبع تلك السلطة في سلسلة الأحداث التي أثارت حفيظة الجيش ،والتي كثيرًا ما تسببت في تصفية خصومه . وقعت الحادثة الأولى من هذا النوع عام ٣٣٠ في فرادا Phradah عندما استخدم إعدام فيلوتاس Philotas كمبرِّر لاغتيال بارامنيون Paramenion ، ووقعت الحادثة التالية في ماراكاندا Maracanda (سمرقند Samarkand) في عام ٣٢٨ عندما

قتل الإسكندر كليتوس الأسود Black Cleitus،أحد الرفاق ، وهى المجموعة التى تألفت من مستشاريه المقربين ، وقائد ضباط الفرسان ، بعد أن أثار هذا الضابط غضبه عقب مشاجرة وقعت بينهما فى أثناء الشراب . وشعر الإسكندر بعد ذلك بالندم وتصرف بطريقة مسرحية استعراضية ،لكن الفيلسوف أناكسارخوسAnaxarchus أقنعه بقوله : "إن الملك يقف فوق القانون (Plutarch,Alexander,52,4) .

"حتى يخفِّف من حجم الخجل الذى شعر به لقتله، قرر المقدونيون أن قتل كليتوس كان مشروعا "(Curtius,vii,2,12) .

كانت قرارات الملوك فى الممالك الهيللينستية – ما عدا مقدونيا – لها قوة القانون ، وكان الملوك فيها لا يمكن وقوعهم فى الخطأ .

وقعت الحادثة الثالثة فى العام التالى فى باكترا Bactra (بلخ المعاصرة Balkh) ،وجاءت نتيجة لإحاطة الإسكندر نفسه بالفرس ، مثلهم فى ذلك مثل المقدونيين . وكان تواجدهم معًا فى البلاط لا بد أن يثير المشاكل ؛ نظرا للتباين الكبير بين تقاليد الشعبين فيما يخص العلاقة بين الملك والرعية . وكان الملك بالنسبة للمقدونيون هو الأول بين نظرائه ،أما بالنسبة للفرس فهو السيد وهم عبيده ،وكانت علامة تلك الطاعة هى الركوع (Proskynesis) ، التى كان المقدونيون والإغريق مستعدين لتأديتها للآلهة فقط . واختلف الرأى فى طريقة القيام بها ؛ واعتقد البعض أنها تعنى السجود على الأرض ، ورأى آخرون أنها تكون على شكل قبلة يقوم بها الفرد وهو منتصب القامة ،أو يقوم بالانحناء أو الانبطاح أرضًا ،وأيا كان شكلها فإن تأديتها لشخص كانت تعد عارا لدى الإغريق والمقدونيين ، وعندما حاول الإسكندر فى أثناء وجوده فى باكترا عام ٣٢٧ إغراء المقدونيين بأداء هذه الحركة له مثل الفرس اعترض عليه كاليسثنيس Callisthenes الإغريقى ،وهناك روايتان بشأن ما حدث : وطبقا لما تذكره الرواية الأولى فقد دارت مناقشة بين أناكسارخوس Anaxarchus وكاليسثنيس Callisthenes بخصوص طلب الإسكندر ،"وعندما قام الثانى بإغاظة الإسكندر إلى حد كبير وجد تأييدا من المقدونيين " (Arrian,Anabasis,iv,12,1) وسقطت الخطة بكاملها . وطبقا للرواية الثانية ،فإن الإسكندر كان يدير كأس الحب ، الذى كان يجب على كل من يتناوله القيام بالركوع (proskynesis) ، الذى يقوم الملك بتقبيله فى النهاية . لقد رفض

كاالليستنيس الركوع ورفض -بالتالى-القبلة (Arrian,Anabasis,iv,12,3-5) وأيا كانت حقيقة التفاصيل ، فمن الممكن أن يكون كل منهما صادقا. لقد ترتب على الواقعة نهاية كاالليستنيس ؛ لأنه اتهم بعد ذلك مباشرة من قِبل بعض الخدَم الملكيين بتستره على تدبير مؤامرة قتل.

"صرح أريستوبوليس Aristobulus أنهم ، أى [المتآمرين] ، ذكروا أن كاالليستنيس هو الذى حرضهم للاشتراك فى المؤامرة ،ووافق بطلميوس على ذلك ، لكن معظم المسئولين لم يقولوا بذلك ،ولكن سواء كان ذلك بسبب حقده على كاالليستنيس....فقد صدّق الإسكندر الأسوأ عنه بسهولة" (Arrian,Anabasis,iv,14,1) .

عُذِّب كاالليستنيس وأعدم ،واختلفت المصادر فقط فى التفاصيل ،وأحدثت الحادثة دويا فى بلاط الطاغية .

(ج) يكشف مذهب الإسكندر فى السلطة عن ذاته ، فيما يخص علاقاته مع الإغريق ، وهو ما فعله خلفاؤه أيضا. واتخذت الحملة - كما خطط لها فيليب - مبرراتها ، وهو الثأر لما عاناه الإغريق على أيدى الفرس . واهتم الإسكندر فى البداية على تأكيد الطابع الهيلينى المشترك للحرب (راجع ص٤٢ الدروع التى أرسلت إلى أثينا بعد معركة جرانيقوس) ،ومن سوء الحظ أن أدلتنا ليست واضحة بما فيه الكفاية لكى تسمح لنا بالحديث عن الوضع الذى وافق عليه الإسكندر " لتحرير" المدن الإغريقية فى آسيا الصغرى . وطبقا لما ذكره أريان :

"فإنه أمر بحل جميع الحكومات الأوليجركية فى أى مكان ، وإنشاء حكومات ديموقراطية ، واستعادة كل مدينة لقوانينها ، وإلغاء الضرائب التى كانوا يدفعونها للفرس" (Anabasis,i,18,2).

يوضح أحد نقوش برينى Priene (Tod ,185) تدخل الإسكندر السافر فى شئون المدينة ،على الرغم من الإعلان عن أن شعب برينى "حر ويحكم نفسه حكما ذاتيا مستقلا Free & autonomous "وحُرر من دفع ضريبة المعونة contribution، والاصطلاح المستخدم Syntaxis يجعلنا نفترض أن دخلها خصِّص للإسكندر للإنفاق على الحرب أكثر من كونها ضريبة كانت تدفع للفُرس ، وليس من الواضح ما هو

المقصود باصطلاح "حر ويحكم نفسه" بالنسبة للملك . ناقش بعض المتخصصين أن المدن الإغريقية فى آسيا الصغرى غدت أعضاء فى الحلف الكورنثى . ويبدو أن ذلك كان صحيحا بالنسبة لمدن جزر البحر الإيجى ، حيث يوجد فى جزيرة خيوس Chios نقش يتعلق بإعادة الإسكندر المنفيين هناك(عام ٣٣٢ فيما يبدو) ، يعلن فيه " أن الذين خانوا المدينة للبرابرة..... وجميع الموجودين منهم فيها سيتم إبعادهم ، وتتم محاكمتهم أمام مجلس من الإغريق" (Tod,192) ، مما يدفع إلى الاعتقاد بوجود رابطة العضوية بالحلف الكورنثى ، ولكن ليس هناك دليل مؤكد يمكن أن نقرر على أساسه إذا كان هناك وجود لمثل تلك الرابطة بالنسبة لمدن آسيا الصغرى . والأمر المؤكد أنها كانت خاضعة للإسكندر الأكبر من الناحية العملية ، مثل إفسوس Ephesus التى أعاد الديمقراطية إليها ، لكنه أصدر أوامره بتحصيل الضرائب نفسها التى كانت تدفع للفرس وتخصيصها لصالح معبد الربة أرتيميس (Arrian,Artemis,Anabasis,i,17,10) .

وعلى أى حال فإن هذا ينطبق على مدن الحلف، كما تدل على ذلك بوضوح أحداث عام ٣٢٤ ، حين واجه الإسكندر مشكلة الرجال الذين لا أصول لهم فى آسيا الصغرى ، والجنود المرتزقة العاطلين عن العمل ، والمنفيين السياسيين ، والمستوطنين (مثل حالة نحو ٣,٠٠٠ رجل من باكتريا Bactria) الذين هجروا مستعمراتهم ، وكانوا فى طريقهم للعودة إلى بلاد الإغريق ، وهناك أصدر الإسكندر مرسوما بالسماح لهم بالعودة . وجاء فى هذا المرسوم طبقًا لما ذكره ديــودوروس Diodorus (xviii,8,4) . لقد كتبنا إلى أنتيباتير Antipater (الذى كان مكلفا بشئون أوروبا) عن ذلك ، وسوف تجبر المدن التى لا توافق على إعادة المنفيين بعودتهم إليها"، وحتى يضمن الحد الأقصى لنشر هذا القرار الذى يشير نقش من ميتيلينى Mytilene (Tod.201) إلى أنه كان ينطبق على آسيا مثل أوروبا ، أرسل نيكانور Nicanor ابن أرسطو بالتبنى إلى أوليبيا ليُقرأ على الإغريق المجتمعين فى دورة الألعاب الأولمبية الإفادة بأنه "على جميع المنفيين العودة إلى أوطانهم ، ما عدا الذين أدينوا بتدنيس الأماكن المقدسة وارتكاب جرائم القتل ". (Diodorus (xvii,109,1) . وهناك نقش سامى آخر Samian inscription (Syll.,312) يوضح أن الإسكندر قد سبق بالفعل وقام بإعلان مماثل للجيش من قبل ، على الرغم مما ذكره ديودور من أن القرار قوبل بالترحيب ، فمن المؤكد أنه تسبب فى

بعض المشاكل ، وربما نتج منه بعض الاضطراب بخصوص الأملاك التى تمت مصادرتها وبيعها ، فى كل مدينة (كما أوضحت النقوش بجلاء) ، ويمكن أن لا تكون قد نالت إعجاب أنتيباتير إلا بصعوبة كبيرة ، وتُعد هذه الأعمال مقياسًا على عدم احترام الإسكندر لحقوق المدن ؛ لأنه اتخذ مثل هذه الخطوات دون استشارتها ، وفى هذا الإجراء ، كما فى مثل غيره من الإجراءات ، كانت تصرفاته تعسفية ، ولم تعد الحقوق الإغريقية المعتادة موضع الاعتبار .

(د) دعم الإسكندر ومن بعده الملوك الهللنستيون سلطتهم الأوتقراطية (الفردية) بادعاء القدسية ، وفى الوقت ذاته الذى أصدر فيه الإسكندر أوامره بعودة المنفيين نشر إعلانًا أخر فى بلاد الإغريق قوبل بمشاعر مختلطة ، وطبقًا لما ذكره أيليان Aelian (Varia historia,ii,19) " فإن الإسكندر أرسل تعليماته إلى بلاد الإغريق لكى يصوتوا له على أنه إله"، ولقد وجدت هذه الفكرة فى مصادر أخرى ، ولم يذكر فى أى منها النص بالتحديد الذى أرسل به الطلب ، وعلى أى حال ، فطبقًا لما ذكره الخطيب الأثينى هيبيريديس Hypereides فى خطبته الجنائزية (Funeral Speech delivered 323,6,21,) ، فإنه أرغم الأثينيين "على أن يشاهدوا القرابين التى تقدم للرجال ، فى حين أهملت تماثيل الآلهة ومذابحهم ومعابدهم ، أما تلك الخاصة بهؤلاء الرجال وخدمهم فقد واظبوا على الاهتمام بها وكرموهم كأبطال ".

لا بد أن المقصود بالإشارة هنا هى عبادة الإسكندر ، وتكريم البطولة التى خصصها لصديقه المتوفى هيفايستيون Hephaestion. زارت سفارات من بلاد الإغريق الإسكندر فى بابل فى ربيع عام ٣٢٣ "لكى يحيطوه علما بالطريقة التى جرى بها تكريم أحد الآلهة" (Arrian,Anabasis,vii,23,2) . وفى ضوء هذا الدليل وعدد من فقرات أخرى ، مثل تقرير داميس Damis التهكمى الذى اقترحه فى اسبرطة من "أنه إذا رغب الإسكندر فى أن يصبح إلهًا ، فلندعه يكون كذلك " (Plutarch,Moralia,219 E). فمن المحتمل أن الطلب أرسل فى نفس الوقت الذى أرسل فيه طلب إعادة المنفيين ، على الرغم من أن هناك القليل الذى يقال بخصوص رأى تارن Tarn,Alexander the great,Vol.II,pp.370-3 ، من "أن هدف الإسكندر من التأليه كان الحصول على الموافقة السياسية على الطلب الأخير ؛ لأن أيًا من السلطات التى كانت موجودة لم تخوله القيام به ".

ويبدو أن طلب التشريف بالألوهية كان – فى أغلب الظن – الخُطوة الأخيرة فى الاتجاه الذى كانت تتحرك فيه أفكار الإسكندر منذ فترة طويلة . لقد كرم والده فيليب فى إريسوس Eresus الواقعة فى ليسبوس Lesbos ببناء مذبح لزيوس فيليبيوس Zeus Philippios (Tod,191,II.5-6) ، كما نُصب تمثال له فى معبد أرتميس Artemis فى إفسوس - (Arrian, Anabasis, Ephesus i,17,11) – على الرغم من أن ما سبق لم يكن فى حاجة بالضرورة إلى إقامة عبادة – وقام فى أيجاى Aegae بمقدونيا بتعداد نفسه جنبا إلى جنب مع الآلهة الاثنى عشر نظرا لعظمة حكمه (Diodorus,xvi,95,1). ويدل نقش عُثر عليه حديثا على وجود عبادة له فى فيليبى Philippi . وبالنسبة للإسكندر نفسه فقد اعتبر فرعونا وإلهًا كذلك (راجع ص٢٤٦)، وزار فى أوائل عام ٣٣١ نبوءة الإله آمون فى واحة سيوة Siwah الواقعة فى الصحراء الليبية (الغربية المصرية) ، حيث كتب كاليستنيس Callisthenes تقريرا عنها يقول "إن الكاهن قال للملك ، أى الإسكندر ، إنه كان ابن الإله زيوس " .(Strabo,xvii,I.43) ، وهو قول يترجم بصفة عامة ، بمعنى أن الكاهن قام بتحية الإسكندر على أنه "ابن آمون". وبعد ذلك بفترة قصيرة ذكرت نبوأتان واحدة من ديديما Didyma والثانية من إرثيراى Erthyrae ، كل منهما منفصلة عن الأخرى، نفس القصة الخاصة "بانحدار الإسكندر من نسل زيوس " (Strabo,ibid) ، وكان من الأمور المعتادة بالنسبة للإغريق والمقدونيين القيام بمضاهاة الآلهة الأجنبية مع آلهتهم ، وقام كاليستنيس بتسمية آمون بزيوس وهو نفس ما قام به بندار Pindar فى نشيده لآمون الذى خاطبه بقوله : "آمون ،إله أوليمبوس Olympus". وفى نشيده البيثى Pythian ode تحدث عن زيوس آمون Zeus Amon ، وأما عن تشجيع الإسكندر لعلاقته بزيوس ، كابن له أو اتحاده معه (مثل فيليب) ، فيمكن رؤية ذلك على عُملة الدرخمات العشرة الفضية decadrachme ، التى صدرت بعد ذلك للاحتفال بالانتصار على بوروس Porus ، التى صورت الإسكندر على وجه العُملة recto على ظهر جواد يهاجم بوروس وهو على ظهر فيل ، ورسم على ظهر العُملة verso صورة زيوس مرتديا رداءً غريبا مختلط الطراز وفى يده اليمنى صاعقة ، كانت أيضا تُضاهى بالإسكندر.

ويمكن تتبع نسق المرحلة التالية فى اتجاه التأليه - فيما سبق مناقشته عن الركوع (ص٣٨-٩) - عندما حاول إدخال الركوع Proskynesis فى باكترا. ومن أجل الإشادة بهذا الموضوع قال الفيلسوف سهل الانقياد أناكسارخوس Anaxarchus من أبديرا Abdera :

" من الصواب أن يُعد الإسكندر إلها أكثر من ديونيسيوس Dionysus وهرقل Heracles ، .... وليس هناك شك فى أن الرجال سيقومون بتكريم الإسكندر كإله بعد وفاته ؛ لذلك فمن الأفضل أن يقوم الرجال بتكريمه فى حياته بدلا من انتظار تكريمه بعد وفاته ؛ لأنه لن يمكنه حينها الاستفادة من التكريم" (Arrian, .Anabasis iv,10,6-7) .

لكن أيا كان مدى إغراء هذه الفكرة بالنسبة للإسكندر فقد انتهت مناقشتها بنهاية سيئة مع المقدونيين ،كما سبق أن رأينا ،ووضعت خطة الركوع Proskynesis على الرف ، فى ضوء ما قاله كاليسثنيس Callisthenes فى مواجهتها. وجاءت المرحلة الأخيرة بالطلب الذى قدمه الإسكندر عام ٣٢٣، والذى ترتب عليه ظهور عدد من شعائر الإسكندر فى أثينا ، وربما فى اسبرطة ، ومن المحتمل فى أماكن أخرى . وتلا ذلك بفترة قصيرة وفاة الإسكندر. وعلى أى حال يبدو أن أى عبادة للإسكندر سبق أن نشأت على أرض بلاد الإغريق ،كانت حياتها قصيرة ،وأقيمت شعائر له فى آسيا الصغرى ،مثل العيد الإسكندرى Alexandreia الذى ثبت وجوده فى نقش عُثر عليه فى جزيرة ثاسوس Thasos والذى غالبا ما يؤرخ بعامى الحملات الأصلية ٣٣٤/٣٣٣ وليس كاستجابة لرسالة عام ٣٢٣ . وفى هذه الحالة كان وضع تاريخ جديد للمرحلة كثيرا ما يصاحب العبادة (كما هو الحال فى بيرينى Priene وميليتوس Miletus) ،وفى كلتيهما كانت تعبيرًا تلقائيا عن العرفان بالجميل" للتحرير".لكن إغريق الوطن الأم لم يكونوا فى حاجة إلى مُحررٍ ؛ لذلك كانت شعيرتهم تقام استجابة للضغط عليهم ، وكانت تختفى بعد فترة قصيرة . إن الاختلاف بينهما جدير بالملاحظة ؛ إذ إن التقاليد الأسيوية هى التى دفعت إلى إلقاء الضوء على عبادة الحاكم الهيللينيستى خلال القرنين التاليين (راجع ص٢٤٥ وما يليها).

(هـ) فى الخـتـام يجب أن نضع فى اعـتـبـارنا "مـدن الإسكندر" . لقـد أنشـأ إسكندريات فى الأراضى التى غطاها فى زحـفه ، لكنها لم تبلغ سبعين مـدينة ، كما ادعى بلوتارخ Plutarch(On Alexanders Fortune I.5p.328e) ، وإن كان عددها كبيرا ، ربما بلغ عشرين مدينة ، ووقع أغلبها شرق دجلة ؛ لندرة المراكز المدنية فيها ، وأغلب هذه المدن التى أسست ليست أكثر من أسماء (وردت) فى القوائم فقط ، بل أكثر من هذا فهى عبارة عن أسماء رسمية، ولم تكن تحمل دائما تلك الأسماء التى عرفت بها فيما بعد . وكان الهدف من إنشائها أن تقوم بخدمة أغراض متعددة ، بعضها لحراسة مواقع استراتيجية ، كممرات أو تقاطع أنهار ، وأخرى للإشراف على مساحات واسعة ؛ كان من المفترض سلفا أنها أقاليم مناسبة للمستعمرين ، وكان يفضل أن تكون واقعة فى منطقة يقيم فيها سكان محليون ليمكن إجبارهم على العمل الزراعى . وتطورت بعضها فيما بعد لتصبح مراكز تِجارية ، فى حين ذبلت أخرى واختفت ، ويبدو من المؤكد أن العدد الأساسى من المقيمين فيها كانوا من الجنود الإغريق المرتزقة ، ويمكن الاستدلال على ذلك من العمليات الحسابية التى تعتمد على تسجيل تحركات القوات العسكرية التى يؤكدها ما نلاحظه فى مصادرنا . ولنبدأ بالأخيرة أولا ، فقد ذكر ديودور فى تقريره أن الإغريق الذى وَطَّنَهم الإسكندر فى الولايات Satrapies العليا (وخصوصا باكتريا) :

"كانوا يفتقرون إلى التدريب الإغريقى وإلى أسلوب الإغريق فى الحياة ، وبسبب نفيهم إلى حدود المملكة فقد ظلوا موجودين هناك خوفا من الإسكندر ما دام على قيد الحياة ، لكنهم قاموا بالثورة بعد وفاته (xviii,7,i).

وبلغ عددهم فى الواقع ٢٣,٠٠٠ ، كانوا قد جاءوا إلى الشرق لتكوين الثروة ، ولكن كان مصيرهم التجريد من السلاح والذبح على يد المقدونيين بسبب ما ارتكبوه من عمليات النهب . لقد تأكدت صورة امتعاض المستوطنين من قول أريان على لسان كوينوس Coenus المقدونى ، عندما تمرد الجنود فى البنجاب ضد مواصلة السير أبعد من ذلك شرقا . فبعد أن تحدث عن إعادة التساليين من باكتريا إلى وطنهم واصل القول :

" أما فيما يتعلق بمن تبقى من الإغريق فقد استقر بعضهم فى المدن التى أسستها ، ولم يقيموا جميعا فيها بمحض إرادتهم ؛ وآخرون من بينهم مقدونيون

اشتركوا معك فى المعاناة والمخاطر، وسقط بعضهم فى المعركة ، فى حين أصبح آخرون غير لائقين للخدمة نتيجة لإصاباتهم ؛ لذلك تركُوا مبعثرين هنا وهناك فى كل مكان فى أسيا (Arrian,Anabasis, v,27,5) .

لقد أفلت منا الرقْم بالتحديد ،لكن جريفث Griffith قام بإحصائه The Mercenaries of the Hellenistic World,pp.20 ff) ، وذكر أن عددهم وصل فى أثناء حملة الإسكندر إلى ٦٠,٠٠٠ (بل ربما وصل إلى ٦٥,٠٠٠) من المرتزقة الجُدد ، وأنه ترك خلفه للحاميات والاستيطان عدداً يبلغ ٣٦,٠٠٠ على الأقل ، وهو يُكوِّن مع العدد الذى لم يتم تسجيله والظروف الاستثنائية للمعركة أو الجرحى العدد الذى يجب أن يصل فى مجموعه إلى ما تم تجنيده من جديد فى بابل فى نهاية الأمر :

"لقد أعاد كبار السن من جنوده إلى أوطانهم (Diodorus(xvii,109,I) ، ويقدر عددهم بحوالى ١٠,٠٠٠ ، وأمر باختيار ١٣,٠٠٠ من المشاة خفيفى العدة و ٢,٠٠٠ جواد للبقاء فى آسيا ، لاعتقاده بأنه يمكن المحافظة على أسيا بجيش متوسط الحجم ، لأنه قام بتوزيع حاميات على عدة أماكن وملأ المدن الجديدة بالمستعمرين المشغوفين بالحفاظ على ممتلكاتهم فى المناطق التى يقيمون فيها(Curtius,x,2,8) .

وتدل ثورة باكتريا على مدى خطأ الإسكندر فى تقدير حدة طبع أولئك المستوطنين.

وعلى أى حال فلم ينخرط الجميع فى الثورة . وعلى الرغم من أن مدنًا عديدة (مثل باكترا) كانت تضم عنصرا وطنيا قويا ، فقد حافظوا على تنظيمهم الإغريقى ، وتعززت قوتهم فى عهد السلوقيين فيما بعد بإنشاء مستوطنات جديدة . وسوف نضع خصائصها موضع الاعتبار فيما بعد . وهنا يجب أن نختم هذه الأفكار المختصرة لبرنامج الإسكندر الذى ألقى بظلاله على تنظيمات خلفائه الهيللينستيين ، مع ملاحظة أن أول إسكندرية أسسها كانت على أرض النيل عام ٣٣١ ، ومستوطنته الوحيدة التى أسسها فى غربى دجلة (أى الإسكندرية) ، ظلتا قائمتين لتصبح إحداهما من أشهر المراكز فى الإمبراطورية الرومانية وفى الواقع خلال العصور التالية أيضًا.

الفصل الثالث

تأسيس الممالك ٣٢٣ - ٢٧٦

The Formation of the Kingdoms
(323 - 276)

ترك الإسكندر – عند وفاته – إمبراطورية تمتد من حدود الإدرياتى Adriatic إلى البنجاب Punjab ومن طاجستان Tadzhikistan حتى ليبيا Lybia . لكن كثيراً من أجزائها كانت صلتها ضعيفة بالإمبراطورية ، إلى جانب أن أجزاء أخرى من شمالى آسيا الصغرى لم تخضع للسيطرة المقدونية بأى شكل من الأشكال . والقضية التى تحتاج إلى مناقشة هى :هل كان يمكن لو عاش الإسكندر فترة أطول القيام بتنظيم هذه المناطق البدائية ،والتنسيق الفاعل فيما بينها ؟ يبدو أن بقاءها بأكملها بدونه كان أمراً بعيد الاحتمال . لقد كان تاريخ السنوات الخمسين التالية – من عام ٣٢٣ وحتى ٢٧٦عام – عبارة عن صراع بين قادة الإسكندر وأبنائهم وخلفائهم للحصول على ما يمكن الحصول عليه لأنفسهم. وتمثل الأمل لفترة من الوقت فى الحصول على التركة بأكملها . وجاء انتحال اللقب الملكى من قِبَل عدد من المتنافسين منذ عام ٣٠٦ ، وفى المرحلة التى تلتها ، وهزيمة أنتيجونوس Antigonus فى إبسوس Ipsus ووفاته عام ٣٠١ لتمثّل علامة فارقة على مرحلتين فاصلتين فى عملية تفكيك الإمبراطورية ، ويمكن تتبع هذه العملية بالتفصيل ؛ لأن التاريخ – نزولا حتى عام ٣٠١ – موثّق جيدا بتقرير هيرونيموس Hieronymous الثابت الذى يساند المصادر المتوفرة لدينا ، وعلى وجه الخصوص (ما ورد لدى) ديودور Diodorus الذى تمتد روايته الكاملة حتى ذلك التاريخ .

أولا:

كان بردكياس Perdiccas أهم الموجودين عند وفاة الإسكندر فى بابل ، وكان القائد الأكبر لضُباط الفرسان ،وربما المفضل منذ وفاة الإسكندر، ثم هيفيستيون Hephaestion القائد chiliarch (ذو الخوذة)(*) ، وميليجر Meleager القائد الأكبر لفيالق المشاة ثقيلى العُدة Phalanx ، وبطلميوس Ptolemy وليوناتوس Leonatus (وكان لكليهما صلة بالبيت المالك) ، وليسيماخوس Lysimachus ، وأرستونوس Aristonus وبيوكيستاس Peucestas (الذى كان واليًا على بيرسيس Persis ، وسوسيانا Susiana) . وهناك آخرون قُدر لهم لعب دور كبير بعد ذلك ، من بينهم سيليوقوس Seleucus قائد الحرس الأساسى hypaspists ، ويومينيس الكاردى Eumenes of Cardia سكرتير الإسكندر ، والإغريقى الوحيد بين القادة المقدونيين ، وكاساندر Cassander بن أنتيباتير Antipater ، وكان الإسكندر قد ترك أنتيباتير نائبا له فى مقدونيا ،ووصل كراتيروس Craterus الذى أرسل ليحل محله بالفعل إلى كيليكيا Cilicia ، وأخيرا كان هناك أنتيجونوس مونوفيثالموس Antigonus Monophithalmus الأعور،وهو من الرَّعيل الأول (مثل أنتيباتير) وكان واليا على فريجيا Phrygia . انفجر الصراع مباشرة بعد وفاة الإسكندر،وتواصل بأشكال متعددة حتى عام ٢٧٠، وكان المتنافسون جميعا فيما عدا يومينيس من المقدونيين ، كما ذُكر من قبل ،ولعبت مقدونيا دورا رئيسيا فى الصراع ،ويبدو أنه لم يكن من قبيل المصادفة أنها كانت آخر جزء كبير فى الإمبراطورية يحصل على حكم مستقر.

تتكون فترة السنوات العشرين التى نتناولها بالبحث الآن من مرحلتين :الأولى من ٣٢٣ إلى ٣٢٠، وتمثل محاولة برديكاس تدبير اتفاق مُرض يمكن الادعاء بشرعيته ، فى حين يظل قابضا على السلطة بيده، وانتهت هذه المرحلة بموته العنيف . وكانت المرحلة التالية أطول ؛ وتغطى السنوات من ٣٢٠ إلى ٣٠١ ، وغلبت عليها جهود أنتيجونوس Antigonus للسيطرة على الإمبراطورية ، أو على أكبر قدْر ممكن منها ،

(*) χιλιάρχης قائد ألف من الجنود ؛ وكان منصبه يلى منصب الملك فى النظام الفارسى، راجع Liddell & Scott, A Greek English Lexicons, Oxford 1973,p-1992; Lewis & Short, A Latin Dictionary, Oxford 1969, p.326.

وتفاصيلها معقّدة . وتحول المنظر فيها من آسيا إلى أوروبا ، ثم عاد إلى آسيا مرة أخرى فى إبسوس Ipsus عام ٣٠١ ، حيث أدى تحالف معاد لأنتيجونوس من قِبل أعدائه إلى هزيمته وموته ،واستمر الصراع بعد عام ٣٠١ ، مع ديمتريوس بوليوركريتيس Demetrius Poliorcetes، ابن أنتيجونوس ومحاولته إحياء إمبراطورية أبيه من قاعدة بلاد الإغريق ومقدونيا ، لكن التحالف بين ليسيماخوس Lysimachus ، والمنافس الجديد بيرهوس من إبيروس Pyrrhus of Epirus أدى إلى سقوطه ثم موته فى الأسر.

أكدت معركة إبسوس بالفعل وجود نُظم حكم منفصلة فى مصر(بطلميوس) ، وفى بابل وشمال سوريا (سيليوقوس Seleucus) ،وفى شمال أناتوليا Anatolia وتراقيا (ليسيماخوس Lysimachus Tracia) ، لكن ظل مصير الوطن مقدونيا فقط لم يتقرر بعد ،وفى المرحلة ما بين ٢٨٢/٢٨٨ قرر ليسيماخوس محاولة ضمها إليه ، أولا بتحالفه مع بيرهوس ثم بعد ذلك بمفرده ،لكن سيليوقوس أوقع به الهزيمة فى كوربيديوم Corupedium عام ٢٨٢ ،وسقط ليسيماخوس صريعا وهو يحارب ، وبعد حدوث فترة من الفوضى ،بسبب غزو الغال Gaulish ووقوع تغييرات سريعة فى الأسر الحاكمة ، حصلت مقدونيا أخيرا على حاكم بصفة دائمة ممثل فى ديمتريوس Demetrius بن أنتيجونوس جوناتاس Antigonus Gonatas .

تأسست الآن الممالك فى الأجزاء الكبرى التى تكونت منها إمبراطورية الإسكندر السابقة ،وقدر لها الاستمرار خلال القرنين التاليين مع بعض تغيرات طفيفة فقط ، وسوف نتناول باختصار فى الفصل الحالى مجرى الأحداث والقوى التى انتهت إليها فى أنحاء هذه المناطق وآليتها ،وتفسخ إمبراطورية الإسكندر إلى مجموعة من الممالك المتنافسة ، التى ربما لم تأخذ فى اعتبارها – بجدية de facto – موضوع توازن القوى.

أدى موت الإسكندر إلى قيام حرب أهلية طائشة على الوراثة بين قسمى الفرسان والمشاة من جيشه. واقترح برديكاس انتظار ميلاد طفل الإسكندر وروكسانا Roxana الذى لم يكن قد ولد بعد لكى يُنصَّب ملكا (إذا جاء ذكرًا) ، لكن فيالق المشاة ثقيلى العدة Phalanx بقيادة ميليجر Meleager أيدت أرهيدايوس Arrhidaeus بن فيليب

الثانى غير الشرعى والمختل عقليا ، ويرجع الفضل إلى يومينيس Eumenes فى الاتفاق الذى حدث بين الطرفين باختيار الاثنين معا . واللذين عرفا باسم فيليب الثالث والإسكندر الرابع ، لكن منذ البداية وضع الاثنان على رهان الصراع على السلطة . واستدعى برديكاس الآن مجلسا للأصدقاء لتعيين القيادات . واستجاب الجيش" ، على أن يتولى أنتيباتير Antipater القيادة فى أوروبا ، وكراتيروس Crater-us حماية prostates الملك أرهيدايوس ، وبرديكاس الوصاية chiliarch على القُصّر chiliar-chy التى كان هيفايستون Hephaestion مكلَّفًا بها (وتعنى الإشراف على المملكة بأكملها basileia) ، واختيار ميليجر Meleager مساعدا لبرديكاس" (Arrian,Events af-ter Alexander,Fragmente der griechischen Historiker,156,FI,3).

كان وضع كراتيروس Craterus غير واضح فى الاتفاق ؛ لأن اصطلاح basileia يمكن أن يعنى إما "مملكة "أو "مَلَكية"(وكان له المعنى الأول بين قوسين فى أمر وصية برديكاس) ، كما يمكن ترجمة منصب الحامى protates بعدة معان ، إضافة إلى وجود اختلاف طفيف فى روايات أخرى ؛ وعلى سبيل المثال ذكر كورتيوس Q. Curtius (x,7,8-9) أن برديكاس وليوناتوس Leonnatus عينا وصيين على ابن روكسانا بدون ذكر لأرهيدايوس . وكذلك يبدو من المحتمل أن مركز برديكاس كوصى chiliarch وضعه فى مركز أعلى من كراتيروس Craterus (الذى كان غائبا فى بابل) وعلى أى حال سرعان ما قام برديكاس بقتل ميليجر Meleager ، واتضح بعد ذلك أن سلطات كراتيروس كانت محددة فى مشاركة أنتيباتير فى مقدونيا . وهكذا قد يبدو أن منصب الحماية prostates كان عبارة عن اتفاق مبدئى بالنسبة لكل من فيالق المشاة وميليجر .

أصبح واضحًا الآن أن برديكاس كان يحتل القمة ، على الرغم مما لاحظه أريان من "أن كل فرد أصبح يشك فيه (برديكاس) ، كما أصبح هو يشك فيهم ".

Arrian,Events after Alexander, Fragmente der griechishen Historiker,156,FI,5).

أما بالنسبة لباقى -المتنافسين - فقد حصل بطلميوس على مصر، وبعد فترة قصيرة حَسن وضعه بدهاء هناك عندما قام بتحويل طريق الموكب الذى كان يضم جُثمان

الإسكندر المحنط من طريق جانبى إلى تلك الولاية . ومُنح أنتيجونوس جميع أنحاء غربى آسيا الصغرى (كان يدخل من بينها الجزء الأكبر من فريجيا الكبرى Phrygia وليكيا Lycia وبامفيليا Pamphylia)، وحصل ليسيماخوس Lysimachus على تراقيا (التى تم فصلها عن مقدونيا) وليناتوس Leonnatus على فريجيا على الدردنيل Hellespontine Phrygia (لكنه توفِّى بعد ذلك مباشرة) ،وأرسل يومينيس لطرد أرياراثيس Ariarathes الطاغية المحلى من كبادوكيا Capadocia وبافلاجونيا Paphlagonia ، وكان على هؤلاء الرجال بطلميوس ،وأنتيجونوس ، ويومينيس ، وليسيماخوس أن يبرهنوا على التشبث بما لديهم إلى أقصى حد فى العقود التالية ، وأن يلعبوا الدور الأكبر فى الصراع ،وتم التخلص من برديكاس بعد ذلك بفترة وجيزة ، فى حين تعاون كل من كراتيروس وأنتيباتير تحت قيادة الأخير للقضاء على ثورة الإغريق (التى تسمى بالحرب اللامنية Lamian war ، والتى انتهت بضربة قاضية للإغريق وخصوصا أثينا) ، وسيطر برديكاس على الملوك،وأقصى أنتيباتير بإعراضه عن ابنته حتى يتزوج من كليوباترا Cleopatra أخت الإسكندر. وتكون تحالف ضده من كل من أنتيباتير ، وكراتيروس ، وأنتيجونوس ، وليسيماخوس ، وبطلميوس ، وتم تفادى الحرب نتيجة لمصرعه فى مصر عام ٣٢٠ . وانتهت بذلك المرحلة الأولى من الصراع ،وفى المقابلة التى تمت بين الحلفاء فى تريباراديسوس Triparadeisus شمال سوريا عام ٣٢٠ أعلن أنتيباتير وصيا على الملوك (ومات كراتيروس Craterus فى عملية له ضد يومينيس) ، وانتقل البلاط الملكى إلى مقدونيا ،ويذكر لنا ديودوروس (xviii,40,1) "أن أنتيجونوس أعلن قائدا لآسيا وقام بجمع قواته من معسكراتهم الشتوية لهزيمة يومينيس" ، ويعنى اللقب أن جزءًا من الإمبراطورية أصبح تحت يد أنتيباتير الذى كان قائدا فى أوروبا وأصبح رجلا متقدِّما فى السن ؛ ولم يكن له اهتمام كبير بآسيا على الإطلاق . هكذا فإن محاولة الحفاظ على الإمبراطورية فى يد مجموعة واحدة قد عانت من خلل حاد، وكان لكل من مصر وآسيا ومقدونيا حُكمها المنفصل ،وعلى الرغم من أن الأسر التى كانت تحكم فى القسمين الأولين قد تغيرت فيما بعد ، فإن النمط المميز للعالم الهيللينستى كان قد بدأ فى الظهور بالفعل .

ثانيا :

سيطر أنتيجونوس Antigonus على السنوات العشرين التالية (٣٢٠-٣٠١) وكان الاعتقاد السائد -استشهد بوليبيوس Polybius (v,102.1) بواقعة لها صلة بفيليب الخامس لم تكن حقيقية - أن أسرة أنتيجونوس كانت تهدف دائما إلى إحراز السيطرة العالمية . ونحن لا نستطيع التأكد من معرفة ماذا كان يدور فى عقل أنتيجونوس بالضبط ، لكن المصادر تصر على أنه لم يكن لديه أى استعداد للقبول بأقل من الإمبراطورية بأكملها . لقد كرس السنوات التالية حتى عام ٣١٧ لمطاردة يومينيس Eumenes وعزله . وأصبح فى قبضة أنتيجونوس عام ٣١٩ ، لكنه عندما سمع بموت أنتيباتير وتعيين بوليبيرخون Polyperchon أحد ضباط فيليب الثانى فى منصب نائب الملك ، صفى خلافاته مع يومينيس وانضم فى تحالف جديد مع كل من ليسيماخوس ، وبطلميوس ، وكاسندر Cassander بن أنتيباتير Antipater ضد بوليبيرخون Polyperchon . وعلى الرغم من إعلان الأخير "تحرير المدن الإغريقية وطرد الحكام الأوليجاركيين الذين عينهم أنتيباتير" (Diodorus,xviii,55, 2) فإنه فشل فى الحصول على مساعدة بلاد الإغريق ، التى اعتبرت أن ما قام به يعد نوعا من الممارسة الدعائية ، وسرعان ما تواجدت قوات كاسندرفى بيريه Piraeus وأثينا بقيادة صنيعته الفليسوف الأرسطى ديمتريوس الفاليرى Demetrius of Phalerum . وفى الوقت نفسه أعلنت يوريديكى Eurydice زوجة فيليب الثالث عام ٣١٩ فى مقدونيا الولاء لكاساندر . وعندما رد بوليبيرخون Polyperchon على ذلك باستدعاء أوليمْبياس Olympias والدة الإسكندرمن إبيروس Epirus قامت - الأخيرة - بتدبير موت فيليب الثالث ويوريديكى Eurydice ، مما دفع قوات كاسندر الذى اجتاح مقدونيا إلى محاكمتها وإعدامها ، وأصبح حُكم البيت الشرعى ممثَّلا الآن فى الإسكندر الرابع فقط ، واستأنف أنتيجونوس الحرب مباشرة فى آسيا ضد يومينيس ، الذى تمكن من إحراز عدة انتصارات فى آسيا الصغرى ، وفينيقيا Phoeincia ، وبابل ،وفى عام ٣١٦/١٥خانته قواته لصالح أنتيجونوس الذى قبض عليه وأعدمه ، وتمكن أنتيجونوس بفضل ذلك الانتصار من مد سيطرته داخل إيران ، مما أدى إلى عداء الجميع له.

مُنح سيليوقوس Seleucus بابل فى الاتفاق الذى عقد فى تريباراديسوس Tripara-deisus، وقام أنتيجونوس فى عام ٣١٥ بعد عودته من زيارته للشرق وسيطرته على جميع الأراضى من آسيا الصغرى إلى إيران بطرده ، فلجأ إلى بطلميوس ، ونتيجة لتحريضه الكبير قدم كل من بطلميوس وكاسندر وليسيماخوس إنذارا لأنتيجونوس طالبين منه التنازل عن معظم مكاسبه ، وإعادة بابل إلى سيليوقوس ومقاسمة كنز يومينيس معهم (Diodorus,xix,57.1) . ولم يكن متوقعًا رضوخ أنتيجونوس لذلك ، وهكذا فعل بالإنذار . وبدلا من ذلك واصل هجماته ، واستولى على جنوب سوريا وبيثينيا وكاريا ، وعقد تحالفا سريا مع بوليبيرخون Polyperchon ، وإضافة إلى ذلك قام بإصدار تصريح فى مدينة صور عجل بحرب السنوات الثلاث العشرة مع كاسندر.

"ودعى لمجلس من جنوده وأولئك الذى يعيشون هناك معا ، وأصدر قرارا أعلن فيه أن كاسندر سوف يُعد عدوا ما لم يقُم بتدمير المدن الحديثة التى أنشأها وهى ثيسالونيكا Thessalonica وكساندريا Cassandreia ، وبإطلاق سراح الملك (الإسكندرالرابع) وأمه روكسانا Roxane من الحجز ، والقيام بتسليمهما إلى المقدونيين ، وباختصار بأن يظهر خضوعه لأنتيجونوس ، الذى نُصِّب قائدا وتسلم زمام السيطرة على المملكة ، وقام بتحرير جميع الإغريق ، دون وجود لحاميات ، مع السماح لهم بحكومات مستقلة". (Diodorus(*)eleutherous,aphrouretous autonomous,xix,61,1-3).

إن الدعاية الواسعة التى هدف لها الإعلان كان لها مردود واسع ؛ لأن العبارة الأخيرة أثارت موضوعا سبق أن استخدمه بوليبيرخون عام ٣١٩ كسلاح ضد كاسندر (راجع ص ٦٢) وتردد صداه فى سياسة العصر الهيللينستى ، حتى تبناه الرومان أخيرا وطبقوه فى النهاية لمصلحتهم ، الأمر الذى سيكون محل مزيد من التفصيل فى الفصل السابع ، ونريد أن نلاحظ هنا فقط أن معناه كان واضحا بالنسبة لبطلميوس الذى :
"عند سماعه للحل الذى توصل إليه المقدونيون مع أنتيجونوس بشأن تحرير الإغريق ، قام بكتابة إعلان مشابه بنفسه، لاهتمامه بأن يعرف الإغريق أنه ليس أقل حرصا على حريتهم من أنتيجونوس" (Diodorus,xix,62,1) .

(*) الحرية eleutherous = ελεθερια ؛ بدون حاميات aphrouretous = αφρουρέω ؛ autonomous = αυτόνόουεουαι مستقلة (المترجمة) .

وأيا كان الأمر ، فقد ظل ذلك هو المبدأ الأساسى فى سياسة أنتيجونوس الإغريقية لبقية حياته ، بل من المحتمل أنها كانت حتى ذلك الوقت تتوافق مع برنامجه الذى أنشأ فيه حلف مدن الجزر –النسيوتيس - Nesiotes فى البحر الإيجى ، الذى نستقى معلوماتنا عنه من النقوش فقط. ويرجع بعض المتخصصين إنشاء ذلك الحلف إلى بطلميوس فى عام ٣٠٨ ، أو ربما إلى فترة متأخِّرة من عام ٢٨٧ . ويسجل نقش للحلف (IG,xi,4,1036= DurrbachChiox13) احتفالا فى جزيرة ديلوس Delos يسمى أنتيجونيكا Antigonica وديمتريا Demetrieia ، من المحتمل (ا) أنه يمثل احتفالا فيدراليا (ب) وأن ديمتريوس وأنتيجونوس اللذين يتم إحياء ذكراهما فيه هما أنتيجونوس الأول وديمتريوس الأول ، وإذا كان الأمر كذلك ، فعلى الرغم من وقوعها بعد ذلك فى يد بطلميوس فقد تم تأسيس الحلف الآن ، ليصبح أداة لسياسة أنتيجونوس ، وكان انفصال ديلوس عن أثينا بمثابة صفعة لأنتيجونوس من مدينة كانت ما تزال واقعة حتى الآن تحت سيطرة كاسندر .

قام أنتيجونوس بعبور تاوروس Taurus ردًا على غزو كاسندر لكاريا Caria عام ٣١٣ ، وأرسل عدداً من الضباط لتدبير المؤامرات فى البيلوبونيز Peloponnese ، واتخذ بنفسه إجراءً ضد ليسيماخوس فى تراقيا ، بتدخله فى مساعدة كالاتيس Callates وفى غيرها من المدن الأخرى الواقعة فى إقليم بونتوس– بحر مرمرة - Pontus التى كانت ثائرة هناك عام ٣١٢، وأجهض فى السنة نفسها لقاءً مع كاساندر على الدردنيل (Diodorus xix.75,6) ، لكن بطلميوس هاجم ديمتريوس ،الذى تركه والده للدفاع عن فلسطين ،وأوقع به الهزيمة فى غزة ،وانتهز سيليوقوس الفرصة لاستعادة بابل بقوات مده بها بطلميوس وأنتيجونوس ، وتحاشى الحرب فى الشمال حتى يؤمن الوضع فى سوريا . وأصبح كل من أنتيجونوس وبطلميوس مستعدين الآن للسلام الذى تم الاتفاق عليه عام ٣١١ على أساس مبدأ الوضع الراهن status quo ، طبقا لما ذكره ديودوروس (Diodorus xix.105,1) .

تم الصلح بين كل من كاسندر وبطلميوس وليسيماخوس وبين أنتيجونوس ، ووقعوا على معاهدة تنص على أن يعين كاسندر قائدا لأوروبا إلى أن يبلغ ابن الإسكندر وروكسانا السن القانونية ، ويصبح ليسيماخوس سيد تراقيا ، وبطلميوس

سيدا على مصر والمدن الواقعة على الحدود المصرية فى إفريقيا والعربية Arabia؛ وتئول إلى أنتيجونوس مسئولية كل آسيا ، على أن يعيش الإغريق وفق قوانينهم ، ولكنهم لم يظلوا ملتزمين بهذه المعاهدة إلى الأبد ؛ لأن كل واحد منهم قدم- بعد ذلك - أعذارًا واهية لمحاولة الحصول على اكتساب مزيد من المناطق ".

كانت معاهدة عام ٣١١ تعوق طموحات أنتيجونوس ،وفى خطاب منه إلى المدن الإغريقية ، عُثر على نسخة منه فى سكيبسيس Scepsis كورسونلا تيبى الحديثة (Kursunla Tepe) ذكر أنها - أى المعاهدة - كانت ناجحة ،وأشار إلى أن حرية الإغريق كانت موضع اهتمامه الأساسى .

"إن الحماس الواضح فى هذه الأمور ،سيتضح فى اعتقادى ،بالنسبة لك ولجميع الآخرين من الاتفاق نفسه ، فبعد انتهاء إجراء الترتيبات مع كاسندر وليسيماخوس........أرسل بطلميوس رسلا لنا يطلب عقد هدنة معه أيضا ،كما طلب كذلك إشراكه فى نفس المعاهدة . ولم يكن من السهل التنازل عن جزء من الطموح الذى لم يكبدنا جهداً قليلا فقط ، بل تكلف نفقات طائلة أيضًا ،حدث ذلك عندما كان تم التوصل إلى الاتفاق مع كاسندر وليسيماخوس ،وبعدهما أصبح بقية العمل أكثر سهولة . وعلى أى حال فقد فكرنا أنه بعد أن يتم التوصل إلى الاتفاق معه يمكن تسوية موضوع بوليبيرخون Polyperchon بسرعة أكبر؛ لأنه لن يتبقى له أى حليف ، بسبب علاقتنا معه [ولم يكن ذلك مؤكدا] ،وبالإضافة إلى ذلك فقد رأينا أنك وبقية الحلفاء قد ثقُل عليكم عبء الحرب ونفقاتها ،وفكرنا أنه من الأفضل التسليم ، وعقد الهدنة معه أيضا .... وتعرف أن السلام تحقق بعد ذلك . كما زودنا المعاهدة بأن يُقسِم جميع الإغريق على مساعدة بعضهم البعض فى الحفاظ على حريتهم ،وعلى الحكم الذاتى ، وأن يمعنوا التفكير فى أنه ما دمنا عشنا طبقا لجميع المعايير الإنسانية . فيجب الحفاظ عليها ، وبعد ذلك ينبغى صيانة تلك الحرية بصفة مؤكدة لجميع الإغريق ، إذا ارتبط كل منهم والرجال الموجودون فى السلطة برباط القسم (WellsR,C.,no.1,ll.24-61=SVA,428=Austin,31) .

ولن نصاب بالدهشة لعدم إشارة أنتيجونوس فى ذلك الخطاب إلى هزيمة ديمتريوس فى غزة Gaza . ومن المهم ملاحظة أنه فى ذلك الدليل كان بوليبيرخون

Polyperchon مـا يزال نـاشطا فى البـيلوبونيـز Peloponnese ، كـمـا يدل على أن أنتيـجـونوس الذى بلغ الآن سن الحـادية والسـبـعين بدأ يضع فى اعـتبـاره مـا سـوف يحدث بعد وفاته . وعلى أى حال فإن القسم باليمين كان سيمكنه من طلب مساعدة الإغريق إذا تمكن من الادعاء بنقض المعاهدة فى المستقبل .

وقد عانت الإمبراطورية نتيجة لهذه المعاهدة من ضربة قاضية ؛ لأنها اعترفت بوجود أربع قوى مستقلة ، لم يأت ذِكر فيها لسيليوقوس وبولبيرخون Polyperchon، اللذين أبعدا عنها . وقام كاسندر بعد ذلك بوقت قصير باغتيال الإسكندر الرابع وروكسانا ، وهى خطوة قاسية ، لكنها منطقية.

"تخلص الآن كاسندر وليسيماخوس ، ومعهم أنتيجونوس بالمثل ، من مخاوفهم من جهة الملك ؛ لأنه أصبح لا يوجد منذ الآن وريث للإمبراطورية على قيْد الحياة ، وبدأ كل واحد من الذين يحكمون الشعوب أو المدن يعزز آماله فى الحكم ، ويقبض على ما يوجد تحت يده ، كما لو أنها مملكة حصل عليها بحد السيف". (Diodorus,xix1053-4) .

اعتبر أنتيجونوس السلام فترة لالتقاط الأنفاس قبل القيام بخُطوته التالية . وكانت أحداث فترة السنوات العشرة التالية معقدة ؛ لأنه بالرغم من المخطط العام ضد أنتيجونوس دخل منافسوه فى دسائس ضد بعضهم لدرجة قاموا معها بعقد ترتيبات مؤقتة مع عدوهم المشترك ، وهناك بعض الأدلة التى تثبت أن المرحلة افتتحت بمحاولة غير ناجحة قام بها أنتيجونوس لاسترداد الولايات الشرقية ، لكنه قام بعد هزيمته على يد سيليوقوس بعقد معاهدة معه ، منحه خلالها إيران ، وترك له الحرية فى مجاربة خاندراجوبتا Chandragupta فى الهند ، وانتهى الصراع حوالى عام ٣٠٣ بتنازل سيليوقوس على الأقل عن كاندهارا Candhara وأرقوسيا الشرقية Archosia وجيردوسيا "Gerdosia. تنازل سيليوقوس عنهم إلى ساندراكوتس Sandracottus (Chandragupta)على أساس تبادل الزواج والحصول مقابلهما على ٥٠٠ فيل" . (Strabo,xv,2,9). وأكدت تلك الأفيال أنها إضافة تستحق الذِّكر فى ميدان الحرب الهيللينستية .حاصر بطلميوس فى الوقت نفسه قبرص ، ومن المحتمل أنه عقد تحالفا مع المدينة البحرية القوية المستقلة رودس Rhodes . وكان إحراز السيطرة على البحر الإيجى أحد أعمدة الصراع بين بطلميوس وأنتيجونوس ، واعتبر كل منهما بمثابة

الحارس على حرية الإغريق ، لكن عندما تمكن كاسندر من توقيع سلام جزئى مع بوليبيرخون (وكان الثمن قتل هيراكليس بن الإسكندرالمُدعى عليه أنه غير شرعى ، الذى استخدمه بوليبيرخون لجمع التأييد له)، انضم كل من بطلميوس وأنتيجونوس معا فى ظروف ما تزال مبهمة ، لكن الاتفاق لم يدم ،وفى مواجهة تحالف كاسندر وبوليبيرخون استنجدت المدن الإغريقية ببطلميوس ،الذى غزا البيلوبونيز -Pelopon nese عام ٣٠٨ ، ولما كان- بطلميوس - قد حصل على مساعدة طفيفة من الناحية الفعلية ، فقد سارع بعقد سلام مع كاسندر (على الرغم من استمرار وجود حاميات له فى كورنثة والمدن الإغريقية الأخرى) . وفى عام ٣٠٧ ، وعندما كان كاسندر موجودا فى إيبروس ، أبحر ديمتريوس إلى أثينا وطرد ديمتريوس الفاليرى وأعاد الديموقراطية ، وفى عام ٣٠٦ أرسله أنتيجونوس لشن الحرب ضد قبرص ، وتمكن من إحراز نصر مُدوّ على الحاكم البطلمى ،وبعد ذلك انتصر على بطلميوس نفسه . وعادت قبرص إلى سيطرة أنتيجونوس ،ولكن هذا الانتصار كان له معنى أبعد من ذلك.

"قام المحتشدون بتحية أنتيجونوس و(ابنه) ديمتريوس بحرارة على أنهما ملكان ، وعقب ذلك قام أصدقاء أنتيجونوس بتتويجه ملكًا ،وحصل ديمتريوس على تاج من والده مع خطاب خاطبه فيه كملك ،وعندما وصل تقرير بهذه الأنباء إلى مصر قام أتباع بطلميوس بمنحه لقب ملك ، حتى لا يبدو فى منزلة أدنى منهما بسبب هزيمته ، ومن خلال هذه المباراة انتقل التقليد بين الخلفاء الآخرين ، وبدأ كاليسيماخوس يرتدى تاجًا ؛ كما فعل سيليوقوس الشىء نفسه فى لقائه مع الإغريق ؛ لأنه سبق أن كان يتعامل مع البرابرة على أنه ملك ، أما بالنسبة لكاسندر فعلى الرغم من أن الآخرين كانوا يخاطبونه فى رسائلهم وفى مخاطباتهم كملك ،فإنه ظل يكتب خطاباته الخاصة بنفس الطريقة التى كان يكتب بها من قبل".(Plutarch,Demetrius,18,1-2) .

ادعى أنتيجونوس المُلك عام ٣٠٦ ،وتلاه بطلميوس بفترة قصيرة عام ٣٠٥/٤ ، كما نعرف من النصوص المسمارية أن سيليوقوس قام بالشىء نفسه عام ٣٠٥/٤، وتتضمن لوحة مسمارية قائمة بملوك بابل خلال العصر الهيللينستى(راجع ص ٣٧) تضيف إلى معلوماتنا عن هذا الموضوع ، حيث نقرأ فى السطرين ٦-٧ (على الوجه .obv) ما يلى :

"السنة السابعة (فترة حكم سيليوقوس) العام الأول [له] ، [حكم] سيليوقوس كـ [ملك] حكم ٢٥ عامًا . وقتل الملك سى [ليوقوس] فى بلاد [أل] خانى Khani فى عام ٣١ (من عهد سيليوقوس) ، فى الشهر السادس .

يقدم هذا النص - إلى جانب ذِكره تاريخ موت سيليوقوس (بين ٢٥ أغسطس و٢٤ سبتمبر عام ٢٨١) - ما يوضح أيضا أن أول سنة فى حكمه الملكى عام ٣٠٥/٤ كانت السنة السابعة لعهد سيليوقوس ، الذى كان قد بدأ فيه حكمه وفقا لذلك عام ٣١٢/١١(فى الحقيقة أكتوبر٣١٢طبقا للتأريخ الإغريقى ،وفى إبريل ٣١١ طبقا للتأريخ البابلى) ،وتؤكد الوثيقة أن ما ذكره بلوتارخ من أن سيليوقوس كان يتعامل مع البرابرة من قبل كملك لم يكن صحيحا بالمعنى الحرفى ،كما لا يجب أن يؤخذ ما ذكره عن كاسندر على أنه يعنى امتناعه عن استخدام اللقب الملكى بصفة عامة ؛ لأنه كان يلقّب "الملك كاسندر "على العُملة ،كما يُسجل نقش من كاسندريا Cassandreia ما يبدو أنه تأكيد لمنحه أراضى يبدأ على النحو التالى :

"منح كاسندر ملك مقدونيا لبرديكاس بن كوينوس Perdiccas son of Coenus الأرض الواقعة فى سينايا Sinaia والموجودة فى ترابيزوس Trapezus التى كان يقوم جده بوليموكراتيس Polemocrates ووالده فى عهد فيليب الثانى بحيازتها إلخ " (Syll.,332).

إن طوفان الألقاب الملكية المفاجئ يشير إلى خطوة أخرى نحو انهيار الإمبراطورية . ومع أن اللقب الذى حصل عليه كل ملك يعنى أننا يمكن أن نتنافس فقط فى ذلك ، فإنه ليس من المقبول أن كل قائد كان يطالب بجميع الإمبراطورية فيما عدا أنتيجونوس الذى ربما كانت هذه الفكرة موجودة لديه ،والأكثر احتمالا - كما يرجح النص المقتبس من ديودور فى ص ٦٦ - أنهم استغلوا موت الإسكندر الرابع للمطالبة بالملكية فى أقاليمهم الخاصة ؛ لأنهم لم يكونوا ملوكا فى تلك الأقاليم ، وكان بطلميوس ملك مصر بالفعل بالنسبة للأهالى الوطنيين ، ولكنه لم يلقب نفسه بملك مصر فى أى وثيقة إغريقية على الإطلاق ،وعلى أى مملكة إذن - إذا كان هناك أى واحدة أصلا - كان أنتيجونوس ملكا؟إن سجل ديمتريوس الأخير ، الذى كان لسنوات عديدة ملكا بدون مملكة ، يقدم بعض الأدلة على أن هذه الملكيات كان ينظر إليها على

أنها ملكيات شخصية ، ليس لها رابطة وثيقة بالأرض التى يحكمها الملك ، وكان أساس الاعتراف لهم بمطلبهم يعتمد على إنجاز عسكرى رفيع المستوى تم بواسطة رجال تمكنوا بمجهوداتهم من السيطرة على شعوب أو مدن ، وكانت مقدونيا تمثل الاستثناء الوحيد ، وفى النقش الذى سبق اقتباسه أعلاه ، والذى أطلق فيه كاسندر على نفسه لقب " ملك مقدونيا " ، ربما كان هدفه من ذلك الادعاء لنفسه بمنصب فريد ليس متاحا لأى واحد من منافسيه (أكثر من كونه كان يؤكد ببساطة سلطته فى المصادقة على منح أرض فى مملكة مقدونيا ، كما سبق أن اقترح البعض).

أعقب ديمتريوس انتصاره فى قبرص بهجومه الشهير على رودس الذى منحه لقب محاصرالمدن (Poliorcetes) عام ٣٠٥ . وكان ذلك الهجوم استفزازا إضافيًا لبطلميوس صديق رودس المقرب ، واستمر الحصار مدة عام واحتفل بأدوات الحصار التى نشرها ديمتريوس ، على الرغم من عدم نجاحها فى إخضاع المدينة ، وانتهى الوضع بصلح سلام عام ٣٠٤ قدمت فيه رودس ١٠٠ من الرهائن ، ووافقت على "التحالف مع أنتيجونوس وديمتريوس ، باستثناء القيام بحرب ضد بطلميوس (Plutarch, Demetrius ,22,4) ، وفى عام ٣٠٤/٣ استولى ديمتريوس على إثموس Ithmus فى كورنثة ، وفى عام ٣٠٢ قام ديمتريوس فى إطار إعداده لشن الحرب على كاساندر ، بإعلان الحلف الهيللينى لفيليب والإسكندر"لاعتقاده أن حكم الإغريق الذاتى سيحقق له شهرة واسعة." (Diodorus xx . 102,1) . وقد عُثر على نقش من إبيداوروس Epidaurus(SVA,446) يتضمن لائحة تنظيم الحلف ، وفيه اشترط أن يكون للمجلس اجتماعات منتظمة ، ورأسه كل من أنتيجونوس وديمتريوس ليكون لهما سيطرة مُحكمة أكثر مما كانت لفيليب والإسكندر على حلف كورنثة الخاص بهما. إن نقش إبيداوروس عبارة عن قصاصات مهلهلة جدا ، لكن يمكن إكمال المعلومات التى وردت فيه من نقش دلفى الذى يتضمن خطابا كتبه أديمانتوس من لامبساقوس Adeimantus of Lampsacus إلى ديمتريوس، وقراراً أثينيًا لتكريم أديمانتوس (Morettii,9;ii,72) ، وتوضح هذه النقوش أنه ما دامت الحرب ما تزال قائمة مع كاساندر ، فعلى ديمتريوس القيام بتعيين اللجنة الدائمة للحلف شخصيا ، وأن يقوم أديمانتوس Adeimantus ، المشهور بصفة أساسية بمدح الملوك وبأنه صديق الفلاسفة أيضا ، بلعب دور مهم كممثل لديمتريوس فى مجلس الحلف ، وربما فى اقتراح الإعداد باحتفال لتكريم الملكين .

وعلى أى حال لم يستمر الحلف طويلا ؛ لأنه فى عام ٣٠١ اضطر حلف مكون من كاساندر وليسيماخوس وسيليوقوس (الذى أحضر معه ٥٠٠ فيل) على مواجهة القوات المشتركة لكل من أنتيجونوس وديمتريوس (الذى استدعاه والده من أوروبا) للمشاركة فى معركة إيبسوس Ipsus فى فريجيا ،وهناك تجرعوا هزيمة حاسمة ؛ وهلك أنتيجونوس وفر ديمتريوس . وفى تقسيم غنائم الحرب استولى ليسيماخوس على معظم مناطق آسيا الصغرى حتى تارسوس Tarsus ، وحصل بطلميوس الذى كان معسكرا بمفرده فى فلسطين على المنطقة الممتدة إلى أقصى شمال نهر إليوثيروس Eleutherus (النهر الكبير) ، إضافة إلى أجزاء من ليكيا Lycia وبسيديا Pisidia ،وكانت معركة إيبسوس علامة فارقة على نهاية أى ادعاء باستمرار وجود إمبراطورية واحدة ،وعلى الرغم من حقيقة تباعد أجزاء مملكة ليسيماخوس بوضوح ، فقد اتخذت كل من آسيا وأوروبا اتجاهًا مختلفًا لكل واحدة عن الأخرى .

ثالثا:

حاول ديمتريوس فى المرحلة الواقعة بين عام ٢٨٦/٣٠١ استعادة أملاكه فى بلاد الإغريق ،واستولى على مقدونيا لفترة (بعد موت كاسندر) ، على الرغم من ضغط بيرهوس عليه ، لكن مركزه أخذ فى التدهور منذ عام ٢٨٩ والمرحلة التى أعقبتها ، وفقد أملاكه الأيجينية وأثينا لصالح بطلميوس ،وطُرد من مقدونيا على يد قوات ليسيماخوس وبيرهوس المشتركة ،وأخذه سيليوقوس أسيرا عام ٢٨٥ ، ومات متأثرا بإفراطه فى الشراب بعد سنتين ،وترك هذا الحدث أمر الاستحواذ على مقدونيا بدون حسم . فبعد طرد ديمتريوس منها اقتسمها فى البداية ليسيماخوس مع بيرهوس ، وقرر عام ٢٨٥ تدبير حيلة لضمها بأكملها إليه ،لكن فاجأته ربة النقمة nemesis، فلقد أغرته زوجته الثالثة أرسينوى بقتل ابنه أجاثوكليس Agathocles لصالح أطفال أرسينوى) . وقامت ليساندرا Lysandra أرملة أجاثوكليس وأخوها بطلميوس كيراونوس -Ceraunus وكانا أخا غير شقيق وأختا غير شقيقة لأرسينوى ، وكان الثلاثة أبناء بطلميوس – باستنهاض همة سيليوقوس لتحدى ليسيماخوس ، فقام سيليوقوس بغزو آسيا الصغرى عام ٢٨٢ ، وفى أوائل عام ٢٨١ هزم ليسيماخوس

عند كوربيديوم Corupedium وقتل هناك . وعندما كان سيليو قوس يقوم بالعبور حينئذ مختالا إلى أوروبا اغتاله حليفه كيراونوس Ceraunus ، الذى كان قد استولى على عرش مقدونيا .

وبعد سنتين ، ونتيجة لضعف الدولة بسبب هزيمة ليسيماخوس ، اجتاح مقدونيا جيش من قُطاع الطرق الغال ، وكانوا يؤلفون جزءًا من هجرة كبرى ، وأسست جماعة أخرى مملكة فى تراقيا ، ووصل آخرون إلى دلفى ، لكن الأيتوليين قضوا عليهم ، وعبرت عصابات أخرى إلى آسيا الصغرى ، واستقروا فى المنطقة التى عرفت فيما بعد باسم جلاتيا Galatia ، وكانت النتائج التى ترتبت على ما سبق فى مقدونيا غامضة ، وأتاح وجود سلسلة الملوك الضعاف وأوضاع الفوضى السائدة لأنتجونوس جوناتاس Antigonus Gonatas بن ديمتريوس - أتاحت له الفرصة التى كان يبحث عنها ، وكان قد تمكن من الحصول على مركز قوى فى كورنثة ، وخالكيس Chalcis وديمترياس Demetrias (التى أسسها والده على خليج باجاسى Pagasean Gulf) ، وبعد أن حقق شهرة واسعة لانتصاره على الغال فى ليسيماخيا Lysimachia عام ٢٧٧، أعلن نفسه ملكا فى مقدونيا وثيساليا Thessaly عام ٢٧٦ ، وهكذا أحرز البيت المالك الذى أسسه أنتيجونوس الأعور الحصول على امتلاك آخر الأقاليم الشاغرة ، وهى مقدونيا الوطن الأم .

أكد ليسيماخوس النتيجة السابقة فى إيبسوس Ipsus ، وأصبحت أقاليم دول العالم الهيللينستى الآن على النحو التالى : الأنتيجونيون فى مقدونيا ، والبطالمة فى مصر ، والسلوقيون فى المنطقة التى تشمل سوريا وبلاد ما بين النهرين وإيران ، وكان على كل مملكة منها أبناء أو أحفاد (كما هو الحال فى مقدونيا) خلفاء الإسكندر على العروش - أنتيوخوس الأول ، وبطلميوس الثانى ، وأنتيجونوس الثانى -ورُسخ مبدأ وراثة العرش . حقيقة أن إمبراطورية الإسكندر قد تمزقت من الناحية السياسية ، لكن الممالك الجديدة كان يوجد لديها كثير من السمات المشتركة . وقبل أن نقوم بتناول كل مملكة على حدة ، فسوف نضع فى اعتبارنا فى الفصل التالى إلى أى مدى كون العالم الهيللينستى وحدة متجانسة ، وإلى أى مدى خلق تواجد كل من الإغريق والمقدونيين إلى جانب الأهالى الوطنيين مشاكل لكل من شعوب الجانبين.

الفصل الرابع

العالم الهيللينستى- The Hellenistic World

التجانس الثقافى A Homogeneous Culture?

أولا :

قام فى حوالى منتصف القرن الثالث سكان مدينة إغريقية تقع فى مكان أى خانوم Ai Khanum ، بجانب نهر أوكسوس Oxsus (أم داريا الحديثة)على الحدود الشمالية لأفغانستان (مكانها غير معروف) - بتشييد عمود فى مزار دينى فى وسط المدينة سُجل عليه قائمة تضم ١٤٠ حكمة أخلاقية منقولة من عمود مماثل ، كان يقف بالقرب من مزار(الإله) أبولون فى دلفى Delphi على بعد ٣٠٠٠ ميل . ويُقرأ النص المتصل فى النقش على النحو التالى :

"تلك كلمات حِكمة رجال مشهورين قدماء كُرست لمزار بيثو. Pytho أخذها كليرخوس Clearchus من هناك ، ونسخها بعناية ،لتنصيبها لتشع من على بعد فى السياج المقدس لكينياس (Robert,CRAI(1968),422=Austin,192) Cineas .

ويفترض من اسم- كينياس - أنه ربما يكون تسالى - وهى مدينة المؤسس الذى أهدَى لها المزار المقدس ،وطابق روبرت Robert بين كليروخوس والفليسوف الأرسطى كليروخوس من سولى Clearchus of Sole، الذى كان له اهتمام بدلفى Delphi وبالدين وفلسفة الزهد الهندية(*) Indian gymnosophis والمجوسية الفارسية Persian magi والكهنة اليهود . وإذا كان كليرخوس هو المقصود هنا ، فإنه يكون لدينا أول إشارة إلى أنه قام

(*) عن فلسفة التقشف والزهد الهندية راجع : Lewis & Short.,op.cit.,p.832,:

Liddel & Scott,op.cit.,p.323 art γυμνοσφισταί.

برحلة إلى الشرق الأقصى ، وأنه كان يوجد على امتداد هذه المسافة البعيدة مجتمعات إغريقية مستعدة لسماع محاضراته هناك ،وقاموا ، بتشجيع منه ، بنقش نسخة أصلية من حِكم دلفي Delphi في المزار المقدس لمؤسس المدينة . وكان وضع حِكم دلفي Delphi ، التي كثيرا ما وضعت في الجمنازيوم ،يعد إجراء عاديًا . وتوجد نماذج معروفة من ثيرا Thera (IG,xii 3,1020)، ومدينة ميليتوبوليس في ميسيا Miletopolis in Mysia (SYLL.,1268) . إن قائمة أي خانوم عبارة عن قطع مكسورة (شذرات) ، وقد تبقى منها في الحقيقة الآن خمس حِكم فقط ، لكن وجود القوائم التي يمكن مقارنتها بها في أماكن أخرى مكنت عالم النقوش الفرنسي لويس روبرت Louis Robert من إعادة استكمال المجموعة بأكملها ،ومن المثير للتصور كيف أمكن لنقش فُقدت أغلب أجزائه أن يُرمم بتأكيد فعلي . وهناك خاصية مهمة لنقش أي خانوم ، وهي أنه على الرغم من موقع هذه المدينة النائي فإن الخطوط لم تكن فِجة أو محلية بأي حال ، لكنها كانت على درجة عالية من الجودة ،وتوافرت فيها أفضل خصائص حرفة النقش على الحجر ،وهو أمر كانت جديرة به مملكة باكتريا Bacteria التي خَلفت بعض أجمل العُملات الإغريقية في العصر الهيللينستي(*)

اكتشف هذا النقش عام ١٩٦٦، وعثر على نقش آخر على مقربة منه في

(*) تقول الحكم الخمسة الآتي :

عندما تحافظ على النظام وأنت طفل — As a child ,be ,orderly

عندما تتحكم في نفسك وأنت شاب — be selfcotrolled،As a youth

عندما تكون منصفا وأنت رجل — As an adult ,be just

عندما تكون حكيما وأنت كهل — As an old man ,be good counsel

عندما تموت ، لن يكون هناك ما تأسف عليه. — When dying,be without sor

=يعني اسم أي خانوم"سيدة القمر" في اللغة الأوزبكية Uzbek، وفي معنى آخر" وجه في القمر face in the moon" ؛ لأن الشعب كان يرى وجه سيدة في القمر. راجع: Ai khanum Inscrption ،Google ؛ وعثر في المنطقة نفسها على قطع عملة إغريقية وهندية ، ومجوهرات ، وطبق مشهور منقوش عليه صورة الربة الفريجية سيبيل Cybele ، والإله هليوس Helios ، ومذبح فارسي للنار ، وعدة تماثيل ومنازل وسور للمدينة (المترجمة) .

جمنازيوم آى خانوم يتضمن إهداء مقدم من الأخوين ترييالوس وستراتو ، ابنى ستراتو Ttiballus & Strato ,sons of Strato إلى هرمسيس وهيراكليس Hermes&Heracles " Robert, CRAI(1968),422 الإلهين الراعيين للجمنازيوم . وكشفت الحفائر التالية عن المخطط الكامل للجمنازيوم نفسه ،الذى تصادف وجود مزولة sundial فيه من طراز معروف ،لكن لم يُعثر عليها حتى الآن . كما كان يوجد هناك مسرح يتسع لـ٥٠٠٠ مشاهد ،ويؤرخ بحوالى عام ١٥٠ ،ومركز إدارى كبير للمناسبات الملكية ، عُثر فيه على أوانٍ تم تخزينها ، وكتبت عليها بطاقات باللغة الإغريقية . ومساحة مغطاة بالموزاييك تبلغ ٥,٧ متر مربع ،وفاق كل ذلك شهرة ما يبدو أنه مكتبتها ،حيث كشف عن قطعة أرض ناعمة تخلفت من تفكيك جدار من الآجر ظهرت فيها آثار لجزء من نص ما يزال مقروءاً جزئيا لقطعة بردى دمِّرت الآن ، يبدو أنها صفحة من عمل فلسفى قام بكتابته أحد أعضاء مدرسة أرسطو (التى كان كليرخوس أحد أعضائها) . إن هذه الآثار التى عُثر عليها تؤكد صورة المدينة على أنها على الرغم من عُزلتها فى المرحلة الأخيرة ، فقد ظلت التقاليد الإغريقية مستمرة فيها بقوة حتى تدميرها على يد قبائل رعاة الاستبس فى النصف الثانى من القرن الثانى.

لم تكن آى خانوم المكان الوحيد الذى يقدم أدلة نقشية على الوجود الهيللينستى القوى فى باكتريا ، فقد عُثر من سنوات قليلة سابقة على نقشين بالإغريقية ، الأول له ترجمة باللغة الآرامية ، عُثر عليهما فى كاندهار Kandahar (راجع , Schlumberger,CRAI(1964),126-40) ، وتضم قطعًا مكسورة (شذرات) مدون عليها التعاليم الأخلاقية لأسوكا Asoka ملك الموريان Mauryan ، حفرت بأناقة وبلغة إغريقية ممتازة ،تنم على معرفة صميمة بمفردات الفلسفة الإغريقية ومهارة واضحة فى انتقائها للكلمات لتوافق ترجمة الفكر البوذى إلى الإغريقية . لقد كان الملك أسوكا Asoka مهتما بتوصيل دروسه إلى الذين يعيشون فيما أصبح يكون الآن جزءا من مملكته ؛ لذلك استخدم الآرامية ، وهى اللغة الرسمية للإمبراطورية الفارسية ، والإغريقية بطبيعة الحال . وعُثر حديثا على نقش إغريقى آخر فى كاندهار ،ومن المتوقع العثور على المزيد .

إن ذلك الاستخدام للغة الإغريق ، فى الشكل العالمى المعروف يسمى اللهجة العامية koine ، التى كانت السمة المميزة لكل المنطقة التى غطتها فتوحات الإسكندر ،

والتى لم تُلق بالا إلى المناطق الأخرى . وقد قامت بربط المنطقة بكاملها بثقافة واحدة مُطردة ،ولم يرجع انتشارها إلى السيطرة السياسية وحدها ،ولكن أيضا لحركة الاحتلال الكبرى التى بدأت منذ الإسكندر ، واستمرت تتدفق حتى عام ٢٥٠، ثم أخذت فى الذبول بعد ذلك . وتقدم أى خانوم دليلاً واضحًا على ذلك ؛ لأن دراسة تتبع السُكنى فى منطقة متسعة حول تلك المدينة توضح أنها فى الحقيقة لم تكن خالية من السُكنى فى عهد الملوك الأخمينيين Achaemenid، غير أنها كانت كثيفة السكان فى العصور الهيللينستية .

ثانيا :

تمثلت وسائل الاحتلال فى عهد الإسكندرفى الأعداد الغفيرة من الجنود المرتزقة الذين تركهم خلفه للمحافظة على الأماكن الاستراتيجية . كانت الحياة جافة ، وتفتقر إلى ملذات الحضارة ؛ لذلك انفجرت الثورة (كما رأينا فى ص٥٥).لكن ما تم العثور عليه على نهر أوكسوس Oxus وفى كاندهار ليس الدليل الوحيد على تحسن الأوضاع مع منتصف القرن الثالث وربما قبل ذلك . ونتج عن زيادة أعداد المهاجرين (المحتلين) أنهم أحضروا معهم الحضارة الإغريقية بعمق ، ليس فى باكتريا فقط ،حيث يمكننا تتبع آثارها ، فقد صدر قرار من جمعية فى أنطيوخ - Antioch فى- بيرسيس Persis، يعترف بالصفة العالمية لعيد الربة أرتيميس ليوكوفرينى Artemis Leucophryene فى ماجنيسيا الواقعة على مياندر Magnesia on - the - Maeander التى توضح الرابطة الموجودة بين الشعبين ؛ لأنه عندما كان أنطيوخوس الأول (٢٨١-٢٦٢) مشغولا بتسليح الشعب فى أنطيوخ ، استجاب أهالى مجنيسيا لدعوته بإرسال "عدد كاف من الرجال الذين كانوا جديرين بتأدية الغرض" (OGIS,233,I.18) وظلوا يتذكرون هذه الرابطة لأجيال تالية ، وحضر بعضهم فى مجموعات وآخرون فرادى لتجربة حظهم فى الأراضى الجديدة ، تماما كما حدث فى الهجرة الأوروبية الكبرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وضمت المدن الجديدة فى الشرق خليطًا من الإغريق من شتى الأنحاء ، واحتشدوا من مختلف البيئات والطبقات الاجتماعية ، من المراكز الرئيسية للحضارة ومن المناطق الواقعة على الأطراف .

عندما اختلط هؤلاء الإغريق والمقدونيون فى مواطنهم الجديدة تلاشت فوارق عديدة بينهم ، وأصبحوا يكونون الجنس الجديد المتسيد ، ولم توضع فكرة الإسكندر للمزج بين الإغريق والفرس فى طبقة حاكمة موضع التنفيذ بأى حال ، وفى البداية كون هؤلاء القادمون الجدد الأقلية الحاكمة فى المناطق التى استقروا فيها ، وكانت واحدة من أكبر مشاكل المرحلة تحديد تغيّر العلاقة بين هذه الأقلية والسكان الذين يشاركونهم فى بلادهم وتفسيره . ولم تكن العلاقة عدائية دائما . وقد وصف سترابون Strabo (xi,14,12) كيف استطاع كريسيلوس الفرسالى Cyrsilus of Pharsalus وميديوس اللارسى Medius of Larissa الضابطان فى جيش الإسكندر أن يقتفيا أثر العلاقات الثقافية بين أرمينيا Armenia وميديا Media ومواطنيهما التساليين ، وكان من الواضح أن موقفهما كان كريمًا وودودًا ، وكان هدفهما الذى كانا يتطلعان إلى تحقيقه ليس فهم هؤلاء السكان فى بيئتهم بل أن يثبتوا أنهم كانوا فى الواقع فئة من الإغريق ، وذلك هو بالتحديد (كما سوف نرى (ص ٢٦١ - ٢٦٢) ما حاول أن يقوم به بعض الإغريق ، عندما أصبحوا يواجهون ظاهرة - تحدى - روما . وبين حين وآخر كان يحدث تصادم بين الحضارات المختلفة وخصوصا فى المرحلة الأولى. وهناك إهداء قدمه "ديودوتس بن أخايوس Diodotus son of Achaeus إلى الملك بطلميوس سوتير Ptolemy Soter " (OGIS,19) سُجل بلغتين : الإغريقية والديموطيقية المصرية بالخط الديموطيقى ، وسوف نناقش دليلا آخر فيما بعد (ص١٥٦ - ١٥٧) ، وهو يفترض وجود قدر من التداخل الثقافى ، لكن ذلك لا يفى بالغرض ، ومن المهم عدم المبالغة فى ذلك ، كما أنه ليس بالأمر الآمن استخدام مصدر ، وهو مادة علمية (أو معلومات) ، من إقليم ، ثم نقوم بتعميمها على المناطق الأخرى . ومن الجدير بالملاحظة أن نقش أنطيوخ الذى يقع فى بيرسيس Antioch-in-Persis يذكر إرسال الرجال من ماجنيسيا Magnesia، وليس النساء ، وأغلب الظن لأنهم من المفترض كانوا سيجدون نساء من الإغريق عند وصولهم ، والاحتمال الأكثر من البرابرة ، وكانت أى خانوم تضم بكل تأكيد عددا كبيرا من غير الإغريق ، ومن المحتمل أن عددهم كان يتزايد بمرور الوقت ، بيْد أن الوضع الذى أدى إلى إقامة كليرخوس حِكم دلفى Delphi يتضح بجلاء فى أنه لم يكن يسمح فى أوائل القرن الثالث لأهالى باكتريا بالدخول إلى الجمنازيوم بأى حال ، وعند مواجهتهم بأعداد كبيرة من غير الإغريق من حولهم ، تمثل رد الفعل

المتوقع من قبل الإغريق والمقدونيين فى إغلاق طبقتهم - عليهم - على الطابع الإغريقى لمؤسسات الحكومة والدين والتعليم ،باختصار أن يؤكدوا إغريقيتهم .

ثالثا :

عبرت الإغريقية عن نفسها فى البداية من خلال الجمنازيوم ، كما كانت هناك مؤسسات أخرى لتغطية الاحتياجات الشخصية والاجتماعية لمواطنى المدن الهيللينستية الجديدة والقديمة على نحو سواء . وكان ذلك مُهما فى المدن الجديدة بخليطها السكانى مع غياب التقاليد فيها ، وكانت جزءًا متممًا أيضا للحياة فى المدن القديمة . وعُرفت هذه المؤسسات باسم رابطة eranoi ، أو نقابة thiasoi(*) . كما عرفت كذلك بأسماء أخرى خاصة ، مثل بوسيدونياستا Poseidoniasta، التى ربطتها بعبادة معبود معين ، اتخذته راعيًا لهذه المؤسسة ، ويظهرالارتباط القوى بهذه المؤسسات من هبات أعضائها من خلال دليل النقوش ،ولدينا هنا نقش من رودوس من القرن الثانى يذكر فيه الآتى:

" فى فترة كهانة ثيوفانيس Theophanes ، كان رئيس النقابة eranistes مينيكراتيس بن سيبراتاس Menecrates son of Cibyratas ، وفى اليوم السادس والعشرين(٢٦) من - شهر ؟ - هياكنثيوس Hyacinthius ، وعد الأعضاء eranistai التالون بتقديم هبة لإعادة بناء الجدار والنُّصب التذكارية التى سقطت بسبب الزلزال : [وتعهد] مينيكراتيس بن سيبراتاس ببناء الجدار والنُّصب التذكارية على نفقته الخاصة ، ووعد بأن المبالغ الأخرى التى يقدمها [الآخرون] سوف توضع تحت تصرف الجمعية ...[ديون] يدوس [Dion] ydus عشرة .... انقطع النقش هنا) (SYLL.,1116) .

كانت هذه "الجُدر" خاصة بدار النادى ، والنصُب التذكارية هى مقابرالأعضاء السابقين ،وكثيرا ما جَمعت مثل تلك الجمعيات أعمال مجتمع يتسم بالصداقة ، وناديًا

(*) eranoí (έρανοι) رابطة: thiasoi (θίασο) نقابة (المترجمة) .

لتناول الطعام ونادى دفن الموتى . ولعبت تلك الجمعيات والنوادى دورا هاما فى الحياة الخاصة فى مدينة مثل رودوس،وكانت المراكز الجديدة فى الشرق الأقصى ، بمثابة وسائل تعبر عن ولاءات جديدة للثقافة الإغريقية ، فى عالم كان يبدو مملا وغريبًا فى البداية . وبالإضافة إلى ذلك لم يكن هناك شىء وأكثر خصوصية وتفردًا من الجمنازيوم بأى حال. وعلى الرغم من أن تشكيلهم وإجراءاتهم كثيرا ما بدت أنها تقليد لمن يوجدون فى المدينة ، فإنهم كانوا أحرارا فى عضويتهم ،وكثيرا ما ضمت تلك المؤسسات كلا من الإغريق والبرابرة ، من الرجال الأحرار والعبيد ، رجالا ونساء . لقد قدموا فرصة للاختلاط الذى كان أقل يسرا - من ذلك - فى إطار العمل فى مؤسسات المدينة .

كون الإغريق والمقدونيون الطبقة الحاكمة فى الحياة العامة . وكونا دائرة مغلقة بالنسبة للمواطنين الذين وجدوا منفذا إليها بالتدريج بعد ذلك وبأعداد ضئيلة جدا ، بأسلوب صعب ، عادة بتحويل أنفسهم ثقافيا إلى ثقافة الإغريق . إن خلق هذه الطبقة الحاكمة كان نتيجة للقرارات التى اتخذتها الجيوش وقادة الإسكندر، الذين عارضوا بعد موته بطريقة ماكرة سياسه صهر الأجناس ،وسرعان ما قاموا بطرد جميع الميديين والفرس من مراكز السلطة ،ولم يغير نشأة الملكيات من هذا الاتجاه . وإذا قمنا بعملية إحصاء سنجد أنه حتى فى مملكة السلوقيين التى واجهت مشاكل ضخمة للصراع الثقافى - سنجد أنه بعد جيلين لم يكن هناك نسبة أكثر من ٢,٥ ٪ من الوطنيين فى مراكز السلطة (من نماذج لعدة مئات من الأسماء) ، وكان غالبية -أفراد - نسبة ٢,٥ ٪ من الضباط الذين يتولون الوحدات المحلية (راجع ص ١٤٥ - ١٤٦) ، ولم يكن ذلك راجعا إلى عدم الكفاءة ،أو إلى الامتناع عن الخدمة فى المناطق الشرقية ، كما رأى البعض ،ولكنه كان بسبب حرص الإغريق والمقدونيين البالغ على الاستحواذ وحدهم على غنائم الانتصار فى الحرب .

لذلك فإننا عندما نتكلم عن وحدة الثقافة الهيللينستية وتجانسها ، فنحن نتحدث عن تلك الخاصة بطبقة الإغريق والمقدونيين ،التى كانت تمثل الأقلية التى تتكون فى كل دولة من رجال من مختلف أرجاء العالم الإغريقى ،ينحدرون من أصول اجتماعية مختلفة ، كان من الممكن تناسيها فى البيئة الجديدة ،وكان هؤلاء المهاجرون ، مثل

الأمريكيين اليوم ، يحتفظون فى ذاكرتهم من أين جاءوا هم أو آباؤهم ، لكن تلك الأصول كانت لا تعنى كثيرا ، بالمقارنة بحقيقة أوطانهم الجديدة ووضعهم الجديد ، وكان الخلاف الطفيف القائم بين مدينة ومدينة أخرى ، وبين طبقة وطبقة أخرى ، مقيداً بقيد حديدى فى خضم تضامنهم كأقلية إغريقية فى ذلك الوسط الجديد وبرزت أهميتهم من حقيقة اعتماد ملوك العصر الهيللينستى على تلك الأقلية الإغريقية المقدونية لمدهم برجال الإدارة من مستويات رفيعة . وسوف يكون الدور الذى لعبوه فى مصر البطلمية وآسيا السلوقية موضع اهتمامنا عندما نتناول تلك الدول بتفصيلات أكثر . ولكن من المناسب أن نُلقى نظرة سريعة على تلك الملامح وعلى مؤسسات العالم الهيللينستى التى جمعت الإغريق جميعا فى المحيط المصرى المختلف ، وعبر مناطق شاسعة من آسيا ،وجعلت من المستحيل التميز فيما بينهم أكثر وأكثر بمرور الوقت .

رابعاً :

ربما يجب فى البداية أن نلاحظ جانبين :الأول أن المشاكل الخاصة التى تمثلها الأقلية الإغريقية فى المحيط المختلف لم تنشأ فى القارة بين الإغريق والمقدونيين ، ولا فى مدن البحر الإيجى أو (أكثر مما كانت عليه دائما) فى مدن آسيا الصغرى. وقد خدمت هذه المناطق بصفة مستمرة كخزان للثقافة الإغريقية ، إلى جانب أنها تمثل القوة البشرية (ما دامت موجة الهجرة مستمرة) . وكان الإغريق الذين يعيشون فى الممالك ما يزالون على اتصال مع عالم المدينة الدولة ، الذى هيأ الأساس للحضارة الإغريقية بكاملها . والثانى ، أنه على الرغم من أن انتصارات الإسكندر نتج عنها امتداد واسع للحضارة الهلينية على وسط آسيا ،فإنه لم يكد يأتى عام ٣٠٣ إلا كان سيليوقوس قد تخلى عن كاندهارا **Gandhara** ، و أرقوسيا الشرقية **Arachosia** وجيردوسيا **Gerdosia** لشاندراجوبتا **Chandragupta** (راجع أعلاه ص ٦٦) ، واستقلت باكتريا بالتبعية عن سيليوقوس . وهنا ، على الرغم من تواصل الثقافة الإغريقية فى الولايات الشرقية التى أعادت إحياء ذاتها فى الهند فى القرن الثانى ، فقد غدت إمبراطورية سيلوقوس قاعدة بحر أوسطية من الناحية السياسية نسبيا ،وبدأت مدينة أنطيوخ تأخذ أولوية مكان سيلوقية الواقعة على دجلة **Seluceia -on-the-Tigris** .

أما إغريق باكتريا وفرعهم الذين شيدوا مملكة فى الهند فقد ازداد انقطاع صلتهم بتيار الحياة الهيللينستية الرئيسى بعد سقوط الإمبراطورية الموريانية Mauryan ، وخاصة بعد ارتفاع شأن الفرس فى أواخر القرن الثانى . ويبدو على الأرجح فى ضوء هذه الظروف ،وكرد على التهديدات من قبل الماروديين من مناطق الاستبس Marauders of the steppes ظهور تعاون وثيق بين الإغريق والوطنيين أكثر من أى مكان آخر ،وفى حوالى القرن الثانى كانت المراكز الضخمة للثقافة الإغريقية ما زالت قائمة هناك ،وكانت قريبة الشبه بمراكز البحر المتوسط فى برجامونPergamum والإسكندرية وأثينا وأنطيوخ Antioch ؛ لأن البحر المتوسط كان هو نفسه بمثابة عامل وحدة للثقافة الهيللينستية ، لتيسيره الحركة والمواصلات الداخلية.

كان تيسير الانتقال بين مختلف أنحاء العالم الهيللينستى سببا ونتيجة للحضارة المشتركة التى أصبح الإغريق يتقاسمونها الآن ؛ وأبعد مما كان فى الماضى ؛ فقد أصبح المرتحلون من جميع الأجناس فى حركة بصفة دائمة ،وربما كان الجنود المرتزقة هم المجموعة الأكثر وضوحا فى هذا الصدد ، وكونوا جزءا له قدْره فى كل جيش هيللينستى ، وكما ذكر لاونى Launey (Récherches sur les armées hellénistiques ,pp.111-271) فقد كان واضحا أنهم قدموا من مختلف أنحاء بلاد الإغريق ،ومن مقدونيا وشبه جزيرة البلقان بصفة عامة ، ومن آسيا الصغرى وآسيا الوسطى والهند ومن شمال إفريقيا ومن إيطاليا والغرب . وربما كان الكريتيون أكثر الإغريق شهرة . وقصَّ سترابون من تقرير لسجل حياة جده الأكبر ، الذى وصفه كخبير عسكرى كيف أنه :

"بسبب خبرته فى الأمور العسكرية ، تم تعيينه (من قبل مثريداتيس يورجيتيس Mithridates Eurgetes ملك بونتوس Pontus) للقيام بتجنيد الجنود المرتزقة ، وكثيرا ما قام ليس فقط بزيارة بلاد الإغريق وتراقيا ،ولكن أيضا جنود كريت المرتزقة ،وذلك قبل أن يستولى الرومان على الجزيرة ، التى كانت تُجْمَع منها أيضا عصابات القراصنة بأعداد كبيرة (Strabo ,x,4,10) .

ومن الجدير بالذِّكر أن العمل فى القرصنة والخدمة كجندى مرتزق كان وسيلة لاكتساب الرزق ؛ وسوف نقوم ببحث الظروف التى شجعت عليهما بعد ذلك (ص١٨٩) . لكن اهتمامنا ينصبّ فى الوقت الحالى على تأثيرات خدمة الجنود المرتزقة ، التى كانت

السبب فى وجود عدد ضخم أكبر أو أقل من أفراد بدون أصول ، ودائمى التحرك حيثما تقتضى الحرب استدعاءهم طلبا للمساعدة . وكانوا يستقرون أحيانا إذا وجدوا المدينة التى ترغب فى سد النقص فى أعدادها برجال من الذين يجب أن يعرفهم مواطنوها . ويوجد نقش يبدو أنه يرجع لعام ٢١٩ من ديمى Dyme فى غرب آخيا Achaea يقدم قائمة تضم ٥٢ اسماً يقول التالى:

"حصل التالية أسماؤهم على– حق – المواطنة من المدينة لاشتراكهم فى الحرب معها ، ومساعدتهم فى إنقاذ المدينة ، وتم اختيار كل رجل منهم شخصيا". (SYLL.,529) .

وكانت ديمى تقع فى مكان مكشوف بالقرب من حدود إيليس Elis ، ويبدو أن الحرب كانت ضد أيتوليا Aetolia (عام ٢٢٠ – ٢١٧) ، ومن المحتمل أن هذه الأسماء كانت لجنود مرتزقة ، يكونون جزءاً من حامية مقدونية ؛ لأن اسم دراكاس Drakas – المذكور فيها – اسم مقدونيًا . وهناك نموذج آخر للتسجيل فى سجلات المواطنين يمكن أن يكون مشابها لذلك جاء بعد سنتين من لاريسا Larissa فى تساليا (Thessalia Syll.,543) التى من المحتمل أن يكون فيليب الرابع قد قام بتحريضها بسبب تحالفه الوثيق مع آخيا فى ذلك الوقت ، وهذا يوضح الإمكانيات الضخمة التى أصبحت متاحة الآن للاستيطان ليس فقط فى الأماكن الجديدة – بل أيضًا فى بلاد اليونان . وكما سنرى فقد أصبحت المواطنة الآن أكثر مرونة . وكان وضع الجنود المرتزقة من أكثر الأمور الجديرة بالملاحظة ، لكنهم لم يكونوا – بأى حال – وحدهم المرتحلين الوحيدين فقط . وفى ربيع عام ١٦٩ عندما كان أنطيوخوس الرابع من سوريا يقوم بغزو مصر، قررت السلطات فى الإسكندرية ما يلى :

"إرسال المبعوث الاغريقى الذى كان موجودا فى ذلك الحين فى الإسكندرية إلى أنطيوخوس لإجراء مباحثات سلام ، وكان موجودا فيها – الإسكندرية – بعثتان من قبل الآخيين ، ضمت واحدة منها آلكيثوس من أيجينا ، وهو ابن إكسينيفون Alcithus ، son of Xenophon ، of Aegium وباسياداس Pasiadas الذى قَدِم لتجديد علاقات الصداقة ، والبعثة الثانية بخصوص الألعاب التى ستقام لتكريم أنتيجونوس دوسون Antigonus Doson ، وكان يوجد هناك أيضا سفارة من أثينا يرأسها ديماراتوس Demaratus بخصوص هدية (على سبيل المثال لتقديم هدية أو لشكر بطلميوس على

منحه) ، وكان يوجد بعثتان مقدستان ، واحدة يرأسها كالياس Callias المصارع الفذ (منافس الجميع بلا منازع) بخصوص موضوع الألعاب الأثينية الجامعة Panathenaean games ، والثانية كان يديرها ويتحدث باسمها كليوستراتوس Cleostratus بخصوص الأسرار . وجاء يودايمون Eudaemon وهكسيوس Hicesius من ميليتوس Miletus وأبولونيديس Apollonides وابولونيوس Apollonius من كلازوميناى "Clazomenae (Polybius,xxviii,19,2-5) .

هكذا علمنا ، بالمصادفة البحتة ، أنه كان يوجد هناك فى هذه اللحظة النادرة سبع سفارات منفصلة ، أو الوفود المقدّسة – كما كانت تسمى – فى الإسكندرية ، وإذا ضاعفنا هذا الرقْم للحصول على تقرير عن كل الدول الإغريقية والمراكز الرئيسية لبلاد الإغريق والعالم الهيللينستى بصفة عامة ، فإنه يمكننا أن يكون لدينا بعض التصور عن هو مضمون هذا التبادل الدبلوماسى المستمر الذى كان قائما بلا هوادة ، قبل وصول الرومان إلى المسرح وبعده ، وعلى أى حال فمنذ أوائل القرن الثانى وما تلاه بدأت تتزايد البَعثات الكبيرة المتجهة إلى روما أو إلى القادة الرومان فى ميدان القتال.

كانت بعثتان من البعثات التى ذكر بوليبيوس وجودها فى الإسكندرية عام ١٦٩ خاصتين بالاحتفالات ، وكان من بينها التى تعمل فى مجال العروض المسرحية ، وكانت تضم ممثلين محترفين ، يسمون "فنانو ديونيسوس "artistes(technitai) of Dionysus ، كانوا يتحركون دوريا بصفة منتظمة . وهؤلاء الفنانون كانوا منتظمين فى نقابات مركزها فى أثينا ، وفى إثموس Isthmusوفى كورنثة ، وفى تيؤس Teos،وهى مدينة ظلت لفترة طويلة تحت سيطرة أسرة أتالوس Attalid dynasty فى برجامون Pergamum، وكانت تقوم بالعمل فى مجال الإمداد بالمتطلبات الخاصة لإقامة الاحتفالات ، وكانت نقابة تيؤس عبارة عن هيئة دينية من الناحية الرسمية ، كما يذكر النقش التالى :

" كراتون (الحاصل على قرار بالتكريم أصدرته النقابة) قام بأداء كل شىء يؤهله للحصول على التكريم والتوقير من ديونيسوس وربات الفنون Muses والعرافة بيثيا للإله أبولون Pythian Apollo ، ومن الآلهة الأخرى والملوك والملكات وإخوة الملك يومينيس Eumenes (Durrbach,Choix,75,ll.1113=Austin,123).

كانت سلطة النقابة ونفوذها تبدو كما لو أنها تمثل دولة مستقلة داخل مدينة صغيرة مثل تيؤس Teos، وبعد تاريخ عاصف من المنازعات ، على الرغم من محاولة الملك يومينيس الثانى التدخل فيها التى سُجلت بكاملها، على نقش أقيم فى برجامون لم يتبق منه غير شذرات (Welles,R.C.,no53) ، أرغم الفنانون على الفرار إلى إفيسوس Ephesus ، وبعد ذلك طردهم الملك أتالوس الثالث إلى ميؤنيسوس Myonnesus، وكانت لهم سمعة سيئة ،ولقد سُجل فى أحد الواجبات المدرسية المسألة التالية: "لماذا يشتهر فنانو technitai ديونيسوس على وجه الخصوص بأنهم أوغاد ؟ (Aristotle,Problems,956b.11) . إن المسرح يقود العاملين فيه إلى حياة غير نمطية ؛ ولذا كان من الطبيعى أن ينظر المواطنون المستقرون إليهم نظرة شك ؛ لأنهم (أى المواطنين) كانوا يركِّزون أنظارهم عليهم فى أثناء الاحتفالات ، وهم فى الحقيقة يتنقلون من احتفال إلى آخر ،إلى دلفى Delphi فى احتفالات بيثيا Pythia وسوتيريا Soteria، وإلى احتفالات ربات الفنون Musaeia فى ثيسبياى Thespiae، والاحتفالات الهيركلية Heracleia فى طيبة Thebes، واحتفالات ديونيسوس Dionysus فى تيؤس Teos ، واحتفال أرتيميس ليوكوفيرينى Leucophryene Artemis فى مجنيسيا Magnesia ، وكانوا مثل المدن يرسلون وفودا مقدسة (theoroi) إلى ساموطراقيا Samothrace لكشف الأسرار الغامضة، كما كانوا يقيمون احتفالاتهم الخاصة ، وأيا ما كانت أخلاقياتهم ، فمن الواضح أنهم كانوا رافدا للتبادل الثقافى بين مدينة ومدينة أخرى.

نحن نقوم – وحتى الآن – بالنظر أساسا فى موضوع الجماعات المنظمة ، لكن إلى جانب ذلك كان يوجد أيضا عدد كبير من الأفراد الذين يرتحلون فى ركاب تجارتهم أو حرفهم ، وسوف نتناول التجار وأهميتهم بمزيد من التفصيل فى الفصلين التاسع والحادى عشر، وكان الفلاسفة من بين المسافرين أيضا ، مثل كليرخوس من سولى Clearchus of Sole، الذى سبق أن رأينا اسمه مُسجّلا على ضفاف نهر أوكسوس Oxus (ص ٧٣ – ٧٤) ، والأطباء ، الذين تدرب عدد منهم فى مدارس قوس Cos مع مُعلم الطب الكبير هيبوكراتيس Hippocrates وفى معبدها الشهير الخاص باسكليبيوس Asclepius ، الذى كان يستجيب لطلبات المساعدة لعدد من الدول الصديقة الأخرى . وقد عُثر على نقش فى معبد إسكلبيوس Asclepius فى قوس

يؤرخ بأواخر القرن الثالث سُجل فيه الشكر الذى أرسله شعب كنوسوس Cnossus فى كريت لإعارتهم طبيباً لمدينة جورتين Gortyn . وذلك يقدم صورة لها أهميتها للأوضاع فى جزيرة مضطربة ؛ لأن جورتين كانت قد وقعت فى ذلك الوقت - نتيجة للنزاع الأهلى (Polybius,iv,54,6-7) - تحت سيطرة منافستها القديمة مدينة كنوسوس:Cnossus

"يُحيِّى حكام مدينة كنوسوس وأهلوها مجلس كوس Cos وشعبها ؛ لأنه عندما قام شعب جورتين Gortyn بإرسال سفارة لكم لطلب طبيب ، أبديتم كرمكم فى الاستجابة السريعة بإرسال الطبيب هرمياس Hermias لهم ، فى أثناء اشتعال النزاع الأهلى فى جورتين ،وها نحن أولاء حضرنا بالتالى مع حلفائنا للمشاركة فى المعركة الجارية بين الجورتيين فى المدينة ، التى نتج عنها جرح بعض من مواطنينا وآخرين من الذين وقفوا إلى جانبنا فى المعركة ،وكان عدد كبير منهم يعانون من شدة المرض نتيجة لجروحهم ؛ ولذلك قام هيرمياس ،وهو رجل له مكانة كبيرة - قام - ببذل كل ما فى وسعه لنا ،وأنقذ عددا كبيرا منهم من الخطر، وواصل بالتالى دون تردد الاستجابة لاحتياجات الذين استدعوه ،وعندما دارت المعركة بالقرب من فايستوس Phaestus وعانى عدد كبير من أثر الجراح، وآخرون كانت حالتهم حرجة - قام ببذل قصارى جهده فى العناية بهم وإنقاذهم من الخطر ، وأبدى بالتالى اهتمامه لأولئك الذين استدعوه". (SYLL.,528=Austun,128) .

انقطع هنا التقرير المتكرِّر بعض الشىء ، ويمكن استكمال وصف متن المعركة مما سجله بوليبيوس عن الحرب Polybius,iv,54-5 . وهناك نموذج آخر عن قيام مدينة بتكريم طبيب ، وهى المنحة التى قدمتها - مدينة - إليوم Illium (طروادة) إلى ميترودوروس من أمفيبوليس Metrodorus of Amphipolis المذكور أدناه(ص ١٧٣/١٧٤) ، وكانت تغطية احتياجات الطبيب مسئولية عامة فى مدن عديدة ، وفى ساموس Samos - على سبيل المثال - كان مجلس المدينة يقوم بتعيينه ،و فى مدن عديدة أخرى فُرضت "ضريبة طبية " iatrikon لدفع مرتبات الأطباء (SYLL.,437).

خامسا:

تمثل الدور الأساسي للجمنازيوم فى المجتمعات الإغريقية فى الشغف بالرياضة والرياضيين فى كل العصور ، لكونهم يتجولون حول العالم الإغريقى ويحققون الشهرة لمدنهم ولأنفسهم عند حصولهم على الجوائز فى المباريات الدولية ،ونستمد مثالا على ذلك من نقش يرجع إلى أواخر القرن الثانى عُثر عليه فى كيدراى Cedreae ، وهى مدينة صغيرة تقع أسفل ما يسمى الآن شَهير أضا Sehir Ada(*) فى خليج سيرامك Ceramic Gulf فى جنوب غربى تركيا ، وكانت تابعة فى ذلك الوقت لجزيرة رودوس:

"يحيى اتحاد (أو نقابة) شعب خيرسونيس Chersonese أوناسيتاليس بن أونيسيستراتوس Onasiteles son of Onesistratus، الفائز فى سباق المسافات ثلاث مرات على مستوى الصبية فى إثميا Isthmia ، والذين بدون لحى فى نيميا Nemea وفى احتفالات أيسكليبيوس فى قوس ، وعلى مستوى الرجال فى دوريايا Dorieia فى كنيدوس Cnidus ،وفى ديوسكوريا Dioscureia فى هيراقليا Heracleia ، وعلى مستوى الصبية والشبيبة فى تلابوليا Tlapolemeia،والفائز فى سباق المسافات الطويلة وسباق المسافات الطويلة على مستوى الصبية الثانى فى دوريايا Dorieia فى كنيدوس Cnidus،وفى سباق المسافات الطويلة ، وسباق السلاح فى هيركليا Heracleia ، وفى السباق الطويل على مستوى الرجال مرتين ،وفى سباق الشعلة (من نقطة البداية) (؟) على مستوى الرجال فى هاليايا Halieia الكبرى ومرتين فى مسابقات هاليايا الصغرى Halieia ، ومرتين فى ديوسكوريا Dioscureia ، ومرتين فى بوسيدانيا Poseidania ،وفى المسافات الطويلة ، وفى سباق بالسلاح فى مستوى الرجال" . (SYLL.1067) .

كان من الممكن إعادة نسخ هذا السجل مرات ومرات للفائزين فى المسابقات الرياضية ، خصوصا فى الاحتفالات التى قُضى بأنها "مساوية للألعاب الأولمبية" (isolympia)، والتى تُعد شرفًا كبيرًا للمكانة التى حققوها لمدنهم .

(*) شَهيرأضا" تعنى باللغة تركية "مدينة الجزيرة" ، وقد أفادتنى بمعنى الاسم الزميلة الدكتورة فايزة إسماعيل أكبر ، أستاذ التاريخ الإسلامى المشارك بجامعة الملك عبد العزيز ، فلها منى الشكر (المترجمة) .

ومن بين المهن التى قادت الرجال إلى مدن عديدة ، وربما إلى القصور الملكية التى كان الأمل فى العمل فيها أعظم شأنا ، المهندسون والمعماريون والمدرسون من كل المستويات . وكان يمكن أيضا للموسيقيين والشعراء (والشاعرات) التجول من مكان إلى آخر ، حيثما كانوا يتوقعون وجود راع فيه يقوم باختيار أشعار لهم تناسب مكان أدائها. لذلك جَد السفير تيان Tean فى السعى لكى يقبل مينيكليس Menecles طلب مدينته فى كريت التى أثنت عليه فى كنوسوس لتقديم بعض العروض على القيثارة cithara (آلة وترية) خلال إقامته هناك ،وأداء أغانى تيموثيوس Timotheus وبوليدس Polyidus،وشعراء آخرين قدامى "بطريقة تناسب الرجل المتعلم" ، وبالإضافة إلى ذلك قَدم فى بريانسوس" Priansus دائرة كريت "Cretan cycle عن آلهة الجزيرة وأبطالها ، جُمعت من عدة شعراء ومؤرخين ؛ لذلك منحه البريانوسويون جائزة خاصة لاهتمامه بالثقافة (SGDL5186-7) . ومما لا شك فيه أن مينيكليس خدم مدينته خدمة جليلة.

جاء من لاميا Lamia ، وهى مدينة فى الحلف الأيتولى ، نقش من عام ٧/٢١٨ يحيى ذكرى مغامرة ناجحة :

"الحظ السعيد .قرر شعب لاميا ؛ حيث إن أريستوداما ابنة امينتاس Aristodama daughter of Amynas من سميرنا Smyrna فى أيونيا Ionia شاعرة الشعر الحماسى ، قد جاءت إلى المدينة ،وقامت بإلقاء العديد من أشعارها التى خصصتها لذكر الأمة الأيتولية وآباء شعب (لاميا) ،وأبدت حماستها فى أدائها ؛ لذلك (تقرر أن) تعد سفيرة proxenos المدينة ،وصاحبة فضل ، ومن أجل ذلك مُنحت حقوق المواطنة ، وهى حق الحصول على الأرض والممتلكات ،وحقوق الرعى ،والاستثناء من أخْذ الثأر (Asylia) ، والأمان فى البر والبحر فى حالة السلم وحالة الحرب لها ولأولادها ولأملاكها على طول المدى ، مع جميع المنح التى تمنح للسفراء proxenos وذوى الفضل ، وسوف يكون لأخيها و......نيوس وأبنائه هناك حقوق السفراء proxenia، والمواطنة والاستثناء من أخذ الثأر Asylia"(SYLL.,532) .

كان السفير proxenos فى الأصل هو ممثل دولة أجنبية لدى مدينة أخرى ، ويشبه إلى حد ما القنصل فى العصر الحديث ، لكن أصبح منح لقب سفير proxenia

فى العصر الهيللينستى تشريفًا اسميًا فى أغلب الأحيان ، على الرغم من أنه يمكن أن يكون له فائدته العملية فى إتاحته الفرصة كمدخل إلى محاكم فى المدينة المانحة ، وسوف نقوم ببحث موضوع هذا النظام والاستثناء من الأخذ بالثأر Asylia بتفصيل أكبر فى الفصل الثامن ،و...نيوس (الاسم غير مقروء جزئيا) كثيرا ما صاحب أريستوداما Aristodama فى رحلتها ؛ لأن المرأة المحترمة لم تكن تتجول بمفردها . إن غياب أى إشارة إلى زوجها يوحى بأن منح التكريم لأولادها كان هو الصيغة المعتادة ، والتى تشير إلى أى طفل يمكن أن تنجبه لاحقا .

وأخيرا لكى تكتمل صورة عالم الرّحالة ينبغى التفكير فى أمر استضافة آخرين ، بينهم القضاة والمحكمون (راجع ص ١٤٥) والحُجّاج فى طريقهم لاستشارة النبوءات ، متنقلين بين مدن الإغريق القديمة والمراكز الجديدة داخل الممالك ، حاملين معهم أخبارا ، والقيل والقال gossip وأفكارًا جديدة ،وكانوا أينما ذهبوا يجدون رجالا على شاكلتهم ، يتحدثون نفس اللغة الإغريقية ، ويعيشون تحت نظم مشابهة لقانون مدنهم الخاص التى خططت على نفس الطراز الشبكى الشهير ،وتضم معابد كرّست لنفس الآلهة الإغريقية . وبالتحديد فخلال العالم الهيللنيستى كان للحياة نوع من الوحدة استمد من وجود الدول الملكية الجديدة التى أعقبت مملكة الإسكندر العالمية .

سادسا:

كانت الملكية فى بلاد الإغريق قديمة ،مع استثناءات قليلة مثل اسبرطة بنظامها العتيق ذى الملكين ،وكانت شيئا ينتمى إلى الماضى البعيد ، كما وجدت معاصرة فقط فى مناطق على حافة هيلاس Hellas(*)، مثل قبرص وإبيروس Epirus ومقدونيا Macedonia ، أو وجدت واضحة فى أراضى البرابرة ، مثل إليريا Illyria، وداردانيا Dardania ، وتراقيا Thrace، وكان الملك المتبربر المناظر لذلك par excellence بالتالى هو بطبيعة الحال ملك فارس . إن سيرة حياة فيليب الثانى أعادت نظام الملكية

(*) يطلق اسم هيلاس على بلاد الإغريق فى العصور القديمة (المترجمة) .

مرة أخرى إلى قلب العالم الإغريقى . ولم يكن فيليب حاكمًا مطلقًا ؛لقد كان هو الملك الوطنى للمقدونيين ، الذين كانوا يمتلكون ويمارسون فى الواقع سلطات تقليدية معينة ، على الرغم من كونها محدودة ، كان من بينها تعيينهم الملك نفسه عن طريق الهتاف والعمل كقاض فى قضايا الخيانة العظمى . ولم يكن لهذه الحقوق أهمية كبيرة من الناحية العملية ،وفى الواقع كان وجودها أصلا محل تساؤل من قبل بعض المتخصصين ،وسوف نقوم بالتحقيق فى الدليل - الخاص- بهذه الحقوق فى الفصل التالى ، ومن المؤكد أنه نظرا لظروف حملة الإسكندرفقد كانت حقوقا ليس من السهل ممارستها ،وكانت سلطات الإسكندر نفسه فى نمو متزايد ،واحتفظت إمبراطوريته المتعددة الأجناس بالملكية المقدونية برباط واهٍ فقط . وبعد موته اتجه خلفاؤه فى البداية إلى استشارة جيوشهم ، أو إلى تلك العناصر التى كانت تنتمى إليهم ومتاحة لهم ،كنوع من العلاقات العامة من ناحية ،ومن ناحية أخرى لأن تجربة الإسكندر الشخصية أوضحت أنه كان عليك أن تعتمد على قواتك لكى تقوم بإنجاز العمل ، وعندما بدأ تأسيس الممالك (ومن المحتمل حتى قبل أن يبدأ خلفاؤه بحمل اللقب الملكى) كانت هناك فجوة فى الإدارة يجب أن تُملأ، وكانت فكرة الاستعانة باستخدام الفرس مرفوضة ،ولم يكن خلفاء الإسكندر ، مثله يمكن أن يدعوا اعتمادهم على إخلاص النبلاء المقدونيين - الذين ينتمون هم أنفسهم فى الواقع إليهم . لقد كان حكمهم شخصيا ، ولم يكن قوميا بأى حال (باستثناء مقدونيا) ؛ لذلك نجح حكم البطالمة والسلوقيين فى لعب دور الفراعنة وملوك فارس وبابل على التوالى ،ولم يكن لذلك علاقة بالإغريق الذين ينتمون إليهم ،وكان لهذا المعيار المزدوج أهمية فى تطور كلتا المملكتين ، كما أن وجودهما (أى المملكتين) بين سكان وطنيين مختلفين كان السبب فى اختلاف وضع البطالمة عن وضع السلوقيين فى أنطيوخ أو أتالوس فى برجامون ، وعلى أى حال فمن الأفضل أن نرجئ الحديث عن ذلك الاختلاف إلى حين دراسة مملكتيهما بتفصيل أشمل . إن الذى يعنينا هنا هو أوجه التشابه والمظاهر المشتركة للملكية الهيللينستية : تكوينها ونسيجها الذى طورته والذى يمكن تمييزه ، ليس فى الممالك الكبيرة فقط ، ولكن أيضا فى دويلات الأناضول ، مثل كبادوكيا Cappadocia ، وبيثينيا Bithynia وبونتوس Pontus ، بل أيضا سيراكيوز Syracuse التى تقع بعيداً عنها فى الغرب ، حيث كان يحكم هيرون الثانى Heron II مملكة تتكون فى الواقع من الإغريق

فقط ،والذى أصبح يمثل بعد صعوده إلى السلطة نموذجا للطاغية الإغريقى إلى حد بعيد ، والذى يظهر فيها خصائص عديدة من الملكيات الهيللينستية.

من الممكن ألا نلقى بالا إلى مظاهر الملكية السطحية المتمثلة فى ارتداء التاج والطقوس التى كانت غائبة تماما خلال القرن الثالث تقريبا ،والتى أخذت تنمو بالتدريج وبوضوح خلال القرن الثانى ،لكن هناك عامل أكثر أهمية من ذلك ويُعدُّ إلى حد ما أحد الخصائص الفريدة للملكية الهيللينستية ، ويتمثل فى طبيعة تكوين مجموعة مساعدى الملك "أصدقاؤه "his friends،وكان الملوك الهيللينستيون ملوكا بحق الفتح(الانتصار) أو الوراثة ؛ وفى وقت ما على الأقل لم يكن هناك وجود لشىء من الشرعية ،كما لم يكن هناك ، كما رأينا ، أى مجموعة يُمكن للملوك بمقتضى مركزهم اللجوء إليهم لتقديم العون ؛ لذلك قاموا باختيار أصدقائهم بصفة شخصية من أى مكان ، ما داموا قد شعروا بأنهم يصلحون لذلك ، مع اعتبار طفيف للطبقة التى ينتمون إليها ،ومولدهم وثروتهم أو مكانتهم . وضم مجلس الملك ، الذى كان يعمل بصفة مستمرة ،على الرغم من أنه لم يكن مجلسا رسميا – ضم قادة الجيش والعاملين فى مناصب الدولة والسفراء ،وكانوا جميعا من أهل الثقة الذين اختارهم الملك ، كأصدقاء له من الذين جاءوا من مختلف أنحاء العالم الإغريقى ، يدفعهم الأمل فى تحقيق الثروة والنجاح والتقدم وممارسة السلطة وطرح الملوك أمامهم شبكة عريضة من الآمال ، ووجدنا عددا كبيرا من اللاجئين من بين أصدقائهم ، كانت لديهم الكفاءات التى كانوا فى حاجة إليها ،وكان الاحتمال كبيرا فى أن يظلوا على ولائهم . كما كان يوجد أيضا فنانون وكتاب وفلاسفة وأطباء ومثقفون فى القصور الملكية الهيللينستية كمستشارين وسفراء وقادة ، كما لو أنهم فى مؤسسة علمية حديثة تضم مختلف التخصصات التى تصب فى النهاية فى الإدارة.

يوضح الدليل المعاصر وضع هؤلاء الرجال داخل الممالك ؛ من أنهم لم يكونوا مجرد موظفين ،لكنهم كانوا شركاء فى السُلطة ؛ ولذلك أصدرت مدينة إيليوم- Ilium طروادة – قرارًا بتكريم أنطيوخوس Antochus يشير إلى القضاء على العصيان فى مدينة سلوقية Seleucis (فى شمال سوريا) ،ويسجِّل كيف :

"كانت تلك خُطة دقيقة وصائبة ، فقد اصطحب – الملك – أصدقاءه وقواته للدفاع عن مملكته ، وحالفه الحظ والتوفيق بالعمل معهم ، وأعاد المدن والمملكة إلى وضعها القديم.
(OGIS219=Austin139;cf.Holleaux, Études d'épigraphie Vol.iii p.118).

وأوضح النقش نفسه – بعد ذلك كيف تم إرسال بعثة من عشرة سفراء لتقديم التهنئة على سلامتهم "الملك ، وملكته والأطفال وأصدقائه والقوات المسلحة " ، وارتكزت العَلاقة بين الأصدقاء والملك على المصلحة المشتركة القائمة على الثقة المتبادلة ، فعندما كان ليسيماخوس Lysimachus مهدَّدا من قبل الجيش التراقى "ظل أصدقاؤه ينصحونه بعمل ما يمكنه لإنقاذ نفسه ، ورد عليهم بأنه ليس من الشرف تأمين نفسه وتجاهل جيشه وأصدقائه " .(Diodoros,xxi,12) .

وفى الحقيقة فقد أخذ أسيرا (ولو أنه أطلق سراحه فيما بعد).

بدأ فى القرن الثانى التغيير فى شكل هيئة الأصدقاء ، وعندما عرفت الملكيات الأسر الحاكمة ، بدأ يتسلل إليها الصفة الشرعية ، مما كان له أثره فى الأصدقاء ، وأصبح يمكن رؤية النفوذ الذى كان الملك يمارسه بوصفه ملكا ، فى أواخر القرن الثالث ، وفى رد الفعل الذى لاقاه الثائر مولون Molon عند مواجهة أنطيوخوس Antiochus III الثالث فى سوريا . يقول بوليبيوس" Polybius(v,52,9)": وضع مولون نصب عينيه أنه بالنسبة لثائر كان توجيه هجوم مباشر على الملك فى الصباح فيه مخاطرة وعمل صعب ؛ لذلك قرر مهاجمة أنطيخوس ليلا " . كانت مخاوف مولون لها ما يبررها ؛ لأنه عندما أرغم أخيرا على الاشتباك فى معركة نظامية صباحا ، "وجد أنه عندما أصبح الجناح الأيسر للجيش على وشك الاقتراب من الملك ، وعلى مرأى منه لاذوا بالفرار " (Polybius,v,54,1) وانتحر مولون . وعندما قام بعد ذلك بمدة قصيرة مدَّع آخر ، يدعى آخايوس Achaeus ، وهو أحد أفراد البيت المالك السيلوقى ، ووصل حتى ليكاؤنيا Lycaonia تمردت عليه قواته ، "وكان السبب فى تذمرهم ، كما هو واضح الآن ، أن الحملة كانت ضد ملكهم الأصلى والطبيعى" (Polybius,v,57,6) ، ومع تطور فكرة الشرعية جاء تقسيم الأصدقاء إلى سلسلة من المناصب الهيراركية، تَحدد وضعها فى صلة كل واحدة منها بالأخرى وفى ربط كل واحدة منها بالملك برباط أكثر قوة كمصدر للشرف .

ذلك هو التيار الذى كان يمكن ملاحظته فى أكثر من مَلكية ، وجاءت أوفر الأدلة من مصر ، التى أصبح يمكن تتبعها الآن بالتفصيل ،فقد وجدنا فى الإسكندرية فى أوائل القرن الثانى سلسلة من الدرجات لقب بها: ذو القربى ، وأوائل الأصدقاء ، ورئيس الحرس الخاص ، والأصدقاء ، والأتباع ، والحرس الخاص، وبعد فترة قصيرة أولئك الذين أصبح يطلق عليهم "الذين يتساوون فى التشريف مع الأقارب "، وأولئك الذين يتساوون فى التشريف مع أوائل والأصدقاء" ،وبالإضافة إلى ذلك فإن النظام الذى بدأ فى الأصل كمكافأة خالصة لأفراد على مايتمتعون به من مقومات شخصية تحول الآن إلى نظام مؤسسى ؛ لذلك كانت الألقاب ترتبط بقوة بالذين يشغلون وظائف محددة فى الجهاز البيروقراطى ،ولكننا لا نعرف – على وجه التحديد – ما إذا كان التطور نفسه قد حدث فى المملكة السلوقية لعدم اكتشاف الأدلة المناظرة لذلك حتى الآن .

إن التشابه فى بنية مختلف الممالك جعل من السهولة بمكان على ذوى المكانة من الرجال من أصحاب المراكز– أى الرجال الذين يمكن القول بأن لديهم الصفات التى يحتاجها الملك فى الحقيقة – التنقل بسهولة لتحقيق طموحاتهم ، سواء من رجال الطبقات الاجتماعية الدنيا وأكثر من ذوى المواهب ، الذين يظهرون بمضى الوقت من الذين يتمكنون من تحقيق ذواتهم وحظوظهم بالتوجه إلى مستعمرة جديدة أو وضع أسمائهم فى كشوف الجنود المرتزقة فى جيش أو آخر من الجيوش الملكية ، ويمثِّل سكوباس Scopas الأيتولى نموذجًا جيدًا لهذا التحرك ، الذى:

"عندما فشل فى الحصول على منصب .... اتجه بطموحاته إلى الإسكندرية ، وعندما وصل إلى الإسكندرية ، بالإضافة إلى ما حققه من العمل العسكرى الميدانى ، فقد عينه الملك بنفسه فى أحد المناصب ، وخصص له مرتبًا يوميًا بلغ ١٠ مينا mina، فى حين كان العاملون تحت قيادته يحصلون على مينا واحد" (Polybius,xiii,2,1,3).

كان سكوباس أحد قادة الجنود المرتزقة ، وتمكن فى ظرف ثلاث سنوات من تولى قيادة جيش بطلميوس الخامس فى الحملة التى أدت إلى معركة بانيوم Panium(*)

(*) هزم الجيش البطلمى فى المعركة الأخيرة (المترجمة) .

كان الوضع بالنسبة للإغريق أنه عالم واحد ، من السهل التحرك فيه ، وعندما كان يُعرض على أى فرد مركز أعلى وثروة ، فعلى الشخص الذى يوجد لديه الاستعداد لذلك أن ينتهز الفرصة ، ولكن هذا العالم لم يكن يُعد عالما واحدا ، إذا تحرك الفرد خارج حدود الطبقة الإغريقية المقدونية الحاكمة . لقد وجد مختلف الشعوب فى آسيا وفى مصر أنفسهم خاضعين لهؤلاء السادة الإغريق ، فى حين كان لدى كل (شعب) منها تاريخه الحضارى الخاص به ، ونتج عن معاناتهم خلْق المشاكل التى برزت عند قيام المرء بالنظر عن قرب إلى الممالك الهيللينستية ، كل واحدة منها بعيدة عن الأخرى ؛ إذ كانت هناك لغات مختلفة وعقائد متباينة وتقاليد اجتماعية متعددة ، ونظم مختلفة لاستغلال الأرض ، ولديهم نظرة مختلفة تجاه الملك ، وكانت الدولة تفصل بين شعوب كل مملكة عن الأخرى ، وسوف نقوم فى الفصول الثلاثة التالية بمناقشة هذه الاختلافات ، وكيف قام الحكام المقدونيون فى هذه الدول بالتعامل معها .

الفصل الخامس

مقدونيا وبلاد الإغريق- Macedonia And Greece

أولا:

كان أحد ملامح العالم الهيللينستى الهامة أنه كان يخلو من الصدام بين الثقافات التى كانت من خصائص الملكيات الشرقية ؛ وذلك لأن مملكة مقدونيا موطن فليب الثانى والإسكندر، ظلت تحكمها أسرة أنتيجونوس Antigonid dynasty منذ عام ٢٧٦ حتى تفتتها ووقوعها فى يد الرومان عام ١٦٨، وكانت مقدونيا كما سبق أن رأينا فى الفصل الثالث آخر الأجزاء الثلاثة الكبرى التى استقرت فيها أسرة تتوارث حكمها ، وسيطر كاساندر Cassander عليها منذ عام ٣١٦ وحتى موته عام ٢٩٧، وحمل لقب ملك منذ عام ٣٠٥ (ص ٦٧) ، لكن الدولة تقطعت إلى أجزاء خلال السنوات العشرين التالية ؛ نتيجة للتنافس الذى قام بين كل من ديمتريوس Demetrius وبيرهوس Pyr-rhus وليسيماخوس Lysimachus وسيليوقوس Seleucus وبطلميوس كيراونوس Ptolemy Ce-raunus لمحاولة كل منهم اغتصابها (أى مقدونيا) ، ووضع أيديهم عليها ، وعاد الاستقرار فقط بعد وصول أنتيجونوس جوناتاس Antigonos Gonatas إليها عام ٢٧٦ ، ووفاة بيرهوس بعد ذلك بسنوات قليلة ، وكان أنتيجونوس الثانى جوناتاس بن ديمتريوس بوليوركيتيس Demetrius Poliorcetes ينتمى إلى أسرة ظلت تتمسك لفترة طويلة ، أكثر من الآخرين ، بحقها فى إمبراطورية الإسكندر بأكملها . وأصبح ذلك الادعاء لا معنى له عندما أصبح ملكًا على مقدونيا ، و لكن مركزه كان من ناحية أخرى مختلفا اختلافا كبيراً عن وضع منافسيه فى مصر وسوريا .

وكانت الملكية – فى مقدونيا – كما لاحظنا من قبل (ص٨٩) – مؤسسة قومية ، وكان على الملك المقدونى احترام حقوق الشعب التقليدية وفقا للتقاليد، ومن المفترض أن

خبرة والده وجده (وخبرته الشخصية فيما بعد) قد عودت أنتيجونوس جوناتاس الثانى على نظام الملكية الشخصية ،كما فهمها العالم الهيللينستى ،ولكن فى مقدونيا كان يجب عليه أن يضع فى تقديره رأى الشعب ،وليس من السهل تقرير المدى الذى كان يمكن أن تصل إليه مشاركة الشعب الفعلية فى سلطة الدولة ،وفى أحد النقوش التى سُجل فيها تقارير مجلس أمفيكتيون Amphictyon المسئول عن إدارة دلفى Delphi ، فى خريف عام ٣٢٥ (Bousquet,Mélangs Daux,pp.21ff.) يُذكر فيه "أن الإسكندر عيٍن المندوبين - (hieromnemones) لتحصيل الأموال ، لكن دفع مبلغ العشرة آلاف (١٠,٠٠٠ ستاتر stater كان بواسطة المقدونيين"، ويقرر ديودوروس Diodorous (xvi,71,2) أنه عندما هزم فيليب الثانى التراقيين عام ٢/٣٤٣ "أرغمهم على دفع ضريبة الثلث للمقدونيين". لكن من الصعب التمييز بين الخزانة القومية المقدونية وتلك التى كان يسيطر الملك عليها ، وإلى أى منهما كان سيئول المبلغ المالى الذى يدفعه - مجلس - الأمفيكتيين ،وربما ورد هنا ذكر المقدونيين ؛ لأن الشعب فقط هو الذى كان يمثل الجانب الآخر من أمفيكتيون ، وربما كانت إشارة ديودوروس إلى المقدونيين مجرد إشارة لفظية ليس لها معنى مُحدد .

ومما لاشك فيه أنه كان يوجد من الجانب الآخر فى بعض الأحيان حالات يتم التمييز فيها بين المقدونيين وملكهم ، ويخبرنا جستين (Justinus,xxiv,5,14) أنه بعد القضاء على كاساندر بن أنتيباتير Cassander son of Antipater فى عام ٢٧٩ ، قام شخص يدعى سوستنيس Sosthenes "وهو أحد قادة المقدونيين الذى تفادى بنجاح هجوم معاد لكنه "عندما نادى به الجنود ملكًا على الجيش ، أرغم الجنود على أن يؤدوا القسم له ، ليس على اعتبار أنه ملك ولكن على اعتبار أنه قائد" ، ويثبت هذا النص أن الجيش (الذى ربما كان ممثًلا للشعب) كان يقسم فى العادة اليمين للملك الجديد ، لكن لم يُسجل شكل هذا اليمين . وعلى أى حال فإننا نعرف من بلوتارخ (Pyrrhus.5,2) الذى يبدو أنه كان يتبع فى ذلك هيرونيموس - Hiéronymus أنه فى مملكة المولوسيين Molossians المجاورة فى إبيروس Epirus :

"كان من المعتاد بالنسبة للملوك ، أنه بعد تقديم القرابين إلى زيوس أريوس Zeus Areius فى باسارون ...... Passaron أن يتم تبادل القسَم المقدس مع شعب.

إبيروس ، فيقسم الملوك على أن يحكموا طبقا للقوانين ، (ويقسم أفراد) الشعب على أن يحافظوا على المملكة طبقا للقوانين" .

وربما كان القسم المقدونى له شكل مماثل ، لكننا لا نستطيع أن نؤكد ذلك . كما أنه ليس لدينا أى فكرة عن عدد المرات التى كان يتم فيها دعوة المقدونيين معا .وفى أوائل حكم فيليب ، عندما كانت المعنويات متدنية ،" قام بجمع المقدونيين معا فى سلسلة من المجالس ، وتمكن من إثارة شجاعتهم بإشارته الخطابية الشهيرة (Diodorous ,xvi,3,1) ، وربما كان ذلك وضعا استثنائيا ، ومن المحتمل أنه كان له مغزاه ، حيث لم يتم العثور على أى نقش حتى الآن يحمل قرارا صادرا من المجلس المقدونى القومى .

وهناك بعض الأدلة التى يفترض منها أن الشعب المقدونى ، أو الجيش (لأن دولة مثل تلك الخاصة بالمولوسينيين أو المقدونيين لم يكن لها نظير تقريبا) كانا يملكان حقوقًا تقليدية عند موت الملك بتعيين خليفته (ليس فقط عن طريق الهُتاف) . فعلى سبيل المثال حصل فيليب الثانى " على العرش بإكراه الشعب على ذلك" (Justinusvii,5,10) ، وكذلك بعد موت الإسكندر بن كاساندر عام ٢٩٤ : "نادى المقدونيون.......... بسبب كراهيتهم لأنتيباتير (الابن الآخر لكاسندر) الذى قتل أمه ، ونتيجة لرغبتهم فى اختيار رجل أفضل - نادوا بدمتريوس ملكا على المقدونيين ، ودفعوه إلى العودة مباشرة إلى مقدونيا (من لاريسا ،التى وقعت فيها هذه الأحداث)" . (Plutarch,Demetrius,37,1-2)

وفى الواقع فإن الدليل على تلك الحقوق الشعبية لا يفى بالغرض تماما . ففى حالة ديمتريوس كان" المقدونيون" ، يمثلون ببساطة هذا القسم من الجيش المقدونى الذى كان يصطحب الإسكندر فى تساليا Thessaly، ونحن لا نعرف الأساس القانونى الذى يرتكز عليه الهتاف : أما عن قيمته العملية بالنسبة لديمتريوس فليست موضع شك ، وبالمثل لم يكن دور القوات المقدونية الإيجابى فى بابل بعد موت الإسكندر الأكبر مباشرة ، وفى مناطق أخرى خلال السنوات الأولى لخلفائه محل مفاجأة ، بسبب الظروف غير العادية . إن الدور الإيجابى الذى لعبته الجيوش فى ذلك الوقت يمكن أن يكون نتيجة لعدم السيطرة على جانب من القوات أو لإجراءات تقديرية من جانب مختلف القادة ، الذين كانوا يريدون بطبيعة الحال المحافظة على الوئام مع جنودهم؛

لذلك لم يكن هناك حاجة إلى ممارسة السلطات الشعبية المقدونية التقليدية .

أما الحق الآخر الذى يعزى إلى الشعب المقدونى فهو الفَصل فى قضايا الخيانة العظمى . ويتمثل الدليل الرئيسى فى خطبة كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius العامة عن طبيعة محاكمة جريمة الخيانة العظمى فى مقدونيا فى مقدمة النص الخاص بالإجراء (vi,8,25) الذى اتخذه الإسكندر تجاه فيلوتاس Philotas الذى اتهم بالخيانة العظمى :

"كان من التقاليد القديمة التى يمارسها الجيش المقدونى فحص القضايا الجنائية (inquireat exercitus) ، وكانت من مهام الشعب فى أثناء السلم ، ولم تكن سلطة الملك potestas لها فاعلية إلا فى حالة ما إذا كان قد سبق أن قام باستخدام نفوذه auctoritas(*) فى فترة سابقة قبل عرض القضية ".

إن قيمة هذا النص تدعو إلى الشك بعض الشيء ؛ لأن اصطلاحى سلطة potestas، ونفوذ (هيبة أو مكانة) auctoritas يحملان نكهة العصر السابق على العصر الذى كان كونتوس كورتيوس Quintus Curtius يكتب فيه (عصر الجمهورية الرومانية) ، ويقع الاصطلاحان فى منتصف النص المذكور فى أعمال أغسطس المؤله The Deeds of The Divine Augustus (Res Gestae Divi Augusti) المذكور فى النقش الذى أقيم بعد فترة قصيرة من موت أغسطس عام ١٤ م ، والذى كانت لأفكاره شهرة سيئة فى مطلع حقبة المواطن الأول Principate، والذى أُدخل خطأً فى مقدمة كورتيوس فى تقريره عن سلطة الملوك الهيللينستيين منذ ثلاثة قرون سابقة ، وعلى أى حال يبدو أن النص يعنى قيام الجيش بعقد المحاكمة ؛ لأن كلمة inquisitio تتضمن الإجراءات القانونية .. وأن الملك لا يقرر الحكم بمقتضى سلطته الملكية ، ولكنه يمكنه التأثير عليه بنفوذه ، ربما بالتدخل فى أثناء الجلسة . وليس من الضرورى تعقيد المشكلة بتبنى التوسع فى تصحيح النص حرفيا ؛ لأن المعنى المقصود أن الملك يفحص القضايا

(*) potestas اصطلاح لاتينى يشير إلى سلطة الحكام الرومان الذين يتمتعون بالسلطة المدنية فقط ؛أما اصطلاح auctoritas، فهو يعنى نفوذًا أو هيبة أو مكانة، ويشير إلى المكانة الأدبية التى يتمتع بها الفرد فى المجتمع . عن هذا الموضوع راجع : الرويبى ، آمال محمد ، نظام الحكم الرومانى فى العصر الجمهورى ، القاهرة ٢٠٠٧ ،ص ٤٨ ، ٨٨ .

الجنائيـة ، و يقـوم الجـيش بإصـدار الحكم (inquirebat<rex, iudicabat> exercitus) .
وهذا التوسيع يعتمد على فقرة أخرى وردت لدى كورتيوس(Curtius,vi,9,34) التى يقول فيها الإسكندر لفيلوتاس :"إن المقدونيين على وشك إصدار حكم ضدك "، وفى الواقع فإن فيلوتاس كان يوجه حديثه إلى الجيش على اعتبار أنهم قضاته . لكن الحقيقة أن الإسكندر وأصحابه ،وليس الجيش ، هو الذى كان يصدر الحكم النهائى بعد انصراف الجيش ، ولما كان النص ينطوى على تلك التضـاربات ؛ لذلك فمن الأفضل عدم العبث بنص كورتيوس . (Curtius,vi,8,25) ، حيث إن هذه الفقرة تقف – كما هـى – كدليل جيد على أن الشـعب (أو الجيش) كـانا يمـارسـان من الناحـية التـقليـدية السلطة فى مـحاكمات الخيـانة العظمى ، وأن هذه الحقوق الشعبية القضـائية ، مع حقوق أخرى كانوا يمارسونها بدرجة أقل وضـوحا فى أواخر العصر الملكى ، يتضح منها أنها كانت تضع الملك المقدونى فى مكانة مختلفة عن منافسيه فى أى مكان .

وعلى أى حـال ، فلـم تكن هذه الحقوق قليلة الأهـمـية . وطبقـا لما ذكره بلوتـارخ (Aemilius Paulus,8,2) عن موت ديمتريوس الثانى فى عام ٢٢٩ :

"خشى قادة المقدونيين ، من الفوضى التى يمكن حدوثها (من حقيقة كون ابن فـيليب كـان مـا يزال طفـلا) ؛ لذلك اسـتـدعـوا أنتـيـجـونوس Antigonus، ابن عم الملك المتوفى ،وزوجوه من والدة الطفل فـيليب ، ونصَّبوه نـائبـا أول للملك وقـائدا ، وعندمـا وجدوا أن حكمه معتدل وحاز القبول العام ، منحوه لقب ملك".

إن هذا التقرير ، لا يشير إلى أى جمعية شـعبية يعزى فيـها القرار "إلى قادة المقدونيين "،ويمكن القول بأنه فى الحالات التى يتم فيها دعوة جمعية شـعبية ، فإن ما يقرره القادة كان – فى الحقيقة – هو ما يعوَّل عليه .

وكانت الحقوق الشعبية فى مقدونيا عتيقة بعض الشىء ،وكان قادة المقدونيين يمثلون عنصراً فى الدولة لا نظير له فى سـوريا أو مصـر ، حيث كان أصدقـاء الملك ، كمـا سـبق أن رأينا(فـى ص٩٠ ومـا يليـهـا) ، يتم اختيـارهـم من قِبل الملوك من مـختلف أنحـاء العالم الهيللينسـتى ،وكانـوا يرتبطون بهم برباط شـخصـى فقط (خـلال القرن الثـــالث على أية حـــال) ،ولم يعـــرف هـذا النوع من النـدمـــاء والإدارة فى بـلاط

الأنتيجونيين ، كما لم يعرف حقيقة فى بلاط فيليب الثانى خلال المرحلة المبكرة ، بل كان الملوك المقدونيون يضعون فى اعتبارهم طوال تاريخهم النُّبلاء الوطنيين الذين يعد إخلاصهم أمرا قاطعا لأمن المملكة وازدهارها .

واصل المقدونيون وجودهم كعنصر فى الدولة ، مهما كان وجود هذا العنصر ضعيفا ، وفى قصاصة المعاهدة التى قام بعقدها أنتيجونوس الثالث دوسون Atigonus III Doson مع إليوثيرنا Eleuthern المدينة الكريتية " (SVA,501) ، تعهد شعبها بعدم عقد تحالف يتعارض مع ذلك الذى تم عقده مع أنتيجونوس والمقدونيين" . ونقرأ فى نُصب تكريسى أقيم فى ديلوس بعد انتصار أنتيجونوس الثالث على اسبرطة عام ٢٢٢"الملك أنتيجونوس ابن الملك ديمتريوس و[المقدونيين] والحلفاء من[غنائم] معركة سيلاسيا Selassia إلى أبولون " . كان الحلفاء فى ذلك النقش هم أعضاء الحلف الهيلليني (Syll.,518) الذى أنشأه دوسون (راجع ص ١١٣)؛ وعلى الرغم من أن كلمة المقدونيين ليست مرئية على الحجر، فإن ترميمها مؤكد ،وثبت من نص معاهدة القسم بين القائد القرطاجي هانيبال وفيليب الخامس التى سجلها بوليبيوس (Polybius,vii,9,1) التى تشير إلى السفراء المعتمدين "الذين أرسلهم الملك فيليب بن ديمتريوس بالنيابة عن نفسه وعن المقدونيين والحلفاء إلى هانيبال " ،وهى تواصل ذكر الأطراف الثلاثة على أنهم شركاء فى المعاهدة . وتشير إلى المقدونيين على أنهم شركاء koinon ، وهى كلمة إغريقية تتضمن معنى فضفاضا ، لكن معناها الأساسى يعنى "الخير العام "أو "الدولة" أو "السلطة العامة" أو (كثيرا جدا فى تلك المرحلة) بمعنى"تحالف". ونقرأ فى إهداء ديلوس الذى نُقش على رواق فى القرن الثالث أقامه فيليب فى أوائل حكمه :"اتحاد المقدونيين فى تكريمه للملك فيليب ابن الملك ديمتريوس لفضله ووئامه تجاههم (SYLL.,575) . ويوجد نظير لهذا الاتحاد فى مملكة مولوسون Molosson ، حيث عُثر على نقْش من دودونا Dodona ، يؤرخ بعام٣٧٠/٣٦٨ ، عندما كان نيوبتوليموس Neoptolemus ملكا ، وسجل منحه المواطنة من قبل "اتحاد مولوسون" (Hammond,Epirus,pp.530-1) ، لكن إذا قمنا بالحكم من الدليل الذى لدينا ،فقد كان اتحاد مقدونيا أقل قوة بكثير من ذلك الخاص بمولوسون ؛ لأنه فور صعود أسرة أنتجونوس إلى العرش كان الحكم أوتقراطيا (فرديا) مع بعض القيود القليلة التى دعت الحاجة إليها للحفاظ على الوئام مع الشعب والنبلاء .

إن الدليل على ذلك ليس صريحا ، فالمعاهدات المقدونية كانت تعقد باسم الملك فقط ، ووجود المقدونيين فى هذه المعاهدات مع إليوثيرنا Eleutherna ومع هانيبال كان استثناء ، وربما يرتبط بالإشارة إلى الحلفاء الإغريق الذين انضموا إلى المعاهدة البونية والتى تم ترميمها بطريقة مقبولة لذلك فى المدينة الكريتية . وليست هناك أى إشارة أخرى لدى بوليبيوس المؤرخ المعاصر على أن أنتيجونوس كان يضع فى اعتباره أى سلطة إلى جواره . ومن المؤكد أن المقدونيين كانوا يتمتعون بصراحة تقليدية فى مخاطبة ملكهم ، ووضح بوليبيوس ذلك (Polybius ,v,27,8) فى تقريره عن طريقة الحديث الذى طالبت فيه مجموعة من القوات المقدونية قائدهم الذى ألقى القبض عليه ، بألا يقوم الملك بمحاكمته فى غيابهم ، وبالإضافة إلى ذلك فلم يكونوا على شاكلة المدن العديدة التى تقع داخل الدولة وتلك الواقعة خارجها ، من حيث إن المقدونيين لم يجعلوا ملكهم موضوعا لعبادة الحاكم ، ولكن على الرغم من كل ذلك فقد كانت الأسرة الحاكمة الأنتيجونية ، من الناحية العملية ، هى الدولة نفسها .

ثانيا:

نمت مقدونيا فى نواح أخرى ، مثل باقى الدول الهيللينستية ، على الرغم من القاعدة القومية للملكية وحقيقة كون كل من الملك والشعب ينتميان إلى أصل واحد ، فعلى سبيل المثال ،كان أصدقاء الملوك ، يتم اختيارهم من خارج المملكة ، وكذلك من داخلها ، وعندما أراد فيليب الصغير أن يؤكد استقلاليته ، كان أحد إجراءاته المبكرة تنصيب نفسه على رأس مجموعة من المقدونيين الذين ورثهم كأصدقائه من أنتيجونوس دوسون ، مثل أبيليز Apelles وميجالياس Megaleas وليونتيوس Leontius وكرينون Crinon وبطوليمايوس Ptolemaeus . وأصبح الغرباء - فيما بعد - يشغلون مكانًا مرموقًا دائمًا بين مستشاريه ، مثل أراتوس السكيونى Aratus of Sicyon وديمتريوس الفاروسى Demetrius of Pharos وهرقليديس من تارنتوم Heracleides of Tarentum وكيكليادیس الآخى Cycliadas of Achaean وبرخيليس البيوتى Brachylles The Boeotian الذى أدرجه أنتيجونوس دوسون فى خدمة المقدونيين ، عندما جعله مسئولا عن

اسبرطة عام ٢٢٢ (Polybius ,xx,5,12) . وسمعنا أيضا ، من عصر فيليب الخامس عندما أصبح بولبيبوس متاحا لنا كمصدر ، عن العديد من المناصب المماثلة التى ميزت البلاط الهيللينستى ، مثل سكرتير الدولة ،وقائد الحرس ، وأمين الخزانة ، والحراس الشخصيين (وهم مجموعة من الضباط استخدمهم الملك فى المهام السرية).

مارست مقدونيا فى عهد الأنتيجونيين تجرِبة نمو التمدن ، التى جعلتها قريبة فى مستواها الثقافى من جنوب بلاد الإغريق . وقسمت الأراضى المرتفعة فى عهد فيليب والإسكندر إلى أقسام (كنتونات) يحكمها أمراؤها ، وإذا صرفنا النظر عن المستعمرات الإغريقية على الساحل ، مثل أمفيبوليس Amphipolis وبيدنا Pydna ، فقد كان هناك عدد قليل من المدن التى تقع فى مقدونيا السفلى ،ولم يكن معظمها سوى مساحات أكبر قليلا من أسواق مدن ، واندمجت المستعمرات الإغريقية فى عهد فيليب فى المملكة . وهناك دليل على أن بعض كبار الإغريق فى مجالس الإسكندر، الذين خدموا فى أسطوله قد منحوا أنصبة من الأراضى داخل نطاق أمفيبوليس ، وحصلوا على الجنسية المقدونية عن هذا الطريق ، وتضاعف عدد المدن فى عهد الخلفاء ، وأسس كاساندر مدينتين هامتين عام ٣١٦ كاسندريا Cassandreia ، باللينى Pallene (Diodorus,xix52,2) ، وأصبحت مدينة تسالونيكا تتألف من اتحاد عدة مدن synoecism على رأس خليج ثيرما Thermaic Gulf (Strabo ,ii,330,fig.21,24) ، وكانت هذه المدن تضم أعداداً كبيرة من السكان الإغريق ، وربما تكون علامة على نمو الوحدة والوعى القومى ؛ لأنه خلال هذه المرحلة كان الرجال من مختلف أنحاء المدن المقدونية أيا كانت أصولهم يعتبرون أنفسم مقدونيين ، وكان للمدن من الناحية الشكلية مبانى الدول الإغريقية الديمقراطية ومؤسساتها ، ويوجد أربعة نقوش من جزيرة قوس Cos تسجل قرارت أصدرتها مدن فيليبى Philippi ، وكاساندريا Cassanderia ، بيلا Pellaوأمفيبوليس Amphipolis SEG,xii(1955)373-4) وطبقا (لحق) البراءة من الأخذ بالثأر (asylia) الخاص بمعبد اسكليبيوس Asclepio عام٢٤٢، تقدم معلومات عن نُظمها ، فقد كان يوجد فى كاساندريا مجلس للشورى (boule) ،وكان يوجد لدى تسالونيكا كل من مجلس شورى وجمعية عامة (ecclesia) ، كما وجد مجلس للشورى فى كل من فيليبى وأمفيبوليس ،ومن المحتمل أن كل المدن ، ومن ضمنها المدن المقدونية

القديمة مثل بيلا وأيجاى Aegae كانت لديها كل من المؤسستين (أى مجلس الشورى والجمعية العامة) ،وكانت مثل المدن الواقعة فى أماكن أخرى مقسمة إلى قبائلtribes وأحياء demes ، ولديها قادة ، وحراس للقوانين ، ومشرفون على بيوت المال ، وحكام archons وكهنة ، الذين ورد ذكرهم من مدن متعددة ،وتوضح نقوش أخرى – كذلك – أن المدن المقدونية رعت بنشاط تبادل السفارات والمنح التشريفية proxeniag لدرجة السفير (راجع ص٨٨/٨٧) مع مدن فى كل مكان من العالم الإغريقى ، كما لو كانوا دويلات مدن حرة ،لكنهم كانوا فى الحقيقة – كما هو واضح – تحت السيطرة الكاملة للملك ،وفى خطاب كتبه فيليب الخامس إلى أندرونيكوس Andronicus ،مُمَثله فى تيسالونيكا Thesalonica، يؤكد فيه أن السلطات المحلية يجب عليها عدم المساس بدخل معبد سيرابيس Sarapis دون إذْن من الحاكم الملكى (epistates) والقضاة (IG,x,2,1no.3) ، وكان مثل هؤلاء الحكام الملكيين يستقرون فى المدن الرئيسية فى مقدونيا وفى مناطق أخرى تحت سيطرة الملك ، ولهم مساعدون من الموظفين الماليين مثل هاربالوس Harpalus فى بيرويا Beroea ، الذى وجه إليه ديمتريوس رسالة عام ٧/٢٤٨ عندما كان ديمتريوس ما يزال وليا للعهد :

"يبعث ديمتريوس بتحياته إلى هاربالوس . أخبرنى كهنة هيراكليس أن جزءا من مدخولات (دخل) الإله قد أدمج فى تلك الخاصة بالمدينة ؛ لذلك عليك التأكد من أن تلك المدخولات قد عادت إلى الإله (فعلا) . أتمنى لك التوفيق " (Syll.,459) .

يؤكد هؤلاء الموظَّفون أن جميع القرارات الهامة كان لابد من الموافقة الملكية عليها ، وعلى الرغم من هذه القيود فإن المدن كانت تملك استقلالها المحلى ، وتسيطر على مواردها الخاصة ،وكان فى وسعها تبادل مواطَنَتها المحلية مع المقدونيين فى المدن الأخرى .

ليس من السهل القيام بعمل تقدير محدد عن ازدهار الاقتصاد المقدونى خلال القرن الثالث ،فلقد حدث تقدم عجيب فى عهد فيليب الثانى ، الذى قام كما سبق أن رأينا (ص٣٩) ، بتحويل سكان المرتفعات الذين كانوا يرتدون جلود الحيونات إلى مزارعين متحضرين وسكان مدن ،ولم يستوعب نمو عدد السكان الوطنيين فقط ، وإنما رفع عددهم أيضا بإضافة أعداد إليهم من السكيثيين Scythians،

والطراقيين Thracians ، والإليريين Illyrians ، كما قدم أيضا أراضى زراعية جديدة عن طريق التحكم فى تصريف مياه الفيضان ، وتجفيف المستنقعات وإزالة الغابات ، وتم تمويل هذه المشروعات بامتلاك مناجم الفضة فى باناجايوم Panagaeum وتطويرها بالقرب من أمفيبوليس وفيليبى ودماستيوم Damastium بالقرب من بحيرة أوخريد Ochrid، واستغلت ثروة المناجم التى حققها هذا المصدر أيضا لدفع نفقات التطوير الحربى الذى كان أمرا جوهريا بالنسبة لخطط فيليب التوسعية للإعداد للحملة الفارسية ، لقد كانت الحملة الفارسية نفسها مُكلفة بالنسبة لمقدونيا فى الرجال والأموال ، على الرغم من أن قليلا منهم قد أصبحوا أثرياء ،ولا شك أن الهجرة إلى المدن الجديدة فى الشرق خلال فترة السنوات الخمسين التى أعقبت وفاة الإسكندر أدت إلى إجهاد الازدهار المقدونى ، ولابد أن الحروب المستمرة فعلت الشىء نفسه ، وعلى أى حال فإن وفرة العُملة الفضية الخاصة بأنتيجونوس جونتاس التى يمكن الاعتماد عليها ، تُتخذ كدليل على أن عهده كان مزدهرا ، كما أن اختياره للسياسة البحرية ضد مصر تؤكد كذلك امتلاكه لبعض الموارد . لكن الدليل أصبح شحيحاً منذ منتصف القرن الثالث.

توافرت معلومات أكثر عن الأوضاع فى أثناء حكم فيليب الخامس (١٧٩-٢٢١) وبرسيوس Perseus (179-168) ؛ لأنه بالإضافة إلى رواية بوليبيوس Polybius (المتناثرة) ورواية ليفى Livy المستمدة منها ،فهناك عدة نقوش تلقى ضوءًا على أوضاع الاقتصاد المقدونى . إن البرنامج الحربى النشيط،وسياسة الرعاية الموجَّهة نحو كل من المراكز الدينية الكبرى والصغرى فى الخارج وكلاهما أسلوب يوضح تساوى المكانة مع منافسين أكثر ثراء فى ممالك أخرى ،إلا أن كليهما ألقى بعبء ثقيل على خزانة فيليب الخامس ،وكلفته هزيمته فى الحرب المقدونية الثانية (197-200) – عبئا ماليا فى التعويض الذى بلغ ١٠٠٠ تالنت talent ، مما دفعه إلى وضع خُطة سياسية لتوسيع مصادر دخله بعدها بفترة قصيرة.

" لم يقم بزيادة دخل المملكة عن طريق الضرائب على الإنتاج الزراعى وضرائب الصادرات والواردات فحسب ؛ لكنه أعاد العمل فى المناجم القديمة التى كانت قد هُجرت ، وفتح أخرى جديدة فى أماكن عديدة . وبالإضافة إلى ذلك فلكى يعوض الخسائر فى

السكان ويعيدها إلى معدلها القديم بعد الخسائر التى ترتبت على كارثة الحرب ، فإنه لم يفكر فقط فى تحقيق زيادة عدد المواطنين بالإصرار على أنه يجب على كل فرد إنجاب أطفال وتربيتهم ، بل أضاف أعدادا كبيرة من الطراقيين إلى مقدونيا . لقد مكنته فترة المُهلة الممتدة لتأجيل الحرب من تكريس كل اهتمامه لزيادة مصادر دخل مملكته"(Livy,xxxix,24,2-40) .

وكان وجه الشبه بينه وبين أساليب فيليب الثانى مثيرا للدهشة ، ومن المحتمل أنه كان يقتدى به عن قصد ، إذ أصدر فيليب الخامس أيضا كميات كبيرة من العُملة ، ولأول مرة فى تاريخ الأسرة صدرت النقود من أماكن ضرب العملة الإقليمية ، وكذلك من قبل مدن مقدونية عديدة ، ولدينا نماذج من العُملة البرونزية باسم المقدونيين والبيوتيين واثنين من شعب البياؤيين Paeone على الحدودالشمالية ، وكذلك عُملات من أمفيبوليس Amphipolis ، وتسالونيكا Thessalonica ، وعُملة من أفيتوس Aphytus وأبوللونيا فى ميجدونس Apollonia in Mygdonis وبيللا Pella ، وليس هناك دليل على أنهم كانوا يهدفون بصك تلك العملات إلى تأجير قوات عسكرية بها ؛ لأن الفوارق المحلية بين العُملة لن تجعلها مناسبة لتحقيق ذلك الهدف ، إن العُملة الجيدة يمكنها أن تساعد التِّجارة ، وربما قامت الجهات المحلية والمدن بدفع امتياز للتعدين ، وبالمثل قام أنطيوخوس الرابع فى سوريا بعد ذلك بعشرين عاما ١٦٩/٨ بتشجيع صك العُملة المحلية داخل مملكته ، وذكر أن هدفه من ذلك جعل المدن "شركاء نشطاء فى الإحياء الداخلى لمملكته" (Morkholm,Antiochus IV,p.130) ، وربما كان هدف فيليب يماثل ذلك ، مع أنه فى الواقع لم يصاحب إصدار العملة المحلية فى هذه الحالة أى تراخ فى السلطة المركزية للمملكة .

استمرت جهود فيليب فى بناء مصادر دخله فى عهد ابنه برسيرس Perseus الذى واصل جمع الثروة .(وفى هذا الصدد) تابع ليفى Livy ما أورده بوليبيوس Polybius، من تسجيل الاتهامات التى كالها له عدوه يومينيس البرجَمونى Eumenes of Pergamum التى قدمها إلى مجلس الشيوخ الرومانى السناتو (Senate) عن مصادر دخله عشيَّة الحرب المقدونية الثالثة : وبطبيعة الحال جعلتهم مصادرهم يرتابون فيه بعض الشىء :

"لقد قام بتخزين مئونة عشر سنوات من الغلال تكفى۳۰,۰۰۰ من الجنود المشاة و۵۰۰۰ من الفرسان ، وذلك يمكن أن يجعله مستقلا فى بلده – حتى عن بلده – وعن ريف الأعداء فيما يتعلق بموضوع الإمدادات ، وأصبح لديه أموال كثيرة الآن تحت يده يمكنه أن يدفع منها لتأجير ۱۰,۰۰۰ جندى مرتزق فى نفس الوقت ، بالإضافة إلى قواته المقدونية ، هذا عدا الدخل السنوى الذى يحصل عليه من المناجم الملكية. وتكفى الأسلحة التى لديه والتى كدسها فى ترسانته لجيوش تبلغ ثلاثة أضعاف ما لديه . كما وضع الآن شباب التراقيين تحت سيطرته........فى حالة إذا ما فشل إمداده بالمئونة من مقدونيا ".(Livy,xlii,12,8-10) .

وربما إذا ما توجهنا أكثر إلى قلب الموضوع ،فإن حجم الجيوش التى أنزلها بيرسيوس فى الحرب مع روما (168 - 172) توضح أنه منذ عام ۱۹۷ ارتفع عدد أفراد التجنيد الوطنى إلى ۹۰۰۰ رجل .

إن تطور التمدن فى مقدونيا – خلال حكم ملوكها من فيليب الثانى إلى بيرسيوس – تقدم تقدمًا أكثر بكثير مما يتخيله الفرد، وتوضح الحفائر الأثرية كيف أن دمترياس Demetrias التى تقع فى تساليا Thessaly، والتى ظلت واقعة تحت سيطرة مقدونيا معظم تلك المرحلة الزمنية ، تطورت إلى ميناء كبير مزدهر يضم خليطا من السكان ما بين عام ۲۰۰ وعام ۱۵۰ . وكان الملوك المقدونيون يعاملون تساليا ، طوال فترة وضع أيديهم عليها كجزء من دائرة ملكهم ،وكانت مدينة ديمترياسDemetrias التى أسسها ديمتريوس الأول عام ۲۹۳، مدينة الأنتيجونيين المفضلة ، وحددت الحفائر الأثرية المعاصرة مكان قصرهم فيها . لكن ظل عدد كبير من المقدونيين يعيشون فى الريف كمزارعين أو ملتزمين لزراعة ضياع الملك أو النُبلاء . وليس لدينا معلومات عن الوضع السياسى للعمالة التى استوردت من سكيثيا Scythia وإيلليرياIllyria وبردانيا Dardania، ومثل هذا الدليل – كما سبق أن اقترحنا هنا – يشير إلى أن نظام العبيد لم يكن واسع الانتشار فى مقدونيا ، فيما عدا بعض عبيد المنازل فى المدن.

لم تحقق الدولة الثراء الواسع الذى كان موجودا فى مصر وبعض الدول الهيللينستية الأخرى ، وسجل بلوتارخ (Plutarch(Aemilius Paulus,28,3 أنه بعد انتصار الرومان فى معركة بيدنا Pydna عام ۱٦۸، "كان على المقدونيين دفع جزية تبلغ

١٠٠ تالنت من الفضة للرومان ،وهو مبلغ كان أقل من نصف المبلغ الذى اعتادوا على دفعه للملوك ". وإذا كان (الوضع) على الرغم من كل الجهود التى قام بها فيليب وبرسيوس لزيادة إنتاجية مقدونيا ،فإن ضريبة الأرض كانت تغل أكثر قليلا من ٢٠٠ تالنت من الفضة سنويا ، فنحن نتحدث هنا عن دولة ذات موارد متواضعة . ففى عام ١٩٦ قام الرومان – الذين كان لديهم فكرة جيدة عن مدى ما يتحمله السوق – بفرض غرامة عسكرية بلغت ١٠٠٠ تالنت ،وفى عام ١٨٨ كان أنطيوخوس مطالبًا بدفع ١٥,٠٠٠ تالنت (بالإضافة إلى مبلغ ٣٠٠٠ قام بتسليمها بالفعل) ، فإن الاختلاف بينهما يرتبط إلى حد ما بثروة كل من القوتين .

ثالثا:

ضَمِن موقع مقدونيا لها علاقة مباشرة وحميمية مع بلاد الإغريق الأصلية (الأم) مقارنة بباقى الدول الهيللينستية ،وذلك لسبب بسيط جدًا ، وهو أن مقدونيا كانت جوهرية بالنسبة لأمنهم.

وذكر فلامينيوس Flamininus، فى مؤتمر عقد فى عام ١٩٨ خلال الحرب المقدونية الثانية الآتى:

"لقد تقرر الحد من تسلُّط مقدونيا لصالح الإغريق ، ولكن ليس إلى حد القضاء عليها ؛ لأنهم فى تلك الحالة سوف يتعرضون فورا لتمرُّد التراقيين Traciansوالغال Gauls العنيف ، كما حدث فى أكثر من مناسبة".(Polybius,xviii,37,8-9)

كانت سلسلة الحروب التى قام المقدونيون بها ضد الإليريين والدردانيين والطراقين يدافعون فيها بطريقة غير مباشرة عن الإغريق ،وعندما استولى الرومان فى عام ١٤٨على مقدونيا وأصبحت ولاية رومانية وقع عبء العمل نفسه عليهم ،ومن الضرورى عند تقييم دور مقدونيا فى العالم الهيللينستى أن يكون واضحًا فى الذِّهن أنه ، على الرغم من أن مصادرنا إغريقة بطبيعة الحال أو تعتمد على الكتاب الإغريق الذين كانوا يركزون على سياسة مقدونيا تجاه بلاد الإغريق ،فقد كانت مقدونيا فى الواقع قوة بلقانية تمثل لها الحدود الشمالية ، والغربية ، والشمالية الشرقية دائما

أهمية قصوى ، ومن أجل ذلك أقيمت الدفاعات ، وخرجت الحملات التأديبية بصفة دورية خارج الحدود ، وأصبحت تلك سياسة جوهرية بالنسبة لها ، ويجب أن نتذكر أن ليسيماخوس Lysimachus وقع أسيرا فى إحدى المناسبات فى يد التراقيين (راجع ص٩١) ، وأن بطلميوس كيراونوس Ptolemy Ceraunus سقط فى معركة ضد الغال ، كما يرتبط موت كل من ديمتريوس الثانى وأنتيجونوس دوسون بالحروب الداردانية ، وقد وضع الرومان فى القائمة مساعدة الداردانيين لهم فى حربهم ضد فيليب .

وفى كل الأحوال إذا كان المقدونيون هم الحصن الأساسى لشمال بلاد الإغريق ، فقد اعتبر الأنتيجونيون سيطرتهم على بلاد الإغريق نفسها أمرا جوهريا لأمنهم ، ولما كانوا لم يحاولوا إطلاقًا ترجمة هذه السيطرة إلى إخضاع كامل (مثلما فعلوا بنجاح فى تساليا) ؛ لذا يجب أن نختم القول بأن هدفهم كان منْع أى قوة أخرى من السيطرة على بلاد الإغريق ، مثل بطلميوس وبيرهوس والأيتوليين (راجع ص ١٧٨/١٧٩ وما يليها)؛ وبيرجامون ، الذين ربما كانوا سيمثلون خطرا على مقدونيا نفسها . وبالإضافة إلى ذلك فقد كان هناك ثقل- ميراث - السلف ، فلقد فرض فيليب الثانى هيمنته على بلاد الإغريق ، واحتل ديمتريوس مراكز هامة فيها ، ومن المحتمل أنه كان موضوعًا يتعلق بالكرامة بالنسبة لأنتيجونوس جوناتاس عدم قيامه بأقل من ذلك .

كانت مقدونيا - منذ عصر فيليب الثانى - وما يليه تحيط بها مشاعر أيدلوجية قوية (ضدها) فى بلاد الإغريق . وفى خطبة ألقاها خلاينياس الأيتولى Chlaeneas عام ٢١٠ فى اسبرطة ، كان يحث فيها على الاشتراك فى التحالف الرومانى ضد مقدونيا ، أدت كما قال بوليبيوس Polybius (ix.28,1) إلى فتح قضية مُسلم بها: " يا رجال اسبرطة ، إننى متأكد من أن أى فرد لن يخاطر برفض القول بأن عبودية الإغريق ترجع فى أساسها إلى ملوك مقدونيا " ، واستمر بعد ذلك فى الوصف التفصيلى للانتهاكات التى أوقعها فيليب والإسكندر وخلفاؤهما فى القرن الثالث بالمدن الإغريقية".

لقد كان من الأقوال المأثورة لديموستينيس Demosthenes وصمه بالخيانة رجال الدولة فى أركاديا Arcadia، وميسينيا Messenia ، وأرجوس Argos ، وتساليا Thessaly ، وبيوتيا Boeotia لتعاونهم مع فيليب" ، وهو الاتهام الذى دفع بوليبيوس إلى رده -Poly bius (xviii,14,6) ، والذى كان رأيه أن هؤلاء الرجال :

"أقنعوا فيليب بدخول البيلوبونيز Peloponnese وإذلال اللاكيديمونيين -Lacedae monians- –الاسبرطيين– ، وأدى ذلك فى المقام الأول إلى تنفس جميع سكان البيلوبونيز Peloponnese بحرية ، والاحتفاء بالأفكار الحرة ، ثم بعد ذلك استعاد الإقليم والمدن التى ازدهر اللاكيديمونيون فيها ، والتى كانت محرمة على المسينيين Messenians والميجالوبيين Megalopolitans والتيجيان Tegeans والأرجيفيس Argives ، مما أدى بلا جدال إلى ازدياد سلطة مدنهم الوطنية ".

توضح تلك الملاحظات بجلاء أن العلاقات مع مقدونيا كانت قضية مشحونة بالمشاعر فى القرنين الثالث والثانى ، كما كان الحال نفسه فى القرن الرابع من قبل . لقد كانت السياسة المقدونية للسيطرة على بلاد الإغريق ضد ولع الإغريق بالحرية والاستقلال ، مع أن بعض الدول ، مثل دول البيلوبونيز ، استفادت من علاقتها بمقدونيا ، وكانت لا تزال على استعداد للتعاون مع الملك المقدونى ضد جيرانها .

رابعا :

هكذا يتضح الإطار العام للمحاولات التى قام بها الملوك المقدونيون لتحقيق سيطرة قوية على بلاد الإغريق والمحافظة عليها خلال قرن ونصف من قبل ؛ إذ كانت الطريقة المعتاد عليها أكثر من غيرها وضع الحاميات فى المراكز الهامة فى بلاد الإغريق ، لكن ذلك كان يتم بطرق مختلفة ، أو كان يرفق به فى كل مرة تصريحات عن استقلال الإغريق ، وتكوين تنظيم من المدن الإغريقية فى أثناء حكم أنتيجونوس الثالث ، إلى جانب تكوين فيليب الثانى لحلف كورنثة (راجع ص ٢١) ، وبالنسبة لهذه الوسائل فلم تكن الأولى بصفة عامة أكثر من نداء أجوف ، وصمم الثانى كما سنرى (ص١١٤ / ١١٥) لوضع الإغريق صفا واحدا وراء السياسة المقدونية ، التى ثبت أخيرا أنها كانت كارثة على هيلاس (Hellas بلاد الإغريق).

وبعد موت أنتيباتير Antipater خلفه بوليبيرخون Polyperchon نائبا لمقدونيا (راجع ص٦٢) واستدعى فى عام ٣١٩ مجلساً من أصدقائه ، حيث تقرر فيه أنه من أجل مواجهة تهديد كاساندر Cassaner بن أنتيباتير :

"تحرير مدن الإغريق وطرد الحكام الأوليجاركيين (الذين يمثلون الأقلية) الذين نصبهم أنتيباتير هناك ،وبهذه الطريقة سيكون من السهل عليهم إضعاف كاساندر وتحقيق الشهرة الكبيرة لأنفسهم وكسب حلفاء لهم مكانتهم " .(Diodorus, xviii,55,2) .

وفور رفع شعار "حرية بلاد الإغريق" تكونت جبهة للدعاية له للحصول على مساعدة الإغريق ،وبعد ذلك بأربع سنوات أرسلت دعوة عامة لكل الإغريق فى صورة إنذار نهائى ، أرسله أنتيجونوس الأعور إلى كاساندر (راجع أعلاه ص٥١) :" بتحرير الأغريق جميعا مع عدم وجود حاميات عسكرية ، مع الحصول على الحكم الذاتى -Di) odorus,xix,61,3) "autonomous ، وفى الواقع ظلت هذه هى سياسة أنتيجونوس المقررة . وتضمنت معاهدة السلام عام ٣١١ جُملة بهذا المعنى (Diodorus,xix,105,1) .

من سوء الحظ ،سواء ترجمت هذه الفقرة عمليا ، أو كانت مجرد كلمات (كما جرت عليه العادة) فإن الحرية والاستقلال لم تحقق السيطرة على بلاد الإغريق ، وفى عام ٣٠٤/٣٠٣ حاول أنتيجونوس وابنه ديمتريوس إحياء حلف كورنثة الذى أنشأه فيليب الثانى كوسيلة لتعبئة الإغريق ضد كاساندر ،وأيا كان الأمر فلم يقدر لهذه المغامرة الهامة العيش بعد موت أنتيجونوس فى إبسوس Ipsus عام ٣٠١ ، وخدمت بلاد الإغريق ومقدونيا خلال السنوات الخمس والعشرين المقبلة كأرض معركة لمختلف القادة الذين كانوا يتطلعون إلى الحصول على امتلاك وطن الإسكندر ، وأنهى أنتيجونوس جوناتاس بن ديمتريوس الفوضى بالاستيلاء على عرش مقدونيا ، لكن منافسه بيرهوس من إيبيروس Pyrrhus of Epirus قام بالمحاولة الأخيرة لإزاحته عام ٢٧٢ بغزو البيلوبونيز ، وقال للسفراء الإسبرطيين فى هذه المناسبة 'إنه جاء لتحرير المدن الخاضعة لأنتيجونوس' (Plutarch,Pyrrhus,26,7)

لم يضع أنتيجونوس وديمتريوس جميع أوراقهما على حلف كورنثة ، فقد حصنا قلعة كورنثة Acrocorinth تحصينًا قويا ، وعندما أصبح أنتيجونوس جوناتاس ملكًا على مقدونيا حافظ على هذه القلعة كحلقة حيوية فى نظام سيطرته على بلاد الإغريق ، ولم يكن لدى الإغريق أنفسهم أى تخيل عن معنى هذه الحامية . وفى عام ١٩٨/١٩٧ أُرسل السفراء الإغريق إلى روما على أمل أن يضمنوا طرد فيليب الخامس الكامل من بلاد الإغريق.

"لقد استغلوا جميع أنواع المعاناة (التى يعانيها الإغريق) للضغط على مجلس الشيوخ (السناتو) بأنه ما دامت خالكيس وكورنثة وديمترياس ظلت فى يد مقدونيا ، فمن المستحيل أن يكون لدى الإغريق أى تفكير فى الحرية ؛ لأن فيليب أطلق فى التعبير عن هذه المناطق بأنها كانت "قيودا لتقييد الإغريق"،وقالوا ،إنه قول صحيح ، فمنذ ذلك الحين لم يستطع سكان البيلوبونيز Peloponnese أن يتنفسوا بحرية فى وجود الحامية الملكية التى وضعت فى كورنثة ، كذلك لم يستطع اللوكريانيونLocrians والبيوتيون Boeotians والفوكايون Phocians أن يشعروا بأى ثقة ما دام فيليب كان يحتل خالكيس Chalcis وبقية يوبويا Euboea ، ولا يستطيع التساليون أو الماجنسيون Magnesians التمتع بالحرية مرة أخرى ، والمقدونيون يحتلون ديمترياس"Demetrias . (Polybi us,xviii,11,4-7)

وبفضل هذه الحاميات ، التى زوِّدت على مر سنين عديدة بالقوات العسكرية فى أثينا وبيرايوس Piraeus ،كان هدف أنتيجونوس جوناتاس منها تأمين جنوب بلاد الإغريق ، فلقد كانت هناك موجة شديدة من المعارضة ضده ، وفى عام ٢٦٨/٢٦٧ أثمرت مكيدة بطلميوس الثانى عن انفجار ثورة الإغريق فى مواجهة مقدونيا ، فيما يعرف بحرب خريمونيديان Chremonidean War ،بعد قيام خريمونيديان الأثينى بترتيب تحالف بين أثينا واسبرطة وحلفاء اسبرطة فى البيلوبونيز وكريت ،ولم يكن هدف بطلميوس واضحا ، لكن التفسير الأكثر احتمالا لمبادرته هو أن قرار أنتيجونوس ببناء أسطول يبدو أنه كان يهدد تفوق بطلميوس البحرى ، والذى أصبح بفضله سيدا على ساحل آسيا الصغرى وعلى جزر البحر الإيجى . وسُجل نجاح خريمونيديان فى تنظيم التحالف ضد مقدونيا فى نقش أثينى من عام ٢٦٨ ، ويقرأ فى جزء منه الآتى:

"وحتى يتمكن الإغريق ، الذين يتفقون بصفة عامة ضد أولئك الذين يتصرفون حاليا بظُلم ويرتكبون الانتهاكات ضد المدن (أعنى أنتيجونوس) ، ربما يمكن بتحفيزهم للكفاح بالاشتراك مع الملك بطلميوس والآخرين أن تتمكن المدن فى المستقبل من المحافظة على اتفاقها ،ومن حسن الحظ ،أن قرارات الشعب بالصداقة والتحالف سوف تظل باقية بين الأثينيين واللاكيديمونيين Lacedaemonians ، وملوك اللاكيديمونيين ، والإيليين Eleans والآخيين Achaeans والتجيانيين Tegeans

والمانتينيين Mantineans والأورخومنيانيين Orchomenians والفيجاليين Phigaleans والكافييـن Caphyeis والكريتيين ، المتحالفين مع اللاكيديمونيين و[الملك] أريـوس Areus وباقـى الحلفاء ، سـوف تظل سارية على مر الزمان ، كما قدمها السفراء".
(SYII.,434/5,II.31-42=SVA,476=Ausin,49)

لم يتبق لدينا من أخبار الحرب غير تفصيلات قليلة ، أما العُملة المصرية الخاصة ببطلميوس الثانى التى عُثر عليها استثناء (راجع ص ٣٦) فى أتيكا وبعض القلاع المعاصرة على أرض أتيكا فربما تشير إلى بعض المساعدة التى قدمها بطلميوس ، لكن هذا الدليل غير كاف ، فقد انتهت الحرب بكارثة للإغريق ، وتم حصار أثينا عام ٢٦١ . وقتل (الملك) أريوس الإسبرطى وهو يحارب بالقرب من كورنثة ، وسيطر أنتيجونوس على بلاد الإغريق لمدة عشر سنوات بدون أى تحد . وكان أخوه غير الشقيق كراتيروس Craterus حاكم كورنثة فى حقيقة الأمر نائبا مستقلا للملك ، لكن خلفه بعد موته ابنه الإسكندر فى القيادة ، الذى ثار ضد أنتيجونوس . وكان ذلك بمثابة لطمة قوية للنفوذ المقدونى ، وعلى الرغم من استعادة أنتيجونوس ، لكورنثة عام ٢٤٥، بخدعة من أرملة الإسكندر، فقد فقدها ثانية بعد ذلك لمدة سنتين لصالح القائد الآخى أراتوس Aratus (٢٤٣) ، ومضت عشرون عاما قبل أن تستعيد مقدونيا مركزها فى جنوب بلاد لإغريق.

ومن المحتمل أن السنوات التى أعقبت ثورة الإسكندر مباشرة يجب أن نرجعها إلى اتبا ع أنتيجونوس لنظام الطغاة فى البيلوبونيز ، على الرغم من أنها ليست جميعها مؤرخة ، وبعضها على الأقل ، مثل ذلك الذى مارسته أسرة أرستيبوس Arisippus فى أرجوس Argos ، ربما يعود إلى فترة مبكرة . ولكن كان يتم تذكر أنتيجونوس كمؤيد للطغاة . وسأل خاليناس Chlaeneas فى خطبته فى اسبرطة (راجع ص ١٠٨) مستمعيه الإسبرطيين بقوله :

"من يجهل أفعال كاسندر Cassander، وديمتريوس وأنتيجونوس جوناتاس؟ إن جميعها معاصرة وليس هناك داع للإشارة إليها. بعضها خاص بجلب الحاميات العسكرية إلى المدن ، وأخرى بزرع الطغاة الذين لم يتركوا لأى مدينة الحق فى أن تدعى بأنها حرة" (Polybius,ix,29,5-6) .

وفى مكان آخر اشتكى بوليبيوس (ii,41,10) من أن جوناتاس "زرع طغاة فى بلاد الإغريق أكثر من أى ملك آخر".

لم يعد أنتيجونوس (وبعده ابنه ديمتريوس) بعد انتزاع كورنثة فى مركز يمكنه من الدفاع عن الطغاة ضد جبهة أراتوس الآخى الموحدة ضده ، وطُرد الواحد منهم بعد الآخر ،وانضمت مدنهم (أى مدن جبهة أراتوس) إلى الحلف الآخى Aetolian league، الذى أصبح قويا فى البيلوبونيز منذ بداية القرن الثالث مثل الحلف الأيتولى فى وسط بلاد الإغريق . وسوف نقوم بدراسة كلا النظامين فى الفصل الثامن (راجع ص ١٧٨-١٨٤) . ووضعت المدن منذ عام ٢٣٩ وما يليه بالتحالف معا عقبات خطيرة أمام طموح مقدونيا فى عهد ديمتريوس الثانى (٢٢٩-٢٣٢) ، وعندما مات عام ٢٢٩ تاركا وراءه ابنه- فيليب- الذى كان يبلغ من العمر ثمانى سنوات كوريث له ، كانت مقدونيا تواجه متاعب خطيرة ، واختار قادة مقدونيا شخصا يدعى أنتيجونوس Antigonus (المعروف بدوسون Doson) ، وهو ابن عم ديمتريوس ، نائبا للملك ، وعين ملكًا بعد فترة وجيزة (راجع ص ٩٩) ، وأظهر حكمه انقلابًا معاكسا فى حظ مقدونيا ، وكان الموقف فى البداية مُعتما ، فقد اجتاح الدردانيون Dardanians الحدود الشمالية ، واستولى الأيتوليون على معظم أنحاء تساليا ، وعلاوة على ذلك تذبذب إخلاص جنوب بيوتيا ، وانتزعت أثينا حريتها من قائد الحامية المقدونية ، وتنازل طغاة أرجوس وهيرميونى Hermione وفيليوس Phlius عن سلطاتهم وانضموا إلى آخيا . لكن ذلك النجاح الآخى توافق مع وصول الملك الصغير العنيف يومينيس الثالث إلى السلطة فى اسبرطة ، الذى رأى الإعداد لمشروع ثورة اجتماعية لسياسة التوسع الاسبرطى . وبعد عدة سنوات من الحملة رأى آخيا فى فوضى كاملة ، وأضطر أراتوس إلى تغيير جوهرى مفاجئ فى موقفه : volte - face

"الذى كان ينبغى ألا يقوم به أى إغريقى ، وكان أكثر ما يمثل وصمة عار بالنسبة له ، ولا يتناسب مع تاريخه كجندى ورجل دولة هو قيامه بدعوة أنتيجونوس إلى بلاد الإغريق وملء البيلوبونيز Peloponnese بالمقدونيين ، الذين كان هو نفسه قد قام بطردهم من البيلوبونيز ، عندما كان شابًا واستولى على قلعة كورنثة وخلَّصها من سيطرتهم". (Plutarch,Cleomenes,16,3)

كان أراتوس فى مأزق ؛ لأن مخاوفه من اندلاع ثورة اجتماعية كانت كبيرة ، على الرغم من أن هذه المخاوف كانت لا ضرورة لها فى أخيا بخصوص قيام كليومينيز المنتصر بإعادة توزيع الأرض وإلغاء الديون (راجع ص١٩٧ وما يليها) ، وكان هلعه من طرد كليومينيز له من منصبه السيادى الذى ظل يشغله لأكثر من عشرين عاما ، دافعا له لتفضيل مقدونيا على اسبرطة ،وفى عام ٢٢٤ وضع أنتيجونوس يده على اسبرطة .

استقرت قوة مقدونيا فى هذه المرحلة على أساس جديد ، وهو تكوين تنظيمات فيدرالية بزعامة ملك مقدونيا ، الذى لم يعد بعد فترة وجيزة أنتيجونوس (الذى توفى عام ٢٢١) ، بل كان فيليب الصغير ابن ديمتريوس ، الذى ترك له الخلافة مفتوحة ، ويعنى التحالف الجديد العودة إلى سياسات فيليب الثانى وأنتيجونوس الأول ، ما عدا أن الوحدة الجديدة لم تكن تتألف من وحدة مدن دول ، لكنها كانت فى شكل اتحاد كونفدرالى ،وهو تغيير يعكس تأكيد الشكل السياسى الجديد فى بلاد الإغريق ، الذى سوف نراه فى الفصل الثامن ،كان الأعضاء الأساسيون للاتحاد الجديد Symmachy (*) هم: الآخيون Achaean ، والمقدونيون Macedonians ، والتساليون Thessalians، والأبيريون Epirotes ، والأكرانيون Acaranians ، والبيوتيون Boeotianss، والفوكيون Phocians ، وكان يمكن للرئيس القيام بدعوة المجلس وأنيط به (أى بالاتحاد) مسئولية السلام والحرب ، ومسائل التموين والعضوية ، ولم يكن له خزينة (ميزانية) ، على أى حال ، وكان على الدول الأعضاء المصادقة على قراراته ، وهنا يكمن موطن الضعف الأساسى ، الذى حال دون تطور هذه المؤسسة لتصبح قوة مستقلة بذاتها . وكان الاتحاد منذ تأسيسه عبارة عن حل وسط مابين المثالية الإغريقية عن الحرية ، والهدف المقدونى فى السيطرة ،وكان طريقة للتخلص على الأقل من نظام جوناتاس الخاص بالطغاة .

(*) الاصطلاح مشتق من الكلمة اليونانية αυμμαχικον بمعنى المتحالفين the body of allies ، راجع :
Liddell & Scott,op. cit.p.107.

أحاط الاتحاد بأيتوليا ، واستخدم فى البداية لشن حرب غير مبررة ضد الحلف الأيتولى (٢١٧-٢٢٠) ، لكنه أصبح - فيما بعد - الوسيلة الفعالة لجذب الآخيين والتحالفات الإغريقية الأخرى إلى حرب مدمرة مع روما التى استفزتها طموحات فيليب الصغير، وفى تلك الحرب اتخذت أيتوليا الجانب الرومانى ، وفى أثناء اندلاع الحرب الثانية بين روما ومقدونيا عام ٢٠٠ تم الضغط كثيرا على التحالف الذى توقف عن تقديم أى ميزة للإغريق ، وصوّت الآخيون عام ١٩٨للانضمام إلى روما ، وأوقعت الهزيمة بفيليب فى معركة كينوسكيفلاى Cynoscephalae ١٩٧ التى نجم عنها حصْره فى حدود مقدونيا القديمة ، وتبعها قيام روما بإعلان مسرحى فى دورة الألعاب الإستمية Isthmyan games التى أوضحت السرعة التى تعلم بها الرومان كيفية الإفادة من الدِّعاية القديمة بالمناداة بتحرير بلاد الإغريق.

"لقد ترك مجلس السناتو الرومانى والبروقنصل تيتوس كونكيتوس T.Quinctius الشعوب التالية أحراراً بعد هزيمة الملك فيليب والمقدونيين ، بدون وجود حاميات عسكرية ، وبدون الخضوع للجزية ، على أن يحكموا بقوانين بلادهم-وهم الكورنثيون Corinthiansوالفوكيون Phocians واللوكريون Locrians واليوبيونEuboeans والبثيبوتيون Pthpiotic والآخيون Achaeans والمجنيسيون Magnesians والتساليون Thessalians والبيرهاييون Perrhaebians (Polybius,xviii,46,5) .

كانت جميع الشعوب التى ورد ذكرها خاضعة لسيطرة مقدونيا ، وخضع بعضها ، مثل التساليين ، لها منذ عصر فيليب الثانى ، وفى الحرب الرومانية ضد أنطيوخوس الثالث السورى (١٨٩-١٩٢) حارب فيليب فى جانب الرومان ، واسترد بعض الأقاليم على الحدود التسالية ، من بينها ديمترياس ، لكن روما نحّت ذلك جانبا نتيجة لسلسلة من الأحكام المضادة ، ووصل عداؤها لخليفته برسيوس Persius إلى الذروة فى الحرب المقدونية الثالثة (١٧٩-١٦٨) التى قضت على مملكة الأنتيجونيين . ومن عام ١٦٨ وحتى عام ١٥٠ أصبحت مقدونيا تتكون من أربع جمهوريات مستقلة تدفع الجِزية ، وحولتها روما إلى ولاية رومانية بعد ثورة مُدع يسمى أندرسقوس Andriscus ، الذى ادعى أنه ابن برسيوس.

وفيما يتعلق ببلاد الإغريق أيضا لم يؤد تصريح إستموس إلى مرحلة استقلال مجيد ، ولكن فقط لحرية محددة ، طبقًا لما كانت تحتاجه تسوية المشاكل الحادة التى كانت تواجه روما (راجع ص٢٦٥ / ٢٦٦) ، ونتج عن الحرب مع أنطيوخوس وأيتوليا إصدار قرارات جديدة ، ووجود عدد أكبر من الوكلاء المفوَّضين ، وفى النهاية انتهت ثورة الحلف الآخى بتدمير كورنثة فى عام ١٤٦،وانفرط بذلك الحلف ، وخضعت عدة دول لسيطرة حاكم مقدونيا . إن المعنى الكامل لسيطرة روما على بلاد الإغريق والعالم الهيللينستى ،هو موضوع منفصل على أية حال ،وسوف يكون محل اهتمامنا فى الفصل الأخير .

الفصل السادس

"مصر البطلمية"

Ptolemaic Egypt

أولا :

عندما تم توزيع الولايات فى مؤتمر بابل بعد وفاة الإسكندر:

"عُين بطلميوس بن لاجوس Ptolemy son of Lagosعلى حكم مصر وليبيا Lybia وأراضى العرب المتاخمة لمصر ؛ على أن يصبح كليومنيس Cleomenes، الذى عينه الإسكندر حاكما لهذه الولاية تابعًا لبطلميوس". (Arrian, Events after Alexan-der,Fragmente der griechischen Historiker,156 F 1,5) .

لكن سرعان ماتخلَّص بطلميوس من كليومينيس "الذى اعتبره مواليا لبرديكاس Perdicas وليس له"،(Pausenias,I,6,3) . وكان بطلميوس يمثِّل - منذ البداية من قاعدته فى مصر - عقبة جسيمة أمام أى شخص يعمل جاهدا على إعادة توحيد إمبراطورية الإسكندر ، لكن أهدافه وأهداف خلفائه كانت بعيدة عن الوضوح ، ويبدو من المؤكَّد أن بطلميوس الأول لم يكن لديه طموح شخصى فى الحصول على الإمبراطورية بأكملها ، ولكن فى هذه الحالة ما ذا كان الهدف من ممتلكاته التى أحرزها فيما وراء البحر ؟ لقد برزت المشكلة من فقرة وردت لدى بوليبيوس (Polybius,v.34,2ff) يصف فيها وضع بطلميوس الرابع فيلوباتور Philopator الذى تولى الحكم عام ٢٢١ ، حيث قال عن الملك الجديد :

"كان من الواضح أنه كان مُهمِلا فى العمل ومن الصعب الوصول إليه . عامل المكلفين بإدارة الأمور خارج مصر بإهمال كامل وعدم اكتراث ، تلك الأمور التى كانت محط الاهتمام البالغ من الملوك السابقين أكثر من حكومة مصر نفسها ؛ لذلك كانوا

قادرين دائما على الاحتفاظ باحترام ملوك سوريا فى كل من البحر والبر ، كسادة لمنطقة جوف سوريا Coele- Syria وقبرص ، كما مارسوا باستمرار الضغط على حكام آسيا الصغرى ،وكذلك الجزر، ومنذ أن استولوا على المدن الرئيسية ، والمراكز الهامة والموانئ على طول الساحل من بامفيليا Pamphylia والدردنيل Hellespont والمناطق الواقعة بالقرب من ليسيماخيا Lysimacheia ؛ فقد استطاعوا بسيطرتهم على أينوس Aenus ومارونيا Maronea وغيرها من المدن ، حتى تلك الواقعة أبعد منها ، أن يشرفوا على الأوضاع فى تراقيا ومقدونيا. وبمثل تلك اليد الطويلة وذلك السياج المتقدم من الدول التابعة client states (أى الأسر الحاكمة) ، لم يكن لديهم مايخشونه على أملاكهم المصرية ؛ ولهذا السبب كان من الطبيعى أن يوجهوا اهتماما بالغا للشئون الخارجية ".

استولى بطلميوس على جوف سوريا Coele- Syria عام ٣١٩ بعد مؤتمر تريباراديسوس Triparadeisus (راجع ص ٦١) ، لكنه سرعان ما خسر الجزء الشمالى منها لصالح يومينيس ، وبعد وفاة يومينيس Eumenes مباشرة وقعت كل المنطقة فى يد أنتيجونوس ، وتلا معركة إبسوس Ipsus عام ٣٠١ استيلاء بطلميوس على الجزء الجنوبى من الولاية ، ورفض تسليمها لسيليوقوس Seleucus، الذى لم يقم بالضغط السياسى للمطالبة بها فى الوقت الراهن بسبب ديونه . لكن ظل جوف سوريا موضوعا للنزاع بين المملكتين ،وكانت أحد الأسباب الهامة لوقوع خمس حروب بين البطالمة والسلوقيين فى القرن الثالث ، حتى انتصار عام ٢٠٠ فى بانيوم Panium الذى أصبح أنطيوخوس الثالث بمقتضاه سيدٍ سوريا وفينيقيا .

أجرى بطلميوس الأول اتصالات مبكرة مع قبرص ، واستولى على الجزيرة بعد مدة قصيرة ، وفى عام ١٢٠عين أخاه مينيلاوس Menelaus قائدا مكلفا بها ، ثم فقدها بصفة مؤقتة بعد (معركة) إيبسوس لصالح ديمتريوس ، لكنه استردها بصفة دائمة عام ٢٩٤ . ومن المحتمل أنه قام فى حوالى عام ٣١٠ بعقد تحالف مع رودوس ، وهى المدينة "التى كانت تحصل على معظم مصادر دخلها من التجار المبحرين إلى مصر ؛ وكانت المدينة تتعيش من هذه المملكة " Diodorus,xx,81,4 ، وتأكد هذ القول من العدد الكبير من الجِرار الروديسية المختومة التى عُثر عليها فى الإسكندرية بعد ذلك بقليل ،

وبين عامى ٢٨٧-٢٩١ ربما حصل بطلميوس على زعامة حلف الجزيرة ، الذى نظمه أنتيجونوس فى الأصل (راجع ص ٦٤) . وهكذا كان تصميم بطلميوس للسيطرة على مناطق حيوية خارج مصر واضحا منذ تاريخ مبكر ، وكما أشار بوليبيوس ، فقد استولى على عدة أملاك ساحلية فى آسيا الصغرى ، وزعم بوليبيوس أن هذه الأملاك تؤكد - وإشارته كانت تعنى التأكيد - أن البطالمة حتى عصر بطلميوس الثالث يورجتيس Ptolemy III Euergetes" لم يكن لديهم أى مخاوف على أملاكهم المصرية"، وعلى ذلك فإنه بالنسبة لبوليبيوس ، فقد حققت السياسة البطلمية الدفاع المرجو منها.

يجب أن تؤخذ وجهة النظر هذه بجدية ، حتى لو كانت تبالغ فى تبسيط الأمور أو حتى إذا كانت تلوى الحقائق ، ويعتقد بوليبيوس أن بطلميوس الرابع لم يهمل فقط الشئون الخارجية - وهو حكم يقع فى موضع التساؤل - إنما تحالف فيليب وأنطيوخوس معا ضد مصر بعد فترة قصيرة من موت الإسكندرالرابع عام ٢٠٤ ، وكانت مصر نفسها تكون جزءا من نصيب فيليب من المغانم .(راجع :' Polybius ,iii,2, 8) وضع فيليب يده على مصر وكاريا Caria وساموس Samos (غير أن بعض المتخصصين حوروا النص دون مبرر ليُقرأ "الأيجى the Aegean" بدلا من مصر . "Egpyt" وبالفعل ، فقد انتقد بوليبيوس فيليب ؛ لأنه بعد أن أحرز النصر فى معركة لاد Lade ضد الروديسيين عام ٢٠١ " كان فى إمكانه الإبحار بالفعل إلى الإسكندرية"(Polybius,xvi,10.1) ، إلا أنه لم يفعل ذلك . ولكونه كان فى صدر حياته رجل دولة ، فعندما رأى بوليبيوس أنطيوخوس الرابع يغزو مصر، فربما أثر ذلك فى تقديره . وعلى أى حال يبدو أنه كان يتطلع إلى السياسة البطلمية الخارجية على أنها قد صُممت فى الأساس وبطريقة مباشرة لمنع الهجمات على مصر، وكانت مثل تلك الهجمات تأتى من سوريا أساسا ، وكان امتلاك جوف سوريا وقبرص يخدم بالتأكيد كدفاع ضد هجمات تشن من تلك الأنحاء . وتم مناقشة القول بأن سيطرة البطالمة على البحر الأيجى قد صُممت لمواجهة النفوذ المقدونى فى بلاد الإغريق ، وفى الحقيقة كان هناك مظهر معاد لمقدونيا فى سياسة البطالمة الخارجية ، وكما هو واضح فى حرب خاريمونيديان Charemonidean (راجع ص ١١١-١١٢) ، التى حرض بطلميوس الثانى عليها وموّلها ، فإن هذه الحرب تبدوا كرد فعل لإنشاء أنتيجونوس للأسطول ، وتبدو كما لو أنها كانت نتيجة لمخاوف

البطالمة من توسع الأنتيجونيين فى ساحل آسيا الصغرى أكثر من كونها ضد سيطرة المقدونيين على بلاد الإغريق ، وكتامين وتهديد فإنهم كانوا دائما جاهزين لتقديم الأموال لمثيرى الشغب من السياسين الإغريق ، مثل أراتوس السيكيونى Aratus of Sycion ، أو باختصار، كليومينيس الثالث الاسبرطى Cleomenes III of Sparta . وفى حقيقة الأمر فإن العمل البطلمى ضد مقدونيا فى بلاد الإغريق كان يعد ضعيف المستوى بصفة عامة .

كانت سوريا تمثل إذن التهديد الرئيسى ، لكن الدفاع عن مصر ضد السلوقيين لم يكن يتحقق بإنشاء منطقة حاجزة buffer zone فقط تحت سيطرة البطالمة المطلقة ، فلقد كانت دولة البطالمة فى حاجة لجيش وأسطول مجهزين جيدا بالأسلحة ، ومن الملاحظ أن مصر كانت تفتقر لأغلب تلك المواد الأولية الضرورية جداً كالمعادن، والأخشاب ، والقطران ، والمال ، والقوة البشرية المناسبة . وتعنى القوة البشرية المناسبة – بطبيعة الحال – الإغريق والمقدونيين والأيتوليين فقط ، و كان يمكن استدعاؤهم فى الحال عندما يتوافر المال ، حقيقة كان هناك قليل من الذهب فى النوبة Nubia، ولكن كان يجب استيراد بقية المواد الأولية الأخرى بكميات كبيرة ، وبالمثل هناك أشياء أخرى ضرورية للحفاظ على مستوى الحياة المتحضرة التى يحتاج إليها الحكام الهيللينستيون ، مثل : الصوف ، والصبغة الأورجوانية ، والرخام ، والنبيذ الفاخر ، والخيول . وعلى ذلك سوف نضع فى ذهننا أن السيطرة على جوف سوريا وقبرص وساحل آسيا الصغرى والجزر الإيجية كانت لتحقيق أهداف مختلفة ، منها مدّها بكثير من الاحتياجات التى لم يكن لها وجود فى وادى النيل والدلتا .

وربما كانت منتجات الممتلكات البطلمية فى الخارج تصل إلى الإسكندرية كجزية ، لكن شراء بضائع المناطق الأخرى ، وتأجير القوات العسكرية كان يحتاج إلى المال ، وقد أفاد بطلميوس الأول من مبلغ ٨,٠٠٠ تالنت (Diodorus,xviii,14,1) الذى ورثه من كليومينيس ، واستغل – بطلميوس – مصر بشدة من أجل الدفاع المتواصل عنها والاحتلال العسكرى لقورينة Cyrene (برقة فى ليبيا) ، التى لم يلحقها بطلميوس بمصر ، لكن ألحقها به شخصياً (مثلها فى ذلك مثل تساليا التى ألحقت بملوك مقدونيا) ، والشىء نفسه بالنسبة للدفاع عن باقى الأملاك الخارجية الأخرى ، من أجل ذلك كان

استمرار وجود مصدر للثروة أمرا جوهريا ،ومن أجل تأمين هذه الثروة وضعت بعض أشهر القواعد المميزة للحكم البطلمى لمصر ، وبوضعها أصبح النظام يعتمد على نفسه دائما ، ويبدو أنه من المحتمل أن تكوين النظام يرجع فى الأصل إلى بطلميوس الأول ، على الرغم من أن نموّ النظام الكامل وتطوره حدث فى عهد بطلميوس الثانى ، ومن المؤكد أنه منذ عهده بدأت التفاصيل الكاملة تتوافر عنه.

ثانيا :

ربما يوصف هذا النظام بأنه تجربة على مستوى واسع فى البيروقراطية المركزية وفى التسويق ، كما يمثل فى الوقت نفسه الرغبة فى تكديس المعادن الثمينة بالسيطرة على التجارة ، وإخضاع الاقتصاد لسيطرة الدولة . وقد صيغت هذه السياسة بوضوح فى خطاب من عام ٢٥٨ كتبه ديمتريوس الذى كان من الواضح أنه المسئول عن دار ضرب النقود فى الإسكندرية ، وأرسله بطلميوس الثانى إلى أبوللونيوس Apollonius وزير المالية Dioiktes . ويقرأ فى هذا الخطاب بعد الديباجة المعتادة التالى :

" التزمتُ بعمل ما كتبتَ لى بخصوصه ، وتسلمت (مبلغ) ٥٧,٠٠٠ قطعة نقود ذهبية وهى التى قمت بضربها وإعادتها ، وربما يمكننا الحصول على عدد مضاعف لذلك عدة مرات ، ولكننى كما سبق أن كتبت لك من قبل ، بأن الأجانب (الغرباء) الذين قدموا هنا بحرا ، والتجار والسماسرة والآخرين الذين جلبوا معهم نقودهم المحلية من المعادن السليمة (غير المزيفة) ، والذهب من فئة الخمس دراخمات (trichrysa) لتصنيعه نقودًا جديدة لهم ، طبقا للقرار الذى يأمرنا بالتسلُّم والتحويل ، اضطررنا إلى عدم قبولها ؛ لأن فيلاريتوس Philaretus لم يسمح لى بقبولها ، ولم نعرف إلى من يمكن اللجوء إليه فى هذا الموضوع ".

وواصل الخطاب بعد ذلك- القول- بأن الرجال تذمروا لأن ذهبهم ظل معطَّلا ؛ لأنهم لا يستطيعون تبديله "أو إرساله إلى داخل البلاد لشراء البضائع" كما أن جميع المقيمين (فى الإسكندرية) "غير قادرين على تغيير ما يحملونه من الذهب ، وفوق كل ذلك فإن كل مصادر الدخل تعانى ؛ لذلك قال ديمتريوس : " إننى أنتهز الفرصة للقول

بأنه إذا كان يتم استيراد مثل هذا القدرالكبير من الذهب من الخارج ،فستظل العملة الملكية دائما جيدة وجديدة بدون إضافة أى تكاليف عليها .

(P. Cairo Zen.,59021=Select Papyri,no.409= Austin238).

علمنا من هذا الخطاب الإجراء الذى اتخذه بطلميوس الثانى فى فترة ما بعد عام ٢٨٥ ، كجزء من سلسلة التنظيمات التى تنظم الضرائب فى مصر ، لاستبعاد كل النقود الأجنبية من المملكة ، لإرغام التجار الأجانب على تغيير أموالهم فور وصولهم إلى مصر ،وتسلّم ما يقابلها من العُملة البطلمية الجديدة التى ضربت فى وزن أقل (أخف) من المستخدم فى الأماكن الأخرى من العالم الهيللنيستى ، القريبة منه -على الرغم من أنه ليس مطابقًا - لما يسمى بالمعدل الفينيقى ، المستخدم فى قورينة Cyrene (برقة ليبيا) ،وليس من المعروف على نحو مؤكد لماذا اختار بطلميوس بعد فترة قصيرة من عام ٣٠٠ هذا الوزن الخفيف ؟ ويعتقد البعض أنه كان يريد أن يجعله يتناسب مع بعض مناطق التجارة الخارجية ، فى حين يربطه آخرون بعلاقته بقيمة الذهب والفضة (لانهيار قيمة سعر الذهب والفضة خلال الحقب المبكرة من القرن الثالث) ، بيد أنه يبدو من الأفضل أن نعتبرها خطوة نحو خلق نظام نقدى مُحكم فى مصر وأملاكها يطرد منها دورة العملات الأجنبية . وإذا كان الأمر كذلك ، فإن تنظيمات بطلميوس الثانى التى يشير ديمتريوس إليها فى خطابه تؤكد هذه الفكرة بإعطائها صيغة القانون ،ومن الأشياء الموجبة للاهتمام معرفة أن نظام النقد البطلمى المحكم قد تم اقتباسه بعد قرن من الزمان من قبل أسرة أتاللوس فى برجامون Per-gamum، التى كانت عملتها كيستوفورى cistophori (تسمى عملتها بهذا الاسم من الصندوق المقدس cista،الذى رُسم عليها) ، وقد استخدمته أيضًا كعملة خاصة بها .

إن ملاحظة ديمتريوس عن الرغبة فى تكديس الذهب توضح الفكر التسويقى وراء سياسة بطلميوس الثانى الاقتصادية ، التى تم تعزيزها بسيطرة كاملة على الإنتاج عبر كل أنحاء المملكة ؛ بغرض الوصول إلى الحد الأعلى لضخ الثروة فى خزانة بطلميوس ، وهو أول ما تحتاج إليه البيروقراطية الفاعلة ، وهنا كان يمكن للبطالمة البناء على النظام الفرعونى الذى قسم البلاد إلى حوالى أكثر من أربعين إقليما nomes، وانقسم كل إقليم إلى مراكز topoi (أقسام) وقرى Komai- - تستخدم الأسماء الإغريقية -

يحكمها النومارخ nomarchs ، والتوبارخ toparchs ، والكومارخ komarchs.[*]
بالإضافة إلى ما تقدم فإن البطالمة طعّموا ذلك بنظام أكثر تعقيدا يتمثل فى القوات التى تمركزت فى أنحاء الدولة تحت قيادة القادة العسكريين (strategoi)[**] ، ووضع الإدارة المالية المحكمة تحت إشراف المشرف المالى (oiknomoi) ،ومع مرور الوقت زادت الأعباء الملقاة على عاتق سُلطة القادة (strategoi) حكام الأقاليم – خاصة خلال القرن الثانى ،عندما تضخمت واجباتهم الأخرى ،وآلت أعمالهم العسكرية البحتة إلى موظفين منفصلين آخرين ، يسرى سلطانهم على عدد من الأقاليم ، أُطلق عليهم اسم مديرى العموم epistrategoi (المفرد مدير عام) .

لقد كان اهتمام البطالمة مركزا فى الحصول على الثروة ؛ لذلك كان الموظف الرئيسى فى الدولة هو وزير المالية dioiketes فى الإسكندرية، الذى نمت سلطته بالتدريج لتشمل كل فرع من فروع إدارة الدولة ،وكما سبق أن رأينا فى المراسلات بين أبوللونيوس Apollonius وزير المالية dioiketesالقوى للملك بطلميوس ،الذى كان مسئولا فى الفترة من عام ٢٨٠ إلى عام ٢٦٨، وزينون Zenon وكيل أعماله المكلف بالإشراف على الضيعة الكبيرة التى منحها بطلميوس لأبوللونيوس فى إقليم أرسينوى Arsinoitenome وهى الفيوم حاليا ، التى تعد آثارها واحدة من المصادر الأساسية للمعلومات التىّ لدينا عن عمل النظام الإدارى فى ذلك الوقت ،وفى رسم صورة من ذلك المجلد volume الغنى بالمادة[***] التى حفظت فى ذلك الأرشيف dossier، لكن على المؤرّخ أن يتذكر أنه ربما يتعامل مع أدلة لتجربة عاشت فترة قصيرة أكثر من كونها تمثل نظاما تواصل حتى فى أثناء عصر البطالمة الأواخر. ويمكننا بهذا الحذر استخدام أوراق زينون البردية لإلقاء الضوء على العمل المُحكم المتقن للنظام الإدارى .

كان وزير المالية يرأس محصلى الضراب oikonomoi ، الذين كان عملهم غير محمود لانتزاعهم العوائد والضرائب من الشعب ،ويمنعون فى الوقت نفسه إصابة

(*) كاتب الإقليم وكاتب المدينة وكاتب القرية (والأخير هو بمثابة عمدة القرية) على التوالى (المترجمة) .
(**) حمل مدير الإقليم فى العصر البطلمى وكذلك فى العصر الرومانى لقب ستراتيجوس strategos ، أى قائد قوات عسكرية باللغة اليونانية (المترجمة) .
(***) يقصد بها كميات البردى الكبيرة التى تحتويه (المترجمة) .

المزارعين بالإحباط ، (كما كان يحدث فى بعض الأحيان) فيقومون بترك ممتلكاتهم والفرار منها ، وهناك نسخة من التعليمات التى أرسلها – فيما يبدو – وزير المالية فى القرن الثالث إلى أحد محصلّى الضرائب ، والتى ربما تكون نموذجًا للنصائح التى كانت ترسل إلى كل محصل ضرائب oiknomos عند توليه المنصب ، لإعطاء بعض التوجيهات لعمل الأخير :

"حاول فى جولتك التفتيشية فى أثناء تنقلك من مكان لآخر رفع معنويات كل فرد وطمأنتهم ؛ ولا تفعل ذلك بالحديث معهم فقط ، لكن إذا ما اشتكى أى فرد من كتبة القرية أو العمد (الكومارخ) komarchs من أى شىء يتعلق بالعمل الزراعى، فيجب عليك النظر فى شكواه، و بذل مافى وسعك لوضع حد لتلك الأمور..... وينبغى أن تعتبر أن أحد أهم مهامك التأكد من أن القرية بُذرت بنفس نوع حبوب المحاصيل التى وصفت فى الخطة ، وفى حالة حدوث ضغط شديد على أى فرد بسبب العوائد ، أو إذا كان قد أجهد إجهادا كاملا ، فينبغى عدم ترك ذلك بدون استقصاء " .

(P.Teb.,703=Select Papyri,no.204= Austen-256)

إن الخطاب الذى أخذت منه هذه الاقتباسات يدل على الخطة الشاملة للنماذج المختلفة للاستغلال الرسمى الصارم للنظام الذى خضع له الفلاحون ، كما أنها تقترح وسائل يجب أن يستخدمها محصِّل الضرائب oiknomos للتأكد من أن أى مصدر من مصادر الدخل لم يهرب من تحت عينه الرسمية ، على سبيل المثال ، عليه أن يستخدم فترة فيضان النيل ، عندما تُرغم قطعان الماشية على التجمع فى الأراضى المرتفعة ، ليقوم بتسجيل أعدادها لفرض الضرائب عليها .إن المرء لا يملك التعاطف ليس فقط مع الفلاحين ، ولكن أيضا مع محصل الضرائب الذى كان يجب عليه أن يحافظ على رضائهم ، فى حين يقوم باقتطاع رطل اللحم الذى يخصه من لحمهم.

تباينت أنواع الضرائب والعوائد التى فرضت تباينا جوهريا فى نوعها ، وكانت تحصل من كل مصدر ممكن من مصادر الدخل . وهى معروفة لنا من خلال الكميات الهائلة من أوراق البردى التى تتضمن أوامر الدفع ،والإيصالات ، والعقود ، والعطاءات ، والأمور المالية اليومية ، أو أمور الحياة الاقتصادية الأخرى ، وكنموذج لذلك أمر دفع العوائد التالى ، الذى يبدو أن القائد (مدير الإقليم) كتبه عام ٢٤٤-٢٤٣ :

"إلى أخوبابيس Achopapis بخصوص ما هو موجود فى حيازة ألكيتاس Alcetas ، وهو أحد السجناء من أسيا الصغرى فى منطقة بسيناربسينيسيس Psenarpsenesis والتى استعادها التاج بعد عملية بذرها بالحبوب للسنة الرابعة ، لقد سلم أبوللونيوس أمين العقود لنا عقداً قال عنه إن الكيتاس قام بعقده مع هليودوروس Heliodorus مزارع الحيازة ، نظير عوائد محددة تبلغ ثلاثين إردباً Artabae من القمح ، وقاما بالتوقيع على حلف اليمين المعتاد على أن العوائد تبلغ ذلك المقدار ، وبناء على ذلك قم بوزن العوائد للتاج طبقا للوزن السابق ذكره "(P.Petrie.104 = Select Papyri,no.392).

وهنا توجد عدة مسائل تحتاج إلى التوضيح ؛ لذلك سنقوم بمناقشة نظام حيازة الأرض فى مصر .

عامَل بطلميوس جميع أراضى مصر ، بصرف النظر عن التنازل عنها أو شغلها كما لو أنها ملكية خاصة له ، فبعد لقائه مع عدوه برديكاس فى تريباراديسيس Triparadeisus عام ٣٢٠ كان هناك كما سبق أن ورأينا (ص٦١) إعادة توزيع للولايات satrapies التى كتب عنها ديودوروسDiodorus قائلا:

"عين لبطلميوس الولاية (أى مصر) التى كان يسيطر عليها حتى الآن ؛ لأنه كان من المستحيل تعديل ذلك ، وبقدر ما اتضح أنه متمسك بمصر كأرض غنمها ، فقد استولى على الأرض ومحصولها بشجاعته الخاصة " (xviii,39,5)

على أى حال ، كان يتم زراعة قسم فقط من أراضى مصر مباشرة على أنها "أراضى التاج crown land" ، وكانت تملك معظمها المعابد الوطنية القوية التى كان كهنتها أقرب ما يكونون إلى طبقة النبلاء المحلية ، وكانت أراضى المعابد تعتبر دائما من الناحية النظرية ملكا للملك ، اتخذ الملوك- البطالمة - خطوات للسيطرة على زراعتها ، وصادروا دخلها، وسمحوا فقط برد الضرورى منها للمعابد ذاتها، ونجحوا فى ذلك جزئيا ، وعندما ضعفت سلطة الملوك فى القرن الثانى نجح الكهنة فى زيادة مساحة الأراضى والسلطة التى كانوا يمارسونها هم أنفسهم ، ومما هو جدير بالنظر بناء عدد كبير من المعابد الرائعة فى العصر البطلمى ، مثل : دندرة ، والكرنك ، وإدفو ، وكوم أمبو.

وكانت الأراضى التى أبقى عليها الملك يقوم بزراعتها المزارعون الملكيون crown peas-ants ، الذين كانوا يلتزمون بزراعتها بعقود إيجار قصيرة الأجل ، وكان مُحصِّل الضرائب المحلى يعمل بين هؤلاء الرجال ، ويحاول إغراءهم لتنمية قدرتهم على دفع الضرائب ، وكان يساعده فى ذلك عدد من الموظفين التابعين له من المصريين ومختلف الحراس والعمدة (الكومارخ) وكاتب القرية (المذكور فى الخطاب) ، وكان هؤلاء الرجال من المستوى الإدارى الأدنى مصريين بالضرورة ، يتحدثون المصرية ، مع الأهالى الوطنيين ، وكان التاج يمدهم ببذور حبوب الغلال ، وكان يجب رد مايقابلها بعد الحصاد ، وكانت الإدارة المركزية تقرر ما يزرعه الفلاح ، ويُسجل فى كشف بذر البذور ، وهناك أراضٍ مُنحت هبات ، إلى المعابد أو إلى أشخاص مثل أبوللونيوس Apollonius وزير المالية dioiketes ، الذى بلغت مساحة ضيعته حوالى ٧,٠٠٠ أكر (فدان إنجليزى ، أقل من الفدان المصرى) فى الفيوم التى سبق ذكرها ، أو أراضٍ أخرى قُسمت إلى أنصبة ، ووزعت على الجنود ، وهى المعروفة باسم الإقطاعات العسكرية cleruchs (أو التى عرفت بعد عام ٢١٧باسم الوحدات الخاصة بالمستوطنين katiokioi) .

ومن أجل تأمين الاحتفاظ بالسيطرة على مصر ضد جميع المتنافسين كان البطالمة فى حاجة إلى القوة البشرية ، وهناك ثروة من الأدلة التى تشير إلى تدفق الأجانب الكبير من كل الجنسيات خلال السنوات الخمسين الأولى من سيطرة البطالمة ، ولقد شجع البطالمة ذلك . وبعد معركة غزة على سبيل المثال (٣١٢) "أرسل بطلميوس الأسرى إلى مصر بتعليمات تقضى بتوزيعهم على الأقاليم " . (Diodorus,xix,85,3-4 وكان هناك أكثر من ٨,٠٠٠ منهم ، ومن أجل تغطية احتياجات الهجرة أنشئ قطاع أراضى الإقطاعات العسكرية " cleruchic land" الهام ، وكانت مساحة تلك الأنصبة تتراوح بين ثلاثة ونصف وبين سبعين فدانًا إنجليزيا متناثرة فى أنحاء الدولة(*) ؛ لذلك خصصت للرديف (قوات الاحتياط) فى الجيش الذين كلفوا بواجب مضاعف لزراعة الأرض والخدمة فى الجيش عند الحاجة ، وَفَّر هؤلاء الرجال للملك كما هائلا من الأموال النقدية التى لها قيمة كبيرة ، والتى كان هو فى حاجة إليها لجلب الجنود

(*) عن المعنى الجديد الذى اكتسبه الإصلاح فى العصر الرومانى راجع : الروبى (آمال) ، مصر فى عصر الرومان ، ص١٧٥ - ٢٠٦ (المترجمة) .

المرتزقة الذين كان يجب استخدامهم بدلا منهم ، وفى بعض الحالات كان الجندى صاحب الإقطاع يؤجر نصابه لملتزم للقيام بزراعته ، سواء جزء منه (فى حالة إذا كان النصاب كبيرا عليه بمفرده) ، أو بأكمله عند استدعائه لأداء الواجب العسكرى .

وفى خطاب أخوبابس (ص١٠٧) Achopapis أصبح ألكيتاس Alcetas، أسير الحرب الذى من المحتمل أنه تم أسره فى حرب اللاوديكيون Laodicean ضد سيليوقوس (٢٤١-٢٤٦)-أصبح جنديا فى جيش بطلميوس الثالث ، وحصل على مساحة من الأرض kleros وأجرها لشخص يدعى هيليودوروس Heliodorus . وبسبب محاولة ألكيتاس استغفال السلطة صادرت الحكومة نصابه ، عندما قامت بفحص العقد ، وأمرت بدفع العوائد (قمحا ، وليس نقدا) للتاج . وكانت أنصبة الأراضى الزراعية شخصية فى الأصل ، بيْد أنه ذُكر فى بردية من منتصف القرن الثالث من إقليم الفيوم أن النصاب "cleruch آل إلى المنحدرين والمنحدرات ممن كانت لديهم الأرض" (P.Lille,4) ، وفى مكرُمة منحها بطلميوس يورجتيس الثانى عام ١١٨ وزوجته – الحالية– وزوجته السابقة ، نعلم أنه:

"أصدر قرارًا بأن كل الذين حصلوا على منح من الأراضى ، وكل الأراضى التى فى حوزة المعابد والأراضى الأخرى المحررة en aphesei (التى ألغت الحكومة مصادرتها) ، وكل من اعتدى على أراضى التاج ، وجميع أولئك الذين وضعوا أيديهم على أكثر من أنصبتهم ، فعند تنازلهم عن الزيادة والإعلان عن أنفسهم والقيام بدفع العوائد السنوية سوف يتم رفع المسئولية عنهم عن مدة السنوات الحادية والخمسين وسوف تئول لهم المِلْكية القانونية للأرض ".= (P.Teb.,5,II.3643=Corp.Ord.Ptol.,no.53 Austin,23)

توضح هذه الوثيقة أن أراضى الإقطاعات العسكرية أصبحت تقريبا فى ذلك الوقت ملكية خاصة ، سواء كان أصحابها يقومون بزراعة أنصبتهم أو عدمه ؛ لأن المقطعين لم يعودوا يقيمون الآن فى إقطاعاتهم ، وكانوا يخضعون لاستدعائهم بين حين وآخر ؛ لأنهم جنود رديف (احتياط) ، كما سمعنا أيضا عن جنود يعيشون فى بعض الأحياء ، على نفقة المصريين من الأهالى فى العادة ، وأدى ذلك إلى مشاعر شديدة المرارة ، بل لقد خلق هذا الوضع ما هو أكثر من ذلك عندما بدأ المصريون فى

أواخر القرن الثانى يستقرون كأصحاب إقطاعات ، وكما حدث فى بعض الحالات فى كيركيوسيريس Kerkeosiris فى الفيوم عندما طردوا الإغريق الذين كانوا يملكون الإقطاعات العسكرية الكبيرة(*) .

خضع أصحاب الإقطاعات العسكرية مثل مزارعى أراضى التاج لدفع ضرائب متعددة ساعدت على انتفاخ الخزانة الملكية ، وسمعنا عن مكوس على الصوف والكتان ؛ ورسوم الخلافة (التى يدفعها من يخلف الميت) ؛٥٪ضريبة عوائد المنزل ، وضريبة ١٠٪على مبيعات السوق ، ٣٣١/٢ على تربية الحمام (خصصت فى كيركيوسيريس Kerkeosiris للإله سوكنيبتينيس(Soknebtunis) ؛ ٣٣١/٢ فى المائة ضريبة على حدائق الكروموالبساتين والحدائق مع دفع ١/٦ إنتاج حدائق الكروم عينا ، وتدفع نقدا عن البساتين والحدائق (تعرف الضريبة الأخيرة باسم الأبومويرا apomoira، خصصت للإنفاق على خدمة عبادة أرسينوى فيلاديلفوس Arsinoe Philadelphus زوجة بطلميوس الثانى المتوفاة (P. Rev. Laws,col.37,15-18)؛ وضريبة على الماشية والعبيد ؛ وضريبة الرأس ، وضريبة الجمارك المعتادة ، وكانت ضريبة الغلال تدفع عينا على عكس الضرائب المفروضة على النبيذ والزيتون والمحاصيل النقدية الأخرى ، وكان على مزارعى أراضى التاج أن يدفعوا إيجارات لأراضيهم وإلا ينتهى الأمر بمصادرتها ، وكانوا يدفعون عوائد وضرائب يبلغ مقدارها ٥٠٪ من المحصول . ويقوم المزارع ببيع ما يتبقى له بعد إطعام أسرته ، (وهو ما اعتاد غالبا عليه) أو بمبادلته لشراء الضروريات الأخرى ، ويبدو أن الفلاحين الملكيين كانوا يتعاملون بالمقايضة بصفة رئيسة بدلا من التعامل الكبير بالنقود. وكان وضع صاحب الإقطاع العسكرى أفضل قليلا ؛ لأنه لم يكن مطالبًا بهذه العوائد الكثيرة ، فأداء الخدمة العسكرية كان جزءا من واجباته .

ولم يكن من الممكن بيع جميع هذه المنتجات ؛ لذلك فرض البطالمة احتكارات عديدة بالإضافة إلى فرض الضرائب الثقيلة . ويتمثل المثال الجدير بالاعتبار فى إنتاج المحاصيل الزيتية ، والسمسم sesame ، وزيت الخروع castor-oil ، وبذر الكتان lin-

---

(*) عن قرية كيركيوسيريس راجع الدراسة المميزة عنها والمنشورة فى جامعة كمبردج Crowford: (d.)، Kerkeosiris، An Egyptian Village in the Ptolemaic PeriodCambrige1971 ، وقد حصلت المترجمة على الحق الحصرى لترجمة هذه الدراسة ، وهى الآن فى طور النشر عن المركز القومى للترجمة (المترجمة) .

seed، والعُصفر safflower والقرع المستدير round ground، وجاءت التنظيمات الخاصة بها ضمن مجموعة القوانين code التى تتكون من ٢٥٩ قانونا ، والمعروفة باسم قوانين الدخل الخاصة ببطلميوس الثانى Revenue Laws of Ptolemy II (راجع ص ٣٤) (P.Rev.Laws.cols.38-56=Select Papyri,no.203) . وتوضح هذه الوثيقة ممارسة الحكومة سيطرة كاملة على صناعة الزيت فى كل مرحلة منذ بذْر الحبوب حتى بيع الزيت بالقطاعى بسعر مُحدد ، بعد تصنيعه فى مصانع الدولة تحت إشراف السلطات المحلية ، وجرت بطبيعة الحال محاولات للالتفاف حول هذه القوانين، وتُلقى وثيقة من عام ١١٤ الضوء على الإجراءات التى اتُّخذت أحيانا بمجازفة شخصية ، للتعامل مع البضائع المحظورة ، فقد كتب أبوللودوروس Apollodorus الذى تم التعاقد معه لبيع الزيت بالقطاعى وتحصيل الضرائب الخاصة به فى كيركيوسيريس Kerkeosiris ، كتب إلى منخيس Menches ، كاتب القرية ، يصف له كيف أنه عند سماعه بوجود زيت مُهرب فى منزل سيسويس Sisois باغته فجأة مصحوبا بوكيل محصل الضرائب "oikonomos ، وذلك لأنك وباقى الموظفين لم تكن لديكم الرغبة للذهاب معى" ؛ لذلك تحرش سيسويس وزوجته بأبوللودوروس ودفعاه إلى الخارج ، وأخيرا عندما حاول إلقاء القبض على سيسويس ، هاجمت عصابة كاملة من أصدقائه أبوللودوروس والمدافعين عنه ، وضربوهم وجرحوا زوجة أبوللودوروس فى يدها اليمنى ، وقدم أبوللودوروس شكوى لخسارته مبلغ عشرة تالنت نحاسية تتعلق بعقده . على أى حال لم يكن هناك مطالبة بالتعويض عن الإصابة.(P.Teb.,39= Select Papyri,no.276)

كما تم احتكار المناجم والمحاجر وإنتاج الملح واستخراج نترات البوتاسيوم nitre وحجر الشب alum (الذى يستخدم فى التنظيف) ، ووجدنا سيطرة جزئية لعدة فروع أخرى من الاقتصاد سرعان ما وقعت تحت الاحتكار الكامل ، مثل إنتاج الكتان وأوراق البردى والجعة (المشروب الوطنى فى مصرالقديمة) ، أو استخدام الترخيص أو عقود الإيجارالمرتبطة بالضرائب ، كما هو الحال بالنسبة لمربى النحل ، ومربى الحمام والسماكين وأغلب أنواع المتاجر، ومن الممكن القول بحق إنه لم يفلت من اهتمام الحكومة بشكل أو آخر أى مظهر من مظاهر الزراعة أو الإنتاج فى مصر خلال الحكم البطلمى ، وكان يجمع بين الضرائب الثقيلة لكل الأنواع المعقولة والأسعار المحددة

التى تؤكد أن الفائدة الحقيقية كانت تئول فى النهاية إلى خزانة بطلميوس ،وينبغى أن نضيف أن هذا النظام كان مطبقا بالمثل فى أملاك البطالمة فى الخارج لنفس الأسباب .لقد كانت الدولة تأتى أولا ، وهذه الأولوية رسخت فى التفكيرالأيديولوجى الرسمى ، وكتب وزير المالية Dioiktes إلى المحصل oikonomos أنه" ليس لأى فرد الحق فى القيام بعمل ما يريد عمله ،ولكن تم تنظيم كل شىء إلى الأفضل".

(P.Teb.,703,ll.230-2=Austin,256)

صُنف الاقتصاد البطلمى على أنه اقتصاد مُخطط على مستوى عال ، ولكنه تصنيف مضلل ،لقد أخذ البطالمة فى مجالات عديدة بعض الأمور ، كما وجدوها ، وطعموها بالإجراءات الضرورية لوجود الطبقة الإغريقية المقدونية الحاكمة الجديدة بما فيهم المقطعون العسكريون cleruchs، وتواءمت التفصيلات دائما مع الظروف المحلية ، التى كان يوجد فيها قدر ضخم من عدم الكفاءة ، فقد كان يحمل قدراً كبيرا من القسوة كنظام استغلال ،وكان نظامًا غير منطقى إلى حد كبير ، همه الأكبر منع الغش أكثر من ضمان أكثر النتائج كفاءة ، لكن يبدو أن أهم جوانب الضعف فيه كان التركيز الأحادى لاستنزاف أكبر قدر ممكن من الثروة لصالح بطلميوس ،ولم يهتم النظام سوى بالكلمات المعسولة ، مثل تلك التى كتبها وزير المالية إلى محصل الضرائب عن رفاهية الأهالى المصريين .

لاشك أن النظام واجه معارضة، وكان من مصلحة المصريين إظهار ضيقهم والمبالغة فى إظهار عدم قدرتهم على دفع الضرائب ،وكثيرا ما واجهوا الموظفين بالشكاوى الساخطة من النوع الذى نقدم الآن مثالا عليه فى الخطاب التالى ، الذى كتبه فى منتصف القرن الثالث هارونتوتيس Harentotes طاهى العدس من قرية فيلادلفيا Philadelphia إلى فيليسقوس Philiscus ، الذى يبدو أنه كان محصل الضرائب فى كروكوديلوبوليس (Crocodilopolis مدينة التمساح =مدينة الفيوم):

"سلَمتُ منذ شهر المقدار المستحق على ويبلغ ٣٥ إردبا (من العدس المحمص)، وبذلت قصارى جهدى لدفع الضريبة شهريا ؛ لذلك لا يوجد لديك أى شكوى ضدى ، ويوجد عند الأفراد فى المدينة الآن قرع عسلى محمص ؛ ولهذا السبب لا يوجد حاليا من يشترى العدس المحمص منى ؛ لذلك أتوسل إليك وأتضرع أن تمنحنى بعض الوقت

إذا أمكن ،كما حدث فعلا في كروكوديلوبوليس ، لدفع الضرائب للملك ؛وذلك لأنهم جلسوا فى الصباح مباشرة بجانب العدس لبيع القرع العسلى الخاص بهم ، ولم يعطوا لى الفرصة لبيع عدسى". (P.S.I.,402=Select Papyri,no.266) .

لقد غُمِر صغار الموظفين الرسميين بمثل هذه الشكاوى المراوغة ؛ لكن عملهم (الأهم) كان الحصول على المال .

ثالثا :

يتمثل العنصر الجديد الذى دخل مصر فى أثناء حكم الإسكندر وبعد ذلك فى أثناء حكم البطالمة المبكر ، فى الطبقة الحاكمة من الإغريق والمقدونيين كما سبق أن رأينا. وانتشر جنود الرديف (الاحتياط) فى ريف البلاد لخدمة البطالمة ، وعلى عكس السلوقيين ،لم يشجع البطالمة إنشاء المدن التى كان لمصر عدد قليل منها ، وكانت هناك الإسكندرية بطبيعة الحال ، المدينة العالمية المزدحمة بالسكان وقلب الإدارة البطلمية التى وجد فيها أعداد كبيرة من الإغريق والمقدونيين واليهود والمصريين الوطنيين . ولقد ضمت الإسكندرية القصر الملكى والوزارات ،وعند مقارنتها بمصر العليا والفيوم نكتشف أنها لم تحتفظ بشىء له قيمته بالنسبة لرجل الآثار نظرًا لرطوبة التربة، التى قضت على وجود أى أوراق بردية فيها ،ونتيجة للتغير الذى حدث لمنسوب مستوى سطح البحر فإن جزءًا كبيرا من المدينة القديمة يقع الآن تحت الماء ،وقد حاول البطالمة بدون طائل منذ البداية منع الفلاحين المصريين من الإقامة فى المدينة ، ويمكننا أن نرى من خلال وصف بوليبيوس لسكانها فى النصف الثانى من القرن الثانى :

"إنها كانت مأهولة بثلاث طبقات من السكان ، الأولى تتألف من الأهالى المصريين ،وهم مجموعة متقلبة ، من الصعب السيطرة عليها ؛ والطبقة الثانية تتكون من الجنود المرتزقة ،وأعدادهم غفيرة ، وهم متغطرسون غير مهذبين ،وهم مجموعة استغلت تقليدا قديما هناك للاحتفاظ بقوة أجنبية ، اعتادت على أن يحكموا أنفسهم ، ولم يتعودوا على الطاعة بسبب ضعف الملوك ؛ والطبقة الثالثة الإسكندريون أنفسهم ،

وليس لديهم حضارة متأصلة لنفس الأسباب ،لكنهم ظلوا أفضل من الجنود المرتزقة [أو بالنسبة للطبقتين الأخريين] ،وبالنسبة لأولئك المُخلطين فهم ينحدرون من العنصر الإغريقى ،ولم يتخلوا بعد عن عاداتهم الإغريقية". (Polybius,xxxiv,14,1-5).

من أجل ذلك كانت الإسكندرية تمثل حالة خاصة . ولم تشعر قط أنها تُكَون بكاملها جزءا من مصر ،وكان لقبها الرسمى خلال العصر الرومانى" الإسكندرية التى تقع بجوار أو خارج مصر "Alexandria- by- Egypt . وفى كل الأحوال ستكون محور اهتمامنا فى الفصل العاشر مثل باقى المراكز الثقافية الهامة الأخرى فى العصر الهيللينستى ،وإلى جانب الإسكندرية كان يوجد مدينة نقراطيس Naucrates ،وهى مستوطنة إغريقية قديمة كانت منفذًا للحكومة الفرعونية لمئات السنين لتنظيم التجارة الخارجية مع العالم الإغريقى ،وبالإضافة إلى ذلك كان يوجد مدينة بطلمية Ptolemais فى مصر العليا ،وهى الوحيدة التى أسسها البطالمة ،والتى أنشأها بطلميوس الأول ، وكان هناك أيضا عدة مدن مصرية ترتبط دائما بمعابد ،كان أهمها ممفيس Memphis ، وهى العاصمة القديمة التى ظلت المدينة الثانية فى مصر ،ولكن كان من الواضح أن كلا من تقاليد المركزية الملكية فى مصرواتجاهات الأسرة البطلمية كليهما كان يعارض تأسيس مراكز إغريقية محلية ولو بمنحها استقلالاً ذاتيًا محدوداً ،من تلك التى لم تكن المدن فى غنى عنها ،ولقد كانت البيروقراطية المركزية أفضل ضمان للسيطرة الإدارية.

رابعًا :

كان على الإغريق والمقدونيين أن يتكيفوا مع بعضهم البعض فى أرض وادى النيل، لكن مشكلة ثقافة الشعبين منذ الغزو المقدونى أصبحت فقط مشكلة مركزية لكلا الشعبين ،ولا يوجد هناك سوى دليل طفيف على وجود عداء شديد بين العنصرين فى أوائل عصر البطالمة ،وقد حافظ المصريون على قوانينهم ومحاكمهم ،وكان يوجد خلال القرن الثانى محاكم (قانونية) خاصة بالفصل فى النزاع بين المصريين والإغريق ، يفصل فيها قضاة ملكيون chrematistai وفق قانون يسرى على الشعبين ،غير أننا لدينا مجموعة من القرارات الملكية (prostagmata) لها قوة القانون ترجع لعهد

بطلميوس الثانى كانت تنطبق على كل من الإغريق والمصريين ، يكشف بعض منها - بالإضافة إلى غيرها من الوثائق أيضا - تطوراً مزعجًا ، عن اتجاه السلطة التنفيذية لتخطى السلطة القضائية ، مثل ما ورد فى خطاب بطلميوس الثانى إلى أبوللونيوس وزير المالية dioiketes عام ٢٥٩ الذى أرسل فيه التعليمات بأنه :

"لما كان بعض المحامين .....قد رفعوا قضايا مالية للإضرار بدخل الدولة ؛ لذا يجب عليك إصدار الأوامر إلى الذين عملوا كمحامين- فيها - ليدفعوا للتاج مبلغ ١٠٪ كتأمين مضاعف ، ومنعهم مستقبلا من العمل كمحامين فى أى قضية". (P.Amherst,33=Select Papyri,no. 273) .

من الواضح أن السلطات كان يقلقها الشكاوى التى يوجد لها مخرج قانونى .

ولم يكن للمصريين امتيازات قياسًا بالطبقة الحاكمة الجديدة التى كانت تتكون من القادمين الجدد ، إن الفئة العليا للخدمة المدنية والكهنة الإغريق وأصحاب الإقطاعات العسكرية وأصحاب أراضى الهبات من الملك وإغريق الإسكندرية والمدن الأخرى ،وأصدقاء الملك بطبيعة الحال ، كل أولئك كونوا طبقة قائمة بذاتها ، استثنى منها الأثرياء الوطنيون المصريون ،وفشلت طبقة الكهنة المصريين ، التى كان من المفترض أن تحافظ على نفسها على قدم المساواة مع طبقة القادمين الجدد (بسبب تاريخ المعابد القديم وثروتها وقوتها) فى مقاومة الضغط الذى مارسه الملك عليها وقيامه بضمها من الناحية الاقتصادية فى نظامه العام ،واقتصر مصدر ثروتهم على تغطية الضرورى من احتياجات المعابد . كان ذلك هو الوضع الحقيقى على الأقل فى القرن الثالث ، ثم تحسن وضعهم بعد ذلك كما سنرى.

على أى حال ،كانت هناك علاقة مباشرة بين العنصرين فى الريف ،وظهر فى أوراق البردى شكل من أشكال التحرُّش والعداء المصحوبة بالاستياء العنصرى ، ونقابل فى أوراق بردى زينون أحد الجَمّالين، من المحتمل أنه عربى ، يشكو من عدم حصوله على أجرته بانتظام ، وأرجع ذلك إلى "أننى بربرى"barbarian ، و"لأننى لا أعرف كيف أتصرف مثل الإغريق hellenizein "(P.Col.Zen.,66,ll.19,21) ، وبعد قليل وقف أحد الكهنة المصريين من ذوى المكانة فى عهد بطلميوس الثالث كانت له قضية تتعلق بفرض إقامة أحد المُقطعين العسكريين عليه - كانت الشكوى القديمة أن الأخير

احتقرنى لأننى مصرى (P.Yale,46,col.i,l.13). ولكن فى أحيان أخرى كان الحذاء فى القدم الأخرى ، حيث اشتكى شخص يدعى بطلميوس بن جلاوكياس ، وهو مقدونى ، كان يعيش فى المجموعة المعمارية المركبة لمعبد سيرابيس فى ممفيس Memphis اشتكى مرات عديدة فى أعوام (١٦٣ ، ١٦١ ، ١٥٨) من اضطهاده لأنه إغريقى (وليس مقدونيا !) (UPZ,1,8, 15) ، بيد أن ذلك جاء بعد فترة قصيرة من ثورة ديونيسيوس بيتوسيرابيس Dionysius Petosarapis ، عندما كانت المشاعر مشحونة ، بالإضافة إلى أنه ربما كان هناك عداء شخصى ضد ذلك الرجل ؛ لذلك لن نكون بمأمن إذا خرجنا بقاعدة عامة من عدة فقرات من هذا النوع ، ويتحدث بردى زينون عن صعوبة عمل المصريين والإغريق معا ؛ لكن يبدو أن الشعبين حققا فى الأساس قدرا معتدلاً من التعايش المشترك modus vivendi فيما بينهما .

كان المصريون – بطبيعة الحال – أدنى من الناحية الاقتصادية ، وشغلوا الوظائف الدنيا فى السلم الاجتماعى لعدم احتمال وجود طبقة من العبيد فى الريف بكل المقاييس ، ولعب العبيد دورا فى الخدمة المنزلية فى الإسكندرية ، مثلها فى ذلك مثل بقية المدن الإغريقية الأخرى ، ونعرف من مصنع النسيج الذى كان يملكه أبوللونيوس وزير مالية بطلميوس الثانى فى منف أنه استخدم فيه عمالا من العبيد (P.Cairo Zen.59142) ، لكن وجود الفلاحين الأحرار من الناحية الاسمية ، وحقيقة قيام الرجال الأحرار بجميع أنواع العمل اليدوى ، لم يترك من الناحية الفعلية مكانًا للعبيد خارج المدن (باستثناء المناجم فى بعض الأحيان) ، وكان حظ فلاحى التاج بائسًا ، وكانوا لا يملكون سوى علاج تقليدى واحد ، أى بالإضراب عن طريق الفرار بعيدًا ، وعادة ضمن مجموعة (كان الاصطلاح الدال على ذلكanachoresis معروفًا جيدًا) ، وشجع عليها وجود المعابد التى لها حق الإيواء asylum ، وعلى سبيل المثال كتب باناكيستور Panacestor المشرف على الضيعة المهداة إلى أبوللونيوس وزير المالية فى صيف عام ٢٥٦ ، والذى خلف زينون – كتب تقريرا بأن المزارعين رفضوا شروط العقد الذى قُدم لهم ولجأوا إلى المعبد (P.S.I,502) ، مما اضطره إلى تعديل طريقة ربط العوائد لإعادتهم إلى العمل ، يتضح منها أن باناكيستور كان يمكنه القيام بإجراء التصالح لإنهاء الإضراب ، وأن هذا النوع من الشكاوى ، هو فى الأصل

شكاوى اجتماعية ، كانت تأخذ مظهرا عنصريا لسبب بسيط ، هو أن موظفى الفئة العليا كانوا على الأقل من الإغريق ، وكان الفلاحون أو العمال من المصريين ، وينطبق الشيء نفسه على الشكاوى الخاصة بإيواء أصحاب الإقطاعات العسكرية ، التى كثيرا ما ورد التعبير عنها فى أوراق البردى ؛ لذلك كتب بطلميوس الثانى فى وثيقة من منتصف القرن الثالث إلى أحد مرءوسيه قائلا:

" سمعنا فيما يخص إيواء الجنود عن استخدام بعض العنف غير المناسب ، وبسبب عدم حصولهم على المأوى من قبَل محصلِّى الضرائب oikonomoi ، قاموا بكسر المنازل بأنفسهم وطردوا السكان الذين يشغلونها بالقوة ؛ لذلك أصدر أوامرك كى لا يحدث ذلك مستقبلا " . (P.Hal.,I,II.166-71=SelectPapyri,no.207=Autin,249)

واصل بعد ذلك التوسع فى تصحيح الإجراءات التى يجب اتباعها ، وأصر على إصلاح نظام الإيواء بعد ترحيلهم وحرم تحريمًا كاملا الإيواء فى أرسينوى – Asinoe الفيوم – ؛ وإذا كان لابد من ذهاب الجنود إلى هناك ، فلتدعهم يقومون ببناء معسكر لهم .

أبقى الإغريق أنفسهم بمعزل عن المصريين على نطاق كبير ، وفى الحقيقة كانت هناك استثناءات ، ولدينا أمثلة على الزواج المختلط من عام ٢٥٦ وما يليه بين أكثر الإغريق فقرا ، الذين لا نعرف عنهم إلا القليل ، فالإهداء الذى قدم إلى معبد الربة المصرية ثويريس Thoeris فى الفيوم ، نيابة عن بطلميوس الثالث وبرنيكى Berenice كانَ من إيريينى Eirene وثيوكسينا Theoxena، ابنتى ديمتريوس Demetrius، القورينى Cyreneans ، ووالدته ثاسيس Thasis التى كان اسمها المصرى نيفِرسوخوس Nephersuchus وثاويس (Wikcen ,Chrestomathie,51,II.8-12)-Thaues، ويشير إلى الجانب المصرى من الزواج المختلط بين رجل إغريقى وامرأة مصرية ، أن الأسماء المزدوجة المذكورة هنا لها معنى مختلف تماما عن الأسماء المزدوجة التى كثيرا ما استخدمها المصريون الذين يكونون "فى طريقهم للصعود" من الحائزين على إقطاعات عسكرية kleros أو رجال يهدفون إلى الوصول إلى الإغريق أو للحصول على قبول من الإغريق الذين أصبحوا على اتصال بهم ، مثل منخيس Menches ، كاتب قرية كيركوزيريس Kerkeosiris ، الذى كان يسمى أيضا اسكليبياديس Asclepiades (P.Tebt.,164) ، أو مارون بن ديونيسيوس Maron son of Dionysius محصل الضرائب katoikos ،

الذى كان يدعى من قبل نيكتسفثيس بن بيتوزيريس Nektsaphthis son of Petosiris (P.Tebt.,61a) ، ونشر حديثا شاهد قبر (Bull.Inst.franc.arch.or., (1972),139-67,no 16 لشخص من ماجنيسيا يدعى ديفيلوس بن ثياروس Diphilus son of Thearus ، رسم مومياء الشخص المتوفى على سرير جنائزى مصحوبا بأشكال عديدة خارقة للطبيعة ، إحداها برأس ابن آوى ، والنقش مزيج من الإغريقية والمصرية الهيروغليفية ، كما يوجد نقش جانبى بالديموطيقية ، لكن لما كان من المحتمل أن ذلك الحجر (شاهد القبر) يرجع إلى أوائل القرن الثالث فهو استثناء بالتأكيد ، وربما يرجع إلى عائلة وفدت إلى مصر قبل الإسكندر ، وزادت عزلة الإغريق العادية بإضافة معهد التربية (الجمنازيوم) gymnasium راجع ص ٧٣ / ٧٤ وما يليها) ، الذى لم يكن مركزاً لتعليمهم فقط ، يدرس المراهقون فيه الأدب الإغريقى والخطابة مع القيام بالتدريبات الرياضية ، ولكنه كان كذلك محوراً لحياتهم الاجتماعية والثقافية معا ، ولقد وجدت المعاهد الرياضية فى الإسكندرية وأيضا فى مدن عواصم الأقاليم ، وحتى فى الريف ، ووصف الخريجون alumni على أنهم «أولئك الذين من الجمنازيوم "those from the gymnasium ، وكونوا منظمات كرست لتعزيز المؤسسة وأسلوب حياة الإغريق ، وكانت تخدم كذلك أولئك الحاصلين على التعليم الإغريقى– على الرغم من زيادة ' المثقفين الإغريق' (أولئك الذين يحملون أسماء مزدوجة) الذين قُبلوا فيها أيضا ، ومن سوء الحظ أن تحديد الصلة بين خريجى الجمنازيوم alumni ومجموعات العناصر الإثنية (العرقية) المعروفة بالجاليات politeumata توثيقها سيئ فى العصر البطلمى . وعلى كل حال فمن المعروف أن الإغريق الذين انتشروا فى أنحاء مصر كانوا يكونون مثل هذه الجاليات ، كما فعلت مجموعات من العناصر الإثنية الأخرى من بين الجنود المرتزقة ، وكانت جالية اليهود الموجودة فى الإسكندرية التى كانت تحت رئاسة رئيسهم ethnarch تمثل حالة خاصة ؛ وعن هذه المنظمة راجع الفصل الثانى عشر .

خامسا:

كنا ننظر بصفة رئيسية حتى الآن فى أوضاع مصر خلال المائة سنة الأولى من الحكم البطلمى ، إلا أنه بدأ يحدث تغيُّر فى الأوضاع بالنسبة لتبادل المراكز بالنسبة للعنصرين مع أواخر القرن الثالث ،ويحدثنا بوليبيوس (Polybius ,v,107,1-3) عن المرحلة التى أعقبت انتصار بطلميوس الرابع على أنطيوخوس الثالث فى معركة رفح (Raphia) ٢١٧ ويقول :

"اتخذ الملك خطوة بتسليح المصريين فى حربه ضد أنطيوخوس قدمت خدمة ضخمة فى حينها ، ولكنها كانت خطأ عند النظر إلى المستقبل ؛ لأنه أصبح لديهم اعتزاز كبير بانتصارهم فى رفح ، ولم يعد لديهم استعداد لطاعة الأوامر ، وكانوا يبحثون عن زعيم ورأس مدبِّر لهم ، وظنوا أنه فى وسعهم إثبات أنهم قوة مستقلة ، وهى المحاولة التى نجحوا فيها فى النهاية بعد فترة غير طويلة " .

وأصبح الموقف أكثر تعقيدا مما ارتآه بوليبيوس . فنمو نفوذ العنصر المصرى ، الذى حدث بلا شك بعد عام ٢١٧ ،كان راجعا لسبب أكبر من كبرياء عشرين ألفا (٢٠,٠٠٠) ، من القوات العسكرية الوطنية الذين اشتركوا لأول مرة فى الفيالق العسكرية phalanx . لقد كان أساس تسجيلهم نفسه يعود إلى حد ما إلى الارتباك المالى الذى كان يشير إليه تدهور العُملة البطلمية فى عهد بطلميوس الثالث (٢٤٦- ٢٢١) ، وربما كان بطلميوس الرابع قد وجد أيضا أنه من الضرورى تعويض هروب العديد من قادة الجنود المرتزقة ،وزادت المشاكل المالية بعد الحرب نتيجة لنفقات الحرب ذاتها ، التى قادتهم بالتالى لزيادة الضغط المالى ، وزيادة مقاومة الفلاحين لهذا الضغط ،و بالإضافة إلى ذلك اضطر بطلميوس لكى يُعد الدولة للدفاع عن نفسها إلى منح امتيازات للكهنة ، الذين أخذوا يضغطون للحصول على امتيازاتهم ،وفى النقش الذى سجل قرار مجلس الكهنة الذين اجتمعوا فى منف فى نوفمبر ٢١٧ للاحتفال بالنصر(الذى يسمى لوحة بيثوم Pithom stele) . المسجل بالإغريقية والديموطيقية والهيروغليفية المصرية ،لم يُمنح بطلميوس الرابع فقط جميع الألقاب الخاصة بفرعون ؛ لأنه كان فى حقيقة الأمر كذلك بالنسبة للإغريق ، مثلهم فى ذلك مثل المصريين ،

وبالتالى كان حمل هذه الألقاب أمرا طبيعيًا ، ويمكن رؤيته فى نقش حجر رشيد الشهير لعام ١٩٦ (OGIS,90) ، الذى يحتفى فيه بتتويج بطلميوس الخامس فى خريف عام ١٩٧ (راجع ص ٣١).

تواكب ذلك النمو للنفوذ المصرى والثقة بالنفس مع رسم خطة للحرب الأهلية ، التى انفصلت فيها مصر العليا من عام ٢٠٧ إلى عام ١٨٦، وحكمها فراعنة منفصلون من أصل نوبى ، مع انتشار داء العصابات المحلية فى أغلب أنحاء مصر السفلى ، بما فيها الدلتا . وهذه العلامات التى تدل على ضعف الحكومة أو حتى على انهيارها ربما تكون جزئيا بسبب الشعور القومى ، لكنها تعكس فى المقام الأول زيادة الضيق الاجتماعى الذى اتخذ ببساطة أشكالا قومية ؛ لأن الطبقة المستغلة تكونت من الإغريق ، ولما كان تدفق المهاجرين الإغريق والمقدونيين قد جف منذ زمن طويل ، فقد شعر الملك وبلاطه أنفسهم بالضعف ، وهنا دُفعوا إلى العودة إلى تكرار منح الامتيازات للمعابد وإلى إعلان الإعفاءات (التى يشار إليها بالعبارة اللطيفة 'تقديم الهبات' (philanthropa)للفلاحين ، لكن هذه الامتيازات أضعفت من قدرتهم فى الحصول على موارد مالية للمستقبل ،وأدت بالتالى إلى مزيد من ضعف الحكومة ؛ لقد كانت عبارة عن حلقة مُفرغة .

إن الامتيازات المادية لا يمكنها – ولاتستطيع فى الحقيقة – أن تستبعد العودة إلى استخدام الضغط ،لكن الوضع العام بدأ يُصبح فى صالح المصريين ، أغنياء وفقراء ،وأصبحت أنصبة الأراضى متاحة للجنود المصريين (machimoi) ، ووجد غير الإغريق طريقا لهم فى العمل الإدارى ، خاصة إذا كانوا حاصلين على التعليم الإغريقى ، ويعد باؤس Paos "الذى كان واحدا من أوائل الأصدقاء وقائدًا فى إقليم طيبة Thebaid فى عهد يورجتيس الثانى (١٧٠/١٦٣) Euergetes ، (١٤٥/١١٦) مثالا على ذلك ، وازداد عدد الإغريق والرجال ذوى الخلفية الإغريقية الذين عبدوا الآلهة المصرية الذين وحدوها بآلهة بلاد الإغريق ،ويوجد على سبيل المثال إهداء يرجع إلى أواخر القرن الثانى قدم نيابة عن بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى Euregetes II وكليوباترا Cleopatra وأولادهما من جزيرة ديونيسيوس Dionysus (سيتيس Setis) عند الشلال (الجندل) الأول (جزيرة سهيل Essehel حاليا) – مقدم – من هيرودوس

بن ديموفون Herodus son of Demophon من مدينة برنيس Berenice ، وهو رئيس الحرس والقائد ، واتحاد الجنود تكريساً لعبادة البيت المالك ، قدمت إلى :

"كنوبيس Cnoubis، وهو أيضا يساوى آمون Ammon والمعبودة المصرية ساتيت Satet، التى هى أيضاً هيرا Hera الإغريقية والمعبودة المصرية أنوكيت Anuket ، التى هى أصلا الإغريقية هستيا Hestia وبيتيمبامنتيس Petempamentes ، الذى هو أيضا المعبود الإغريقى ديونيسيوس Dionysus وبيتينسيتيس Petensetis ، الذى هو كذلك كرونوس Cronos وبيتينسينيس Petensenis ، الذى هو أيضا هرميس Hermes، والآلهة العظمى والقوى الأخرى التى ترعى كتراكت (منطقة الجندل الأول - أسوان)" . (OGIS,130)

جميع الآلهة المذكورة هى معبودات محلية كانت فى حاجة إلى ترضيتها ، خاصة أن بعض أعضاء ذلك الاتحاد كانوا مصريين ،وكان هناك أيضا زيادة عامة فى الاختلاط والزواج المختلط بين العنصرين ، على الرغم من أن الطبقة العليا كانت أقل اتصالا على المستوى الاجتماعى بصفة عامة ،وبناء على ما ذكره بوليبيوس كانت كليوباترا السابعة هى الأولى من أسرتها التى تتعلم اللغة المصرية ،لكنها كانت استثناء ؛ لأنها كانت تتحدث تسع لغات على الأقل .

سادسا:

أثار إهداء هيروديس Herodes (نيابة عن الملك بطلميوس الثانى وكليوباترا) موضوع الديانة التى من الواضح أنها كانت تمثِّل عنصرا هاما فى العلاقات بين الإغريق والمصريين ،وبطبيعة الحال أحضر المهاجرون الإغريق معهم آلهتهم المحلية ، لكن حرص البطالمة منذ البداية على إبداء الاحترام إلى آلهة مصر التقليدية (على الرغم من أن ذلك لم يمنعهم من الاستيلاء على أراضى المعابد ومحاولة كسر شوكة رجال الدين) . وقدم بطلميوس الرابع للإله ديونيسوس من بين عالم الآلهة الإغريق تكريمًا خاصًا (راجع ص ٢٤٤) ،ولكن هناك تطوران يرجعان فى أصولهما إلى

البطالمة على نحو خاص ،وهما عبادة البيت المالك وعبادة إله جديد ، هو الإله سيرابيس Sarapis .

يمكن العودة إلى تتبع عبادة الأسرة الحاكمة منذ محاولة الإسكندر ضمان إقامة العبادة ، على الرغم من وجود نماذج مبكرة لتقديس عظماء الرجال فى بلاد الإغريق ، فمن المحتمل أنه كان للإسكندرية عبادة خاصة بالإسكندر منذ فترة مبكرة على اعتبار كونه مؤسسها ،لكن يبدو أن نمو عبادة الأسرة البطلمية ،ترجع بدايته إلى عهد بطلميوس الأول ،ومن الأفضل وضعها فى الإطار العام لعبادة الحاكم ،وهى عبادة (مؤسسية) كانت سائدة فى أغلب الممالك الهيللينستية ،وسوف نترك الحديث عن تطورها ومعناها للمعالجة الشاملة لها فى الفصل الثانى عشر.

أما التجديد الدينى الآخر الذى كان بطلميوس الأول مسئولا عنه فهو عبادة سيرابيس Sarapis، ويوجد تقارير عديدة متضاربة عن أصل هذه العبادة لكن أكثرها احتمالا أنها نشأت من عبادة فى ممفيس ، كان يُوحد فيها العجل المقدس أبيس Apis بعد موته مع أوزيريس Osiris وعُبد على أنه أوزيرحابى Osor-Hapi (الذى أخذ الشكل الهيللينى على أنه أوسورابيس Osorapis) ،وكان سيرابيس الإسكندرية نسخة أخرى من أوزيرحابى Osor-Hapi فى منف ؛ وطبقًا لما ذكره بلوتارخ (On Isis and Osiris,28) من أن الكاهن الأثينى تيموثيوس Timotheus والكاهن المصرى المتأغرق مانيتون Mane-tho (الذى كتب تاريخ مصرباللغة الإغريقية) نصحا بطلميوس الأول بإنشاء عبادة جديدة ، كان الغرض منها تزويد السكان الإغريق – خاصة سكان الإسكندرية – بمعبود راع جديد ، وعلى الرغم من أن أقدم الأدلة عن عبادة سيرابيس كإله للإسكندرية على نحو خاص يؤرخ بعصر الإمبراطورية الرومانية ، فإن سيرابيس لم يشتهر إطلاقا بين المصريين ،لكن هذه العبادة أحرزت شهرة غير متوقعة فى الخارج وظهرت مع كاهن مصرى فى جزيرة ديلوس Delos قبل نهاية القرن الثالث (IG,xi,4,1299) ، ثم انتشرت بسرعة بين الإغريق ،وبعد ذلك فى العالم الرومانى ، وارتبط سيرابيس بالعالم السفلى، كما كان لديه أيضا بعض صفات إله للشفاء .

سابعا:

كانت مصر البطلمية آخر مملكة هيللينستية سقطت فى يد روما، ولكن أحوالها كانت فى حالة من الفوضى قبل فترة طويلة من استيلاء أوكتافيان Octavian على البلاد من كليوباترا وأنطونيوس عام ٣٠ ،وتقدم أوراق البردى صورة عن انتشار الفساد والعداء الكامل من الشعب للإدارة التى كثيراً ما لجأ أفرادها إلى الفرار لتحاشى طلبات الموظفين الملكيين المتزايدة . وفقد الملوك كل سيطرة حقيقية على تلك الأوضاع ،وفى سعيهم لتحقيق الخير للجميع أصدروا سلسلة الإعفاءات (philantrhropa)، مثل تلك الخاصة بيورجتيس الثانى عام ١١٨(ص١٢٧) ؛ وآخر إعفاء صدر منها كان حوالى عام ٦٠ منح بمقتضاه امتيازات للفرسان من أصحاب الإقطاعات العسكرية (katoikoi) فى إقليم هيراقليوبوليس Heracleopolite nome (Corp.ord.Ptol.,no.71) ، تؤكد وراثة ملكيتهم لأنصبتهم ،وحق أقرب أبنائهم فى وراثتهم بعد موتهم بدون وصية . إن السلطة التى فقدها التاج آلت إلى أيدى الكهنة وإلى بعض الأفراد من ذوى السلطة ، الذين كان لديهم القدرة على تقديم الحماية (skepe) للهاربين وآخرين، وكانت الأوضاع تشبه أو تبدو متفقة مع الظروف التى أدت إلى انهيار الإمبراطورية الرومانية بعد نصف ألفية فيما بعد ،ولقد كانت هناك أسباب عديدة لانهيار الحكم البطلمى ، سبق ذكر بعضها ، ونضيف إليها الكوارث التى لحقت بالسياسة الخارجية، وفقدان الأسواق الخارجية ، والجهد الضائع الذى نتج بسبب عدم الاستقرار الداخلى والحروب الأهلية ، وعدم كفاءة حكومة البلاد ،والفساد الإدارى ، وانهيار العُملة(*) . وعند النظر إلى مجمل القصة المؤسفة من الصعب ألا نردِّد صدى حُكم الباحث ويل E.Well من أن مصر البطلمية وقعت ضحية لثروتها التى استغلت لخدمة مصالح لم تكن تخصها بأى حال .

(*) عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والحضارية فى مصر خلال العصر البطلمى راجع الدراسة القيمة التى قدمها الأستاذ الدكتور إبراهيم نصحى والتى ما تزال لها قيمتها الكبيرة بالرغم من مضى فترة طويلة على صدورها ، وأعيد طبعها أكثر من مرة : مصر فى عصر البطالمة ، أربعة أجزاء ، القاهرة ١٩٨٠-١٩٨١؛ وكذلك المرجع التالى : مصطفى العبادى ، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، القاهرة ١٩٦٦ .

الفصل السابع
السيلوقيون والشرق
The Seleucids and the East

أولا :

واجه البطالمة والأرستقراطيون الإغريق فى مصر سكانا وطنيين ومعهم كهنة ذوو سطوة وتقاليد قومية ترجع إلى أربعة آلاف من السنين ، وكانت الدولة فى مجملها تعتمد على وادى النيل والدلتا ، فى حين كانت الأراضى التى تتألف منها مملكة السلوقيين Seleucids المنافسة لهاعلى عكس ذلك فى كل شىء تقريبا . ففى المقام الأول تقلبت منطقتهم بعنف بين عام ٣١٢ ، عندما حاصر سيليوقوس بابل (ص٥٨ – ٥٩) ، وعام ١٢٩ ، عندما تتابعت الخسائر عقب موت أنطيوخوس السابع تاركة حكام الأسرة لا يتحكمون إلا فى مساحة صغيرة فى شمال سوريا . ففى عام ٣٠٢ أضيف الشرق الأقصى إلى أملاك سيليوقوس (بعد فقد الهند) ، وفى خلال السنوات العشرين التالية استطاع أنطيوخوس الأول هو وخلفيته من بعده ، الاستيلاء على معظم سوريا وبلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى . لكن باكتريا انفصلت منذ منتصف القرن الثالث ، ونمت القوة الفارسية ، ونتيجة لذلك فقدت جميع المناطق التى كانت تقع شرق الخط الممتد من نهاية بحر قزوين Caspian Sea وحتى رأس الخليج الفارسى . كذلك لم تؤدّ حملات أنطيوخوس الثالث فى المرحله الواقعة بين ٢١٠ /٢٠٥ ، التى كان لها وقع عميق فى بلاد الإغريق (وأدت إلى اتخاذه لقب العظيم) ، إلى أن يظهر لها أى أثر دائم فى الشرق الأقصى ، على الرغم من استعادة النفوذ السيلوقى فى ميديا Media مرة أخرى.

اهتز النفوذ السورى فى آسيا الصغرى بعنف عندما انشغل سيليوقوس الثانى (٢٤٦-٢٢٦) فى حرب مع أخيه أنطيوخوس هيراكس Antiochus Hierax ، الذى كان قد عيَّنه على ساردیس ، والتى طلب فيها هيراكس مساعدة الجلاتيين (ص٦٨) والكوارث التى ترتبت عليها ، واستغل أتالوس Attalus الأول ظروف الفوضى التى تلتها ، وكان قد ورث ولاية برجامون من يومينيس الأول ، الذى كان قد ورثها- بدوره - من عمه فيليتايروس Philetaerus الخصى ، نصف البافلاجونى half-Paphlagonian ، الذى قام بإعلان استقلاله فى عهد أنطيوخوس الأول ، وحقق أتالوس مكانة كبيرة من هزيمته الجلاتيين ، ونتج عن بعض التقلبات فى القرن الثانى توسع آل أتالوس خلال فترة تحالفهم المبكر مع روما ، وأصبحوا قوة كبيرة فى آسيا الصغرى ، واستفادوا من ضعف مكانة السيلوقيين ؛ لأنه بعد استيلاء أنطيوخوس الثالث على جوف سوريا Coele Syria عام ٢٠٠ فقد معظم آسيا الصغرى عام ١٨٨ ، وبعدها تراجع النفوذ السيلوقى بالتدريج بسبب ما حدث خلال ثورة اليهود تحت حكم المكابيين (Maccabees . راجع ص٢٥٥-٢٥٨). وفى الواقع يمكن أن نناقش أن قمة نفوذ السيلوقيين كانت فى عهد مؤسسها سيليوقوس الأول .

وتتمثل السمة المميزة الثانية لهذه المملكة فى تعدد شعوبها وثقافاتها . وكانت بابل تمتلك حضارة قديمة تقارَن بالحضارة المصرية ، فى حين كان هناك بعض المظاهر القليلة المشتركة بين المدن الإغريقية فى غرب آسيا الصغرى وبين الشعب الإيرانى فى الولايات الشرقية ، أو بين عرب جنوب فلسطين وبين المنشئات (المدن) الجديدة فى باكتريا . وكان على الملك السيلوقى أن يقوم عند امتلاك أى وحدة منها بفرض سيطرته عليها بواسطة الجهاز الإدارى والجيش ، وكانت مدينة أنطيوخ على نهر العاصى Orontes Antioch -on-the- فى شمال سوريا ، العاصمة الرسمية ، وتقابل الإسكندرية ، ولكن كانت كل من ساردیس Sardes على نهر الهيرموس Hermus فى مملكة ليديا Lydia ومدينة سلوقية Seleuceia على نهر دجلة Tigris تشارك العاصمة أنطيوخ فى كونها مراكز إدارية هامة فى تحمل المسئولية لإدارة هذه المملكة الواسعة المترامية الأطراف ،

وكان على حاكم سيلوقية على وجه التحديد أن يضع عينه على ولاة ميديا Media وسوسيانا Susiana وفارس(بارثيا) Parthia والمناطق الأبعد شرقا ، ما دامت تحت الحكم السيلوقى.

كان السيلوقيون – مثل البطالمة – يعتبرون أن أملاكهم آلت إليهم بحق الفتح ، وأعلن أنطيوخوس الثالث هذا المبدأ بوضوح فى مؤتمر مع الرومان عقد فى ليسيماخيا Lysimacheia عام ١٩٦ ، وعندما سئل لماذا اجتاح تراقيا أجاب كما أخبرنا بوليبيوس :

"أنه عبر إلى أوروبا مع جيشه بهدف استرداد خيرسونيس Chersonese والمدن فى تراقيا ؛ لأن له السيادة أكثر من أى شخص آخر على هذه الأماكن ؛ لأنها كانت تكون فى الأصل جزءا من مملكة ليسيماخوس Lysimachus ، وعندما شن سيليوقوس الحرب على ذلك الأمير وهزمه فى الحرب ، آلت إلى سيليوقوس كل مملكة ليسيماخوس بحق الفتح .... وكان (أنطيوخوس) يستعيد فى الوقت الحاضر ملكية هذه الأقاليم بالحق وبالقوة" (xviii,51,3-6)

كان السيلوقيون – مثل بطلميوس والملوك الهيللينستيين الآخرين – يحكمون بمساعدة أصدقائهم ، والأرستقراطية الإغريقية المقدونية التى كانت منفصلة تماماعن الشعوب الوطنية التى يحكمونها ، وعند تحليل تكوين هذه الطبقة الحاكمة نكتشف حقيقة أن السوريين واليهود والفرس والإيرانيين الآخرين تم استثناؤهم تماما على مدى جيلين من الزمان ، وحتى بعد ذلك ، كما سبق أن رأينا أن نسبتهم لم تبلغ أكثر من ٢,٥٪من المجموع الكلى –واعتمد الرقم على العينة المستمدة من عدة مئات من الأسماء (Habicht,Vierteljahrschrift (1958) ,pp.ff). ويمثل العدد الضئيل الذى ظهر فيه قادة لمجموعات قوات وطنية عسكرية . وهناك استثناء واحد يؤكد القاعدة بالفعل يتمثل فى هانيبال Hannibal ، القائد القرطاجى المنفى ، الذى كان أحد أعضاء المجلس العسكرى لأنطيوخوس الثالث خلال الحرب مع روما ، لكن مركزه كان غير قياسى ولم تجر العلاقات معه بسلاسة(*) .

(*) لمزيد من التفاصيل عن القائد القرطاجى هانيبال وانتصاراته المتتالية ضد الرومان فى إيطاليا فى الدورة الثانية من الحروب البونية (١٨٢-٢٠١ ق.م.) التى أثارت الذعر فى قلوب الرومان ، لكنها انتهت بهزيمة قرطاجة المدوية فى معركة زاما على أرض إفريقيا عام ٢٠١ ، ونتج عنها بداية اكتساح الرومان لدول البحر المتوسط وامبراطورياته ، راجع : الدراسة المميزة عن هانيبال التى قدمها الزميل الدكتور مدحت عبد الباقى إلى جامعة باريس وحصل بها على درجة الدكتوراة عام ٢٠٠٠: Abdel Baky (Medhat)Histoire et Mythologie dans L'Épopée des Punica de Silius Italicus, Docteur de L'université Paris III, Paris 2000.

إن الاستخدام الذى اقتصر على الاستعانة بالإغريق والمقدونيين يشير بوضوح شديد إلى فكرة سيليوقوس فى كيف كان يهدف إلى تماسك أملاكه غير المتجانسة فى شعوبها ، ففى رفضه للفرس كشركاء فى الحكم ربما كان يساير المشاعر العامة لأصدقائه وجنوده . ولم تكن سياسة الإسكندر للحكم المشترك لها جاذبية بين قوات جيشه على وجه الاطلاق ، لكنها اتبعت أكثر لدى السيلوقيين الأواخر . وفى الواقع كما لاحظ موميجليانو : Momigliano(AlienWisdom,pp137 ff.) فإن العالم السيلوقى أبدى عدم مبالاة عميقة تجاه الإيرانيين ، الأمر الذى ربما ساهم فى السهولة التى استطاع البارثيون بها ضم إيران بكاملها حتى الفرات قبل نهاية القرن الثانى.

واختار السيلوقيون فى مواجهة التعدد الثقافى المحلى لملكتهم أن يقيموا سلطتهم على ما كان شائعا ، أى على الحضارة الإغريقية المقدونية . ولتحقيق ذلك كان لابد من إغراء المهاجرين للاستقرار على الأرض الأسيوية ، وشجع السيلوقيون ذلك بمنح الأرض ، وإنشاء المدن (الجديدة) فى منطقة كانت التقاليد الاجتماعية والنظم الاقتصادية فيها مختلفة تماما فى كليهما عن تلك الخاصة بكل من الإغريق والمقدونيين أيضًا ، ومن الخطورة بمكان التعميم اعتمادا على ظروف قد تختلف اختلافا جوهريا من مكان إلى آخر ، لكن يعطينا عدد من النقوش لمحة عن الظروف التى كان الفلاحون الآسيويون يعيشون فيها ، وعن منح الأراضى التى قدمها الملوك المتتابعون لأصدقائهم وآخرين من الذين تسلموها ، ويؤرّخ بعضها بالقرن الرابع عندما استولى أنتيجونوس على آسيا الصغرى ، ولكن ليس هناك سبب يدعو إلى الظن بأن سيليوقوس أدخل أى تغيير جوهرى على النظام الذى كان يعمل به أنتيجونوس ، وهناك دليل من مملكة برجامون يمكن أن يطبق أيضًا على الأقاليم السيلوقية بدون مخاطرة كبيرة فى الوقوع فى الخطأ ، وهو أن أحد نقوش سارديس يرجع إلى تاريخ غير مؤكد يصف بالتفصيل إحدى الضياع التى منحها أنتيجونوس إلى منسيماخوس Mnsimachus :

"تلك هى الأجزاء التى تتكون منها الضيعة : وهى القرى التالية : تابلمورا Tabalmoura ،

وهى قرية فى السهل الساردى على تل إيلوس Ilos (طروادة) ، وما يتعلق بها من قرى أخرى ، مثل تاندوس Tandos، أو كما تسمى ، وكومبدلبيا Combdilipia ؛ وتُدفع رسوم القرية المذكورة إلى بيثيوس Pytheus محصل الضرائب chiliarch .... وتبلغ٥٠ قطعة ذهبية من عملة ستاتر staters سنويا (وهنا ذُكرت كذلك قرى أخرى ومستحقاتها المالية فى القائمة) ، ومن جميع القرى ومساحات الأرض kleroi ومساحات السُّكنى الخاصة بهذا المكان ، ومن الفلاحين الوطنيين laoi وكل متعلقاتهم وممتلكاتهم ، ومن كل أوانى النبيذ ، والمستحقات التى تدفع نقدا أو عملا ، ومن العوائد(الدخول) بجميع أنواعها التى تجمع من القرى نقدا أو مقابل عمل ، وهناك بالإضافة إلى ذلك ، أنه عندما تم التقسيم ، حصل بيثيوس Pytheus وأدراستوس Adrastus على ملكية مزرعة منفصلة فى تابلمور Tabalmoura (القراءة غير واضحة!) ؛ وحصل بخلاف المزرعة على منازل الوطنيين laoi والعبيد oiketai ، وفى بيرياساسوسترا-Periasasos itraأراض للسكنى .... وحديقتين .... بالإضافة إلى منازل Oiketai العبيد فى ذلك المكان". (Buckler & Robinson, Sardis,vii.i,no.i =Austin,181) .

تضم هذه الضيعة (oikios) خمس قرى ، وعدة مساحات kleroi، ومزرعة وعدة حدائق مع مزارعيها ؛ وهناك أيضا إشارة إلى عبيد (oiketai) ، أغلب الظن أنهم المشرفون (على العمال) . لكن ما هى تلك الرسوم المذكورة فى هذا النقش ، التى تعد دليلا على قيمة الضيعة ؟ والرأى المعتاد أنها تمثل العوائد التى كان على منسيماخوس Mnsimachus : ، المُهدى إليه المزرعة دفعها للحكومة (عن طريق عدد من المحصلين chiliarchs ؛ لأن الضيعة تقع فى مناطق متفرقة تقع فى دائرة سلطاتهم العديدة) ؛ وكان عليه تحصيل هذه المبالغ (إلى أكبر حد ممكن) من الملتزمين بها ، أولئك الذين يحوزون المساحات kleroi والفلاحين الوطنيين laoi الذين يعيشون فى القرى . ناقش المتخصص الفرنسى بريان P.Briant(Actes du Colloque1971,pp..93-133) أن الفلاحين الوطنيين laoi استمروا فى دفع رسومهم للمحصلين chiliarchs مباشرة ، والذين قاموا بدورهم بتسليمها إلى منسيماخوس . ومعنى ذلك أن الأخير كان هو المتسلم ، ليس للأرض (مع العاملين فيها) ، لكن فقط للدخل المتحصّل منها ؛ وعلى

ذلك يظل الفلاحون laoi فلاحين ملكيين .

ومن المؤكد وجود أمثلة على استمرار إقامة الفلاحين الملكيين فى القرى التى خصصت لأفراد ، ويوجد مثال على ذلك فى نقش يسجل ثلاثة خطابات إلى ميلياجر Meleager ، حاكم strategos فيريجيا على الدردنيل Hellespontine Phrygia، من أنطيوخوس الأول (ت . ٢٧٥) بخصوص منح لأرض خصصت لأرستوديكيديس من أسوس " Aristodicides of Assus ؛لأنه أدى خدمات كصديق لنا بكل إخلاص وصدق "أول هذه الخطابات تضمن تعليمات إلى ميلياجرMeleager بأنه :

"إذا رغب الفلاحون الملكيون للإقليم الذى تقع فيه البتراء Petra فى أن يعيشوا فى البتراء من أجل الحصول على الحماية ، فقد أمرنا أرستوديكيديس Aristodicides بأن يدعم القيام بذلك " .

.(Welles,R.C.,no.ii.II.22-5=Austin,180)

لكن هذا الخطاب يشير إلى أن المزارعين الوطنيين الذين يعيشون على الأرض بالقرب من البتراء ، التى ظلت فى يد الملك بعد تحول البتراء إلى أرستوديكيديس ، ظلوا بطبيعة الحال يقيمون فى ذلك المكان ، وعليهم أن يواصلوا القيام بذلك . ولم يذكر لنا شيئًا عن وضع status الفلاحين الوطنيين laoi فى ضيعة أرستوديكيديس.

قدمت النقوش قدرا من المعلومات عن وضع الفلاحين الوطنيين فى آسيا الصغرى وفلسطين ؛ لكن الأدلة ناقصة عن المناطق الواقعة أبعد شرقا من ذلك . لقد كانوا يعيشون فى قرى ، ربما تحت إشراف الكومارخ komarch على الرغم من أن هذا المنصب لم يكن له وجود قبل القرن الرابع ، لدى إكسينيفون Xenephon ، وبعد ذلك فى العصر الرومانى) . وكما سبق واقترح من قبل اقتراحًا مقبولاً ظاهريا ، من أن ما أشار إليه أرسطو فى دراسته الاقتصادية Oeconomica ii,1 بأن ما يُدعى "اقتصاد الولاية الفارسية satrapic economy" كان يعتمد على ما كان قائما فى آسيا الصغرى فى أوائل القرن الثالث ، فإن الفلاحين الوطنيين laoi هناك كانوا يدفعون ضريبة الثلث tithe ، فى حين ظهروا بأنهم كانوا يدفعون ضريبة مُحددة فى

جوف سوريا Coele Syria ، ويوضح نقش هام عن وضع الفلاحين الوطنيين laoi فى معبد أبوللون فى ديديما Didyma ويتضمن خطاباً يؤرخ بعام ٢٥٤/٣ من عهد أنطيوخوس الثانى موجهًا إلى متروفانيس Metrophanes الذى يحتمل أن يكون حاكم ولاية الدردنيل satrapy Hellespontine. يقرر فيه أنطيوخوس التالى :

"لقد بعنا إلى لاؤديكى Laodice [زوجته المطلقة] قرية بانو Pannu Kome ومنزل الضيعة baris والأرض الخاصة بالقرية ، التى يحيطها أرض زيلا Zeila والأرض الخاصة بكزيقوس Cyzicus وبالطريق القديم الذى يمتد عادة أعلى قرية بانو ، الذى حرثه الجيران من المزارعين رغبة فى الحصول على المكان لأنفسهم - حيث أنشئت قرية بانو الحالية فيما بعد - وأى قرى صغيرة topoi قد تكون قائمة على هذه الأرض ، وكذلك المزارعين الوطنيين laoi الذين يعيشون هناك مع متعلقات مساكنهم وجميع أملاكهم ، مع دخل السنة التاسعة والخمسين ، كل ما سبق فى مقابل ٣٠ تالنت فضة - وكذلك بالمثل أى أفراد ، من الفلاحين الوطنيين ، الذين انتقلوا من هذه القرية إلى قرى أخرى- على شرط أنها (أى المشترية لاوديكى) لن تدفع أى ضرائب للخزانة ، وعلى أن يكون لها الحق فى إلحاق الأرض بأى مدينة ترغب فيها ".

. (Welles,R.C.,no18,II.1-14=Austin,185)

إن هذه الصفقة ، التى كانت مناسبة بالنسبة للاوديكى التى من المحتمل أنها كانت بمثابة تسوية طلاق"، وشملت بوضوح المزارعين الوطنيين ، الذين من الواضح أنهم انتقلوا (فى الصفقة) مع القرية ، حتى ولو كانوا قد ذهبوا من قبل إلى مكان آخر ، وليس هناك إشارة إلى أن مثل هذا الانتقال كان غير قانونى ، كما هو فى حالات الفرار anachoresis الذى واجهناه فى مصر البطلمية ، وكان تحركهم لا يقطع الصلات بمكانهم الأصلى ، كما لا يعفيهم من الالتزامات التى يحملها ذلك التصرف . ومن ناحية أخرى لا يقدم هذا النقش ما يعزز الرأى القائل بأن العوائد هى التى كانت ترحل بواسطة الملك ؛ لأنه (أى النقش) يفتتح بغير غموض بهذه الكلمات "لقد بعنا إلى لاوديكى "وكان الفلاحون الوطنيون laoi من ضمن الصفقة ، وليس فقط الضرائب التى كانوا يدفعونها ، ويقف هذا النقش ككل ضد الرأى القائل بأن منسيماخوس Mnsimachus: لم يكن مالكا للضيعة ، ولكن لدخلها فقط .

ويخبرنا خطاب أنطيوخوس إلى متروفانيس أيضا أن لاوديكى كان يمكنها أن تلحق ضيعتها الجديدة بأى مدينة ترغب ، وهناك شرط مشابه لذلك فى الخطاب الأول لأنطيوخوس الأول إلى ميلياجر Meleager (راجع ص١٤٨) ، الذى يذكر فيه أن الأرض التى خصِّصت لأرستوديكيديس (ترك تحديد موقع القطعة الثانية لقرار ميلياجر نفسه) إما أن تلحق بإقليم إيليوم Ilium (طروادة) أو سكيبسيس Scepsis، وفضلا عن ذلك هناك خطاب أرسله ميلياجر إلى إيليوم ، يشير إلى أن المنتفع اختار- المكان- الأول . وإذا أخذنا ما ورد فى الخطاب الخاص بضيعة لاوديكى فإن ذلك يعنى أنه يمكن أن نقترح أنه كان من المعتاد بالنسبة لمتسلم الضيا ع أن يلحقها بالمدن ، ولكن قد يبدو تسرعًا استنتاج أنه كان من الضرورى على جميع الأشخاص الحائزين لأرض إلحاقها بمدينة . وعُثر على نقش غير بعيد عن بيت شيان Shean Beth سكيثوبوليس (Scythopolis) فى إسرائيل يوضح أن بطلميوس Ptolemy، وهو أول حاكم سيلوقى لجوف سوريا وفينيقيا بعد استيلاء أنطيوخوس الثالث عليها عام ٢٠٠ ، كان يمتلك عدة قرى ، "بعضها أملاك خاصة ، وبعضها ورثت التزامها وبعضها تلك التى أمرتم (أى الملك أنطوخوس الثالث) بأن تخصص لى" . (Y.H.Landau,Israeli Exploration Journal (1966),pp.54-70) .

ليس هناك فى هذا النقش ما يدفعنا إلى الظن بأن أيا من تلك القرى كان ملحقا بأراضى أى مدينة ، مثل (سكيثوبوليس Scythpolis) ، ومن المحتمل بطبيعة الحال أن الظروف فى فلسطين كانت مختلفة عن تلك الخاصة بآسيا الصغرى . وسواء عندما كانت أى ضيعة تلحق بمدينة (كما هو الحال فى ضيعة لاوديكى أو تلك التى تم منْحها إلى أرستيديدكيديس Aristodicides) ، فمن غير المعروف ما إذا كان الإلحاق يؤثر فى أى تغيير فى الوضع القانونى المترتب على الإلحاق بالنسبة للمزارعين الوطنيين Laoi، وظهرت اختلافات كبيرة فى النماذج والأوضا ع القانونية فى النقوش ، ومما لا شك فيه أن قرى عديدة اكتسبت بالتدريج على مر العقود مسئولية مشتركة. ونُشر حديثًا

نقش يوضح أن المزارعين الوطنيين Laoi لقريتين اجتمعوا على هيئة مجلس ، واتخذوا قرارا (فى عام ٢٦٧) ، وتلك تعد واحدة من الأشكال المحتملة للتطور الذى لاحظه وُريل M.Woerrle الذى نشر النقش (Chiron,5(1975),pp.58-87) ، والذى كان ينتهى فى النهاية بتأسيس مدينة.

وهناك دليل أيضا على منح الأراضى لمعابد بالإضافة إلى منحها لأفراد ، وكان يوجد عدد من المعابد القديمة للدولة tempel states فى آسيا الصغرى ، بأراضيها ومزارعى المعبد من الوطنيين ، وكاهنها الأكبر الوراثى ، وغالبًا ما كان معهم الطواشية وعاهرات المعبد . ويقدم الكتاب العاشر لاسترابون قائمة لأهمها مع الأشياء المحرمة وخصائصها الرئيسية ، ويوضح نقش من إيكاروس Icarus (جزيرة فيلكة Failaka فى الكويت على رأس الخليج الفارسى) ، التى كانت تضم معبدا لأرتيميس Artemis التى ربما تكون فى الحقيقة إلهة سامية) ، توضح الملك وهو يقوم بإجراء الضم Synoecism وينقل المعبد ويقوم بمعاملة الأرض كما لو أنها ملك له SEG,xx(1964),411) ، ولكن فى مناسبات أخرى حولت فيها الأراضى الملكية إلى أحد المعابد ، ويوجد نقش من العصر الرومانى الإمبراطورى على البوابة الشمالية فى فناء معبد زيوس (بُعل Ba'al) فى بايتوكايكى Baetocaece بالقرب من أباميا Apamea فى شمال سوريا ، يتضمن خطابا من أنطيوخوس (الذى ما يزال المرء غير متأكد منه) يعين فيه قرية بايتوكايكى Baetocaece ، التى كانت فيما مضى تخص شخصًا يدعى ديمتريوس Demetrius (من المحتمل أنه مقدونى) ، يعينها للمعبد "بكل أملاكها وممتلكاتها". وهى عبارة من المحتمل أنها تعنى المزارعين الوطنيين laoi (Welles ,R.C.,no.70) . ونحن لا نعرف ما إذا كانت هذه الأرض ، بما فيها القرية ، ملكا للمعبد من قبل (وهو رأى الباحث الألمانى كرايسج H.Kreissig) ، ثم منحت إلى ديمتريوس ، وإذا كان الأمر كذلك فربما عادت بعد موت ديمتريوس إلى التاج ، فمن الواضح الآن أنها سُلمت إلى الملكية الكاملة للمعبد . وعلى ذلك هناك بعض اللبس فيما يخص الملكية النهائية لأرض المعبد ، ويبدو من المحتمل - كما كان الحال فى مصر (راجع ص ١٤٦)(*)- أن حقوق المعابد نمت وأصبحت أكثر فاعلية مع مرور الزمن .

(*) يبدو وجود خطأ مطبعى فى الإحالة .

ثانيا :

إن ظهور "فيلق مقدونى" بقوة بلغت ١٦,٠٠٠ محارب فى معركة مجنيسيا Magnesia عام ١٨٩ (Apian,Syriace 32,1) يدل على وجود قوات مقدونية منتظمة فى المملكة السيلوقية ، ونحن لا نستطيع التأكد مما إذا كانوا جميعا من أصول مقدونية أو من أصول مشتركة . إن القوة التى بلغت ٢٠,٠٠٠ جندى مقدونى على الأقل ، وهم الذين وضعهم أنطيوخوس الرابع فى المعركة الكبيرة عند دافنى Daphne عام ١٦٦ (Polybius ,xxx,25,5) لاتقف كدليل حاسم ؛ لأن زيادة العدد بقوات شرقية فى مثل هذه الحالة لن يتناسب مع وضعها فى خط المعركة . والاحتمال الممكن أن هؤلاء المقدونيين كانوا يرابطون فى مستوطنات عسكرية تعرف باسم المستوطنين العسكريين katoikiai ، وربما كان بعضهم يقيم على انفراد مثل المقطعين العسكريين المصريين ، وربما كانت أنصبة الأرض kleroi التى منحت لمنسيماخوس Mnesimachus (ص١٤٦) على هذه الشاكلة ؛ وإذا كان الأمر كذلك فالواضح أن الملك قد استرد ملكيتها أخيرا، حيث إنها كانت ضمن ضيعة منسيماخوس ، كما وجدت مستوطنات لأراضى الإقطاعات clerochic فى مملكة برجامون ؛ فهناك نقش مُهلهل (R.C., Welles,no 51) من تاريخ غير مؤكد خاص بحجم إقطاع عسكرى ووراثته ، ويبدو من المحتمل أن الجنود الذين كانوا كثيرا ما يتم منحهم مجموعة من المستوطنين يسمون باسم katoikiai (أصحاب الإقطاعات العسكرية) ، كما كان الحال لدى السيلوقيين . وهناك مجموعة من ثلاث وثائق من أزميرSmyrna تسجل مباحثات معقدة مع مجنيسيا –على سيبيلوس Magnesia -by-Sipylus التى انتهت بمنح جنسية أزمير أولا إلى المستوطنين العسكريين السيلوقيين katoikoi (يبدو أنهم كانوا ببساطة مجرد جنود فى هذه الحالة) الذين كانوا يتمركزون فى مجنيسيا Magnesia وفى المنطقة المفتوحة خارج المدينة ، وبالتالى كان يعد امتداداً للاتفاقية أخذ مجموعة من المستوطنين katoikoi ، من ضمنهم قوات فارسية ، من الذين كانوا يتمركزون فى مجنيسيا من قبل ، لكنهم كانوا موجودين الآن فى قلعة قريبة تسمى بالياماجنيسيا Palaemagnesia (OGIS,229) . وثالث هذه الوثائق يرسم العلاقة بالنسبة لمجموعة بالياماجنيسيا التى :

"تقرر أن يصبحوا مواطنين يتمتعون بجميع الحقوق التى يتمتع بها باقى المواطنين ؛ وسوف يتم إعفاء قطعتى الأرض (kleroi) التى منحها الإله المنقذ أنطيوخوس الأول لهم ، والتى كتب عنها الإسكندر (ربما أحد أصدقاء أنطيوخوس الأول) ، من ضريبة العُشر ، وأيا كانت الأرض التى كان هؤلاء المستوطنون katoikoi يمتلكونها من قبل فى ماجنيسيا والتى تدخل ضمن حدود مدينتنا ، فسوف تظل الأنصبة الثلاثة حرة ، وستظل معفاة من الضريبة الحالية " (II.100-2) .

كان المستوطنون فى بالياماجنيسيا حائزين على مساحات كان من الواضح أنها خصصت لهم كمجموعة وليس كأفراد متفرقين ، و يدل ظهور الفرس على أن هذه المستوطنات لم تكن مقصورة على الإغريق والمقدونيين وحدهم ، وفى الواقع أصبح لا يمكن الاستمرار فى ذلك مع مرور الزمن . وكتب أنطيوخوس الثالث خطاباً إلى قائده زيوكسيس Zeuxis اقتبسه يوسيفوس Josephus يقول :

"علمنا عن العصيان الذى حدث فى ليديا وفريجيا ؛ لذا فكرت فى أن الموضوع يحتاج إلى اهتمام كبير ؛ وبعد التشاور مع أصدقائى عما تقتضى الضرورة اتخاذه، قررت ترحيل ٢,٠٠٠ أسرة يهودية مع متعلقاتهم من ما بين النهرين Mesopotamia وبابل Babylonia إلى القلاع وإلى الأماكن ذات الأهمية الرئيسية (Josephus ,Antiquities of Judaea,xii3,4) .

واصل - أنطيوخوس الثالث -إعطاء التعليمات لمنح أنصبة الأرض لبناء منازل وللزراعة ، ومنْح بذور الغلال ، وإعفاء من الضرائب لمدة عشر سنوات على المحاصيل النامية ، وسواء أكان هذ الخطاب أصليا من عدمه ، فهو يقدم تقريرا مُقنعا عن كيفية إقامة المستوطنة العسكرية katoikia .

كانت مثل هذه المستوطنات العسكرية تؤدى ثلاثة أغراض ، فهى على عكس مستوطنات الإسكندر كانت تتكون أساسًا من الجنود العاملين ، وليس من الجنود المسرَّحين . فهم يمدون الخدمة العسكرية بالرجال المدرَّبين الذين يمكن للملك أن يعتمد عليهم فى حالة الحرب ، وفى أثناء السلم كحاميات تحافظ على النظام وتدافع عن

المراكز الحدودية ضد الغزو، كما أنهم يتابعون مهامهم المدنية ، أساسا فى زراعة الأرض ، وعلى أى حال فليس كل فرد فى الأناضول كان مستوطنًا katoikia فى مستوطنة عسكرية ، فهناك عدة مجموعات من المستوطنين katoikia المدنيين ، وكثير منها (إن لم يكن أغلبها) كان معظم أفرادها ينحدرون من الأهالى الوطنيين ، ولا شك أنهم كانوا قابلين ، إذا دعت الحاجة ، للاستدعاء للخدمة العسكرية ، مثلهم فى ذلك مثل المستوطنين العسكريين ، ومن سوء الحظ أننا لا نستطيع فى حالات كثيرة التأكد مع أى نوع نحن نتعامل . ومن السهل التعرف على المستوطنين العسكريين بصفة رئيسية فى غرب آسيا الصغرى فى أقاليم كل من السيلوقيين وبرجامون ، فلقد وطن آل أتاللوس أعدادا مختلفة من الجنود المرتزقة بهذه الطريقة ، من بينها الغاليون ، ومن أجل ذلك حذَّر أتالوس Attalus عام ٢١٨ من السلوك غير المتعاون للجنود المرتزقة الجلاتيين : Galatian mercenaries

"وعد بالنسبة للحاضر بإعادتهم إلى المكان الذى عبروا منه (أى من أوروبا) وأعطاهم أراضى مناسبة للاستيطان ، واستجاب بعد ذلك إلى أقصى ما يمكنه لجميع طلباتهم المعقولة التى طالبوا بها" ، (Polybius,v,78,5) .

ومن الناحية التنظيمية، كثيرا ماكانت المستوطنة العسكرية تشبه القرى ، التى تتكون من وحدة رئيسية فى بنيتها الاجتماعية والإنتاجية على طول الريف الأناضولى ، خاصة إذا كان الإقطاع يُشغل بالمشاع ، وكانت القرى بطبيعة الحال يسكنها الفلاحون الوطنيون laoi الذين يقومون بدفع الضرائب النوعية لمالك الأرض ؛ وارتبطوا بالقرية كالمعتاد ، وسبق مناقشة إمكانية السماح لهم بالتحرك قبل ذلك (ص ١٤٩) ، وأقيمت بعض القرى على أرض خاصة بمدينة ، وفى تلك الحالة كانت هناك إمكانية (لكن بدون أى تأكيد) لتحسين وضع السكان (كما حدث بالنسبة للمستوطنين فى باليماجنيسيا Palaemagnesia) . وكونت قرى أخرى فى المناطق الأبعد شرقا نواة لضيعة معبد ، أو كانت تقع على أرض يملكها معبد ، وتحولت المستوطنات تقريبا إلى قرى بطرق عدة ، ولكن كان يحدوها الأمل ، إذا كانت تتكون من المقدونيين ، فى رفعها إلى مرتبة status مدينة . وفى حالة حدوث ذلك كان يصطحب معه ، نظاما إداريا جديدا وعدة امتيازات خاصة ، وهى التى ينبغى أن ننظر فيها الآن.

ثالثا:

تتمثل أهم إنجازات الحكم السيلوقى لفتًا للنظر وتأثيرا، فى تأسيس سلسلة من المدن الإغريقية الجديدة التى تمتد عبر كل ممتلكاتهم من بكتريا Bactria إلى سوجديانا Sogdiana فى الشرق الأقصى. وكانت هذه المدن على عكس المدن الإغريقية القديمة فى بلاد الإغريق وغرب آسيا الصغرى تقام عادة على شكل شبكى مستطيل rectiline-ar grid-pattern ، مع وضع حالة الموقع الطبوغرافية طبعا فى الاعتبار ؛ وبيرينى Priene مثال جيد على ذلك ، وأعيد تأسيسها حوالى عام ٣٥٠ ، وشيدت على أساس هذه الخطوط . وقدمت أكثر المدن الجديدة مستوى رفيعا من الروعة ، ويُفَصل أحد النقوش الطويلة من برجامون عاصمة الأتاليين (آل أتاللوس) واجبات المشرفين asty-nomoi، وهم الموظفون المسئولون عن حالة الشوارع ، ومد المياه والحمامات العامة ، مع ذكر تفصيلات الغرامات التى توقع على المخالفين للأنظمة (OGIS,483) .

تم تنفيذ الجزء الأكبر من العمل الإنشائى خلال حكم الملوك السيلوقيين الثلاثة الأوائل ، سيليوقوس الأول (٣١٢-٢٨١) ، وأنطيوخوس الأول (٢٨١-٢٦١) وأنطيوخوس الثانى (٢٦١-٢٤٦) . وترجع بعض المدن فى الشرق إلى عهد أنطيوخوس الرابع (١٧٥ -١٦٤) ، على الرغم من أنها كانت أقل مما كان يُفترض . وفى الحقيقة فإن أغلب تفصيلات التعمير لم يتم تسجيلها ، وعلى أى حال فإن أهمية العنصر الإغريقى والمقدونى يمكن أن نستدل عليها من أسماء المستوطنين ، فقد أُخذ العديد منهم من أقاليم مقدونيا ومدنها وشمال بلاد الإغريق ، أما شمال سوريا التى اختار سيليوقوس الأول أن تكون قلب مملكته ، فقد وجدنا فيها أقاليم تسمى بيرياPieria وكيرهستك Cyrrhestice، مع أقاليم تسمى يوروبس Europus ، بيرويا Beroea ، إيديسا Edessa ، كيرهوس Cyrrhus ، بيرنثوسPerinthus ، ومارونيا Maronea، وأبوللونيا Apollonia؛ وفى فلسطين ديوم Dyum وبيلا Pella ؛ وفى ما بين النهرين Mesopotamia أنثيوسيا Anthemusia وإيخناى Ichnae وأينوس Aenus، وفى ميديا Media يوروبس Europus وهو اسم آخر لراهاجاى (Rhagae؛ وفى بيرسيس Persis تناجرا Tanagraومايتونا Maitona إذا كانت هى فى الواقع ميثونى Methone نفسها) ؛ وفى

باكتريا أو سوجديانا Sogdiana وهناك ثيرا Thera، رويتيا Rhoetea وربما أرجوس Argos ، وعلى الشاطئ العربى للخليج الفارسى أريثوسا Arethusa ولاريسا Larissa وخالكيس Chalcis . ويؤخذ وجود هذه الأسماء فى بعض الأحيان ليشير إلى أن السيلوقيين فكروا بجدية فى إحياء المملكة المقدونية ، لكن هذا الرأى فيه مجازفة ؛ لأن كثيرا من هذه الأسماء عبارة عن أسماء تلقائية أطلقها الجنود المشتاقون لأن يذكروا أنفسهم ببلادهم ، مثل الأسماء (الأوروبية) التى لا حصر لها فى أمريكا الشمالية . ويمكن رؤية هدف الأسرة الحاكمة بصورة أكثر وضوحا فى أسماء الأسرة التى ألحقت بأكثر المنشآت أهمية ، وإلى جانبها أشياء أخرى عديدة .

أولا: كانت هناك المدن الأربع الكبرى فى شمال سوريا :أنطيوخ Antioch العاصمة ، التى ظلت تنمو حتى عصر أنطيوخوس الخامس ، والتى اشتهرت بحدائقها فى دافنى Daphne ، وميناء سلوقية فى بيريا Seleuceia -in -Pieria ، ولاؤديكيا Laodiceia التى تقع على البحر ، وأباميا Apamea فى وسط نهر العاصى Orontesالمركز العسكرى الضخم الذى احتفظ السيلوقيون فيه بالخيول والفيَلة ، وكانت سيلوقية على نهر الفرات أقدم منشأة للسيلوقيين فى بابل ، وخدمت كمركز للإدارة وللنفوذ الإغريقى المقدونى فى جميع أنحاء ما بين النهرين Mesopotamia ، بالإضافة إلى أن عددا كبيرا من هذه المنشآت الكبرى حملت أسماء الملوك السيلوقيين وملكاتهم التى تم تسجيلها من جميع أنحاء المملكة . وكان يوجد فى سوريا – على سبيل المثال – لاؤديكيا Laodiceia الواقعة فى لبنان ، وأنطيوخ الواقعة فى كيرهستك Cyrrhestice ؛ وكانت أباميا Apamea تسيطر على الفرات عبر زيوجما Zeugma ، وفى شمال ما بين النهرين كانت تقع أنطيوخ نسيبيس - Antioch Nisibis فى ميجدونيا Mygdonia ، وأنطيوخ – إديسا Edessa (اسمها الوطنى أورهوى Orrhoe) فى ثنية الفرات ، وأبعد من ذلك شرقا اتخذت بعض المدن القديمة مظهرا إغريقيا واسمًا من الأسرة الحاكمة . وسميت سوسا Susa سلوقية التى تقع على إيولايوس Seleuceia -0n-the-Eulaeus، وأعيد تأسيس بابل فيما بعد فى عهد أنطيوخوس الرابع (كما نعرف من نقش من عام ٦/١٦٧ (OGIS,253) من هذه المدينة

التى ، أطلقت على الملك "منقذ آسيا ومؤسس المدينة الخير". وهناك عدد آخر من منشآت الأسرة ، بعضها الآن مجرد أسماء فقط : على سبيل المثال سيلوقية الواقعة فى سوسيانا Seleuceia -on-the Susiana سلوقية التى على البحر الإرترى Seleuceia -on-the-Erythrean Sea (على الخليج الفارسى) ، آباميا الواقعة فى ميسينى Apamea -in- Mesene، وأنطيوخ الواقعة فى برسيس Antioch -in- Persis (بوشيرى Bushire الحديثة) ، وإعادة تأسيس عدة إسكندريات كأنطيوخيات. وكان يوجد فى آسيا الصغرى لاؤديكيا الذبيحة Laodiceia-the-Burnt، وأباميا كيلايناى Apamea-Celaenae، وسيلوقية على كاليكادنوس Seleuceia-on-the Calycadnus ، ولاؤديكيا على ليقوس Laodiceia - on-the-Lycus وكثير غيرها، وتشير فى مجموعها معا بوضوح إلى إصرار السلوقيين على توضيح السمة الشخصية لحكمهم ودور الملك وأسرته كعامل توحيد لملكتهم .

اختلفت شخصية تلك المدن اختلافا هائلا عن بعضها ، سواء ولدت هذه المدن مقدونية أو كانت أسماء للأسرة الحاكمة ، ويجب علينا أن نميز بين المدن الإغريقية القديمة الواقعة على الساحل الإيجى ، مثل أزمير Symerna وإفسوس Ephesus، وبين المدن الجديدة مثل سيلوقية الواقعة على الفرات ، والمدن الوطنية التى حصلت على أسماء الأسرة الحاكمة ، مثل القدس التى أعيد تسميتها أنطيوخ 2Macc.,iv,9: راجع عن ذلك (ص ٢٥٨ - ٢٥٩) ، والمدن الوطنية الأخرى التى تم أغرقتها بالكامل لتصبح مراكز إدارية بحكامها وحاميتها العسكرية ، واختلف مدى التأثير الإغريقى والمقدونى فى المدن الجديدة اختلافا كبيرا من مدينة إلى أخرى . وهناك نقش من القرن الثانى (Poussel,Syria(1942-3),pp.21-32) يوضح وجود حكام فى لاؤديكيا التى تقع على البحر Laodiceia-on-the-sea، والتى تسمى بيليجانيس Peliganes ، وترتبط كلمة بيليجان Peligan بكلمة وجدت فى إبيروس Epirus ومقدونيا وتعنى "القديم" Strabo,viii,329,fg.2)، مما يقود إلى اقتراح أن العنصر البلقانى كان قويًا فى أصل السكان الأصليين فى لاؤديكيا. ونفس النتائج يمكن أن نستخلصها من سيلوقية التى على نهر الفرات ، حيث إن كلمة أديجانيس Adeiganes ، التى وجدت فى فقرة بوليبيوس Polybius (v,54,10) كانت تطلق على موظفى هذه المدينة ، لذلك يمكننا أن

نعدلها الآن باطمئنان لتُقرأ Peliganes، وكيفما كان الأمر فمن المحتمل أن المدينتين كانتا تضمان شرقيين أيضا ، كما حدث فى إباما فى آسيا الصغرى ؛ لأنه ، طبقا لاستـرابون "Strabo ، جـاء أنطيـوخـوس الأول المنقـذ Soter بالسكان من كيلايناى Celaenae، ونقلهم إلى أباميا الحالية ، المدينة ؛ التى سماها أباميا على اسم والدته أباما Apama (xii,8,15) ". وأنشئت بعض المدن أو أعيد تحصينها على يد المستوطنين (المستعمرين) الذين أرسلوا بناء على طلب الملك من إحدى المدن الإغريقية القديمة ، وأنطيوخ الواقعة فى برسيس Antioch -in- Persis مثال على ذلك التى حصلت على المستعمرين من مجنيسيا التى على ميانـدر - Magnesia -on- the Maeander (راجع ص ٧٦) ، وكما رأينا فقد منحت مدينة أزمير حقوق المواطنة فيها لمجموعة من القوات الفارسية من باليامانجنيسيا Palaemagnesia (ص ١٥٢) ، وكانت ستراتونيكيا Stratonicea فى كاريا Caria تضم بعض الأحياء الكارية.

إن ما يدل على كينونة المدينة امتلاكها للمكونات التنظيمية المعتادة فى بلاد الإغريق ، مثل القبائل ، المجلس ، الحكام ، الإقليم (الذى انقسم فى العادة إلى أحياء) ، وقانونا لبعض الموارد المالية ، وكانت الأسوار ضرورية بصفة عامة للدفاع عن المدينة ، ومنها أيضا وجود مجلس فى العادة ، مع أنه لم يكن موجودًا بصفة مطلقة ، واعتمدت الحياة الاقتصادية بوجه عام على الزراعة ، سواء قام بها المواطنون أو المزارعون الخاضعون ، وكان هناك فيما يبدو نمو فى التجارة والصناعة فى المدن الشرقية ، على الرغم من أن ذلك كان يتمثل فى الكم أكثر من وجود أسس جوهرية جديدة فى خصائصها (راجع الفصل التاسع) وكانت المدن التى لدينا سجلات عنها تتصرف من الناحية الظاهرية كما لو كانت دويلات ذات سيادة ، تصدر القرارات وتتبادل السفارات مع الدويلات والمدن الأخرى ، وكثيرا ما نوقش أن المدن القديمة على الساحل الإيجى كان استقلالها حقيقيا . وعلى أى حال فإن ذلك افتراض مبهم ، وكان الإسكندر يمكنه كما رأينا (ص٥٠) أن يُصرح بأن بريني "Priene حرة ومستقلة

استقلالا ذاتيا "، ثم يتدخل بشدة في شئونها تدخلا صارخا ، ويقوم بجمع "الضرائب "منها ؛ وأعلن أنتيجونوس الأول في مدينة صور Tyreعام ٣١٤ (ص٦٣) أن جميع الإغريق"أحرار بدون- أن يكون هناك وجود لحاميات عسكرية ومستقلون استقلالا ذاتيا "free and autonomous ، وأعلن بعد ذلك في خطابه إلى سكيبسيس Scepsis عام٣١١ تأمين ذلك على اعتبار أنه هدفه الرئيسي في فترة السلام (ص٦٥) ، ومع ذلك فإنه لم يكن يخجل في التغاضي عن تطبيق ما جاء في التصريح ما دام يحقق هدفه ، وعلى سبيل المثال ، فقد تدخل في تأليف محكمة في كيمي Cyme (OSIG,7) ، وأرسل إلى تيؤس (Teosت ٣٠٣) تعليمات مفصلة لتنظيم اتحاد بين تيؤس Teos وليبيدوس Lebedus (Welles,R.C.nos.3-4) التي يمكن أن نرى من المصادر أن التأخر في الخطابات ، لم يكن معتادا في كلتا المدينتين ، وعلمنا من سترابون منذ فترة مبكرة"ضم أنطيوخوس السكيبيين إلى إسكندرية ترواس (Troas) ، ثم قيام ليسيماخوس - بعد ذلك - بإطلاق سراحهم ، وعودتهم إلى وطنهم (XIII,I,52) ، ومن المحتمل تدخل ليسيماخوس بالمثل لإنشاء اتحاد تيؤس - ليبيدوس Teos- Lebedus.

على أي حال لم تمنع التصرفات التعسفية من هذا النوع أنتيجونوس والسلوقيين بعده من تكرارالتصريح بأنهم هم المحرّرون. وكان ذلك مَطلبا يكرر الإغريق عادة المطالبة به . وعلى ذلك فطبقًا لقرار صدر في فترة ما بعد مارس عام ٢٦٨ أرسل الحلف الأيوني سفراء إلى أنطيوخوس الأول ، ليقوموا " بحثّه على بذل كل رعايته للمدن الأيونية لكي يمكنها من أن تصبح في المستقبل حرة وديمقراطية والتأكيد على أن تحكم وَفقا لقوانين آبائها " (OGIS,222,II.15-16) . ويوجد إشارة في نقش من معبد أبوللون في ديديما Didyma (OGIS,226) إلى هيبوماخوسHippomachus الأثيني "الذي حصل على الحرية والديمقراطية من الملك أنطيوخوس الثاني الإله ". وفي نقش يتعلق بالاتفاق بين أزمير والمستوطنين العسكريين katoikoi في بالياماجنيسيا Palaemagnesia (ص١٥٢) يذكر أن الملك سيليوقوس الثاني ' أكد على منح الحكم الذاتي والديموقراطية للشعب (شعب أزمير)"(لذلك يبدو أنه من المؤكد بحق أن المباحثات المعقدة بين ماجنيسيا و بالياماجنيسيا تمت بناء على أوامره) ، كما تضمن الاتفاق

أيضا القسم بالمحافظة الذى عقد بين مختلف المستوطنين العسكريين " katoikoi على الاستقلال الذاتى والديمقراطيـة لأزمير" (OGIS,229,II.67ff). وبالمثل صدر قرار من دلفى Delphi يُمدح فيه سليوقس الثانى لإعلانه أزمير مقدسة وحرة من الأخذ بالثأر" asylos ، و"حرة ومحررة من الضرائب ". وصدر قرار من مجلس دلفى Delphi الدينى فى أواخر القرن الثالث (OGIS,234) يمتدح أنطيوخوس الثالث "لحفاظه على الديمقراطية والسلام لشعب أنطيوخ" ، (كريساؤريانس Chrysaorians اسم جديد لكاريان ألاباندا Carian Alabanda)، ويمكن مضاعفة النماذج بسهولة ، وتتمثل الصعوبة فى تقرير المقصود بمعنى "الحرية" و"الديموقراطية "، و"الاستقلال الذاتى "فى هذه النصوص المختلفة ؛ لأن معانى الكلمات كانت قابلة للتغيير بدرجة ما ، وتظهر كلمة الديمقراطية فى بعض القرارات مساوية لكلمة الحرية ، لكن الحرية كانت أقل كثيرا مما كانت عليه فى القرن الخامس والرابع ، وأشار أنطيوخوس الأول فى خطابه إلى ميلياجر (Meleager) (راجع ص ١٤٨) إلى "مدن فى إقليمه وحلفائها "، مما يدل على التمييز بينها وبين مدن أخرى ، لكنها كانت مدنًا من "الداخلة فى الحلف"– و كان اصطلاح" حلف" أيضا اصطلاحا مفضلا لدى الأتاليين، ويعنى ربط سياستها بما يتناسب مع الملك والحرية التى تقبل بالأمر الواقع ، والتى يمكن اعتبارها حرية حقيقية بالكاد ، وعلى ذلك كتب أنطيوخوس الثانى ملاحظات إلى إريثراى Erythrae :

"إننا نشيد بك لاعترافك بالجميل فى كل شيء ؛ لأنه يبدو أن ذلك هو النهج الذى تسير عليه فى سياستك بصفة عامة.......... ولما كان ثارسينون Tharsynon وبيثيس Pythes وبوتاس Bottas (السفراء) قد أوضحوا أن مدينتكم كانت تتمتع فى أثناء حكم الإسكندر وأنتيجوس بالاستقلال الذاتى autonomous ، ومعفاة من الضرائب .... فإننا نمنحك الإعفاء ليس فقط من الضرائب الأخرى ولكن من جميع الضرائب الخاصة بالجلاتيين أيضا (على سبيل المثال ضريبة خاصة لمواجهة نفقات الحرب أو الدفاع ضد الجلاتيين (Welles,R.C.,no.15.II.14-15,21-3,27-8) .

إن التحرير (الإعفاء) من الضرائب ووجود القوات العسكرية كانا فى بعض الأحيان منفصلين عن "منح الحرية والحكم الذاتى "أو "الحكم الذاتى والديمقراطية "، ومن الصعب أن نرى فى غياب الأول ماذا كان يعنى الثانى ، لأن الضرائب الملكية كان يتم تحصيلها فى الواقع من جميع المدن دون استثناء خاص . وفيما بعد استفاد الرومان من هذه الحالة المثالية ، عندما حلوا محل الملوك الهيللينستيين . وأصبح ملحوظا أن المدينة فقدت أحد الحقوق التى كانت تدل فى الماضى على حرية المدينة المتأصلة – وهو حق صك العملة – وعندما بدأ صك العملة المحلية فى عهد أنطيوخوس الرابع ومقدونيا تحت حكم فيليب الخامس ، كان أمرا جديدا ، يوحى بموقف جديد نحو المدن ، ولكن كما لاحظ ويل E.Well(Le Monde grec et L'Orient,Vol.II.p.458) ، فإنه على الرغم من وجود إشارة لحركة نحو تحديد جديد للعلاقات بين السلوقيين والمدن ، ترتكز على التحرر الملكى والسلام المشترك، كان الوقت قد مضى سريعا قبل وضعها موضع التنفيذ ، وخلال العصر الهيللينستى من الحكم السيلوقى – وليس أقل من ذلك عند البيوتات الملكية الأخرى – فإن علاقتها مع المدن كانت ترتكز على تبادل السُلطة أكثر من القانون .

وبطبيعة الحال لم تكن المدن الجديدة فى الشرق مستقلة بأى حال ، وعندما تقلص نفوذ الأسرة السلوقية وأقاليمها فإن المثال الوحيد المتبقى لدينا عن منح الحرية لإحدى هذه المدن يتمثل فى خطاب من أنطيوخوس الثامن أو التاسع إلى بطلميوس التاسع عام ١٠٩، بخصوص سيلوقية فى بيرايا Seleuceia -in -Pieria. وتقرأ فيه العبارة ذات الصلة بالموضوع على النحو التالى :

"إن شعب سليوقية فى بيرايا Seleuceia -in -Pieria، المدينة المقدسة التى لها حق اللجوء asylos منذ القدم لمساندتها والدنا ومحافظتها على الدوام على نيتها الطيبة تجاهه........ والآن، نحن حريصون على مكافأتهم بما يستحقونه بالمنحة الأولى[والعظيمة] ؛ لذلك قررنا أن يكونوا أحراراً على الدوام ".

(Welles,R.C.,no.71,II.4-6,11-13=Austen,173).

ظهر لقب المقدس holy وحق اللجوء ' asylos على العملة السلوقية فى أواخر القرن الثانى) . وفى كل الأحوال ، كانت المدن الجديدة والقديمة فى الأصل فى نفس الوضع ، لقد كانت عرضة لدرجتين مختلفتين من الخضوع ، وكان الوضع الأفضل أن تظل المدينة بدون حاميات ، وبدون ضرائب ، وتمثل الوضع الأسوأ فى وجود حامية ملكية فى قلعتها وحاكم ملكى (epitates) ، كان واجبه عسكريا فى المقام الأول ، لكنه كثيرا ما مارس سلطات قضائية (كما فى حالة كليون ، ممثل آل أتاللوس فى جزيرة أيجينا Aegina : (OGIS,329) ، مع سلطات أخرى فى الواقع وفقا للمكان والظروف . وسوف نضع فى اعتبارنا فى الفصل الثامن كيفية استجابة المدن لتلك الأعباء والضغوط .

رابعا:

كانت المدن الجديدة هى قواعد وأدوات الهيللنيستية لنشر الثقافة الإغريقية وأنظمتها وأفكارها واللغة الإغريقية حتى أفغانستان والهند ، وكما سبق أن رأينا فإنها اختلفت اختلافًا كبيرًا فى أصلها (تنتمى المؤسسات الأصلية بصفة أساسية إلى أوائل القرن الثالث قبل بداية جفاف منابع المقدونيين والإغريق) ، كما تباينت تباينا واسعا فى حجمها ، وشعر أنطيوخوس الثالث طبقا لما ذكره بوليبيوس Polybius(v,70,5) بالثقة بعد استيلائه على فيلوتيريا Philoteria على بحيرة الجليل (Galilee Lake وسكثوبوليس بيت شيان "Scythopolis (Beth Shean) ؛ لأنه أصبح فى إمكانه بسهولة إمداد جيشه بكامله بالطعام بخضوع الإقليم لهم ، فى حين كانت مدن أخرى مثل أسبيندوس Aspendus صغيرة جدا . كما لم تكن منتشرة بالتساوى على الأقاليم السيلوقية ، واستقبلت آسيا الصغرى وشمال سوريا الجزء الأكبر من المستعمرين ، كما وجدوا بأعداد كبيرة أبعد شرقًا خاصة فى باكتريا Bacteria ؛ لذلك ظلت الهيللينية قائمة هناك بعد أن فقد السيلوقيون السيطرة السياسية عليها حوالى منتصف القرن الثالث .

إن تاريخ الإغريق السياسى فى باكتيريا والهند هو قصة غامضة تعتمد (فى معظم أجزئها) على رواية مصادر من الدرجة الثانية ، وبعض قطع العملة الشهيرة

(التى تستخدم لدعم بعض الفروض الجريئة)، وعلى أى حال هناك احتمال بقيام ديودوتس Diodotus والى باكتيريا بالثورة ضد السيلوقيين ؛ بهدف تأسيس مملكة مستقلة له قبل عام ٢٥٠ ، وبعد ذلك بفترة قصيرة استولى البارثيون على المنطقة التى تقع شرق بحر قزوين ، وعندما حاول سيليوقوس الثانى استرداد الولاية هزموه وأعلنوا استقلال بارثيا Parthia وحكم ديودوس وسميه ابنه لمدة طويلة ، ولكن عندما قام أنطيوخوس الثالث بغزو الشرق الأقصى وجد شخصا يدعى إيوثيديموس Euthyde-mus على عرش باكتيريا ، ومن المحتمل أنه قتل ديودوس الثانى وخلفه على العرش ، وقام إيوثيديموس وابنه ديمتريوس بتوسيع إقليم باكتريا ووحده ضد البارثيين Parthians، وعبر الملوك الأواخر هندو كوش Hindu-Kush ، وأقاموا مملكة إغريقية فى باروباميساداى Paropamisadae وجاندهار Gandhara، وكان هناك إغريق يحكمون الهند حتى بداية القرن الأول ، وأخيرا قُضى على هذه النقطة الأمامية الهامة للعالم الهيلينى بواسطة ثلاثة شعوب من البرابرة -الساكاسSacas (الساى Sai وفقا لسجل صينى معين سكيثيو- بارثيان Scytho-Parthian) (أو باهلافا Pahlava) ويوه -شى Yuëh-Chih . وتوضح نقوش آسوكا A'soka والحفائر الأثرية فى آى خانوم Ai Khanum (راجع ص ٧٦-٧٤) أن هناك الكثير لنعرفه عن إغريق الشرق مازال موجودا فى باطن الأرض فى آسيا الوسطى وشمال الهند ، وعلى الرغم من أنه كان من الواضح أنهم حافظوا على ثقافتهم الهيللينية ، فقد انقطعوا قبل فترة طويلة عن الجسم الأصلى للعالم الهيللينستى ، الذى أصبح كما سبق أن رأينا (ص ٨٠/٨١) يعتمد على قاعدة بحر أوسطية ، وكانت أغرقة الساحل السورى ومعظم آسيا الصغرى هى أعظم ما حققته مملكة السلوقيين ، واستمر ما تم تحقيقه حتى قدوم الإسلام ، وظل لفترة أطول فى بعض المناطق .

الفصل الثامن

العلاقات الداخلية بين المدن -والدويلات الفدرالية

Inter -City Contacts and Federal States

كان أغلب الإغريق فى العالم الهيللينستى ما زالوا يعيشون فى مدن ، لكن المدينة ذاتها تغيرت ، وكثيرا ما جعلت الملكيات الجديدة دور المدينة مزعزعا ، وأظهرت هزيمة أثينا Athens وطيبة Thebes فى معركة خايرونيا Chaeronea على يد مقدونيا (عام ٣٣٨) ضعف المدينة الدولة عند مواجهتها جيشًا قويًا محترفًا وملكًا قديرًا . وأضعفت مصادر ثروة الملكيات الآن تلك الخاصة بالمدن ؛ كان هناك فقط مدينة استثنائية مثل رودس على جزيرتها التى أمكنها أن تأمل فى اتباع سياسة مستقلة على الرغم من علاقتها القوية مع البطالمة . أما بالنسبة لغالبية المدن فقد كان استقلالها السياسى محدودا بسبب قوة جيرانها من الملوك. أو كان الحق (فى الحصول على) أكبر غنيمة لتسوية النزاعات بين المتنافسين تبدو أقل إغراء عندما يؤدى إلى تدخُّل ملك ، الذى كان يقود فى النهاية إلى فقدان ماء الوجه أو فقد الحرية وهو الأسوأ . وإلى جانب التهديد الذى مثلته الممالك للمدن الدول كانت الحياة فيها تقع تحت طائلة نوع من العنف المنظم بسبب الأضرار ، سواء الحقيقية أو الوهمية ، من سطو العصابات والقراصنة . وهنالك فكرت المدن أكثر فى التفاوض لعقد اتفاقات مع بعضها ومع الملوك لتأمين الحماية لها ضد هذه الأشكال المختلفة من العنف ، وكانت تلك الاتفاقات تعد اعتداء على الحرية ، لكن البديل كان أسوأ ؛ إذ كان الملوك مستعدين لممارسة بعض أشكال الضغط . على سبيل المثال ، كانت إعلانات الحرية للمدن وأملاكها التى تتم كحركة سياسية (راجع ص١٥٩/١٦٠) كثيراً ما استخدمها الملوك للحصول على مزايا حقيقية منها .إن نوع النشاط السياسى الذى كان يقود إليه ذلك التصرف

اختلف اختلافا كبيرا عن الذى كان معروفا عندما كانت المدينة الإغريقية مستقلة استقلالا حقيقيًا ، لكن الإغريق سرعان ما تكيفوا معها ولم يتباطئوا فى إيجاد ميادين أخرى ليمارسوا فيها وطنيتهم وطموحهم.

وعلى ذلك ولأسباب عديدة، منها البحث عن أكبر قدر من الأمان ، وخلق قيم مدنية جديدة ، أصبحت مدن العالم الهيللينستى مضطرة إلى تغيير نمط الحياة العامة ، وأصبح يتم قضاء وقت أطول فى أنشطة لم تكن فى حقيقة الأمر جديدة . أصبح الأفراد تقريبًا نظراء منذ القرن الخامس والرابع ، وكان ذلك يتطلب زيادة الاهتمام بالنسبة إلى الأجواء الجديدة ، وانصرفت الآن جهود الرجال السياسية أكثر وأكثر إلى إيجاد طرق عديدة تُمكن أغنياء المواطنين من إنفاق أموالهم وجهودهم نيابة عن المدينة كسفراء ممولين أو كرجال خيرين . وهناك نموذج واضح لهذا الطراز ممثل فى بروتوجينيس Protogenes ، الذى توجد قائمة بهباته إلى مدينة أولبيا Olbia الفقيرة الواقعة على مدخل هيبانيس (بوج) Hypanis (Bug) فى جنوب روسيا فى حوالى نهاية القرن الثالث ، ويتكون من حوالى ٢٠٠ سطر مدون لنقش موجود الآن فى متحف لينينجراد Leningrad بطرسبرج الآن (Syll,m495) . واستدانت مدن عديدة أخرى من مانحين محليين قدموا قروضا مالية لدفع ثمن الغلال فى أثناء فترة مجاعة ، كما طلبت المدن تبرعات لتغطية تكاليف المبانى العامة ، ومارست تأثيرها فى الملوك نيابة عن مدنهم . كان ذلك هو الوضع الحقيقى بالنسبة للمدن الجديدة داخل الممالك والمدن - الدول "المستقلة "القديمة . وانصرف الجميع إلى تكريس وقت وجهد أكبر لإرسال السفارات بشأن احتفالات دينية واستقبالها ليضمنوا الحماية من الأخذ بالثأر (asylia)، ولطلب منح امتيازات للمواطنة ، ولحل مشاكل قضائية ، وحل مشاكل حدود .

كانت بعض القرارات التى اتُّخذت استجابة لجميع هذه الأنشطة شكلية صرفة ، وبعضها الآخر كان يعالج مواضيع حقيقية وهامة مثل ملكية الأراضى ورسم الحدود ، ومن أجل نشر هذه القرارات جرت العادة على أن يتم نقشها على عمود يقام سواء فى المدينة المقصودة أو فى بعض المعابد العامة مثل أولمبياOlympia أو دلفى Delphi ، ومن النقوش التى ما زالت باقية مع ملاحظات مؤلفيها ، يمكن بناء صورة للمجتمع الذى لعبت فيه تلك البعثات المتبادلة والمتنوعة ذلك الدور الحيوى .

أولا:

كان الهدف الأكبر لسياسة المدينة تحاشى الحروب غير الضرورية وتحجيم ضراوتها فى حالة نشوبها، ولتحقيق ذلك كثيرا ما طلبت المدن مساعدة الملوك ، أو فى الواقع فُرض عليها ذلك ، وكان الملك يعتبر الحرب التى لم يخطط لها إما أن تكون مربكة أو جاءت فى غير وقتها . وتكشف النقوش عن نمو جوهرى فى اللجوء إلى التحكيم ، الذى كان يُدعى له طرف ثالث أو أحد الملوك للقيام به . ونشبت أغلب الخلافات بسبب النزاع حول ملكية الأرض التى تقع على الحدود بين المدن . ونموذج ذلك النزاع الذى وقع بين مدينة كورنثة ومدينة إبيداوروس Epidaurus ، وكانت كلتاهما عضواً فى الحلف الآخى Achaean League ، ونشب الخلاف على ملكية مدخل جبل سبيرايوم .Spiraeum C من كورنثة على الخليج السارونى Saronic Gulf، وفى المرحلة بين عام٢٤٢/١ وعام ٢٣٨/٧حولت لجنة التحكيم التباحث فى هذ الموضوع إلى عضو منتخب آخر ،وهى ميجارا Megara الواقعة عبر الخليج فى مواجهة المساحة المتنازع عليها ،وأقر الحُكم الذى حكم به المحكمون فى معبد أسكليبوس Asclepius فى إبيدروس Epidaurous ؛ لذلك كان شعب إبيداوروس ، الذى جاء القرار فى صالحهم ، له مصلحة واضحة فى إعلان القرار . ويقرأ النقش على النحو التالى:

"قرر الميجاريون Magarians ما يلى : فيما يخص الأرض المتنازع عليها بين شعب الإبيداوريين Epidaurians والكورنثيين Corinthians الخاصة بسيلانيس Sellanys وسبيرايوس Spiraeus إرسال محكمة تتكون من ١٥١ رجلا وفقا لقرار من الآخيين Achaeans. وعندما وصل القضاة إلى الإقليم المذكور وحكموا بأن تكون الأرض للإبيداوريين ، اعترض الكورنثيون على ذلك ؛ لذلك قام الميجاريون مرة أخرى بإرسال ٣١ قاضيا من جانبهم لتحديد الحدود بناء على قرار الآخيين ؛ ووصل هؤلاء الرجال إلى المنطقة ، وقاموا بتحديدها على هذا النحو: (تبع ذلك تخطيط كامل للحدود (syll.,(471=Austin,136) .

ولم تكن مثل هذه القرارات نهائية دائما ، عندما تكون الأرض عزيزة ، أو عندما تكون المشاعر متأججة . وعلى سبيل المثال ، فصل الميليسون Milesians حوالى عام ١٤٠ فى نزاع بين مسينى Messene واسبرطة Sparte على المنطقة المسماة إقليم دينثالياتى Denthaliate على المنحنى الغربى لجبل تايجيتوس Taygetus (Syll.,683). ونعرف من دليل آخر أن هذا القرار تحول ليصبح مجرد فصل فى نزاع طويل ومتصل ، استمر منذ عام ٣٣٨ ، عندما عين فيليب الأرض إلى المسينيين ، وصدر قرار مشابه لذلك من الإمبراطور الرومانى تيبريوس Tiberiusعام ٢٥ للميلاد . Tacitus ,(Annals,iv,43). وفى تحكيم عام ١٤٠ "تكونت المحكمة من جميع أفراد الشعب (من ميليتوس(of Miletus) وهو العدد الأقصى الذى سمح به القانون ،وكانت تضم ٦٠٠ قاض" (syll 683,ll.68-9) والعدد الأكبر الذى انخرط فى هذه -القضية- وفى النزاع الميجرانى ،الذى شمل ١٥١ قاضيا كان الهدف منه فيما يبدو تقليص عوامل الفساد ، بيد أنه لم يكن هناك قاعدة محددة فيما يتعلق بالعدد ؛ لأنه فى نزاع آخر خاص بإبيداورس مع هيرميون Hermione هذه المرة ، بلغ عدد القضاة الميليسيين Milesian ، الذين ظهروا فى مهمة أخرى فى البلوبونيز ستة فى مجموعهم (Moretti,i,no.43).

لم يقتصر استدعاء القضاة من المدن الخارجية على تسوية المنازعات بين مدينة وأخرى فحسب . فقد أصيبت الأوضاع القضائية الداخلية فى مدن عديدة بالاضطراب نتيجة لمجموعة من الأسباب ، الأمر الذى أدى إلى تراكم القضايا التى لم تنظر فى المحاكم . وقدم بوليبيوس تقريرا Polybius (xx,6,1) فى عام ١٩٢ عن"أن الأوضاع العامة فى بيوتيا Boeotia تردت فى حالة من الفوضى ، بحيث توقف النظر فى تصريف القضايا المدنية والجنائية منذ مدة خمسة وعشرين عاما ."وكثيراً ما كان ، فى مثل هذه الظروف (على الرغم من أنها ليست فى هذه الحالة)، يتم دعوة مدينة صديقة أو مدينتين تتعاونان معا لإرسال لجنة صغيرة للفصل فى القضايا المتأخرة . وإذا كانت هذه المدن واقعة تحت سيطرة أحد الملوك كان من الطبيعى أن يُشرك الملك فى الدعوة معها ؛ لذلك أرسلت قائمة بأسماء قضاة محكمين من قوس Cos للفصل فى قضايا فى جزيرة ناكسوس "Naxos بناء على أوامر من الملك بطلميوس الأول ".كانت تضم باخون Bacchon رئيس البوليس nesiarch لحلف الجزيرة ، التى كانت تنتمى

إليها كل من قوس وناكسوس (OGIS,43) . ويفترض فى مثل هذه اللجان مقدما توافر رجال ذوى معرفة قانونية واسعة ، قادرين على معرفة قانون مدن ليست مدنهم وتطبيقه ؛ وربما كان عليهم أن يراعوا أيضا فيما يقدمونه من اقتراحات تتعلق بنظم قانونية لمختلف المدن التقريب فيما بينها ؛ لذلك فعلى الرغم من أن كثيرا من هؤلاء الرجال كانوا يطبقون التحكيم ، فقد كانت هناك بعض القضايا التى تحتاج إلى حكم قضائى يعتمد على قاعدة من المساواة أو إلى قانون مُحدد ،وساعد نشاط مثل هذه اللجان على التقريب بين النظم القانونية للمدن المختلفة وخلق ما يمكن أن يسمى بقانون الإغريق المشترك . وعلى الرغم من أن كل دولة كان لها قانونها الخاص ، فقد تمكن ثيوفراستوس Theophrastus فى كتابه عن العقود On Contracts من بناء نظرية للبيوع لها تطبيق عام . ومن ناحية أخرى ، فقد لاحظ مدى الاختلافات فى موضوعات قوانين الوراثة والعقوبات ضد المدينيين القائمة بين مدينة وأخرى ؛ لذلك ثارت المشاكل فى حين استطاعت بعض المدن مثل رودوس Rhodes وبيرينى Priene تحقيق شهرة فيما يتعلق بمهارة محكميها وحيادهم ، مما جعل الطلب عليهم عظيما .

منعت قرارات التحكيم إمكانية انفجارالحرب بين الجيران ، لكن لم تكن الحرب هى المصدر الوحيد للاضطرابات التى تواجهها المدن ،ويتمثل العمل الذى كان يهدد علاقات السلام من الناحية العملية ، و يسبب المصائب للسكان الأبرياء فى ممارسة عادة الأخذ بالثأر syle . والاصطلاح – يمثل الاستخدام القانونى للأخذ بالثأر بواسطة المدينة (أ) ضد أى من مواطنى مدينة(ب)، أو ضد أى فرد يستصدر حكما يؤدى إلى رفع مَظلمة . وكان هناك تزايد لعدد من المحاولات الناجحة من قبل المدن فى العصر الهيللينستى لإعلانات الحصانة asylos من الأخذ بالثار syle . وكان ذلك فى الحقيقة امتداداً لامتياز كان يمنح للمعابد من قبل ،وكثيرا ما كان يتم منحه بعد ظهور (epiphaneia) الإله أو الإلهة أو أن يبعثا بنبوءة تشير إلى رغبته – الإله – أو رغبتها– الإلهة – فى أن إقليم المدينة (وليس فقط المعبد) سوف يعلن أنه "مكان مقدس ويمنع فيه الأخذ بالثأر (hiera & asylos) . وكان يفضل كثيراً الحصول على مساعدة ملك ، وحدث ذلك مرة فى واحد من الطلبات المبكرة لحصانة مدينة ،وهى مدينة أزمير Sa-myrna، عندما كتب سيليوقوس الثانى – فى أغلب الظن عام ٢٨٤ – "كتب إلى الملوك

أن الأسرات الحاكمة والمدن والشعوب حثتهم على اعتبار أن معبد ستراتونيقيس أفروديت Stratonicis Aphrodite محصّن ضد الثأر (asylos) وأن مدينتنا مقدسة ومحصنة ضد الثأر .(OGSI, 229. .II.11-12) ' asylos ، وكشف نقش حديث محاولات تيوس Teosعام ٢٠٤/٢٠٣ للحصول على الحصانة التي حازت على تعضيد كبير من أنطيوخوس Antiochus II الثاني ، الذى بدأ الحركة بعد حصوله على المدينة من برجامون :

" حضر إلى الجمعية وصرح بنفسه بأن مدينتنا والإقليم مقدسان ،ولهما الحصانة من الأخذ بالثأر asylos والإعفاء من الرسوم ، كما وعد بإعفائه لنا من الرسوم الأخرى التى كنا نقوم بدفعها إلى الملك أتاللوس Attalus" .

(P. Herrmann,Anadolu(1970),p.34,II.17-20=Austin,151)

إن مطالبة تيان Tean بالحصانة من الأخذ بالثأر asylia كانت موجهة بصورة مباشرة إلى أيتوليا Aetolia وكريت المشهورة بممارسة القرصنة ؛ لذلك كان خطرهما واضحا على أى مدينة بحرية ،ويوجد بعض الشك فى أن طلبات الحصانة asylos التى قدمت من كريت وأيتوليا لم تكن تتعلق كثيرا بنطاق ممارسة الأخذ القانونى بالثأر asylos ، ولكنها كانت تتعلق أكثر بتقييد القرصنة ، وهناك مجموعة ثانية من نقوش تيان Tean (ربما ترجع لحوالى عام ١٦٠)توضح أن التيانيين وصلوا إلى المدن الكريتية مرة أخرى وطالبوا "بتجديد "منح الحصانة asylia (التى يبدو أنها أصبحت حبرا على ورق) وتأمين نوع من الإجرءات لمنح تبادل الجنسية isopoliteia ،لكن هذا المثال كان يعد وسيلة للحصول على مدخل إلى محاكم مدينة كريت ، التى ربما كانت مسروقات القراصنة تجلب إليها (على أمل) أن يتم الحجز عليها (لمزيد من المعلومات عن تبادل حقوق المواطنة isopoliteia راجع ص ١٧٤ ومايليها) .

إن الطلب الذى قدمته مدينة تيان لعام ٢٠٤/٢٠٣ كان طلبا غير عادى لعدم ارتباطه بظهور إله أو نبوءة أو بحصانة المعبد من الثأر asylia، لكن جميع هذه الخصائص ظهرت فى واحدة من أفضل ماتم تسجيله ، وكان بمثابة محاولات لتأمين الحصانة من الانتهاك ،وهى تلك التى تمت عام ٢٠٧/٢٠٦ من مدينة ماجنيسيا على

ميـاندر Magnesia -on- Maeander ، بالأصـالة عن نفسـهـا ونيـابة عن مـعـبـد الربة أرتيميس ليوكوفرينى فيها Artemis Leucophryene . ويسجل جزء fragment من نقش لتاريخ ماجنيسيا الدينى مُدون على الحائط الحجرى لمدخل المدينة يصف ظهور كل من الإله أبولو وأرتيميس ليوكوفرينى وكان ظـهور الأخيرة عام ٢٢١/٢٢٠ ، وتم استشارة أبولون فى دلفى Delphi ، حـيث أعلنت نبـوءته "أنه من المفضل والمرغوب فيـه أكثـر أن يعتبر هؤلاء الذين يجلون أبوللو بيثيا Pythian Apollo وأرتيميس ليوكوفرينى Artemis Leucophryene أن مدينة وإقليم مـاجنيـسيـا على ميـاندر Magnesia -on- Maeander مدينة مقدسة ومحصنة ضد الثأر asylos (syll.,557,ll.7-10)" . ونعرف من عدة نقوش بعد أربعة عشر عاما أخرى – ويمكن شرح التـأخير بأسباب متـعددة –أنه استجابة لسـفـارات من مـاجنيـسـيـا ، فـإن مـدنًا عـديدة وشـعـوبا وملوكا قـد منحت فى عـام ٢٠٧/٢٠٦ ذلك الاعتراف مقرونا بالمباريات التى تقام على شـرف أرتيميس كل أربع سنوات ، وإعلان أن تلك المباريات تتساوى مع مباريات بيثيا Pythia فى دلفى Delphi ، ويتم فـيـها التـتـويج stephanitai، وهى مـباريات يكرم الفـائزون فـيـها بالحصـول على أكاليل من الزهور كدليل على مكانتهم ، وكانوا يحصلون فى بعض الأحيان بدلا منها ، على جائزة مالية ، كما فى مثل هذه الحالة ، وعلى أى حـال فمن الملوك الذين حفظت استـجابـتـهم الملك بطلمـيوس الرابع فـقط ، أمـا بالنسـة لأنطيوخـوس الثـالث وفـيليب الخامس (بصفة مؤكدة تقريبا) وأتاللوس الأول فليس هنالك دليل على ذلك ، ومن المؤكد أن هؤلاء الملوك كانوا فيما يبدو قد تركوا اختيار إلحاق ماجنيسيا مفتوحا إذا ما ظهرت الفرصة المناسبة ؛ لأنه كان سيترتب عليه الإحراج فى حالة وجود منحة سابقة بالحصانة.

وكان عيد المعبودة أرتيميس ليوكوفرينى Artemis Leucophryene واحدا من عدة أعياد كانت تقام فقط فى ذلك الوقت ، وسبق أن قمنا فى الفصل الرابع بتقديم لمحة عن بعض مما كثُـر تقديمـه بواسطة فنانى ديونيـسيـوس technitai من الذى كـان يوجـد أسـاسـا فى تيـؤس Teos ، ويوجـد فى (ص ٨٤) أعـيـاد أخـرى كـالتى حـصـل فـيـهـا أوناسيتليس من كيدراى Onasiteles of Cedreae على جوائز ، وتم الاحتفال بخمسة احتفالات سنوية صغيرة ، فى المرحلة بين موت الإسكندر وهزيمة الرومان لأنطيوخوس

الثالث عام ١٨٩ ، من بينها الاحتفال الخاص بأرتيميس ليوكوفريني ، الذى تحول إلى احتفال يقام كل أربع سنوات يتم فيه منح أكاليل وجوائز . وفى عام ٢٤٨ اعتبر فنانو ديونيسيـــوس المتمـركزون فى إثموس Ithmus ونيميا Nemea احتفال ربات الفنون Museia فى تيسبياى Tespiae احتفالا "يتم فيه التتويج " (Syll.,457) و(كما علمنا من الرد الأثينى على سفراء ثيسبيان) Thespian أنها كانت تتساوى فى مكانتها مع الألعاب البيثية Pythian games . وفى عام ٢٧٦ احتفل الأيتوليون Aetolians بانتصارهم على الغال Gauls الذين كانوا يهاجمون دلفى Delphi بتأسيس أحد احتفالات دلفى Delphi بمسمى سوتيريا Soteria المنقذ ، ويبدو أنهم جعلوه فى عام ٢٤٦ احتفالاً رباعيًا ، ويعادل الجزء الخاص بالموسيقى فيه الألعاب البيثية ، ويعادل الجزءان الخاصان بالرياضة والفروسية فيه الألعاب النيمية Nemean games فيما يتعلق بعمر مجموعات الكبار والجوائز) (Syll.,402.,ll.15-16,Chios,– cf.Syll.,408,ll.16-18,Athens).

إن التغيير فى شكل وفى مكانة ذلك الاحتفال كان له هدف سياسى ، وهو أن يسُجل فيه لجميع أنحاء العالم الإغريقى أن أيتوليا تسيطر على المزار الإغريقى فى دلفى ، أى معبد الوحى فى دلفى ، كما تحولت الأعياد فى قوس وميليتوس Cos & Miletus أيضا بطريقة مشابهة ، وكثيرا ما كان هناك دافع اقتصادى فى مثل تلك الحالات ؛ لأن رفع شأن الاحتفال سيترتب عليه حضور عدد كبير من الزوار لمبارياته ، وقدر الملوك المزايا السياسية والمكانة السامية التى تترتب على إقامة احتفالات خاصة ، وهناك مثال يستحق الملاحظة عن نشاط ملكى فى الاحتفالات البطلمية Ptolemaieia، التى احتفل بها بطلميوس الثانى بتكريم والده رسميا فى عام ٢٨٠/٢٧٩، الذى مات قبل ثلاث سنوات ، وفى نفس العام أصدر حلف الجزيرة Island League مرسوما فى نفس السنة بتوجيه من الإسكندرية باعتبار الاحتفال الجديد مساويًا فى مكانته للألعاب الأوليبية (Syll.,390) Olympic Games. ويوجد احتفال ملكى آخر ذو أهمية هو احتفال نيكيفوريا Nicephoria فى برجامون ، وهو احتفال "متوج "يتساوى "الجانب الموسيقى فيه مع الألعاب البيثية ، ويعادل الجانب الخاص بالرياضة والفروسية فيه الألعاب الأوليبية (Syll.,629,l.9) ، ويوجد عدد بلا حدود من الاحتفالات التى أقيمت لأعياد

روما Romaia التى أقيمت منذ عام ١٨٩ وما يليه ،وقدمت هذه الأعياد الفرصة للمتنافسين لتحقيق المجد لأنفسهم ولمدنهم ، وساعد حضور عدد كبير من الأفراد معا فى مناخ مسالم فى القضاء على عزلة المدينة الدولة القديمة.

وهناك ظاهرة أخرى للحياة الهيللينستية أدت إلى تقليص الفواصل الحادة بين مجتمع وآخر ، ألا وهى نمو عادة منح الجنسية ومرتبة السفارة proxenia والحصانة asylia (من الأخذ بالثأر) لأفراد من دويلات أخرى ؛ وكانت هذه الحقوق تمنح أحيانًا إلى جميع المدن أو لشعب بكامله ،وقد لاحظنا فيما سبق منح درجة سفارة proxenia فى مدينة لاميا Lamia للشاعرة أرستوداما Aristodama من أزمير Smyrna وأخيها اعترافا بعروضها الشعرية (ص ٨٧) . و كان يتم فى الأصل منح مرتبة السفارة من قبل مدينة أخرى فى مقابل الاهتمام برعاية شئون مواطنيها عند زيارتهم لمدينتهم ، وارتبط منح درجة سفير برباط وثيق بنظام قديم هو استضافة الصديق . و تعنى روابط شخصية والتزامات، وكانت وراثية فى العادة ، بل وجدنا أنه تم بالفعل منح مرتبة السفارة فى القرن الرابع نظير القيام بخدمات ، كما حدث غلى سبيل المثال عام ٣٨٦ عندما أصدر الأثينيون مرسوما لفانوكريتوس من فانيوم Phanocritus of Phanium وخلفائه:

"لأنه أخبر القادة عن السفن التى سبق أن أبحرت ،ونتيجة لاستماع القادة إليه ، تم الاستيلاء على سفن الأعداء ثلاثية الصفوف من المجدفين triremes ؛ لذلك مُنحت له درجة سفير proxenia نظير تلك الخدمات ومرتبة الخير benefactor(Syll.,137) .

وهو المرسوم الذى لم يوافق القادة المذكورون عليه إلا بصعوبة . وتكرر منح درجات سفارة بعد ذلك مرارا فى القرن الثالث ،وارتبطت دائما بمراتب شرفية أخرى ، من بينها منح الجنسية ، التى كانت تتعارض مع المفهوم الأصلى لدرجة سفير Proxenos ؛ لذلك قامت مدينة إليوم Ilium (*) بتكريم أحد الأطباء ، يدعى مترودوروس من أمفيبوليس Mertodorus of Amphipolis لخدماته للملك أنطيوخوس (يبدو أنه أنطيوخوس الأول) بعد إصابته بجرح فى الرقبة ، فقد أعلن سفيراً proxenos ومُحسنا

(*) Ilium أو : Ilios مدينة طروادة Troy فى أسيا الصغرى (المترجمة) .

benefactor فى إيليوم ، إضافة إلى" منحه الجنسية "وحق الحصول على أرض فى إليوم Ilium، (وهو امتياز له قيمته) ودخول المجلس والشعب أولا بعد التضحية" (OGIS,220,II.14-19) . ويضم نقش من حوالى عام ٢٦٦ من هيستيايا Histiaea فى يوبويا Euboea قائمة بأسماء ٣١ سفيراً من مدن مختلفة ، كان من المعروف أن لها علاقات مع هيستيايا(Syll,492) ، ومن غير المحتمل أن جميع هؤلاء الرجال كان من المتوقع قيامهم بتأدية الواجبات التقليدية للسفراء proxenoi؛ ويدل مَنْح المنِحَ على النية الصادقة التى تيسِّر العلاقات فى المستقبل ، وترتب على منح الامتيازات على ذلك النطاق الواسع أنه كان مجرد خطوة صغيرة يمكن القيام بعدها بإعلان منح مجموعات بأكملها أو مجتمعات مرتبة السفراء ؛ لذلك منِح عدد ٢٦٦ من الجنود المرتزقة ، كثير منهم من البرابرة الميسيين Mysians الذين خدموا فى مجموعة من القوات التى أرسلها أتاللوس الأول من برجامون- منحتهم مدينة ليلايا Lilaea فى فوكايا Phocaia درجة السفراء فى عام ٢٠٨، وفى الوقت نفسه منحتهم الحصانة ، والمواطنة ومرتبة الخير (Fouilles de Delphes,iii,4,132-5) . كان هؤلاء الرجال ينتمون إلى جنسيات مختلفة ،ولكن فى المرحله الأخيرة من القرن الثالث كان مجتمع الملوسيين Molosssian من أتيرارجوى Aterargoi قد جدد صلات الصداقة والسفارات المتبادلة مع البرجمانيين Pergamioi ونسلهم "فى كل وقت" (SEG,xv(1957,411) .

وتؤدى هذه المنحة إلى إقامة رابطة وثيقة ودائمة بين مجتمعين متجاورين . وفى بعض الحالات كان لدرجة السفارة وتبادل الجنسية isopoliteia (ص ١٦٨) ، استخدام عملى بتقديمها للحاصل عليها مدخلا إلى محاكم المدينة لإثبات الحق ،لكن سرعان ما غدا المقصود من منح درجة السفارة هو إضفاء التشريف على الحاصل عليها ، وأصبحت مصاحبة لامتيازات أخرى محددة .

لاحظنا أن الحصانة ودرجة المحسن كانت مدخلا للمجلس والشعب ، وحق الحصول على الأرض ،واشترك معها بعض المنح الأخرى المشابهة ، منها الإعفاء من الضرائب (ateleia) ، وحق دفع الضرائب بنفس القاعدة التى تطبق على المواطنين (isoteleia) ، وحرية الدخول والخروج من المدينة واستيراد البضائع وتصديرها ،وامتيازات قانونية فى استخدام المحاكم ،وحق دخول الأرض العامة ، وقطع الأشجار (لاستعمالها

كأخشاب)، والجلوس فى مقعد شرف فى (المباريات)الرياضية ، وحقوق تناول طعام العشاء فى دار المدينة فى أثناء الزيارات . أما منح حقوق الزواج فكان نادراً (لكن يبدو أن الزواج المختلط كان أمرا شائعا من الناحية العملية بصفة عامة ،ولم يكن بحاجة إلى هذه المنح). وتمثلث النتائج التى ترتبت على جميع هذه الامتيازات فى خلق مجموعة كبيرة من الأجانب فى كل مدينة يتمتعون بحقوق متنوعة يشتركون فيها مع المواطنين .

ومن بين كل ذلك لاحظنا أن حقوق المواطنة كانت تفوق الجميع بوضوح ، وكانت المدن التى تعانى من نقص فى عدد السكان تستفيد من مثل هذه المنح لسد النقص فى هيكل مواطنيها (راجع ص ١٧٦) ،وكثيرا ما جاءت الدَّفعة من طرف الملك ؛ لذلك تسلمت مدينة لاريسا Larissa التى تقع فى شمال ثيساليا Thessaly، وهى مدينة موقعها استراتيجى فى علاقتها مع حدود مقدونيا الجنوبية – تسلمت خطابين عام ٢١٧،٢١٥ من فيليب الخامس يحث فى أحدهما على تبنى مواطنين جدد . ويكشف فيليب فى الخطاب الثانى عن اهتمامه فى ذلك الوقت بالرومان (الذين سوف يحاربهم بعد ذلك مباشرة) .

"إنه شىء جميل أن يشترك أكبر عدد ممكن فى حقوق المواطنة ؛ لذلك تظل المدينة قوية ، فى حين لم يكن الريف كذلك ؛ لأنه مما يؤسف له هجره فى الوقت الحالى ، وأعتقد أن أحدا منكم لا يعترض على ذلك ؛ ويمكن رصد الآخرين الذين يقومون بتسجيل المواطنين بالمثل ، ومن بينهم الرومان أيضا الذين يوافقون على منح الجنسية ، حتى للعبيد الذين يحررونهم ، ويمنحونهم حق الاشتراك فى المناصب ؛ وهم بهذه الطريقة لا يقومون بتوسيع مدينتهم فقط – أى بزيادة عدد سكانها– بل يمكنهم أيضا إرسال المستعمرين إلى ما يقرب من سبعين مكانا "(Syll.,543)

إن دقة معلومات فيليب لم تكن تتساوى مع اهتمامه ؛ لأنه لم يكن يسمح للعبيد المحررين بتقلد المناصب العامة فى روما ، كما أن عدد المستعمرات مبالغ فيه ، وهناك نموذج مشابه لتسجيل مواطنين يرجع إلى نفس المرحلة ، كما سبق أن رأينا فى (ص ٨٢) ، جاء من ديمى Dyme فى آخيا Achaea لتسجيل عدد من الجنود كمواطنين بلغ عددهم ٥٢ جندياً ، كانوا أغلب الظن من الجنود المرتزقة .

في مثل هذه الحالات كان يتم منح المواطنة لأسباب داخلية ، بيد أن هناك منحًا عديدة أخذت شكل تبادل المواطنة isopoliteia ، مما كان له أغراض مختلفة ، حيث إنها كانت تتضمن من بينها احتمال أن تصبح لها فاعليتها في حالة إقامة صاحبها فقط في المدينة التي قدمت المنحة له . ومن الواضح أن هذا النوع من الامتياز تم تحديده في المرسوم التبادلي لشعبي تيمنوس Temnus وبرجامون Pergamum ، الذي يؤرخ من عصر ليسيماخوسس Lysimachus أو فيليتايروس Philetaerus ، وهم أجداد الأتالويين في أوائل القرن الثالث ، الذي يقرأ فيه:

قرر شعبا كل من تيمنوس وبرجامون............أن التيمنويين سوف يتمتعون بالمواطنة في برجامون ، ويتمتع البرجامونيون بالمواطنة في تيمنوس ، وسوف يشتركون معا في جميع الحقوق التي يتمتع بها المواطنون الآخرون ، وسيكون من حق التيمنويين تملك الأرض والسكنى في برجامون ،والبرجامونيين في تيمنوس - (OGIS,265) ، وحيث إن" حق التصويت"في المدينة الأخرى" عبارة عن تصحيح أو ترميم فراغ lacuna في النص ؛ لذلك ينبغي رفضه : راجع Robert,Opera minora selecta ,vol.I,pp.204-9.

كانت تفاصيل مثل ذلك التبادل لحقوق المواطنة isopoliteia غالبا ما توضح فيها مدتها . ويسجل أحد النقوش من حوالي عام ١٨٠مثل ذلك الاتفاق بين ميليتوسMiletus وهيراقليا عند لاتموسHeraclea -by- Latmus ، ويبلغ طوله أكثر من ١٢٥ سطرا . (Syll.,633)

كانت منح المواطنة المتبادلة تقدم لأفراد ، وفي بعض الأحيان يتم تبادلها بين مدينة وأخرى ، كما حدث في عام ٢٠٠ "عندما قام الأثينيون ، بالتصويت من أجل منح حقوق المواطنة لجميع أهل رودس (Polybius ,xvi,26,9) اعترافا بتقديم مساعدة بحرية ، كما أن بعض المنح كان يصاحبها امتيازات اقتصادية ،و يبدو أن الدافع وراءها كان تجاريا أكثر منه سياسيًا . وفي حالات أخرى ، كما سبق أن رأينا (ص١٦٨) جاء منح تبادل الحقوق وسيلة للسماح لمواطني مدينة بالحصول على الحصانة كمدخل لحاكم المدينة التي قدمت المنحة ،وقد كان ذلك صحيحًا ، خاصة بالنسبة للمنح – التي تقوم بمنحها– المدن الكريتية ؛ لأنه كان من غير المتوقع أن يكون لدى مدن إغريقية عديدة من أي مكان آخر رغبة في تبادل مواطنتها مع أي مدينة في هذه الجزيرة المضطربة .

وقد جاءت المرحلة المتقدمة فى توحيد المدن عندما كان يتم اندماج مجتمعين بالكامل مع بعضهما لتكوين دولة واحدة ، وهو الأمر الذى أدى إلى وجود ما وصف باسم الاتحاد السياسى sympoliteia. ومثال على ذلك ما حدث لمدينتين فى فوكايا ، مدينة ستيريس Stiris ومدينة ميديون Medeon فى تاريخ ما من القرن الثانى ، حيث يسجل نقش التالى :

لقد أصبح الستريون والمقدونيون يكونون شعب دولة واحدة ، لهم أبنيتهم المقدسة ومدينتهم وأرضهم وموانيهم وكل شيء حر (من الرهون) ، وبناء على هذه الأسس سوف يصبح جميع المقدونيين سترانيين متساوين ، وبالمثل فى الحقوق ، ويشتركون معا فى المجلس وانتخاب الحكام مع مدينة السترانيين ،وجميع الذين بلغو السن القانونية سوف يَفصلون فى جميع القضايا القانونية فى المدينة " .(Syll.,647).

يواصل النقش الحديث عن استثناء يقدم "لحارس الطقوس المقدسة "الذى يتم اختياره من المقدونيين (لأن الاتحاد synoecism مع سيترس Stiris كان لا يسمح بتدخلها فى تلك الأمور) ، وعلى أن يُعد واحداً من حكام المدينة المتحدة فى حصوله على راتب مناسب . والشرط الأخير الذى تم وضعه هو أن أى فرد يشغل منصبا أو كان كاهنا فى ميدون Medeon لن يفقد أى استثناءات من الأعباء liturgies (على سبيل المثال تعيين أدائه لواجبات عامة محددة يقوم الشخص المعين فيها بتمويل نفقاتها) ، التى أنيطت بها .

وجدت حالات اتحاد جماعى عديدة فى تلك المرحلة ، بعضها يضم عدة مدن (كما حدث عندما حول ليسيماخوس سكان كولوفون Colophon وليبيدوس Lebedus إلى إفسوس .(Ephesus Pausanias,I,9,) وتمثلت الحقيقة المرة فى أن المدن الصغيرة كانت عُرضة للهجوم ؛ لذلك لم تكن مثل هذه الاتحادات قابلة دائما للاستقرار . وقامت لجنة لتحديد الحدود للمدينة الجديدة التى كونها الاتحاد من مدينتين أيتوليتين من مدن السفن فى ميليتايا Melitaea وبيرايا Perea فى إقليم فثيوتيك آخيا, Phthiotic Achaea ذكرت أنه "إذا ترك البيرنيون الاتحاد يجب أن يتركوا عند مغادرتهم أحد المستشارين " (Syll.,546B,ll.16-18 ؛ وهى فقرة تقدم بالمصادفة الدليل على أن المدن أرسلت ممثليها إلى مجلس الحلف الأيتولى طبقا لحصتها بالنسبة لحجمها .

ثانيا :

كان الاتحاد الأيتولى الفيدرالى نفسه مثالا على شكل مهم للاتحاد السياسى sympoliteia الذى ازداد قوة وتأثيراً فى بلاد الإغريق الأصلية خلال القرنين الثالث والثانى ، وتعنى الفيدرالية اتحاد مجموعة من المدن فى مُنظمة أكبر يتنازلون فيها عن بعض من (وليس جميع) حقوق استقلالها ؛ من أجل تقوية أنفسهم ،وهو أمر منطقى ،وينبغى على المرء أن يفكر فى أن تطوراً أصبح واضحًا فى عالم قامت فيه الملكيات كبيرة الحجم بتقزيم المدن التى تقف على انفراد والتى بدأت تظهر فيها فى الواقع عيوب عدم شمولية نظام المدينة الدولة القديمة ، وقد نشأت الدول الفيدرالية الهامة فى الأصل فى تلك الأقاليم من بلاد الإغريق التى لم تكن فيها للمدينة الدولة جذور قوية أو لم يتطور لها تاريخ تقليدى للاستقلال أو حتى فى السيادة ، مثل تلك التى وصلت إليها الدول الفدرالية الأكثر قوة . وكان أكثر حلفين لهما تأثير يوجدان فى أيتوليا Aetolia وآخيا Achaea، وكانت أيتوليا ما تزال فى القرن الخامس دولة قبلية ،ويوضح نقش أيتولى(Tod,137) أن المجلس يشير إلى خرق تريخونيوم "Trichonium قوانين الهيللينيين العامة "عندما قامت بالقبض على السفراء الأثينيين الذين أرسلوا لإعلان الهدنة المقدسة للمسرحيات الإليوسية الدينية الكبرى Eleusinian Mysteries Greater ، لعامة الشعب الأيتولى (الذى كان قد قبِل الهدنة بالفعل). وربما من المناسب – القول – بأن ما يعد أقدم إشارة فى الوقت الحالى على اتحاد الأيتوليين الكونفدرالى يعتبر بصفة عامة خرقا لقبول الاتفاق ؛ لأن الأيتوليين اشتهروا طوال تاريخهم بعدم احترام القانون والقرصنة ، وكان لدى الحلف الأيتولى فى البداية مجلس يضم جميع الرجال الذين هم فى سن الخدمة العسكرية ،وكانوا يجتمعون مرتين فى العام ،فى الربيع وفى الخريف، وكان الحاكم الرئيسى الذى ينتخب سنويا ، قائدا عسكريا ،وكان لديهم أيضا مجلس (شورى boule أو اتحاد synedrion) كان يشاهد وهو يستشير الحكومة فيما بين اجتماعات المجلس ، لكنه لم يكن يشترك فى قرارات الأخيرة بالطريقة الإغريقية المعتادة ،وتكون هذا المجلس من ممثلى المدينة المنتخبين بنسبة سكانها (راجع ص ١٨١) ، وبلغ عدة مئات من الرجال ، وكان يقوم بتصريف الأعمال يومًا بيوم من خلال

لجنة مصغرة من المجلس apokletoi ، بلغت فى بعض الأحيان أكثر من ثلاثين عضوا ، يجتمعون برئاسة القائد ،واختص المجلس بتقرير الأمور الحيوية للسياسة الخارجية .

وقد اهتم الأيتوليون بالاستفادة من المكانة الضخمة التى أحرزوها بإنقاذهم دلفى Delphi من غزو الغال عام ٢٧٩ (راجع ص ١٧٩) ،وأعقب ذلك مد اتحادهم الفيدرالى عبر بلاد الإغريق الوسطى . وبعد سيطرتهم على شعوب أكثر وأكثر أصبح فى إمكانهم فرض أصواتهم على مجلس الحلف الأمفكتيونى Amphictyonic Council للسيطرة على دلفى Delphi،وهى الحقيقة التى يمكن تتبع مراحل امتدادها وتأريخها ،وكان مواطنو هذه الشعوب والمدن إما متحدين مع أيتوليا بعضوية كاملة ، أو أنهم حاصلون على منحة تبادل المواطنة isopoliteia (راجع ص ١٧٧/١٧٦) ، كما استخدم تبادل المواطنة مع الدول الأكثر بعدا مثل خيوس (SEG,ii(1925),258,combined Chios, with SEG,xvii(1962,245) وڤاكسوس Vaxos فى كريت (Insc,Cret.,ii,Vaxos,nose18 (=SVA,585) and 19)، أوليسماخيا Lysimacheia وكيوس Cius وكالخيدون Calchedon (ويستخدم بوليبيوس Polybius ,xviii,3,11 كلمة sympoliteia بصفة عامة ، وليس بالمعنى الدقيق لها) ،وأصبح الأيتوليون قوة يعمل لها بعض الحساب عن طريق التوسع بهذه الطريقة ،وكان على ملك مقدونيا أن يضع ذلك فى اعتباره بجدية . فقدأصبحوا فيما بعد حلفاء للرومان ضد فيليب الخامس ، مع ما ترتب من مصائب جروها على بلاد الإغريق .

ومايزال هناك الحلف الآخى الذى كان له أهمية أكثر بالنسبة لتاريخ مقدونيا وبلاد الإغريق الرئيسية ؛ إذ كانت مدن الشعب الآخى الواقعة على الساحل الشمالى من البيلوبونيز Peloponnese تتمتع بنوع من الرابطة الفيدرالية ، ثم تمزقت هذه الرابطة إربا فى عهد الإسكندر وخلفائه ،وانضوت مدن ديمى Dyme وبَترای Patrae وترتايا Tritaeaوفاراى Pharae فى اتحاد جديد انضمت إليه فيما بعد ايجيوم Aegium وبورا Bura وكرينيا Ceryneia وليونتيوم Leontium وايجيرا Aegira وباللينى Pallene وربما أولينوس Olenus (على الرغم من أنه فى الوقت الذى كان يكتب فيه بوليبيوس فى القرن الثانى لم يكن هناك وجود لأولينوس ، وهيليك Helice) ، وفى عام ٢٥١ قام أحد الشباب فى سيكيون Sicyon يدعى أراتوس Aratus بطرد الطاغية المحلى ، وأدخل

سيكيون الدورية فى الحلف الآخى ،واستولى على كورنثة عام ٢٤٣ من أنتيجونوس جوناتاس (راجع ص ١١٢) . وبفضل نجاح سياسة أراتوس العدائية ضدهم في المرحلة بين عام٢٤٣ وعام ٢٢٨ أصبحت أغلب دول إثموس Isthmus وأركاديا Arcadia وأرجوس Argos أعضاء فيدراليين ،وعندما ارتقى كليمنيس Cleomenes الثالث الحكم فى اسبرطة هدد بتمزيق الحلف الذى اتخذ قراراً فى شتاء عام ٢٢٥/٢٢٤ بطلب المساعدة من أنتيجونوس الثالث . إن الخلفية السياسية لهذا التبديل المذهبى volte -face تم فحْصها من قبل (راجع ص١١٣) ،وسوف ننظر فيما بعد فى الحركة الثورية فى اسبرطة التى دفعت أراتوس إلى اتخاذ هذه الخُطوة (راجع ص ١٩٩ وما يليها) . وجاءت نتائج ذلك أنه فى المرحلة من عام ٢٢٤ حتى عام ١٩٩ بعد صعود آخيا لتصبح قوة كبيرة من خلال سياسة مواجهتها ضد مقدونيا ، أصبحت مرتبطة الآن بالملك كعضو فى تحالف دويلات فيدرالية أسسها أنتيجونوس ،وظلت تعمل لفترة كذلك فى أثناء حكم خليفته فيليب الخامس(راجع ص١١٤) . إن عضوية مثل هذا التنظيم الواسع وضعت آخيا فى تصادم مع روما فى الحرب المقدونية الأولى ٢١٥/٢٠٥ ، وعندما اشتعلت الحرب المقدونية الثانية عام ٢٠٠ حولت آخيا تحالفها قصرا إلى روما ،وسمح لها على اعتبار أنها حليفة لروما بالتوسع والاستيلاء على كل البيلوبونيز ، لكن لم يتم استشارة اسبرطة إطلاقا لتصبح عضوا فى الاتحاد ، وأخيرا وقع نزاع مع اسبرطة أدى عام ١٤٧/١٤٦ إلى صدور إنذار رومانى ultimatum ثم إلى حرب قصيرة مدمرة ، وإلى حل الحلف . ويصور تاريخ آخيا كل المزايا التى كان يمكن لذلك الاتحاد أن يأتى بها ، وكذا القيود التى شعر بها الاتحاد ، حتى لو كان من دولة قوية مثل آخيا فى مواجهة الملكية المقدونية ، وحتى أكثر من ذلك مع روما .

وقد ولد المؤرِّخ بوليبيوس Polybius فى ميجالوبوليس Megalopolis فى أركاديا Arcadia، ونشأ مواطنا فى آخيا Achaea ، ولعب دورا نشيطا كرجل دولة فى خدمتها . وفى تقريره الذى قدمه عن المكانة التى يستحقها الاتحاد الفيدرالى ،وعلى الرغم من حكمه المتحيز لصالحه ، فقد شرح المُثل التى كانت تحرك إلى حد ما هؤلاء الذين كانوا يقومون بإدارته.

"حاول بعض الزعماء فى الماضى توحيد البيلوبونيزيين فى سياسة واحدة من

أجل المصلحة العامة ، لكن لم يتمكن أحد من تحقيق ذلك ؛ لأن كل واحد منهم لم يكن يسعى لحرية الجميع ، ولكنه كان يسعى لتحقيق سيطرته الشخصيه فقط.إلا أن هذا الهدف أحرز كثيرا من التقدم فى أيامى ،لدرجة أنهم لم يصلوا فى هذا المجال إلى تآليف تحالف ومجتمع متحاب فقط ، بل أصبح لديهم نفس القوانين والموازين والمقاييس والعُملة ،وبالمثل نفس الحكام ،وأعضاء المجلس والقضاة ، وأصبحت البيلوبونيز تقريبا بكاملها على وشك أن تصبح مدينة واحدة من خلال حقيقة كون سكانها لم يكن لديهم مكان واحد مسور يحول بينهم" (ii,37,9-11)

يوجد بعض المبالغة هنا(فى كلام بوليبيوس) ، فقد احتفظت المدن ، كل على حدة ، بقوانيها الخاصة ، إضافة إلى تلك الخاصة بالاتحاد الفيدرالى ،وظلت العُملة الخاصة بالمدن المختلفة كما هى حتى أوائل القرن الثانى ،حين صدرت أول عملة فيدرالية موحدة فى عام ١٩٠ . وعلى أى حال كان للحلف قائد واحد (بعد عام ٢٥٥) ، وعشرة ضباط damiurgoi ، وعدد مختلف من حكام آخرين ، مثل قائد الفرسان ،والسكرتير ، ونائب القائد ، وقائد البحرية .

كما كان يوجد – للحلف – أيضا جمعية ،وكان دورها وتكوينها موضوعا لخلاف طويل . والدليل ليس كامل الوضوح ، ولكن من رأى الكاتب الحالى ، أنه كان يعقد اجتماع تمهيدى فى خلال القرنين الثالث والثانى حتى عام ١٤٦ لكل الذكور البالغين من المواطنين الذين يلتقون أربع مرات سنويا فى اجتماعات عرفت باسم synodoi لتصريف الأعمال العادية ، وخلال تلك الاجتماعات كان مجلس الشورى (boule) يفتح أبوابه للرجال الذين يبلغون سن الثلاثين وما فوقها ، ويحضره الحكام أيضا ، وعلى أى حال فقد نص القانون فى القرن الثانى على أن يُعهد بالنظر فى موضوع الحرب أو التحالف والرسائل التى تصل من مجلس الشيوخ الرومانى إلى مجلس خاص ، وكان فى العادة متغيراً ومفتوحا (أى مسموحًا بدخوله) لجميع البالغين من السكان الذكور،ولكن يبدو أن المدن هى التى كانت تقوم بالتصويت . وقد وضعت هذه القاعدة لضمان الاحتفاظ بأن أعمالا معينة كانت مقصورة على عقد اجتماعات خاصة ، ويبدو أن تلك القاعدة وضعت مباشرة بعد ظهور الرومان على المسرح ، مما أدى إلى أن أصبحت السياسة الخارجية موضوعا أكثر حساسية ،وقدمت نموذجا جيدا على أنه كيف أن وجود الرومان أحدث تغييراً فى أسس الحكومة وممارساتها داخل الدويلات الإغريقية .

وقد لعب الحلف الآخى دورا مهما فى السياسة الإغريقية لأكثر من مائة عام ، وسأل بوليبوس نفسه عن السبب فى نجاحه ، وأجاب عليه بطريقة مثالية.

من الواضح أننا لن نقول إن ذلك يرجع للصُّدفة ؛ لأن ذلك تفسير هزيل ؛ لذا يجب البحث عن السبب ، لأن كل حادثة ، سواء كانت ممكنة أو غير ممكنة ، لابد أن يكون لها سبب ؛ وهى هنا تقريبا بدرجة أكبر أو أقل على النحو التالى:إن المرء لا يستطيع أن يفضل نظاما سياسيا وقواعد أكثر من المساواة ، وحرية التعبير وباختصار من الديموقراطية الحقيقية التى كانت موجودة لدى الآخيين Achaeans. لقد وجد هذا النظام عددا من البيلوبونيزيين مستعدين للانضمام إليه مختارين ، وأمكن إغراء آخرين بالانضمام إليه بالاقتناع (المناقشة) ؛ فى حين أن أولئك الذين أرغموا على الانضمام إليه بالقوة فى اللحظة المناسبة سرعان ما غيروا موقفهم ، وتم التصالح بينهما منذ ذلك الحين ، دون الاحتفاظ بمزايا الأعضاء الأصليين والحصول على (الامتيازات) الجديدة التى تقف على نفس المستوى ، لقد استطاع الحلف تحقيق الهدف من وجوده بسرعة ، لكونه كان مزوداً بعنصريين أساسيين هما المساواة والإنسانية ، وذلك هو ما يجب أن نعتبره الدافع والسبب فى ازدهار البيلوبونيز الحالى" . (ii,38,5-9) .

إن هذه النغمة الحماسية والمتفائلة (من الواضح أنها كتبت قبل كارثة عام ١٤٦) تتجاهل الضعف الجسيم الحقيقى للحلف . فربما يكون الحلف ديمقراطيا من الناحية السياسية ، ما دام اتخاذ القرارات فى الموضوعات الحيوية كان يقرره جمعية عضويتها متاحة لجميع الذكور البالغين . بيد أن ضباطها كانوا ينتمون إلى مجموعة صغيرة مميزة من العائلات المتمركزة فى مدن قليلة ؛ أو كان انهيارها قبل هجوم كليومينيس Cleomenes الذى دفع أراتوس Aratus إلى إعادة إدخال المقدونيين إلى البيلوبونيز ، يعكس ضعفًا جوهريا فى الحلف ، دفع بلوتارخ إلى تبيان هذه الأسباب :

"كان هناك هياج بين الآخيين ، وكانت مدنهم متحفزة للثورة ، وطمع أفراد الشعب العاديون فى توزيع الأرض وإلغاء الديون ، ولم يكن قادة مناطق عديدة راضين عن أراتوس ، وغضب بعضهم منه لإحضاره المقدونيين إلى البيلوبونيز" (Cleomenes,17,5).

سيكون أول هذه الأسباب موضع اهتمامنا فى الفصل التاسع . لكن المعارضة التى أبدتها الطبقة العليا لسياسته المقدونية توضح أن كثيرين ربما كانوا يفضلون الاتفاق مع اسبرطة . ويقاوم المرء بصعوبة الرأى النهائى-القائل - بأن الحلف الآخى لم يتمكن من الحصول على ولاء المدن التى انضمت إليه بالقوة بالدرجة التى ادعاها بوليبيوس .

وعلى الرغم من مظاهر الضعف هذه فقد ضربت الدول الفيدرالية لآخيا وأيتوليا المثل فى عالم الملكيات على قدرة الإغريق المستمرة للاستجابة للتحديات السياسية بحلول جديدة ،ويضطر المرء إلى التساؤل عن شكل الوضع إذا ما كان هناك قرن آخر ، دون أن يكون هناك وجود لروما ،هل لم يكن فى استطاعة الفيدرالية أن تطور مظاهر جديدة ومثمرة للحكم ، على الرغم من استخدام القوة (التى اعترف بوليبيوس بها) ؛ لأن هذه الاتحادات الفيدرالية نمت استجابة لدوافع داخلية من الإغريق أنفسهم ، وبالتالى كانت مختلفة فى خصائصها عن الاتحادات التى فرضها فيليب الثانى وأنتيجونوس الأول وديمتريوس بوليكراتيس وأنتيجونوس دوسون . لقد قدم الاتحاد الفيدرالى إمكانية وجود فرصة تتخطى محدودية حجم المساحة والضعف النسبى لعزلة المدينة الحرة ، إلا أن الوقت كان قد نفد .

الفصل التاسع
الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية
Social and Economic Trends

أولا:

لقد سبق أن رأينا فى الفصل الرابع كيف كانت الأسس التى ارتكز عليها التجانس الظاهرى للعالم الهيللينستى مزعزعة ، ويصبح ذلك أكثر وضوحا عندما يضع المرء فى الاعتبار الأسس الاجتماعية والاقتصادية للحياة فى المنطقة الهائلة المقصودة ،كان العمل فى الأرض أمرًا لا مفر منه بطبيعة الحال ، وله أهمية عظمية بالنسبة لكل من المدن الإغريقية الجديدة وللسكان الوطنيين الذين أسست هذه المدن بينهم . بيد أن أوجه التشابه اختفت بينهم هناك ، فلم تكن المدن مراكز للثقافة الإغريقية فقط ، ولكنها نُظمت من الناحية الاقتصادية على نهج الأسلوب المميز للمدينة الدولة الإغريقية ، التى كان يوجد فيها مجموعة مغلقة محدودة من المواطنين ، التى ربما تمثل قسمًا كبيرا أو صغيرا من المجموع الكلى للسكان ، تمتلك الأرض وتعمل فيها بمساعدة عمالة من العبيد ، التى يشترك فيها المقيمون الغرباء فى الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ولكن ليس فى الحكومة . وكانت المدن التى تدار على أساس هذه الخطوط تظل وحدات غريبة مدفونة وسط مساحات واسعة من بلاد الشرق ، حيث كانت الأرض فيها ملكًا للملك فى النهاية (على الرغم من أنها كثيرا ما تم منحها لمجموعات مميزة من مُلاك الضياع) يعمل فيها الفلاحون الذين يعيشون فى القرى ، وسبق أن قمنا ببحث بعض نماذج مختلفة من هذه الأسس الاجتماعية والاقتصادية فى الفصلين السادس والسابع ، التى لم يؤد التدفق الهيللينستى عليها إلى أى تغيير جوهرى فيها .

وقد جاء أحد أسباب هذا القصور من حقيقة أن العصر الهللينستى لم يتميز بأى تغيير جوهرى فى قوى الإنتاج ، لقد سمعنا بالفعل عن إصلاحات محددة فى الرى والصرف ،وكتب سترابون"، (xvi,1.9) ، أن الإسكندر اهتم بالقنوات " (فى بابل Babylonia) ،وقدم تفصيلات عن الطرق المستخدمة لبناء السدود ومنع تراكم الغرين (الطين) . ونعرف من ثيوفراستوس Theophrastus عن عمل مشابه فى ثيساليا (On the causes of plants ,v,14,2) ، وكشفت الحفائر الحديثة عن شبكة من القنوات فى كرميا Crimea (راجع Préaux,Le Monde hellénistique, p.476 ، والنص مقتبس من J.Pečirka) . كما أدخل البطالمة زراعة فاكهة ومحاصيل جديدة ، كذلك فعل منافسوهم فى برجامون وأنطيوخ الشىء نفسه ،وأصبح هناك استخدام أكبر للمحاريث الحديدية وأدخلت بعض التحسينات على أدوات الزراعة ،وعلى سبيل المثال أدخل طنبور أرشيميدس Archimedean screw، المستخدم فى الرى ،وأنواع جديدة من الزيت ، ومعاصر العنب ،ومن المحتمل أيضا إدخال ماكينات (النورج) دراسة الغلال (إذا كانت إحدى أوراق بردى القرن الثالث قد ترجمت ترجمة صحيحة (BGU,1507) ، لكن لم يكن هناك مردود كبير للمُحصلّة النهائية لكل ذلك ؛ لأن وسائل الرى كان يمكن أن تنهار إذا أهملت ،كما حدث فى كيركيوزيريس Kerkeosiris فى الفيوم فى القرن الثانى ، عندما انهارت الجسور فى إحدى المراحل ، وتحولت الأرض بعد ذلك إلى صحراء ، وفى الواقع فإنه بخلاف القمح الجديد سريع النمو الذى أعطى ضعف المحصول ومردودًا عاليًا , (P. cairo Zen.,59155) فإن أغلب المُحدثات كان هدفها مد أقلية صغيرة ببضائع الترف لعدم رغبتها فى دفع ثمن شرائها من الخارج .

وهناك نتيجة أخرى ترتبت على حملات الإسكندر والاستعمار السيليوقى الذى تبعها ، تتمثل فى انتشار الاقتصاد النقدى للمدن الآسيوية ،فقد حَررت فتوحات الإسكندر كميات كبيرة من المعادن الثمينة من خزائن الشرق ؛ مما أدى إلى انخفاض قيمة الذهب والفضة ، وزاد من تداول كميات العُملة ،وانقسم العالم الهيللينستى إلى عدد من القطاعات ضربت فيها العُملة على أساس معايير مختلفة . وعلى سبيل المثال فإن بلاد الإغريق فى القارة ،ومن بينها البيلوبونيز ، ضربت عُملتها على أساس المعيار الأيجينى " Aeginetan" المخفض للدراخمة التى تزن ٥ جرامات ،فى حين بلغ

وزن الدراخمة فى جزيرة يوبويا Euboea والجزر التى تستخدم المعيار الروديسى الفينيقى الذى تتعامل به ما يتراوح بين ٣,٢٥-٣,٧٥ جرام، بيد أن هذه العملات كانت فى الأساس عُملة محلية فقط ، وكان أكثر من ذلك أهمية اختيار الإسكندر نفسه وليسيماخوس من بعده المعيار الأتيكى، الذى أصدر به عددا كبيرا من العُملات الفضية التى تحمل رسم رأس الإسكندر، وتم التعامل بها فى كل أنحاء آسيا الصغرى ، وبلغ وزن قطعة الدراخمة من هذه المجموعة حوالى ٤,٢٥ جرام تقريبا ، ووزن عملة الأربع دراخمات tetradrachm التى كان لها شهرة واسعة ١٧ جرامًا . وضربت مدن عديدة عملتها بهذا المعيار الذى استخدمه الأنتيجونيون والسيليوقيون والذى أصبح الأساس لما يسمى بالعُملة الدولية بالفعل، وكانت مصر البطلمية وأملاكها الاستثناء الرئيسى من ذلك ، حيث ضربت عملتها على أساس وزن أخف ، هو المعروف بالمعيار الفينيقى، وتراوح وزن قطعة الأربع دراخمات tetradrachm فيها بين ١٣-١٥ جرامًا ، واستخدمت فى تنفيذ الاحتكار النقدى للاقتصاد المغلق (راجع ص ١٢٢ وما يليها).

وفى كل الأحوال لم يكن لانتشار استخدام النقود تأثير كبير فى حياة الوطنيين فى قراهم ؛ لأن استخدام المقايضة ودفع العوائد النوعية كان ما يزال الخاصية المميزة لمعظم المناطق التى تقع خارج التأثير المباشر للمدينة ، كما كانت الحكومة ترغب على وجه الخصوص فى الحصول على الغلال والمواد الغذائية ؛ لأن التمدن أضاف عبئا إضافيا على قدرة الأرض لإطعام كل فرد، وأنشأت مدن عديدة إدارات خاصة مسئولة عن شراء القمح وتوزيعه ؛ لذلك فإن خطاب أنتيجونوس الأول الذى ينظم الاتحاد بين ليبيدوس Lebedus وتيوس Teos (راجع أدناه) يوضح أن الملك كان يقوم فقط فى حالات النقصان - فى الغلال - بإصدار الأمر بتخصيص مبالغ اعتمادات مالية للغلال فى المدينة (ربما فى هذه الحالة لتثبيت فترة الاتحاد):

"لم يكن لدينا الرغبة من قبل فى أن تأخذ أى مدينة على عاتقها استيراد أو القيام بتأمين الإمداد بالغلال (لاستقراره) ؛ لأننا لا نريد أن تنفق المدينة مبالغ مالية

كبيرة بدون ضرورة ؛ كما أننا لا نرغب حتى الآن فى منح هذا الإذن ؛ لقرب أراضى التاج ،وإذا كانت ثمة حاجة للغلال فإننا نعتقد أننا يمكننا بسهولة الحصول على ما نريد من هناك".

. (Welles,R.C.,no.3.II.80 ;ff=Syll.,344= Austin,40)

كانت المدن تفضل ، كلما كان ذلك ممكنا ، تحاشى هذه التبعية ،وخصصت ساموس فى القرن الثانى مبلغا من المال وأودع رأسماله لتقديم القروض نظير فوائد عليها ،وكانت تحصل بواسطة موظفين يطلق عليهم اسم meledoni خُصصوا لشراء القمح سنويا الذى كان يوزع بعد ذلك على المواطنين بالمجان ،وغالبا ما كان يتم الحصول على القمح نفسه من حصيلة ما يتم دفعه لضريبة العشر المخصصة للمعبودة هيرا Hera ، التى كانت تمتلك الأراضى الواقعة على الأرض الرئيسية المواجهة لساموس (Syll.,976=Austin,116) Samos، وكان يحدث نقص فى القمح بين حين وآخر، وليس من السهل بمكان التكهن بأسبابه . ومما لا شك فيه أن المحصول السيئ ، وكذلك تذبذب سعر السوق بسبب الحرب والمضاربات لعب كل منهما دوره ، كما أعاق ارتفاع التكاليف ومشاكل المواصلات البرية مع مخاطر المواصلات البحرية فى بعض الأحيان المحاولات التى بذلت لتخفيف النقص المحلى .

ثانيا :

وحيث إنه لم يكن هناك تغيير جوهرى فى مستوى الإنتاج الزراعى خلال العصر الهيللينستى ، فإن الشىء نفسه ينطبق على التجارة والصناعة . وكما سبق أن ذكرنا فقد تمكنت بعض المدن من الازدهار وتحقيق نجاح اقتصادى كبير فى ميدان التجارة ، وعلى وجه الخصوص مدينة جزيرة رودس ، التى انضوت تحت حكم أرستقراطية بحرية ،تركت سجلاتها فى عديد من النقوش التشريفية . ونجحت الطبقة الحاكمة الروديسية فى المحافظة على السلام والرخاء فى الخارج وتفادى أى مشاكل اجتماعية فىَ المدينة ، عن طريق نوع من العَلاقات الودية المنظمة.

اهتم الرودسيون بالشعب بصفة عامة ، على الرغم من أن حكمهم لم يكن ديمقراطيا ؛ وكانت ما زالت لديهم الرغبة فى رعاية جموع الفقراء ،وبناء عليه فقد زودوا الشعب بالقمح ، باتباع عادة معينة كانت لدى أسلافهم ، وهى عادة أن يَعُول الأغنياء الفقراء المحتاجين ؛ إلى جانب وجود أعباء محددة liturgies ، خصصت - للإمداد بالمواد الغذائية ، بحيث يحصل منها الرجل الفقير على احتياجاته الضرورية ، وفى نفس الوقت لم تُقصر الدولة فى استخدام ما تحتاجه من الرجال الأكْفاء ، وخاصة الذين يصلحون للعمل فى الأسطول" (Strabo,xiv,2,5) .

وهناك دليل أيضا على نمو الصناعة فى الشرق ، مُمَثل فى العمل المعدنى والمنسوجات وأعمال البناء . وكان سلوكا فطريا من أنطيوخس الرابع عندما كان يهرب من القصر "ويُعثر عليه بصفة دائمة فى حوانيت صياغة الفضة والذهب "(فى أنطيوخ) ؛ لذلك تمكن مع مضى الزمن من مناقشة التفاصيل الفنية مع المصممين للقوالب والصناع الآخرين" .

(Polybius ,xxxiv,1,2=Athenaeus,v,193)

اشتهرت صور Tyre وسجالاسوس Sagalassus بأعمال الصباغة ، واشتهرت صيدا Sidon بصناعتها الزجاجية ،وتارسوس Tarsus بصناعة الكتان . وينقصنا الدليل المؤكد على نوعية العمل المستخدم فى هذه الصناعات ، لكن يبدو أنه لم يكن هناك احتمال فى وجود زيادة فى الإنتاج عما كان الوضع عليه من قبل ، وليس هناك أى إشارة على ما يسمى بإنتاج الجملة "mass- production" . وظلت وحدة الإنتاج النموذجة صغيرة ، ويبدو أنها كانت تتكون من المالك ومعه واحد أو اثنان من العبيد ، الذين كانوا يمثلون صفقة جيدة بالنسبة للإنتاج المنزلى ،وفى هذا المقام فإن المرحلة الهيللينستية واصلت نفس الأوضاع التى كانت قائمة فى المدينة الدولة فى الفترة المبكرة .

استمدت بعض المدن - مثل رودس ، كما سبق أن رأينا - ثروتها الأساسية من التجارة . لكن التجارة أعاقها عدم التطور التكنولوجى ، ففى البحر كان جهاز التوجيه (الدفة) ما يزال بُدائيا ، وعلى الرغم من أن الإبحار باستعمال الرياح كان معروفا فيما

يبدو ، فإن استخدامه لم يكن شائعا فى العادة ،وتمثل ما هو أسوا من ذلك فى خطر القراصنة ،وهى مهنة ازدهـرت فى زمـن الحرب والاضطـرابات . حقيقة لقد تحدث سـترابون (Strabo,x,4,10) عن كـريت ، وهى واحـدة من المناطق التى كـانت مـوبوءة بالقرصنة قـبل اسـتيلاء الرومـان على الجـزيرة ، (وتحـدث) عن "الجنود المرتزقـة فى الجـزيرة التى كـان يتـم تجنيد عـصابات القرصنة منهـا". وكـانت خـدمـات القرصنة والجنود المرتزقة تعمل كل منهما كبديلة للأخرى فى أوقات الشدة والظروف الصعبة والحرب . وكـانت القرصنة من بين المصـادر الرئسـية لجلب العبـيد ،وكان يمكن دفع الديَة مقابل تحريرهم ، أو بيعهم تبعا للظروف ،وكما سبق أن رأينا فقد كان العبيد يؤلفون مكونا أساسيا فى الحياة الاقتصادية للمدن الإغريقية القديمة .

نحن مقيَّدون إلى حد كبير عند مناقشة الحياة المدنية فى العصر الهيللينستى بتلك المدن التى قـامت قـبل حكم الإسكندر ؛ وذلك لأن-الدليل على المؤسـسـات (أى المدن) الجديدة مـا يزال طفيفا ،وسبق منـاقشة التـغيرات السياسية الرئيسية التى نتجت عن أسلوبه والنتائج التى تمخضت عنها ،ولم تعد أغلب المدن مستقلة استقلالا حقيقيا . وقد أدى ذلك إلى ظهور جوانب إيجابية وأخرى سلبية من الناحيـة الاقتـصادية . وكان من بين الجوانب الإيجابية الالتزام ليس فقط بدفع ضرائب منتظمة (إلا إذا كانت المدينة قـد استـثنيت منهـا) ولكن أيضـا فى إسـهامـات خاصـة للحـرب أو لأغراض محددة أخرى فى بعض الأحيان ، ويذكر تقرير بلوتارخ أن الأثينيين كانوا ثائرين على ديمتريوس بوليوركِتيس Demetrius Poliorcetes خاصة لأنه :

بعد أن أمرهـم بجمـع مبلـغ ٢٥٠ تالنت على وجه السرعة لاستخدامها ،وبعد أن جـمـعـوا الأمـوال بصـعوبة وبدون رحـمـة ، أمرعند رؤية الأموال التى تم تحـصـيلها ، بإعطائها إلى لآميا Lamia ورفيقاتها من المحظيات لشراء صابون" (Demetrius ,27,1) .

ربما تكون القصة غير حقيقية أو فيها مبالغة ، لكنها تفسر عدم الشعور بالرضا عن مثل تلك الأعمـال التعسفية ،التى كانت تتضخم بدورها عند الحاجة لما يسمى بأموال "التاج "التطوعية (وهى من الناحية العملية مبالغ نقدية) يتم طلبها للاحتفال بعدة مناسبات مختلفة . وكثيرا ما لجأت المدن إلى أهل الخير فيها لدفع مثل هذه

الأموال بدلا عنهم . وعلى سبيل المثال فقد قام بولاجوراس Boulagoras بدفع متطلبات "التاج "من ساموس التى طلبها بطلميوس الثالث (SEG,i(1923),366) ، وكذلك فعل بروتوجنيس من أولبيا Protogenes of Olbia، وكان من الواضح أنه كان يملك ثروة خرافية ؛ لأنه تمكن من بين الآخرين من تجهيز ٩٠٠ قطعة ذهبية ، كانت مستحقة للملك سايتافرنيس Saitapharnes من ملك السيكيثيين Scythian (أو السارمتيين Sarmatian) كنوع من القروض danegeld(*) لعدم وجود أموال من دخل الخزانة " Syll,m495,ll.86ff.p) فى حوالى عام ٢٣٠) . إن هؤلاء الرجال من أمثال بروتوجنيس وبعد ذلك نيكيراتوس Niceratus من أولبيا (Syll.,730) ، أو أجاثوكليس من إستيريا Agathocles of Istria (SEG,xxiv(1969),1095 - لم يكن فى استطاعتهم تحقيق هذه الثروة الضخمة إلا من أرباح تجارة العبيد فى منطقة البحر الأسود ؛ مما يدفع إلى الظن بأنهم حققوا تعايشًا مناسبًا مع البرابرة المتاخمين لهم ، الذين كانوا يتاجرون ويتفاوضون معهم .

على أى حال فقد كان هناك بعض التعويض لتلك الانتهاكات التى كثيرا ما كان الملوك أنفسهم يمنحونها- الملوك الهيللينستيون وليس البرابرة عبر الحدود الشمالية - والتى تتناسب مع مكانتهم ، وذلك بمنح الهبات للمدن وبمساعدتها بالقروض فى زمن المجاعة ، أو مدها بالأموال لبناء المعابد ، وإقامة الأروقة والمسارح ،وهناك مثال على ذلك حدث عقب كارثة الزلزال الذى وقع فى رودس عام ٢٢٧ ، حيث أخبرنا بوليبيوس أن :

" الروديسيين تعاملوا فى أثناء الكارثة وتبعاتها المخيفة بأكبر قدر من رباطة الجأش ، وتميز سلوكهم أمام الحاضرين وفى علاقاتهم الشخصية بأكبر قدر من الجدية والكبرياء ، مما كان له تأثير كبير على المدن ، وخاصة على الملوك ، لدرجة أنهم لم يحصلوا فقط على أكثر الهبات سخاء ، ولكن شعر المانحون أنفسهم بأن الفضل يعود إليهم" . (v,88,4) .

كان يمكن تقديم مثل هذه الهبات فقط للمدن فى مجتمع يستطيع فيه الملوك وعدد معين من الأشخاص ممن يملكون ثروات طائلة ؛ فى حين لم تخصص هذه الثروات

(*) الاصطلاح مشتق من كلمة δανεῖον بمعنى قرض ، راجع :.Liddell & Scott,p.369 .

للاستثمار فى مشاريع قد تؤدى إلى زيادة الإنتاج (وتؤدى فى النهاية إلى إمكانية تحسين نوعية الحياة بصفة عامة)، بل أكثر من ذلك كانت تستغل فى أمور التفاخر أو فى عمليات الربا الفاحش- وبطبيعة الحال - ففيما يخص الحكام كانت الأموال توجَّه نحو تغطية نفقات الدفاع أو الحروب العدوانية ،وربما كانت الأوضاع فى بيوتيا Boeo-tia فى أوائل القرن الثانى نموذجا على ذلك فى بلاد الإغريق الوسطى بصفة عامة أكثر مما كان بوليبيوس(الذى كان يكره بيوتيا) مستعدا لقبوله . فبعد وصف حالة الفوضى التى كانت موجودة فى تلك الدولة، التى كانت محاكم القانون مُعطلة فيها منذ خمسة وعشرين عاما (راجع ص ١٦٨) قام الديماجوجيون بوضع مشاريع لكى تقوم الدولة بدفع أموال إلى المحتاجين (ربما عن طريق دفع أجور لقوات مجندة لم يكن هناك حاجة إليها) ، فقد أضاف بوليبيوس أنه:

بدلا من أن يترك الرجال الذين لم يكن لديهم أبناء أموالهم إلى أقاربهم المقربين ، كما جرت عليه العادة هنا من قبل ، أصبحوا ينفقونها فى الولائم والشراب ، وهكذا جعلوها ملكا مشاعا لأصدقائهم "(xx,6,5) .

إن الإشارة إلى الذين ليس لديهم أبناء تلفت النظر إلى ملحوظة سمعناها فى مكان آخر ،ففى الشكوى العامة المعاصرة فى القرن الثانى لبلاد الإغريق يخبرنا بوليبيوس بأنه :

أصبحت جميع بلاد الإغريق فى أيامنا عقيمة ،وتقلص عدد السكان بصفة عامة ؛ نتيجة لهجر المدن ،ولتوقف الأرض عن إنتاج المحاصيل ،على الرغم من عدم وجود حروب بصفة مستمرة أو انتشار أوبئة (xxxvi,17,5) .

وأرجع- بوليبيوس -ذلك إلى رفض الزواج ،واللجوء إلى وأد الأطفال ،كما قرع بعنف الحالة النفسية التى أدت إلى مثل تلك الممارسات . ولكن من الصعوبة بمكان أن تنشأ مثل هذه السلوكيات من فراغ vacuo أكثر من كونها جاءت كرد فعل للالتباس فى النظرة إلى الحياة وسط أجواء الحرب والثورة والقرصنة ،وازدادت كل هذه الأشياء بالتبعية بعد ظهور الفرق الرومانية Roman legions فى الصورة فيما بعد ، ويبدو أن نفس الظروف هى التى ساهمت فيما قام بوليبيوس بوصفه فى بيوتيا . لكن

ينبغى أن يكون المرء حذراً فى تعميم ترجمة مثل هذا التقرير . كذلك فإن إشارته إلى العقم والإنفاق الواضح للعَيان ،كان مرجعها إلى أن المؤرخ ربما كان يفكر ويكتب بصفة رئيسية عن الطبقة التى ينتمى إليها ،وهى طبقة ملاك الأراضى الأثرياء . إن شكواه من عدم جود رجال لفلاحة التربة ترجع عند تفنيدها جزئيا إلى الانتشار الكبير للثورة التى كانت تطالب بإعادة توزيع الأرض ،والتى تدل على النقص فى الأرض ، وليس النقص فى الرجال ،كما أن وجود عدد كبير من الرجال الذين كانت تضمهم قوائم خدمة الجنود المرتزقة من مناطق مثل كريت يقدم لنا رواية مشابهة ؛ لذلك فمن المحتمل أن النقص فى عدد السكان كان خاصاً بطبقات معينة وفى مناطق معينة .

ومن المؤكد أن انتشار التذمر كان موجوداً بشكل كبير فى عدة أنحاء فى الريف ، ويرتبط ذلك بكل من محدودية مساحة الأرض وعدم إلغاء الديون ،والأمراض المتوطنة فى بلاد الإغريق لعدة قرون ؛ وكثير من التفصيلات مبهمة وأسبابها غير مؤكدة ؛ كما أنها ربما اختلفت من مكان إلى آخر . لكن انخفاض مستوى المعيشة وعدم وجود أى احتياطى نقدى لمواجهة السنوات العجاف أو التمرد بسبب التجنيد والحرب قد لعب دورا كبيرا فى تقليص عدد الفلاحين وإلى حالة من الركود أصبح بالفعل من المستحيل الخروج منها . وفى حالات قصوى كان الرجال يتركون كل ما لديهم ويفرون إلى المدن أو يجربون حظهم خارج البلاد كجنود مرتزقة ؛ وكان اللجوء إلى القرصنة هو بديل ذلك ، كما حدث كثيراً فى كريت وأيتوليا . وعلى سبيل المثال فقد وصف ديودوروس ما حدث عام ٣٠٧ عندما انطلق أوفيلاس **Ophellas** الضابط المقدونى من قورينة **Cyrene** (برقة) لكى يلحق بأجاثوكليس من سيراكيوز **Agathocles of Syracuse** فى حربه ضد قرطاجة **Carthage**، وكان عدد كبيرمن الأثينيين سعداء باللحاق به:

"ولم يكن العدد من بين إغريق آخرين قليلا من الذين كانوا يرغبون فى مشاركته فى المشروع ، على أمل أن يُقَسم بينهم أفضل جزء فى أفريقيا ،ويقوموا بنهب ثروة قرطاجة ؛ لأن بلاد الإغريق أصبحت فقيرة وفى حالة سيئة بسبب الحروب المستمرة وصراع الحكام ضد بعضهم ؛ واعتقدوا بالتالى أنهم لن يحصلوا على امتيازات كثيرة فقط ، ولكن يمكنهم الهروب من سوء المصير" (xx,40.6-7) .

ربما يساعد هذا الوضع على تفسير سبب معاناة مدن عديدة من تقلُّص السكان ؛ لذلك كانت تضطر إلى زيادة أعدادها بإضافة رجال جدد إليها . وسبق أن رأينا أمثلة على ذلك في لاريسا Larissa وديمي Deme (ص٨٢ ، ١٧٣ - ١٧٤) ؛ وحدثت الإجراءات نفسها في فرسالوس Pharsalus وفلانا Phalanna ، وكلتاهما مثل لاريسا ، تقع في تساليا Thessaly (IG,ix,2,234&1228& add.= Schwyzer,567,612) .

ثالثا:

كانت الضغوط الاقتصادية والفقر الشديد تارة والثروة تارة أخرى هي السبب في إثارة النزاع بين الطبقات الذي هدد بقيام ثورة اجتماعية ، خاصة في بلاد الإغريق الأم وفي المناطق التي حول المنطقة الأيجية ، وليس هناك دليل على أن ذلك كان هو الوضع فعلا في مستعمرات الممالك الجديدة ، لأنه قد يكون هناك خطورة في الاعتماد كثيرا على سجلات ما تزال طفيفة ، ففي مصر كما سبق أن رأينا (ص ١٣٨) قامت الثورة بسبب ضغوط اجتماعية ، واتخذت شكلا قوميا لأن الطبقة الحاكمة كانت من الإغريق ، وكثيرا ما حاول الفلاحون المصريون الهروب من الوضع الميئوس منه بالفرار بعيدا ، وعموما فإن مدن بلاد الإغريق القديمة ، هي التي لم تستفد إلا القليل من التوسع الهيلليني في آسيا ؛ لذلك كانت الثورة الاجتماعية بالنسبة لها تعد تهديدا خطيرا .

إن الدليل على ذلك يرجع إلى ما قبل الإسكندر ، وهناك خطبة منتحلة تنسب إلى ديموثينيس Demothenes (ps.-Demothenes,xvii,15) " عن المعاهدة الأثينية مع الإسكندر "تدعى :

"أنه يقال في المعاهدة إن المفاوضين وأولئك المسؤلين عن المراقبة العامة سوف يؤكدون عدم تنفيذ الإعدام أو فرض عقوبات في المدن التي تشارك في سلام مخالف لقوانين المدينة ، كما لن تصادر ممتلكات أو تقسم الأرض أو تلغى الديون أو يحرر العبيد بقصد الثورة ".

وهناك عبارات مشابهة تضمنتها وثيقة تأسيس الحلف الهيلليني الذى وضعه أنتيجونوس الأول وديمتريوس الأول عام ٣٠٢ (SVA,446,l.43) ، فقد قامت باستعمال عبارات الصيغة التقليدية لثورة اجتماعية ، كانت تتكرر دائما فى النقوش ؛ لذلك أُخذ قَسم على الولاء ، ربما من المواطنين الجدد فى إتانوس Itanus فى كريت يشمل الوعد "بأننى لن أقوم بأى توزيع للأرض ......أو إلغاء للديون (Syll.,526,ll.22-4=Austin,90) .

إن ذلك الانشغال بالثورة الموجهة نحو التغيير الاجتماعى والاقتصادى يكشف بوضوح عن تهديد حقيقى ، جزئيا بسبب أن التذمر يمثل خيانة محتملة الحدوث إذا قام أى عدو بالهجوم . وأوضح أينياس التاكتيكيان Aeneas the Tactician فى القرن الرابع (Poliorcetica,14) أنه إذا هددت الأخطار مدينة ينبغى تحرير المديونين جزئيا أو حتى من جميع ديونهم ؛ "لأن مثل هؤلاء الرجال عددهم كبير ومراقبتهم فى مثل هذه الظروف أمرخطير للغاية ". وبعد قرن من الزمان كتب الشاعر الساخر كيركيداس من ميجالوبوليس Cercidas of Megalopolis شعرًا هجائيًا فى التباين بين الأغنياء والفقراء ، قائلا :

"لماذا لا تجعل السماء اكسينون Xenon المُسرف رجلا فقيرا ، وتُحَول الثروة التى يُبذرها فى أشياء غير نافعة إلينا ؟ ولما كان من السهل على الإله تحقيق كل شىء يخطر له ، فما هو الشىء المفيد الذى يطلبه المرء (منه) ، هل يوجد ما يمنعه من أن يخلصنا من ذلك المرابى القذر، الذى يكاد يموت ياللعجب على القرش ،والذى يخرج أمواله فقط لكى يستردها ، هذا الذى يقضى على الممتلكات ، بثرائه المفرط ويمد يده الفانية لشخص معدم لا يأكل إلا أقل القليل ، فى حين يملأ المرابى كأسه من الأموال (السلطانية) العامة ؟ من المؤكد أن عين العدالة عمياء عنه" .

(Meliambi,fg.4in Powell, Collectane Alexandrina,pp.203-4) .

وواصل حديثه يحثّ الأغنياء على الإحسان قبل أن تقضى الكارثة عليهم .

وفى هذه الحالة فإن المتاعب التى يتنبأ بها كيركيديس هى ثورة ؛ لكن لا يمكن الفصل فى الواقع بين الثورة والضربات الخارجية إلا بصعوبة. وعن خلفية الضربات الكارثية الدموية التى قام الأيتوليون بها فى المدن الآخية كتب بوليبيوس يقول :

"إن شعب كينيثا Cynaetha الأركادى ازداد سخطه لسنوات بسبب نزاع مُر لا ينتهى ؛ لوجود مذابح بصفة دائمة ونفى ومصادرة ممتلكات وتقسيم للأراضى" . (iv.17,4)

ومما لا شك فيه أن أحداث حكم كليومنيس الثالث Cleomenes III أوقدت الصراع الاجتماعى جزئيا فى إسبرطة (التى سوف ننظر فيها باختصار بعد قليل) ، وعلى الرغم من مثالية بوليبيوس بعض الشىء ، فقد فضل أن يردها إلى فشل الكنيثيين فى الارتقاء بأنفسهم بممارسة الموسيقى ، ولكن لم يكن هناك مناص من دخول العامل الاجتماعى فى الصراع بين الأحزاب المؤيدة للآخيين وللأيتوليين فى المدينة ، ووظّف الأيتوليون السخط الاجتماعى لصالحهم فقط ، وفى عام ٢٠٥ عقب الحرب المقدونية اقترحوا تشريعا ثوريا فى وطنهم ينتقدون فيه نمو الديون فى أيتوليا ، ويروى بوليبيوس كيف :

" كان من الطبيعى نتيجة لولعهم بإجراء تجديدات على دستورهم [وهو خطأ كبير فى نظر بوليبيوس المحافظ] اختيار دوريماخوس Dorimachus وسكوباس Scopas لإعداد قوانين ؛ لأنهم رأوا أن كلا الرجلين كان لديه ميول ثورية ، وأن ثرواتهما تضمنت كثيرا من الصفقات الخاصة ، ولأنهما كانا قد استثمرا (أموالهما) مع هذه السلطة ؛ لذا قاما بوضع مسودات قوانين"(xiii,1) .

إلا أنهم واجهوا معارضة الإسكندر ، الذى وصف فى مكان آخر بأنه أغنى رجل فى بلاد الإغريق ، وليس واضحا ما إذا كان إجراء ذلك التشريع قد تم ؛ إذ تبع ذلك قيام واضعى القوانين بالخدمة فى مصر (راجع عن سكوباس ص ٨٦).

كانت الثورات التى أخبرنا بها غير ناجحة بصفة عامة لعدة أسباب أولا: لأنها كانت ببساطة موجهة أساسا نحو قلب الأوضاع ، أى وضع الفقير مكان الغنى والعكس صحيح ، بدون زيادة فى مستوى الإنتاج ، وذلك كان أمرا مستحيلا. ثانيا :أن العبيد ، وهم أكثر العناصر المضطهدة ، استبعدوا عن الحركة ، التى لم تكن تضمن تحرير العبيد إطلاقا كجزء من البرنامج المقرر ، على الرغم من أنه كان يوجد فى الواقع نوع من التصرف عندما كان يحصل العبيد على حريتهم أو تباع لهم للحصول

على يد عاملة إضافية ،ويقدم الملك كليومينيس الاسبرطى مثالا على ذلك (راجع أدناه)؛ إذ سمح لبعض العبيد helots بشراء حريتهم ،وكما سبق أن رأينا ، فى المعاهدة التى اقتبسها من ديموثينيس (ps.-Demothenes,xvii (ص ١٩٤) ،فإن طبقة ملاك الأرض كانت تخشى من تحرير العبيد . وعلى أى حال لم يمثل الفشل فى ضم العبيد مفاجأة كبيرة ؛ لأن الوضع الاجتماعى status فى بلاد الإغريق القديمة كان له أهمية قصوى ، كما أن البؤس الاقتصادى الذى كان مألوفا بالنسبة للرجال الفقراء الأحرار والعبيد لم يكن يمثّل إلا فارقًا طفيفًا بينهما فى حالة المقارنة بين حجم الفجوة التى كان يشعر بها الرجل الحر بينه وبين العبد ؛ وهناك أمر مماثل لذلك من العصور الحديثة وهو موقف الرجل الأبيض الفقير فى الولايات الجنوبية من أمريكا الشمالية . وفى النهاية فقد نتج عن وصول الرومان إلى المسرح فى أواخر القرن الثالث وما يليه أثر سيئ ، وكان معزّزا بالقوة والعنف من أجل تحقيق الاستقرار الذى يبدو أنه اتجه إلى إنشاء طبقة حاكمة .

إن عدد الثورات التى سُجلت فى بلاد الإغريق خلال هذه المرحلة لم يكن فى الواقع كبيرا جدا ، حتى إذا تم مقارنتها بتلك التى حدثت فى إيطاليا وصقلية ،ومن المحتمل أن ذلك يشير إلى أن الطبقة العليا فى المدن الإغريقية نجحت نجاحا معقولا فى استخدام مواد الإعاشة من القمح الرخيص فى إجراءات تسكين المشكلة والوسائل الإنسانية الأخرى التى أبعدت الثورة بالعطاء ، إلا فى حالة إذا وجد المتذمرون مركزًا يرتكزون عليه (وأحيانا مساعدة مادية) من الخارج .

رابعا:

إن أكثر النماذج إثارة للدهشة على نجاح حركة ثورية نجاحا مؤقتا فى العالم الهيللينستى كانت تلك التى قادها الملكان الإسبرطيان آجيس الرابع Agis IV (٢٤٤ - ٢٤١) والملك كليومينيس الثالث) Cleomenes III (٢٣٥ - ٢٢٢) وخلفاؤهما فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثانى ،ومصدرنا الأساسى هو بلوتارخ عن سيرة كل من الملكين آجيس وكليومينيس ،واعتمد فى تقريره على التقرير المفقود للمؤرخ فيلارخوس

Phylarchus الموالى لاسبرطة ، الذى قدم كلا الرجلين فى ضوء فلسفى ومثالى بشكل ما . ومصدرنا الرئسى الآخر هو بوليبيوس فيما اقتبسه ليفى Livy فى تقريره (عن القادة الثوريين التاليين) ، الذى تلاه فى عدائه للملوك الاسبرطيين الذين وصفهم بأنهم طغاة tyrants.

كان تكدُّس الثروة فى اسبرطة كارثيا ،وخاصة بسبب نوع الاقتصاد الزراعى الغريب لتلك الدولة ، الذى كان يمتلك فيه كل الاسبرطيين كاملو المواطنة نصابًا من الأرض مزودًا بعبيد الدولة helots الذين خُصصوا للقيام بالعمل فيه ، فى حين كانت بقية فروع الاقتصاد الأخرى فى أيدى الساكنين (المقيمين) حول اسبرطة prioikoi الذين لم يندرجوا ضمن المواطنين(*) .وفى تاريخ غير محدد :

عُين رجل قوى معين ليصبح مراقبا ephor وكان عنيدا وعنيفا ، يدعى إبيتاديوس Epitadeus، تشاجر مع ابنه ووضع قانونا يسمح فيه للرجل فى أثناء حياته بإعطاء ضيعته ونصاب أرضه إلى أى فرد يريد، أو فى تركها فى وصيته إلى أى فرد يرغب ، وشفى هذا الرجل غليله شخصيا بوضع القانون ؛ ورحب رفاقه من المواطنين بالقانون بسبب جشعهم ، وصدقوا عليه ، وهكذا قُضى على أهم الأنظمة تميزا" (Plutarch,Agis,5,2-3) . كانت النتيجة التى ترتبت على ذلك تركيز الأرض فى أيدى عدد محدود من الأفراد (خصوصا الذين لا عَقِب لهم) ،وفى حوالى منتصف القرن الثالث

"لم يتبق من عائلات اسبرطة القديمة أكثر من ٧٠٠ عائلة ،وربما كان منها حوالى مائة هم الذين يمتلكون أرضًا ونصابًا ؛ فى حين أصبح العدد الأكبر من العامة مجردين من الموارد والحقوق المدنية يعيشون مكرهين فى بطالة ،ولا يبدون أى حماس أو جهد لدرء الحروب الأجنبية ،وينتظرون الفرصة بصفة دائمة لقلب نظام الحكم وتغيير الأوضاع الداخلية" .(Plutarch,Agis,5,4).

(*) يُعد النظام الاسبرطى الذى وضعه المشرع ليكورجوس Lycurgus فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد أول نظام شيوعى فى العالم القديم بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وفيه تتدخل الدولة فى حياة الفرد منذ ميلاده حتى وفاته ، وكان الهدف منه تكوين دولة عسكرية من الطراز الأول ، لتتمكن من إحكام قبضتها على الأعداد الغفيرة من العبيد وأنصاف العبيد الذين يكونون غالبية سكان دولة اسبرطة . عن هذا النظام الغريب الذى يتنافى مع الطبيعة الإنسانية والذى أدى فى النهاية إلى ضمور الدولة و القضاء عليها راجع :عياد (محمد كامل)، تاريخ اليونان ،ج ١ دمشق ١٩٩٣ ،ص١٧٧-٢٠٧ (المترجمة) .

لقد تم التخلى عن التدريب التقليدى ،والموائد العامة ، وكل مكونات التقاليد الاسبرطية ، وغرقت اسبرطة فى غموض نسبى ،وأدى فقدان إقليم ميسينيا Messenia فى القرن الرابع إلى زيادة الانهيار.

وعندما اعتلى الملك آجيس العرش قرَّر إصلاح ما كان يفهم أنه النظام القديم، بما فيه من أنصبة الأرض والمساواة بين الاسبرطيين ، باختصار" نظام ليكورجوس" Lycurgus system of ذلك الشخص نصف الأسطورى الذى تعزو الروايات إليه وضع القانون . ووجد آجيس مؤيِّدا له فى شخص كان قد انتخب مراقبا ephorate ، واستخدمه آجيس فى وضع مشروع قانون:

" كانت البنود الرئيسية فيه أن يتم تحرير المستدينين من ديونهم ووجوب تقسيم الأرض الواقعة بين مجرى الماء عند بيلينى Pellene ونهر تايجيتوس Taygetus، وماليا Malea وسيلاسيا Sellasia (الأرض التى تملكها المدينة) إلى ٤٥٠٠ نصاب ، والمنطقة التى تقع خارجها إلى ١٥,٠٠٠ على أن تُملَك بعد ذلك إلى الساكنين حول اسبرطة perioikoi القادرين على حمل السلاح ،وتوزع المساحة الصغيرة بين الاسبرطيين الأصليين ؛ على أن يستكمل عدد الاسبرطيين من الساكنين حول اسبرطة perioikoi والغرباء المقيمين الذين حصلوا على تعليم الرجل الحر ،وكانوا يتمتعون ببنية قوية وفى مقتبل العمر" (Plutarch,Agis,8,1-3) .

كانت الموائد العامة والنظام الدقيق المصاحب لكل ذلك فى حاجة أيضا إلى إصلاح ،وظهر فى البداية أن كل شىء يسير على ما يرام ،وعندما عارضه زميله ليونيداس Leonidas أرغم على الانسحاب إلى منفاه فى تيجيا Tegea ، هكذا فشلت خطة أجيس فى لحظة فاصلة ، وبسبب حسمه – موضوع – إلغاء الديون التى كانت تكبل ضياعًا عديدة ، امتنع مؤيدوه ، بمن فيهم عمه أجيسيلاوس Agesilaus عن تنفيذ قرار تقسيم الأرض . وعندما استدعى آجيس لمعركة بعيدة ضد الأيتوليين اغتيل فى طريق عودته . لقد كان فشله بسبب عدم قدرته على إغراء عدد كاف من الأثرياء والفقراء لكى يتقبلوا حكمًا تقليديًا خشنًا من أجل ضمان بقاء اسبرطة . إن معظم الثورات تنزع إلى الجشع والحسد : لقد زادت مثالية أجيس كثيرا فى عدد أعدائه.

مرت ست سنوات قبل أن يرتقى العرش كليومينيس الثالث ، ابن ليونيداس خصم أجيس . وكان كليومينيس قد تزوج أرملة أجيس ،وتنسب الرواية فضلا كبيرا إليها فى نجاحها فى جذبه لتأييد برنامج الإصلاح ، لكن مشروع كليومينيس ارتبط مباشرة بسياسة عدوانية كان هدفها الاستيلاء على البيلوبونيز ، قادته إلى مواجهة مع الحلف الآخى الذى كان يقوده أراتوس Aratus، الذى كان لديه طموحات مماثلة . وفى عام ٢٢٩ حول الحلف الأيتولى إلى كليومينيس المدن الأركادية تيجيا Tegea، منتينا Mantinea أورخومونوس Orchomenus ،ومن المحتمل كافياى Caphyae أيضا ، وقام بعدها مباشرة بمهاجمة قلعة على حدود ميجالوبوليس Megalopolis ،ونفذ انقلاباً عام ٢٢٧ تم فيه إلغاء الرقابة ephorate (التى أعلن أنها غير ليكورجية ، أى أنها لا تنسب إلى ليكورجوس non -Lycurgan)، وأبعد للمنفى ثمانين من معارضيه ، ووضع صياغة جديدة لإصلاحات أجيس ،بأنصبة جديدة وفيالق جديدة ، تتكون من ٤,٠٠٠ مواطن ، واستكمل العدد من الساكنين حول لاكونيا preoikoi ، وأعاد نظام التدريب القديم .

حقق كليومينيس بعض الانتصارات العسكرية المثيرة الناجحة بفضل هذه القوات الجديدة ،وبدأ الحلف الآخى يتفتت ،وأخطأت الجماهير فى البيلوبونيز ؛ لأنها رأت فى كليومينيس إمكانية أن يكون منقذاً لهم ."لقد كان هناك هياج بين الآخيين "كتب بلوتارخ " Plutarch(Cleomenes ,17,3) وكانت المدن مستعدة للثورة ،وكان الأفراد العاديون يتوقعون تقسيم الأرض ،وإلغاءالديون " . ويصف بلوتارخ فى مؤلفه عن أراتوس (Aratus39,4) القائد الآخى "وهو يرى البيلوبونيز وهى ترتعش ومدنها تغلى بالثورة التى يحركها المهيجون". لكن الثورة الاسبرطية لم تكن للتصدير ،فقد تمت مواجهتها بحل الحلف ، فقد ضحى أراتوس بسياسته المعادية لمقدونيا فى مساومة له مع أنتيجونوس الثالث الذى زحف جنوبا وأوقف penned كليومينيس فورا فى لاكونيا . وفى أثناء تلك الكارثة :

"أطلق كليومينيس سراح العبيد الذين يمكنهم دفع مبلغ خمس مينات أتيكية At-tic minas (وبذلك جمع مبلغ ٥٠٠ تالنت talent) وسلح ٢,٠٠٠ منهم على النمط المقدونى " . (Plutarch,Cleomenes,23,1) .

كان ذلك إجراء يائسا أرغمته عليه الظروف ، وفى عام ٢٢٢ هزمه أنتيجونوس فى سيلاسيا Sellasia شمال لاكونيا Laconia ، وهى المعركة التى أبيدت فيها القوة الاسبرطية بكاملها تقريبا ، وفرت إلى مصر ، وهناك هلكت بعد ثلاث سنوات عندما قادت تمردا ضد بطلميوس الرابع .

يقول بلوتارخ (Plutarch,Cleomenes ,30.1) إن "أنتيجونوس عامل اللاكدايمونيين Lacedaemonians (الاسبرطيين) بطريقة إنسانية ، ولم يسُب أو يُهن كرامة اسبرطة ، لكنه أصلح قوانينها ودستورها" ، ويؤكد بوليبيوس (Polybius ii,70,1)أنه"أصلح شكل حكومتها القديم" . وكان بوليبيوس يعتبر حكومة كليومينيس حكومة طاغية ، وهذه الإشارة إلى إصلاح حكومة الآباء ، يبدو أنها كانت تعنى العودة إلى الوضع الذى كان قائما قبل الإصلاحات ، لكن العبارة مطاطة ؛ لأن- نظام- المراقبين أعيد وتُركت اسبرطة بدون ملوك . وعندما أرغمت اسبرطة فى القرن الثانى على الانضمام إلى الحلف الآخى (فى عام ١٨٩) ، يردد ليفى (xxxviii,34.3) صدى أقوال بوليبيوس ويذكر الشروط التى تم فرضها :"أنه كان عليهم إلغاء القوانين وتقاليد ليكورجوس، وأن يُعَودوا أنفسهم على قوانين الآخيين ومؤسساتهم "،وربما يعنى ذلك أنه بعد معركة سيلاسيا كانت بعض المظاهر الاجتماعية لإصلاحات كليومينيس قد سُمح ببقائها ، أو أنها من الجانب الآخر قد أدخلت فى عهد واحد أو آخر من خلفاء كليومينيس .

إن الحركة الثورية فى اسبرطة تستحق الملاحظة لاستمرارها تحت عهود سلسلة من القادة التاليين ،لقد كان ما يزال موجودا فى القرن الثالث كل من ليكورجوس وماخانيداس Machanidas (الذى قتل على يد القائد الآخى فيلوبويمن Philopoemen شخصيا فى معركة عند مانتينيا Mantinea عام ٢٠٧) وبعد ذلك نابيس Nabis ، الذى أُثنى عليه فى نقش ديلى Delian بأن" الملك نابيس بن داماراتوس Damaratus رجل صالح فى علاقاته مع المعبد وشعب ديلوس " (Syll.,584) ، وعلى أى حال فقد أخبرنا بوليبيوس أنه :

"استأصل من بقى (من أفراد الأسرة المالكة ؟)الذين ظلوا على قيد الحياة فى اسبرطة ،وأقصى أولئك المواطنين الذين كانوا يتميزون بثرائهم وأسلافهم المشهورين ،

ومنح ممتلكاتهم وزوجاتهم لرئيس من بقى منهم ، وإلى جنوده المرتزقة الذين كان معظمهم قتلة ، ولصوص منازل ، وقطاع طرق ونشالين "(xiii,6,3) .

ويتهمه - بوليبيوس - فى مكان آخر (xvi,13) بتحرير العبيد (أغلب الظن أنهم عبيد الدولة helots). وإذا حكمنا من خلال التفصيلات التى وصلت إلينا ، وحتى إذا ما وافقنا على تحامل بوليبيوس ضد الآخيين ، فإن نابيس يبدو أنه كان يفتقد لجميع مثاليات آجيس وحتى كليومينيس ؛ لأن سيرة حياته تعادل تقريبا أسوأ نوع من الطغاة ، وبمقتله عام ١٩٢ قضت الثورة على نفسها ، وتحولت إلى شراذم من المنفيين يتآمرون فيما بينهم ، وكانوا يطلبون مساعدة روما بصفة دائمة ، وظلت اسبرطة بعد انضمامها إلى الحلف الآخى تشكل جسماً غريباً ، وحتى بعد اندفاعها عام ١٤٨/١٤٩ بتهور فى الحرب الآخية وتدمير الحلف ، ومع مرور الوقت ، وعند العودة إلى الوراء والنظر إلى العوامل الاجتماعية التى كانت موجودة نجد أنها كانت بجميع جزئياتها تبدو حركة ضعيفة هشة ، سرعان ما اختفت مُخلِّفة وراءها صراعا سياسيا فقط ، وفى النهاية فإن التهديد الرومانى كان يرمز إلى الطريقة التى نفذت روما بها صناعة القرارات التى تعاملت بها مع بلاد الإغريق ومع العالم الإغريقى ، ومنذ الآن فصاعد فإن البناء الاجتماعى للعالم الهيللينستى والمشاكل التى تولدت عنه كان له أهميته الأساسية كأحد الحقائق التى كان لها أثرها فى حكومة الولاية الرومانية .

الفصل العاشر

التطورات الثقافية :Cultural Developments

الفلسفة والعلوم والتكنولوجيا Philosophy , Science and Technology

أولا:

قاد التوسع الإغريقى فى أوائل العصر الهيللينستى إلى الانتشار الواسع لقدرة الإغريق الإبداعية ،وذلك لأسباب عديدة كان أكثرها أهمية أمنهم وثروتهم وطموحات حكامهم ،كما كان هناك تيار مضاد يقود إلى تركيز النشاط الثقافى فى المدن الملكية العظيمة مثل برجامون Pergamum والإسكندرية Alexandria . ولم تكن الرعاية الملكية شيئًا جديدًا بطبيعة الحال ،فقد سبق أن جذبت صقلية (الشاعرين) بندار Pindar وإسخيلوس Aeschylus (والفليسوف) أفلاطون Plato ،وأغرت مقدونيا (الكاتب المسرحى) يوريبيديس Euripides ، لكن الرعاة (أى الملوك) أصبحوا الآن أكثر ثراء ، وأكثر قدرة على التأثير . وتزعمت الإسكندرية الحياة الفكرية للعالم الإغريقى على وجه الخصوص ،خاصة فى أثناء حكم البطالمة الثلاثة الأوائل (٣٢٣-٢٢١) ، ويرجع الفضل الكبير فى ذلك لإنشاء المتحف الشهير الذى يسمى حرفيا مِحراب ربات الفنون the Muses sanctuary وتأسيس المكتبة ،وربما كانتا تقليدا لمتحف ومكتبة الليكيوم Lyceum ،ومدرسة أرسطو Aristotle's school فى أثينا ،ويبدو أن مؤسسات الإسكندرية كانت بوحى من ديمتريوس الفاليرىDemetrius of Phalerum فى عصر بطلميوس الأول (على الرغم من أن رواية أخرى ترجع إنشاء المكتبة الكبيرة إلى بطلميوس فيلاديلفوس.Ptolemy Philadelphus) .

أنفقت مبالغ مالية كبيرة على شراء الكتب وعلى جذب المثقفين للحضور إلى الإسكندرية ؛ وضمت المكتبة حوالى ٥٠٠,٠٠٠ لفافة بردية . أما المتحف الذى كان يدار مقترنا بالمكتبة فقد كان فى الواقع معهدا للأبحاث ، وشجعت الإسكندرية على نحو خاص الدراسة المنهجية فى فقه اللغة philology ، وهى تلك الخاصة باللغة والكتابة. وبفضل المتخصصين من أمثال زينودوتوس من إفيسوس Zenodotus of Ephesus، وأرستوفانيس من بيزانتيوم Aritsophanes of Byzanyium وأرستارخوس من ساموطراقيا Aristarchus of Samothrace ، كانت نصوص هومر Homer – الإلياذة والأوديسا – تُحلل وتدرّس بالتفصيل ، وتمثلت المشكلة الكبرى فيما إذا كان هناك نسخة واحدة أم عدة نسخ منها، وهى إحدى الموضوعات التى كانوا يتحدثون فيها ، لأنهم كانوا يهتمون بالخلفية التاريخية والجغرافية للأشعار . لقد قاد هؤلاء الرجال بتعليقاتهم ودراساتهم للنصوص واللغة إلى وضع أسس حركة النهضة والمعرفة الحديثة . ودفع الإغراء المالى من قبل الرُّعاة البطالمة إلى حضور عديد من الشعراء إلى الإسكندرية ، فحضر إليها ثيوكريتوس السيراكيوزى Theocritus the Syracusan كاتب الشعرالرعوى (pastoral) لزمن قصير ، إما لأنه كان يفضل مدينته قوس Cos (لفترة) على عاصمة مصر العظيمة ، أو ربما لفشله فى الحصول على الرعاية التى كان يتوقعها هناك ، وحديثه عن نساء سيراكيوز (Syracusan Women (Idyll 15 عبارة عن حديث شائق بين سيدتين سيراكيوزيتين ، تقيمان فى الإسكندرية خرجتا فى أحد الأيام لمشاهدة احتفال أدونيس Adonis ، وفيه يقدم صورة حية عن المدينة العظيمة ، وحضر أيضا أبوللونيوس من رودس Apollonius of Rhodes ، الذى كان أمين مكتبة لفترة ، ونشر شعرا حماسيًا عن أراجوناوتس Aragonauts يتميز بالعاطفة مثل يوريبيديس ، ويضم مشاعر زاخرة للطبيعة ، وادعى ، وربما ليس صحيحا ، أنه تشاجر مع الشاعر كاليماخوس Callimachus ، الذى كان نموذجًا لما نسميه بالطراز السكندرى . حيث مزج فى شعره بين الإلمام الكامل بالوزن (metre) واللغة والتلميحات الأسطورية ، التى صاغ منها أبياتا غالبا ما تستدعى التفكير فيها بأكملها.

وفى برجامون قام الملوك الآتاليون ، خاصة فى القرن الثانى ، بتشجيع مماثل ، وكانت مكتبتهم هى الأكبر بعد مكتبة الإسكندرية ، وازدهر فى بلاطهم مجموعة من

الفنانين والمثقفين معروفين لنا ، خاصة من خلال عمل أنتيجونوس من كاريستوس Antigonus of Carystus ، الذى لم يمارس نحت التماثيل والكتابة عن الفن فقط ، لكنه نشر أيضًا عددًا من السير زاخرة بمادة قصصية نادرة ، وهاجم بوليمون من إليوم - Polemon of Ilium جامع المعلومات الكبير- أعماله الفنية التى جمع بعضها خلال أسفاره الواسعة من آسيا الصغرى إلى صقلية وقرطاجة ، وهناك شخصية أخرى من برجامون ، وهو كراتيس من ماللوس Crates of Mallus المتخصص فى أشعار هوميروس ، الذى حاول القيام بشرح الشعر بطريقة مختلفة، بادعائه معانى مجازية له، وكثيرا ما نجح فى التدليل على أخطاء تاريخية فى الفكر الرواقى . وكُسرت ساق كراتيس فى بالوعة كانت مفتوحة عندما كان يزور روما عام ١٦٨ ، وظل مقيما فيها حتى تماثل للشفاء ، وأثار الرغبة فى المعرفة بمحاضراته فيها . وهناك متخصص آخر من برجامون وهو المؤرخ نيانثيس من كيزيقوس Neanthes of Cyzicus ؛ لأن التاريخ كان يعد فرعا من الأدب الذى ازدهر بشكل عام خارج العواصم الملكية الكبيرة ، حقيقة استقر هيرونيموس الكاردى Hieronymus of Cardia فى بيللا Pella ، راجع ص ٢٦/٢٧) ؛ لكن تيمايوس Timaeus كتب فى أثينا ، وكتب بوليبيوس Polybius فى كل من روما (ولم يكن ذلك عن طواعية) وميجالوبوليس .

ثانيا :

ظلت أثينا مركزا له أهميته ، على الرغم من إغراءات الرعاية الملكية (من قبل ملوك الممالك الهيللينستية) ؛ و ظلت مدن أخرى ذات تقاليد ثقافية راسخة ، منها رودس Rhodes ،وقوس Cos (حتى المرحلة الزمنية التى يتناولها الكتاب) وتارسوس Tarsus، واشتهرت أثينا على وجه الخصوص بأنها موطن الفلسفة ،التى قام سقراط وأفلاطون وأرسطو بالتدريس فيها ،وخلال المرحلة التى أعقبت الإسكندر اختار أشهر الفلاسفة من جميع أنحاء العالم الإغريقى الرحيل إلى تلك المدينة (أثينا) وإقامة مدارسهم هناك ، وأصبحت المدرسة (الأكاديمية) التى أسسها أفلاطون هناك قبل عام ٣٦٩ مباشرة أقل أهمية فى أثناء رئاسة سبيوسيبوس Speusippus وإكسينوكراتيس Xenocrates

اللذين قاما بتعديل اهتمام المدرسة إلى قضايا فى علم الأخلاق questions of ethics بصفة أساسية . وكتب إكسينوكراتيس"السبب فى نشأة الفلسفة ،"وهو تهدئة أو إبعاد كل ما يسبب تعكير صفو الحياة " . (R.Heinze,Xenocrates (1892),fg.4) ، وتمثل وجهة نظر فى الحياة تناظر تلك الخاصة بأبيقور Epicurus (راجع ص ٢٠٧). وأصبح هذا الاتجاه الأخلاقى ملحوظا بدرجة أكبر فى عهد بوليمو Polemo الذى تولى إدارة المدرسة عام ٣١٤ . وكتب يقول' (Diog.Laert.,iv,18) يجب على المرء أن يدرب نفسه على الأمور العملية وليس فقط لممارسة الجدل-المنطق -"منشقا بذلك عن أفلاطون ، الذى كان مثل سقراط يُعَول كثيرا على المنطق - الجدل-كمصدر للمعرفة وبالتالى للحقيقة . ومنذ منتصف القرن الثالث وما يليه أخذت المدرسة مظهرا جديدا وحيوية جديدة تحت رئاسة أركسيلاوس من بيتانى of Pitane Arcesilaus فى آسيا الصغرى ، الذى رفض جميع أنواع الديماجوجية ، وقيل إنه لهذا السبب لم يقم بنشر أى إنتاج له ، وبدلا من ذلك طور مبدأ "إلغاء الإيمان- العقيدة -"suspended belief، الذى استدعى بقوة مذهب الشك لبيرون من إيليس Pyrrhon of Elis (توفى عام ٢٧٥/٢٧٠)، الذى كان يرى أن السعادة تنبع من ثبات(رباطة) الجأشequanimity الذى يؤدى إلى رفض اتخاذ أى أحكام إيجابية . وعلى أى حال لم يكن مذهب شك أركسيالوس Arcesilaus موقفًا عقلانيًا فقط لتأكيد رباطة الجأش ، ولكنه موقف فلسفى إيجابى.

بعد أن أمضى أرسطو فترة فى المدرسة وقضاء عدة سنوات فى الخارج فى آسيا الصغرى وفى مقدونيا عاد إلى أثينا ، وقام بالتدريس فى الليكيوم Lyceum، وبعد موته تم شراؤها وتحولت إلى مدرسة نظامية فى عهد خليفته ثيوفراستوس Theophrastus الذى ظل على رأسها حتى وفاته عام ٢٨٤/٢٨٣ ، وحافظ ثيوفراستوس على البرنامج الكامل لأرسطو فى البحث ،وكان خليفته ستراتو Strato متميزا بين الفلاسفة الهيللينستيين فى اهتمامه بمشاكل العلوم الطبيعية . لقد حقق الاثنان مكانة كبيرة لليكيوم . وبعد وفاة ستراتو (حوالى ٢٧٠) تداعت شهرة الليكيوم . وفى الواقع فإن المدارس الفلسفية الكبيرة التى حققت التميز لأثينا منذ القرن الثالث وما يليه كانت تلك الخاصة بالإبيقوريين Epicureans والرواقيين Stoics .

أسس إبيقور Epicurus ٣٤١ - ٢٧٠ ، أحد مواطنى ساموس Samos ، مدرسته فى أثينا حوالى ٣٠٧/٣٠٦ ، وكون أتباعه مجتمعا مغلقا كانت النساء والعبيد من بينهم ، وعلى الرغم من خشونة طريقتهم فى الحياة ، فقد أثارت خصوصيته وعبادة اللذة التى علمها لهم إبيقور قدراً لا مبرر له من الشك ؛ لأنه بالنسبة للأبيقوريين كانت "السعادة " لها معنى خاص .

"عندما نقول إن المُتعة (السعادة) هى الهدف فإننا لا نعنى سعادة الانغماس فى الملذات ، وتلك التى تتكون منها عملية المتعة .... ولكنها التحرر من ألم الجسد ومن الاضطراب فى العقل ، فهى ليست الشراب والاحتفالات المتصلة ، ولا المتع الجنسية وليست متعة الصيد والملذات الأخرى لمائدة عامرة من تلك التى تقدم متع الحياة الهنية ، ولكن هى التعقل الرشيد الذى يبحث عن الأسباب لقبول أو رفض كل تصرف ، يباعد بين وجهات النظر التى تؤدى إلى ظهور أكبر قدر من الاضطراب العقلى (Letter to Menoeceus,131-2,trans.Long) .

تتألف السعادة من الاقتناع بإشباع الفرد لرغباته أكثر من فعل الإشباع لها ، ثم السعادة التى يستمدها العقل بعد ذلك من الهدوء (ataraxia) والتى تظل فوق المتعة الحسية . و يتأكد هذا الهدوء (ataraxia) من حقيقة أن الكون يجرى بإرادته طبقا لنظرية ديموقريتوس Democritus الذرية atomic theory ، وليست هناك حياة لأحد بعد الموت ، وتحلُّل المُركب الذرى للإنسان ، إن الآلهة ، بعيدة وبمعزل عن البشر ، وليس لها رغبة أو دور فى عالمنا . وعلى الرجال أن يكفوا عن الأعمال السياسية وأن يتحاشوا كل المواقف التى تثير الانفعال . وكانت الصداقة المحترمة ذات الصوت الهادئ المحصورة فى دائرة مغلقة هى المثالية الحقيقية .

لم تحرز الرواقية مكانة لائقة بصفة عامة (فيما عدا فترة قصيرة فى روما فى أواخر العصر الجمهورى) ، وجاءت كل من شعبيتها وتأثيرها عن طريق تعاليم الرواقية . إن تلك المدرسة التى أقيمت فى القاعة الملونة (Stoa Poikile) ، التى رسمها زينون من كيتيوم Zenon of Citium فى قبرص Cyprus (٢٦٣-٣٣٥) كانت تعلم نظاما فلسفيا متكاملا ازدهر مع عدة تعديلات خلال العصر الهيللينستى لتصبح أكثر الفلسفات شعبية خلال القرنين الأولين من عصر الإمبراطورية الرومانية ، لقد كان لها

عدة معتقدات ، وفى الحقيقة كان الجانب الجيد الوحيد فيها يتمثل فى الفضيلة التى تعنى الحياة فى توافق مع إرادة الله أو الطبيعة – ويتطابق الاثنان كثيرًا أو قليلاً . كانت معرفة الفرد التى تعتمد على إدراك الحقيقة ، (هى على خلاف رأى الملحدين spectics) يمكن الحصول عليها من خلال الحواس بواسطة"البصيرة للوصول مباشرة إلى الإدراك" (kataleptike phantasia) ، كما وصفتها رطانة stoic jargon لغة الرواقية أى قبول دليل البصيرة (الحواس) . وكانت مثل هذه الفضيلة هى الشىء الجيد الوحيد: وكل ما دون ذلك (إذا لم يكن شرًا محققًا) ليس له مصداقية . وكانت هذه المذاهب من السهل فهمها من قبل عدد أكبر من الذين يتعلمونها فى المدرسة (على الرغم من التضارب الذى يبدو فى خلاصتها المنطقية) ،وانتشر تعلمها وأصبح لها تأثير قوى فاعل ،وهو ما يمكن رؤيته فى نشيد زيوس Hymen to Zeus الذى ألفه كلينثيس Cleanthes الرواقى ٢٣٢-٢٣١ ، الذى خلف زينون Zeno فى رئاسة المدرسة :

لا يوجد شىء غيرك ، أيها الإله ،

لا فى أرجاء السماء ، أو فى البحر،

عدا ما يرتكبه الأشرار بأخطائهم ؛

لكنك قادر على تحويل الشر إلى الخير ،

ولذلك خلقت فى شىء واحد معا جميع الخير والشر ،

لذلك هناك شىء أبدى واحد (logos) لجميع الموجودات ،

يتحاشاه البشر الفانون ويجهلونه ،

يسعى الأشرار التعساء أبدا للاستيلاء على الأشياء الجميلة ،

فهم لا يرون ولا يسمعون أبدا الناموس الكونى للإله،

ربما يمكنهم بطاعته التمتع بحياة سعيدة

(H.von Arnim,Stoicorum veterum fragmenta i(1905),537 ll.15-25,trans.Long).

كانت الرواقية المبكرة مثل الأبيقورية تقتنع اقتناعا ثابتا أنه بالعقل يستطيع الرجل اكتشاف الدرب الصحيح واختياره ليتبعه ؛ ولم يكسر خاطرهم لكون مذهبهم يعنى أن الحقيقة الوحيدة الخالصة هى الثابتة فقط . وبعد ذلك قام باناتيوس من رودس 185109- Panaetius of Rhodes الذى أصبح رئيسا للمدرسة فى القرن الثانى بتدريس مذهب متطور وأكثر إنسانية قدم فيه الأمل للذين لم يحصلوا على الحقيقة virtue ، ولكنهم كانوا يحاولون بشدة تحقيق بعض التقدم نحوها .

وهكذا ظلت أثينا مركزًا مهما لتعليم الفلسفة فترة طويلة ، بعد أن فقدت نفوذها السياسى ، كما ازدهرت فى أماكن أخرى من العالم الهيللينستى أشكال مختلفة من الفلسفة ، ومن نماذجها المواعظ الأخلاقية لكينيكس Cynics (خطاب التشهير) الذى كان يشبه بيون من بوريستينيس Bion of Borysthenes فى القرن الثالث) ، الذى كان يتجول من مكان لآخر داعيا ضد المعتقدات التقليدية ، خاصة الزواج والعقيدة ،أو تلك الأعمال مثل (الظواهر الطبيعية) Phaenomena لآراتوس من سولى Aratus of Soli، والشعر الحماسى الموزون عن الرسالة الفلكية ليودكسوس من كنيدوس Eudoxux of Cnidus، الذى لم يرجع الإعجاب بها كثيرًا إلى كونها عملا علميًا ، ولكن لبيانها سمة العناية الإلهية للكون الرواقى . وكان الفلاسفة الكلبيون Cynic مثل المثالين والرسامين يتحركون من مكان إلى آخر ؛ لأنهم كانوا يعتمدون ، أكثر من الفنانين ، على محافظ أموال الملوك المفتوحة بالمعنى الحرفى .

اشتهرت أثينا – كذلك – بأنها موطن الكوميديا الحديثة التى كان ميناندر 293-342 Menander أعظم من يمثلها ، وهى كوميديا تدور حول سلوكيات رأس المال (stock roles) والمؤامرات الداخلية ،وجاءت حبكة المؤامرة وتصوير الشخصية عملا عبقريا على خشبة المسرح . ورفعت الكشوف البردية من شهرة ميناندر الذى ألهمت أعماله كاتبى الدراما الرومان بلاوتوس Plautus وتيرنس Terence .

ثالثا:

لقد اتضح – مما سبق ذكره – أن ثقافة العالم الهيللينسيتى استفادت كثيرا (وليس جميعها) فى رواجها من الرعاية التى قدمتها القصور الملكية ،ولكنها استمدت عبقريتها أساسا من المدن الإغريقية (من بينها مدن الشرق الأدنى) التى احتضنت تقاليد التعليم الإغريقية ،وتم التعبير عن هذه التقاليد بالطريقة التى كان يتم بها تعليم أطفال الأثرياء (وأحيانا من ذوى الإمكانات القليلة بالمثل) فى الجمنازيوم . والجمنازيوم مؤسسة رياضية فى المقام الأول (راجع ص ٨٦) ،ولكنه أولى دائمًا أهمية للتدريب الموسيقى ،الذى تطور الآن إلى مدرسة ثانوية ،ومثال ذلك جمنازيوم برجامون الذى صُمم لثلاثة مستويات لرعاية الصبية ،والشبيبة ،والشباب ،وكان الجمنازيوم يضم بصفة عامة قاعة محاضرات ،وأروقة ومكتبات ،اضافة إلى دوره الرئسى الحالى ،وكان منهج الدراسة فيه أدبيا بصفة رئيسية ،مع التركيز على الشعر ، وخاصة شعر يوريبيديس Euripides وهومر Homer. وزيّن مبنى الجمنازيوم بعدة نقوش ،وعلى وجه التحديد بنقش يتكون من ٧٠ سطرا فى تيوْس Teos ،يشمل قواعد إنفاق مبلغ من المال منحه شخص يسمى بوليثروس Polythrus للجمنازيوم (Syll.,578) ،ونعرف منه تعيين "ثلاثة معلمين للكتابة لتوجيه الإرشاد للصبية والبنات "(كان التعليم المختلط أمرًا غير معتاد بالنسبة لتيوْس Teos، واثنين من مدربى الرياضة paido-tribai ،ولاعب قيثارة ،لم يكن يُعلم القيثارة فقط ،لكنه كان يُدَرس أيضا تعليما موسيقيا بشكل عام ،ولم يكن وضع المدرسين الاجتماعى status عالى التميز ،وقد عبرت الطبقة العليا من المواطنين عن مشاعرها تجاه الجمنازيوم فى عدة قرارات تكريمية لكبار الموظفين المسئولين ،paidonomoi ،الذين يقومون برعاية فصول الصبية وعلى نحو خاص للجمنازيارخ gymnsiarch ،الذى كان الرئيس الفعلى (للمعهد).

وكان كبار الموظفين الذين يشغلون هذه المناصب التطوعية(غير مدفوعة الأجر) يحتلون منزلة رفيعة ،ويتضح من النقوش أن الجمنازيارخ كان يقدم الموارد المالية فى العادة للإنفاق على شراء الأضاحى والمنح والإنفاق على المباريات ،بل إصلاح أو توسعة مبانى المدرسة فى بعض الأحيان أيضًا ،وعلى سبيل المثال فقد ذكر قرار من أواخر القرن الثانى من سلاميس Salamis التالى:

"عندما تم انتخاب ثيودوتوس بن إيوستروفوس من بيريه Theodotus son Eus-trophus of Piraeus جمنازيارخ في عام أرخونية إرجوكليس Ergocles ضحى بثور ، بالإضافة إلى ما قُدِّم من الأضاحى ، وقام برعاية جميع الشباب الذين يتلقون التدريب فى الجمنازيوم ،وتحمل نفقات طقوس الاحتفال بعيد الإله هرميس Hemeraea، وقام بالترحيب بكل فرد ، وأنفق على ذلك مبلغًا ماليا غير قليل : وحيث إنه أضاف إلى الأموال التى زود بها للإنفاق على الزيت من أمواله الخاصة ..... (قائمة عطاءاته تستمر لتبلغ خمسة عشر سطرا)..... لذلك قدم المجلس توصية إلى الشعب بالقيام بتكريم ثيودوتوس Theodotus وتتويجه بتاج ذهبى طبقا للقانون ، اعترافًا بسخائه لشعب سلاميس ، على أن يتم إعلان فوزه بهذا التاج على المسرح فى الاحتفالات التالية لأعياد الإله ديونيسوس Dionysia فى سلاميس ،وفى مباريات الجمنازيوم فى احتفالات أيانتيس Aiantes" (Syll.,691) .

وفى العصر الذى ذبلت فيه الحياة السياسية للمدن ، أصبح الدور الذى كان يقوم به حكام أكفاء من قبل يقوم به الآن موظفو الجمنازيوم .

اعترف الملوك أيضا بأهمية المؤسسة(الجمنازيوم) ،وكثيرا ما ساندوها أو أنعموا على مباريات الجمنازيوم نفسه أو على أنشطة عديدة متصلة به ،وبالنسبة للتلاميذ كان أعظم يوم هو يوم المسابقات الذى يجمع بين مواصفات يوم الرياضة - البدنية - الحديثة مع الاختبارات السنوية ، وكانت أسماء الفائزين تُحفر على أعمدة ، وتُسجِّل قائمة من القرن الثانى الفائزين فى مباريات (مستوى) الصبية فى مجنيسيا على مياندر Magnesia on -Maeander على النحو التالى :

...... ابن أرتيميدوروس .... son of Artemidorus بن إسكلينيوس son of Aeschylinus و............. إيموس بن أناسيكراتيس .... emus the son Anasicrates فى تاليف الأغانى ، وفى لعب القيثارة : ماندروكليس بن .... Mandrocles son of ، أريستون بن ان .... Ariston son of An ، ليكوميديس بن خاريخيوس Lycomeddes son of Charichius .

فى الغناء على القيثارة : ديونيسيوس بن أبوللودوروس Dionysius son of Apollodorus، كيـاتوس بن مـوريمـوس Caeatus son of Morimus ، بيثـاجـوراس بن أبوللوفانيس Pythagoras son of Apollophanes .

فى الرسم :أبوللونيـوس بن أبوللونيـوس Apollonius son of Apollonius ، كاليستراتـوس بـن زوبيروس Callistratus son of Zopyrus ، ألكيس بن زوبيروس Alcis son of Zopyrus.

فى الحسـاب : نيـوبطليمـوس بن أدميتـوس Neoptlemus son of Admetus، ديمتريوس بن أناكسيكراتيس Demertius son of Anaxicrates (Syll.,960) .

إن التنشئة فى هذا الجـو من الأدب والموسيقى والتدريب البدنى ؛ سـواء كان الصبية من الطبقة الوسطى أو الطبقة العليا من الإغريق ، وسواء كانوا يعيشون فى أثينا ، أو برجامون أو فى أوكسوس Oxus، أورثهم الثقافة الإغريقية ، ومعها الشعور التقليدى بالتفوق على جميع الأجناس .

رابعا :

على الرغم من أن التعليم كان أدبيا أساسا ، فإن العصر الهيللينستى أظهر قدرا لا بأس به من التطور فى العلوم البحتة والتطبيقية التى انتعشت إلى حد كبير فى كل من الإسكندرية وبرجامون ، وهناك عامل مشترك ، وهو أن العلم لم يعد مقصوراً ولأول مرة الآن على الفلاسفة ، وهو مـا كان قائما من قبل . نعم ظلت الفلسفة قائمة فى موطنها فى المدينة الدولة ،وفى أثينا بصفة أساسية ،ولكن العلم هاجر إلى العالم الجديد للملكيات . ولا يعنى ذلك أن العلم غير من شخصيتها . فقد كان العالم الهيللينستى – مثل مدن الدول – لم يتخذ خطوة فاصلة فى اتجاه تسخير المكتشفات العلمية للاستخدام العملى للمجتمعات الإنسانية ،ولتحقيق التقدم المادى لأسباب سننظر فيها باختصار. إن انتشار المعرفة العلمية كان مسألة تدرج ، ولم يكن من النوع الذى يمكن استيعابه بسهولة ،وعلى الرغم من أننا نفتقد الدليل الأصلى بين

أيدينا فإننا يجب أن نعتمد بصفة رئيسية على الكتاب المتأخرين لكى نكتشف ما أمكن تحقيقه بالفعل ، على سبيل المثال فى ميادين الرياضيات والفلك وعلم الأحياء والطب.

وعلى الرغم من استفادة العلم فى العصر الهيللينستى من الحركة العقلية التى نتجت من تفاعل الأفكار والتقاء الثقافات المختلفة –رغم أن معظم المشاركين فيها كانوا من الإغريق . وجاءت استفادته الكبرى من الفرص والموارد التى أتاحها الرعاة الملكيون ، ومن الإمكانات التى أوقفوها على مراكز التعليم والبحث الكبيرة ، ولكن لم يحصل جميع العلماء على الرعاية المَلكية :"فقد حصل عليها المتحذلقون (الذين يدعون العلم) الذين يتشاجرون بلا نهاية فى المتحف "قفص الطائر "Muses bird- cage ، كما تهكم عليهم تيمون الفيلوسى Timon of Philus وشَبه به الباحثين فى المتحف (Athe-naeus,I,22d). وكان يوجد لدى كثير منهم مصادر خاصة للدخل ، أو كانوا يحصلون على دخل من مهنهم ، كأطباء ومعماريين ومهندسين ،وكان لكل ذلك فضله ؛ لأنه ساعد فى بناء جسر بين النظرية والتطبيق ، وسوف يكون من المستحيل فى مجال هذا الفصل النظر فى أى من التفاصيل الضخمة التى حققها الرجال الذين يجب أن نسميهم منذ الآن علماء فى مجالات متعددة . إن كل ما يطمع فيه المرء هو إلقاء نظرة سريعة على إنجازات بعض الموضوعات الرئيسة المهمة ،وبعد ذلك طرح بعض الأسئلة العامة عن النجاح ومدى ما وصل إليه العِلم الهيللينستى .

خامسا:

وربما ليس من المستغرب أن عصرًا تميز بذلك التوسع فى آفاق الرجال قد لعب بالتالى دورًا مميزًا أيضًا فى الفلك وفى علاقة الأرض بالأجرام السماوية . فقد كتب أرستارخوس من ساموس Aristarchus of Samos ، الذى عاش فى أوائل القرن الثالث رسالة عن حجم الشمس والقمر والمسافة بينهما وبين الأرض ، كما طرح نظرية مثيرة عن أن الشمس هى مركز الأرض . وطبقا لأرشيميديس Archmides، "وضع أرستارخوس (من ساموس) Aristarchus of Samos كتابًا يفترض فيه فروضا معينة تنبع مما سبق ادعاؤه من أن العالم أكبر فى حجمه عدة مرات مما هو معروف الآن .

وقد افترض أن النجوم الثابتة والشمس تظل ثابتة بلا حراك ، وأن الأرض ولدت وهى تدور حول الشمس وعلى فلكهما .... وأن فضاء النجوم الثابتة ، يقع كل منها على نفس المركز ، مثل الشمس ، وهو- أى الفضاء - فسيح بحيث إن الدائرة التى افترضها للأرض تدور حول محور يحمل مثل هذا الجزء لمسافة النجوم الثابتة ، كما يفعل مركز الأرض بالنسبة لسطحها (Archimedes,Sand-reckoner introd.,tr.Lloyd) .

وليس من الواضح تماماً ما إذا كان أرستارخوس قد وضع نظرية مركز الشمس كحقيقة أو كفرض axiom فقط ، يمكن بناء عدة استنتاجات أخرى عليه ، وعموما يبدو أن الأمر الأخير هو الأكثر احتمالا . وعلى أى حال فلم تحرز نظريته تأييدا عاما . ولعدة أسباب أثبتت فرضية منافسة أخرى أنها كانت أكثر قبولا ، ويبدو أن تلك الفرضية كانت من عمل أبوللونيوس من بيرج Apollonius of Perge أواخر القرن الثالث) ، وهيبارخوس من نيقية Hipparchus of Nicaea (أوائل القرن الثانى) ، فقد فكرا فى تفسير الحركة الظاهرة للأجرام السماوية على أساس اندماج الدوائر -epicycles فكل دائرة هى حركة لجسم فى دائرة ، ويتحرك مركزها نفسه على طول محيط دائرة أخرى، وأن الدوائر الخارجة عن نطاق الدائرة مثل ذلك الذى يحدث على سبيل المثال إذا تحركت الشمس حول الأرض على طول محيط دائرة circum ferencesلا تكون فيها الأرض هى المركز . وهذه النظرية لا تُبقى الأرض فى مركز الكون فقط (وبذلك يتحاشى الاتهام بالإلحاد الذى ألصق بارستارخوس) ، ولكنها تقدِّم تفسيراً لظاهرة ملاحظة لن تكون عُرضة لاعتراضات بعينها ، وكانت تبدو قوية بالنسبة إلى الفلكيين المعاصرين ، فى مواجهة فرضية مركزية الشمس ، وتتمثل هذه الاعتراضات على نحو خاص فى الحركة الملاحظة التى أمكن رصدها للأجرام الثقيلة بواسطة الجاذبية نحو مركز الأرض ، وحقيقة أن الأجرام تتحرك فى الفضاء بنفس السرعة ولنفس المسافة ، سواء كانت نحو اتجاه حركة الأرض المقررة أو ضدها ، وعدم مقدرة المراقبين على اكتشاف أى اختلاف فى العلاقة التبادلية للنجوم الثابتة الواقعة فى الأطراف المضادة لمدار الأرض المقرر حول الشمس ، واختلاف مرأى الكواكب بالنسبة للناظر steller oarallax ، وهناك بطبيعة الحال إجابات متاحة الآن لجميع هذه الاعتراضات ، لكنها لم تكن معروفة أو حتى متاحة للفلكيين الهيللينستيين ؛ لسبب وحيد، هو أنه لم يكن هناك بعد أدوات بصرية لديها القدرة لاكتشاف التغيرات التى تحدث فى الدقيقة التى يسببها اختلاف مرأى الكواكب للناظر أو لأشكال phases الكواكب فى الواقع .

قام كل من أبوللونيوس وهيبارخوس بإضافات عظيمة للمعرفة العلمية ، فالأول بعمله عن الأجسام المخروطية conic sections ونعرف عن الثانى من بطلميوس Ptolemy وبركلوس Proclus ، باستخدامه فن انعكاس الضوء dioptra أو انكساره ، قام باختراع يتكون من قضيب rod له جانبان يستخدم فى الرصد لأخذ القياس taking of bearing. وبمساعدة ذلك وبأدوات أخرى :

" تجرأ على القيام بشىء سريع حتى بالنسبة إلى إله ، فقد وضع أرقامًا لعدد من النجوم لمن يأتى بعده وعلى مراجعة صور النجوم الثابتة بالاسم (Pliny,natural History,ii,24,95).

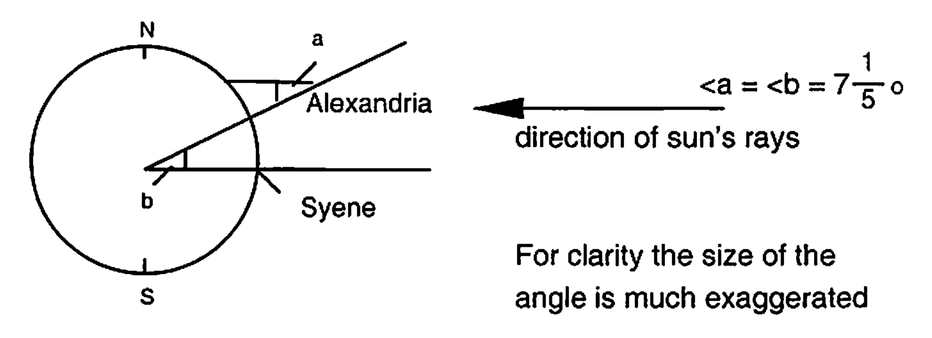
واكتشف أيضا استقبال زمن الاعتدال الشمسىprocess of the equinoxes (تساوى طول الليل مع طول النهار) ،وهى العملية التى يتم بواسطتها تحول نقاط الاعتدال الشمسى equinoctial points ، وهى تتحرك تدريجيا على طول مسار مدار الأرض orbit حول الشمس بمعدل ٥٠ ثانية من الدرجة سنويا ،وهكذا تعود إلى نفس النقطة فى حوالى ٢٦,٠٠٠ سنة . وقد شرح بطلميوس أساس ذلك الاكتشاف :

"قام هيبارخوس فى عمله On the Displacement of the Solstitial and Equinoctial Points، بمقارنة خسوف القمر على قاعدة تتكون من كل من الملاحظات الدقيقة التى تمت فى عصره وتلك التى تم القيام بها فى فترة أسبق بواسطة تيموخاريس Timocharis ، (وهو فلكى كان ناشطا قبل حوالى ١٦٠ عامًا) ، مختتما قوله بأن مسافة النجم سبيكا Spica (نجم فى مجموعة نجوم برج العذراء Virgo) من نقطة تحول الاعتدال الشمسى الخريفى ، من الشرق إلى الغرب ، بلغت فى عصره ٦ درجات ، ولكن فى عصر تيمارخوس بلغت ٨ درجات" (Almagest,vii,2) .

يتمثل الخطأ الموجود فى هذه الأرقام فى ست ثوان للزاوية سنويًا عما أحصاه الفلكيون فى العصر الحديث ،وهو إنجاز ملحوظ .

وربما كان إيراتوسثينيس القوريني(275-194) Eratosthenes of Cyrene أمين مكتبة الإسكندرية فى عصر بطلميوس الثالث أكثر شهرة من هيبارخوس ،واسمه

الثانى بيتا Beta(*) كان اسمًا تهكميًا يشير إلى نجاحه المفترض فى مجالات عديدة دون الوصول إلى الذروة فى أى منها . وأشهر ما حققه إثارة كان قياس محيط الأرض ، وذلك بحساب زاوية الظل بعصا فى الإسكندرية (سبع درجات وخُمس الدرجة) فى أثناء النهار عند الانقلاب الشمسى فى الصيف ، حيث لم يكن يوجد ظل فى أسوان Syene ، وزعم أنه يقع على نفس خط الطول مثل الإسكندرية . وكان أمرا بسيطا يمكن أن يوضحه القياس هندسيا بأن ٧،٢٥ (سبع درجات وخُمس الدرجة) يجب أن تكون هى بالمثل الزاوية الهندسية المقابلة لقوس أسوان - الإسكندرية من مركز الأرض ، وبعد ذلك فى ضرب المسافة بين المكانين برقم مناسب ($\frac{360}{7\ 1/3}$=50) للوصول إلى طول محيط دائرة الأرض .



وتمثلت الصعوبة الرئيسية لإيراتوستينيس فى دقة القياس الصحيح للمسافة من أسوان إلى الإسكندرية التى جعلها(أى محيط الأرض) ٥٠٠٠ ستاديس stades . فى حين أن الرقم الصحيح له هو ٢٥٠٠٠٠ ستاديس للطول الكلى لمحيط الأرض ، والذى يعتمد على طول المقياس (الاستاديس stades) الذى كان يستخدمه ، وهو الشىء الذى لانعرفه على نحو مؤكد . وعند القيام بالعد بثمن الميل الرومانى (١٨٥مترا) سوف نصل إلى٤٠،٢٥٠ كم ، إذا ما قورن ذلك بالحساب الحديث وهو ٤٠,٢٥٠ كيلومترا ،

(*) حرف البيتا Beta(β) هو ثانى حروف الهجاء الإغريقية ، كناية عن أنه يحتل المكانة العلمية الثانية (المترجمة) .

ولكن يلاحظ احتمال وجود أطوال أخرى للاستاد هناك، وعلى أى حال فإن أهمية ما حققه إيراتوستينيس أقل فيما يتعلق بصحة النتيجة ، وأكثر قيمة من الاستخدام التخيلى للقياس الهندسى البسيط لحل المشكلة نظريا.

إن المعلومات الهندسية التى سبق افتراضها بهذا الحساب كانت إلى حد كبير ضمن تراث إقليديس Euclid الذى اشتهر حوالى عام ٣٠٠ فى عهد بطلميوس الأول ، والذى عرض فى مؤلفه "القواعد " Elements قدرا كبيرا مما كان قد تم اكتشافه وإثباته من قبل ، ولكن بشكل شديد التنظيم انبثق عنه البراهين التى تلته عن طريق الاستنتاج المنطقى من عدد من الفروض "البديهية aximos" . وترجع أهمية إقليديس إلى هذا العرض المنظم.

وبعد فترة وجيزة قدم أرشيميديس Archimedes فى سيراكيوز (٢٨٧-٢١٢) عملا أصليا عظيما عن هندسة الكرة spheres والأسطوانات .cylinders وهو الذى أسس قيمة البيتا(*) ، وتميز أرشيميديس كذلك بعمله فى البصريات والإحصاء وتوازُن السوائل هيدروستاتيكا hydrostatics والفلك والهندسة . والطنبور- إذا ما كان من اختراعه - وفيه استخدم مبدأ بسيطا لبناء آلة للرى لا تقدر بثمن . واختفى أرشيميديس فى أثناء نهب الرومان لسيراكيوز عام ٢١٢ ، بعد أن حقق أعمالا تستحق الاعتبار للدفاع عن مدينتة الأصلية.

سادسًا :

تقدم فرع آخر من العلوم تقدما كبيرا إلى الأمام فى ذلك العصر ، خاصة فى الإسكندرية ، يتمثل فى الطب وعلم الأحياء . وكان هيرونفيلوس من خالكيدون- Hero-philos of Chalcidon ، وإراسيستراتوس من كيوس Erasistratus of Ceos هما أعظم

(*) حرف الباء Π الثقيلة فى اللغة الإغريقية وعن ما قدمه أرشميديس من اختراعات للعلم. راجع التالى: Reviel Netz and william Noel, The Archimedes Code, Revealing the Blueprint. of Modern Science, Firsted. Great Britain in 2007 by Weidenfeld & Nicolson, paperback edit. in 2008 by phoenix.

اسمين فى مجال الطب فى الإسكندرية ، ونشط كلاهما فى أوائل القرن الثالث ، وأضاف هيرونفيلوس إضافات عظيمة على المعارف الإغريقية للمخ والعين والاثنى عشر duodenum ، (وهو الذى أطلق عليها هذا الاسم) والكبد والأعضاء التناسلية ، وأصبح عمله ميسرا باستخدام التشريح ، واقتبس لويد (G.E.R.Lloyd,Greek Science after Aristotle, (p.76) تقرير كيلسوس عن مدى تطبيق هذه التجارب حتى بالنسبة للأحياء :

"وبالإضافة إلى ذلك ، وحيث إن الألم ومختلف أنواع الأمراض تنشأ فى الأجزاء الداخلية ، والذين يجهلون هذه الأجزاء (يسمون دوجماتى Dogmatists)(*) لا يستطيع أى واحد منهم تقديم العلاج لها ، وعلى ذلك فمن الضرورى تشريح جثث الموتى لفحص أحشائهم وأمعائهم . وتقدم كل من هيرونفيلوس وإراسيستراتوس بأفضل طريقة : فقد قاموا بتشريح الأحياء - المجرمين الذين أخذوهم من السجن - بأمر من الملوك ووضعوهم تحت الملاحظة عندما كانوا مايزالون يتنفسون ، وراقبوا الأجزاء التى كانت طبيعتها مختفية عنهم من قبل ، من حيث موضعها ولونها وحجمها ، ونظامها ، وصلابتها ، أو لينها ، وملمسها ، وتقلص نقاط الاستمرار فى الأداء والانقطاعات والتراجعات لكل منها ، وما إذا كان أى جزء متداخلا فى جزء آخر ، أو كان يصله جزء من جزء آخر فى داخله .

(Celsus,On Medicine,1,23ff.,tr.Lloyd).

لقد أثير التساؤل عما إذا كان التشريح الآدمى vivisections الحى قد استخدم حقا فى الإسكندرية ، ولكن ليس ثمة سبب وجيه لرفض ما ذكره كيلسوس ، وقام إراسيستراتوس باكتشافات هامة ، خصوصا بالنسبة لعمليات مثل الهضم ونظام الأوعية الدموية الذى اختار له شرحا ميكانيكيا . وهو بطبيعة الحال لم يفهم الدورة الدموية ، وفى الواقع كان يعتقد أن الأوردة تحتوى عادة على هواء (ويتسرب الهواء منها وتحل الدماء محلها عند حدوث قطع -جرح -) .

وقد انتكست المدرسة فيما يبدو بعد وفاة الأستاذين ، وتحولت إلى فرق ، ولم يستمر ممارسة التشريح فيها . وتدهورت شهرة أطباء الإسكندرية مع أواخر القرن

(*) كلمة Dogmatists مشتقة من الكلمة الإغريقية δογμάτιαδ Liddell & Scott,Greek English - Lexican, Oxford 1968, p.441.

الثانى بصورة كبيرة ، إذا صدقنا ما زعمه المؤرخ بوليبيوس الذى قال :

"فى الواقع لم يكن عدد المرضى ضئيلا من الذين لم يسبق إصابتهم بمرض خطير وأوشكوا على فقد حياتهم عندما سلموا أنفسهم إلى هؤلاء الأطباء ، متأثرين بقوة بلاغتهم " (xii,25d,5) .

سابعا:

حققت الميكانيكا وتطبيق التكنولوجيا فى العصر الهيللينستى بعض التقدُّم ، ولكن مجمل ما تم تحقيقه جاء مخيبا للآمال ،وكان معروفا بالفعل فى حوالى عام ٣٠٠ أن - الرافعة البكرة ، الخابور وآلة رفع الأثقال - من بين أكثر الاختراعات التكنولوجية البارزة ؛ وأضيف إليها فى القرن الثالث فقط آلة أرشيميديس . ونحن نعتمد فى معلوماتنا عن التقدُّم المعرفى فى ميدان التكنولوجيا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على أربعة كُتاب ، اثنان منهم من العصر الهيللينستى ذاته ،والثالث من أقصى نهاية العصر ،والرابع من القرن الأول الميلادى . وينسب إلى كتيسيبيوس **Ctesibius** من الإسكندرية (٢٧٠ت) عدد كبير من الاختراعات الميكانيكية ، من بينها المضخة (الطلمبة) ، والساعة المائية وتحسينات المدفعية ؛ وعمله الأصلى مفقود ،وما زال جزء منه موجودا فى المجموعة الميكانيكية **Mechanical Collection** لفيلون البيزنطى **Philo of Byzantine** (ت حوالى ٢٠٠) ،ولدينا كتاب فيتروفيوس **Vitruvius** (ت ٢٥) عن العمارة **On Architecture** (بالإغريقية وبالعربية) من عمل هيرون السكندرى **Hero of Alexandria** (ت حوالى ٦٠ م) **On Pneumatics ,On Artillery Construction and On the Construction of Automata .** وقدم هؤلاء الكتاب جميعا صورة لها قيمة كبيرة عن المهارة والذكاء ،وعن حب الاستطلاع الأكيد عن كيفية تطوير الآلات . والسؤال الذى يطرح نفسه هو: لماذا لم يكن هناك - على الرغم من ذلك - أى برنامج مساند لتطوير العلوم التطبيقية ؟ لكن ليس من السهل الإجابة على هذا السؤال .

ويذكر بابوس من الإسكندرية **Pappus of Alexandria** ، وهو كاتب من القرن الرابع الميلادى ، فقرة اقتبسها لويد (**Lloyd, Geek Science ,pp.91-2**) يشير فيها إلى

المجالات التى اعتبر فيها كتاب عصر الإمبراطورية المتأخر الاختراعات الميكانيكية لها أهميتها ،وبعد مناقشة الفارق بين الجانب النظرى للأدوات (القياس الهندسى ، الحساب ، الفلك والطبيعة) وبين الجانب العملى (الأشغال المعدنية ،البناء ، النجارة ، الرسم ،والنشاط اليدوى المرتبط بها) وضع بابوس القائمة التالية على اعتبار أهميتها الكبيرة بالنسبة للفنون الميكانيكية وعلاقتها بالاحتياجات العملية :

١ - بناء الآلات الرافعة التى "تستخدم أقل جهد لرفع الأوزان الثقيلة جدا على عكس طبيعة اتجاهها " .

٢ - صنع الأدوات الضرورية للحرب :"الصواريخ من الحجر ، الحديد وما يماثلها التى تندفع لمسافة عظيمة بواسطة المنجنيق الذى يقومون بصنعه.

٣ - صناعة الآلات المناسبة ؛ "لأنه من السهل رفع المياه من على عمق كبير بآلات رفع المياه التى يصنعونها" .

٤-أطلق القدماء أيضا اسم صناع المعجزات الميكانيكيين على بعض الاختراعات الهوائية ، مثل هيرون Hero فى اختراعه"الآلة التى تدار بقوة الهواء "Pneumatics"، ويبدو أن آخرين قلدوا حركات الكائنات الحية فى القوة والتمطط ، كما فعل هيرون باستعمال الأحبال والأوتار فى عمله "الآلات الذاتية Automata وفى"التوازن " On Balance ، واستخدم آخرون الأجسام الطافية ،مثل أرشيميديس Archimedes فى عمله "الأجسام الطافية " On Floating Bodies ، أو الساعات المائية ، كما فعل هيرون فى الساعة المائية On Water -Clocks ، التى من الواضح أنها كانت ترتبط بدراسته عن الساعة الشمسية . sun dial

٥ - عمل الدوائر spheres ،أى على سبيل المثال "بناء نموذج للسماوات بالاستعانة بنظام الحركة الدائرية للماء (Mathematical Collection,viii 1-2).

وقد اتفقت قوائم مشابهة أخرى مع بابوس Pappus فى وضع احتياجات مجال الحرب وإنتاج "الآلات العجيبة" على اعتبار كونها ضمن الأعمال الرئيسية والأساسية لعلم الميكانيكا ؛ وأضاف إلى ذلك رفع الأثقال ،والرى ، ونوعًا من القبة السماوية البدائية planetarium ، إنها فى الواقع رؤية غريبة فى حقل ،كان يمكن إذا طور أن

يغير الإطار الكلى للحياة المادية . ولكن لماذا كانت نظرة الإغريق لإمكانية فتح المجالات للتكنولوجيا محصورة جدا هكذا على هذا النحو ؟ لذا : أولا من الإنصاف بمكان أن نلاحظ فقط أن التقدم التكنولوجى يعتمد على تضافر عدة عوامل : إن التقدم فى أحد الحقول كثيرا ما ينتعش ، بل أيضا يعتمد على التقدم فى مجال آخر . وعلى سبيل المثال ، لقد أدرك هيرون السكندرى إمكانات البخار ، بل استخدامه أيضا بطريقة بدائية لدوران كرة على محورها ، والسماح بهروب البخار من أنابيب مائلة تدمج فيها . لكن الاستخدام الفعّال للبخار كوسيلة للقوة يعتمد على القدرة على عمل أسطوانة معدنية قوية ونوع من المكبس لتغيير اتجاه القوة الدافعة فى حركة دائرية ، وذلك بدون حدوث تسرب شديد (للبخار) ، ويحتاج القيام بذلك إلى تكنولوجيا لم يتوصل إليها زمن هيرون ، وربما كان هناك عامل لا يقل أهمية وهو رخص العمالة ، التى يبدو أن المحافظة على استمرارها كانت عاملا ضئيل الأهمية . وسواء كان العمل يقوم به العبد أو الرجل الحر ، فإن ذلك لم يكن له أثر كبير فى هذا الموضوع . وقد عزز من فقد الدافع ، موقف عام محافظ لم يجعل لدى الناس رغبة فى استثمار المال فى تطوير الاختراعات التى تحتاج إلى رأس مال كبير . وأثار لويد(Lloyd(Greek Science,p.108 فاعلية هذا العامل بمقارنة السرعة التى تعمل بها طاحونة هواء بسيطة يديرها الحمير أو الخيول التى كانت منتشرة فى أنحاء البحر المتوسط فى القرن الثانى بالانتشار البطىء لطاحونة المياه المُكلفة ، التى كانت أسسها معروفة منذ أوائل العصر ، والتى انتشرت ببطء خلال القرون الثلاثة بعد الميلاد .

ويمكن تتبع الموقف الفكرى الذى يدل على ذلك فى حالات عديدة . أولها هو الازدراء الكلاسيكى للعمل اليدوى والصناعات اليدوية ، التى ظهرت لأول مرة فى القرن الخامس طبقا لهيرودوت (Herodotus II,166-7) ، وكان يضطلع بها البرابرة كما يعتقد ، وأيا كان أصلها الحقيقى فإن ذلك الازدراء يستحق الاعتبار لدى أرسطو الذى جاءت ملاحظته بأنه:

"مما لا شك فيه أن طبقة الحرفيين كانت فى العصور القديمة من العبيد أو الأجانب ؛ ولذلك فإن معظمهم الآن هم كذلك بالفعل ؛ ولن تقبل أفضل أشكال الدولة حصولهم

على الجنسية". (Politics,iii,5,3,1278a)

ومن المثير أن نجد أن بلوتارخ يرجع هذا الموقف إلى أرشيميديس نفسه ، وعلماء ومهندسي موطنه في سيراكيوز .(راجع ص ٢١٧).

"كان أرشيميديس يمتلك تلك الروح المتعالية ، المتبحرة في العلم ، وهذا الثراء في النظرية العلمية الذي على الرغم من اختراعاته التي جعلت لاسمه مكانة وشهرة كرجل خارق الذكاء ، فإنه لم يهتم بترك أي رسالة عن ذلك الموضوع ،لأنه كان يعتبر عمل أي مهندس وكل فن يساعد في ضروريات الحياة عملا حقيرا ودونيا ؛ لذلك كرس كل جهوده لتلك الدراسات الدقيقة والرائعة التي لا تتأثر بمطالب الضروريات" (Marcellus,17,3) .

وعلى أي حال يجب علينا قبل تحديد الأهمية الكبيرة لهذا العامل أن نضع في ذهننا أن الآراء التي تم التعبير عنها هنا ربما تكون هي آراء بلوتارخ نفسه أكثر من كونها آراء أرشيميديس ، وإضافة إلى ذلك فإنه على الرغم من وجود هذه الآراء دون شك بين الطبقة العليا في المدن الدول ، فقد كانت موجودة بدرجة أقل بين العلماء والعاملين في الصناعات اليدوية أنفسهم ،وفي كل الأحوال كانت أقل ظهورا في الملكيات الجديدة ،خصوصا في مجال العلم العسكري (راجع أدناه).

ومع ذلك ،فإن إزدراء الجوانب العملية "والفنون التي تخدم مطالب الحياة" واصلت وجودها مما سيكون له دوره دون شك في إعاقة التقدم التكنولوجي . فقد كان ممارسة الزراعة وتعبير الأغنياء عنها ، تتلاءم ومجموعة القيم التي اعتبرت الثروة هي وسيلة تحديد الوضع status والمكانة الاجتماعية ،وأن ملكية الأرض أفضل طريقة لتحقيق تلك الرغبة ؛ولذلك لم يكن هناك تصور "لزيادة الإنتاج "، وبالتالي لم يكن هناك برنامج منظم لمحاولة تحقيق ذلك ،ولقد مال المخترع نفسه لتقدير المعرفة لمصلحته الشخصية أكثر من الفوائد التي يمكن أن تعود منها على البشرية بصفة عامة أو حتى على بني وطنه بطريقة أكثر خصوصية .

ثامنا:

على أى حال كان هناك مجال واحد حدث فيه تطور تكنولوجى ملحوظ فى فترة زمنية قصيرة ، فقد أدى انشغال الملوك الهيللينستيين الدائم بالحرب إلى تشجيع المهندسين العسكريين وإلى اختراع المزيد من المدافع القوية والمُتقنة ، وبالتالى كلما كانت المدافع قوية وأكثر تدميراً كان على الدفاعات مواجهة ذلك . وكان دياديس Diades كبير المهندسين فى جيش الإسكندرية والمسئول الفعلى عن عدة اختراعات مثل الأدوات المتنقلة والمحمولة لحصار القلاع ،كما حَسن أجهزة الكُلاب grappling- engines ، وبنى المهندس الآخر بوسيدونيوس Poseidonius منصة حصار siege - tower شديدة التعقيد ؛ وعمل هؤلاء الرجال فى قسم من الجيش المقدونى أنشأه فيليب الثانى ،وكان مسئولا بالفعل فى عهده عن التقدم الكبير فى أدوات تحريك المنجنيق torsion catapults.

أصبحت الإسكندرية فيما بعد مركزًا لتطوير هذه الأجهزة ، وأوضح مارسدين E.W.Marsden فى دراسته لتاريخ المدفع القديم أن مشكلة اختراع معادلات تدرج المقاييس فى الآلات كانت للحصول على الدقة للمستوى المطلوب لوزن مُحدد لقذيفة الآلة التى تم حلها فى بلاط بطلميوس ،ربما حوالى عام ٢٧٥ . إن هذه الفقرة فى عمل فيلون "عن بناء المدفعية On Artillery Construction التى تصف ذلك ذات أهمية خاصة :

"كان بعض المهندسين فى طريقهم فى العصور القديمة إلى اكتشاف أن القاعدة الأساسية ووحدة القياس لبناء المحركات هى قطر دائرة diameter الفتحة (التى يمر من خلالها سلك ملتو skein يعمل مثل عمل القاذوف spring)،وكان يمكن الحصول على ذلك ، ليس عن طريق الصدفة أو المجازفة ، ولكن على أساس طريقة مقننة يمكن أن تؤدى إلى نتيجة صحيحة تتناسب مع كل الأحجام ،وكان من المستحيل الحصول عليها بدون زيادة التجارب وإنقاص حدود الفتحة أو الثقب the perineter of the hole . ولم يصل المهندسون القدماء إلى رأى نهائى بطبيعة الحال ، وكما أقول،فإنهم لم يحددوا الحجم ؛ لأن تجربتهم لم تكن تعتمد على أساس عملى ؛ ولكنهم قرروا فيما يجب النظر فيه فقط . واستنتج المهندسون بعد ذلك نتيجة الأخطاء السابقة ، النظر بدقة فى السبب

الأساسى مع إجراء تجارب تالية لترشدهم ، ووضعوا القاعدة الرئيسية للبناء التى تسمى مقياس قطر الدائرة Diameter التى تُمسك الزنبرك spring، وتمكن الحرفيون فى الإسكندرية من تحقيق ذلك أولا ، وقدمت لهم مساعدة كبيرة ؛ لأنه كان لديهم ملوك طموحون يشجعون العمل اليدوى ." (50.14-29,tr.Marsden)

تقدم تلك الفِقرة الدليل على الجهد الموحد فى البحث الجماعى الموجه إلى نهاية محددة ، وكانت السلطة الحربية أساسية بالنسبة للملوك للحفاظ de facto على توازن القوى على الأقل (أو إذا أمكن للإزعاج) . ولم تحركهم القواعد النظرية فقط ولكن حاجات الدولة الضرورية ، وكانت الحرب أساسية وجوهرية لجميع القوى الكبرى للعصر الهيللينسيتى ، وليس من قبيل المفاجأة انعكاس ذلك على رعاية التكنولوجيين العسكريين وتوجيههم .

تاسعا :

على أى حال حققت التكنولوجيا فى ميادين أخرى تقدما أعرج ثم تراجعت أخيراً ، وكانت أسباب ذلك متشابكة ، ويرجع أحد هذه الأسباب بدون شك إلى أنه كان يوجد هناك اهتمام ضعيف بالتكنولوجيا كما سبق أن رأينا ، لكن ربما شارك فى ذلك القصور العام خلال العصر الهيللينستى المتأخر فى الرؤية المعقولة التى تبدو جوهرية للتقدم فى كل من العلوم النظرية والتكنولوجية ، وهو التطور الذى سيكون محل اهتمامنا فى الفصل الثانى عشر ، فلم توظف الفلسفة الإغريقية فى ذلك الوقت لمساعدة العلماء ، وكما سبق أن رأينا (ص ص ٢٠٧ وما يليها)، فإن كلا من الأبقورية والرواقية ، وهما المذهبان الرئيسيان فى ذلك العصر ، همّشا مشكلة فهم عالم الطبيعة لكى يتحقق السلام العقلى ؛ إذ كان هدفهما أخلاقيا ، وفكرا فى تحقيق المنفعة الشخصية لأتباعهما ، فى حين تناول الفلاسفة المبكرون قبل سقراط جميع أنواع المعارف على أنها ميدان لهم ، وحصر معظم (وليس الجميع فى الحقيقة) فلاسفة العصر الهيللينستى أنفسهم فى أهداف ضيقة ، كانت فى حقيقتها ضارة بالتقدم العلمى .

وكثيرا ما أصبح العلم نفسه فى ذلك الوقت خادما لادعاء العلم pseudo- science كان بوسيدونيوس من أباميا Poseidonius of Apamea فى القرن الأول (١٣٥-٥٠) متعدد العلوم والمعارف ، واستقر أخيرا فى رودس (راجع ص ١٩) ، وهو يُقارن فى بعض الوجوه مع إيراتوستينيس Eratosthenes ، ولكن اهتمامه بالفلك كان لمساعدة الأفكار التنجيمية التى تأصلت entrenched برسوخ فى نظامه الفلسفى - وعلى ذلك ربما يكون من المفيد أن نتذكر أنه حتى هيبارخوس Hipparchus كان يعتقد بالتنجيم (راجع ص ١٨٠) ، ولدينا مثال جيد سجله أوجستين Augustine يقول فيه :

"روى شيشيرون Cicero أن هيبوكراتيس Hippocrates الطبيب المشهور ترك تقريراً عن كيف أنه إذا مرض شقيقان فى نفس الوقت ، واشتد مرضهما ثم بعد ذلك تم شفاؤهما فى الوقت نفسه ، كان يشك فى أنهما توأمان ؛ لكن بوسيدونيوس الرواقى ، الذى كان يؤمن لدرجة الإدمان بالتنجيم ، كان يُصر على أنهما ولدا -وحملت بهما أمهما - فى أثناء تشكيل نفس صورة النجوم ، لذلك فإن ما يعتقد الطبيب أنه يرجع للتشابه الكبير فى نظام جسدهما ، كان المُنجم يعتقد أنه يرجع إلى قوة تشكيل النجوم الموجودة فى وقت الحمل فيهما ووقت ميلادهما". (City of god ,V,2=Edelstein And .Kidd,Poseidonius,fg.111)

إن الرأى المعلوم جيدا اليوم سيعتبر كلا من التفسيرين غير متكامل : لكن الخلاف فى التعامل يعكس طريقتين مختلفتين تماما للنظر إلى طبيعة العالم ، ووضع الإنسان فيه . إن التبديل من واحدة إلى أخرى كان تطورا ضارا بالعلم .

عاشرا:

قمنا فى هذا الفصل بالنظر باختصار فى بعض العلوم النظرية والعملية التى حققها العصر الهيللينستى ، وهى فى الواقع فى غاية الأهمية ، وكما سبق أن أوضح لويد (Greek Science,pp.177-8) Lloyd فإنه قد تم بالفعل اكتشاف قاعدتين حيويتين

للبحث فى العصر السابق على أرسطو ، وبالتحديد فى استخدام الحساب فى منهج البحث فى الظواهر الطبيعية ، وفكرة البحث التجريبى لاكتشاف الحقيقة . كان العصر الهيللينستى مُهما للقيام بتطوير هذه الأفكار وتطبيقها فى مجالات الأنشطة العلمية ، وقد تم إنجاز قدْر كبير فى هذا المجال ، وإذا تعجب المرء لبعض الوقت بسبب التحديد غير المتوقع ، فإن السبب لا يرجع إلى أى فشل فى الإدراك العقلى أو افتقاد الخيال المبدع ، لكنه يرجع أكثر - بالرغم من وجود تلك المؤسسات مثل المتحف Museum فى الإسكندرية - إلى غياب القيادة المنظمة المختصة التى يقودها المجتمع ككل ، وذلك لم يكن ممكنا نظرا للأسباب التى ذكرناها .

الفصل الحادى عشر
حدود العالم الهيللينستى : دراسات جغرافية
The Frontiers of the Hellenistic World
Geographical Studies

حقق العصر الهيللينستى تمددا واسعا للمساحات المحتلة بدرجة كثافة أكبر أو أقل على يد الإغريق ، ولكن المناطق التى تقع فى الشرق وإلى الجنوب الشرقى منها لم تكن محددة بحدود واضحة تماما . وتميزت القرون الثلاثة التى نقوم بدراستها بقدر كبير من الكشوف والتجارة فى المناطق التى تقع بعيدا خلف الأقاليم التى احتلها الإغريق ، وبالتبادل الثقافى الذى حدث ولاحظناه فى آسيا الصغرى وإيران وباكتريا ومصر ، وبدرجة أقل مع العربية Arabia والهند India .

أولا:

تشابكت الدوافع التى وقفت خلف الكشوف الإغريقية ، فكان هناك عنصرالرغبة فى الاستطلاع العلمى ، والبحث عن الثروة أيضًا ، وعن سلع مستحدثة ، ومناطق جديدة للتجارة ، وحركت حملات الإسكندر نفسها الاهتمام بأقصى بلاد المعمورة بعدا ، وتضخمت النتائج التى حققها الإسكندر على يد خلفائه من بعده ، ولم يفقد السيلوقيون اهتمامهم بالشرق الأقصى ومنتجاته بعد فقدهم الولايات الشرقية لصالح إمبراطورية الماوريان Mauryan Empire فى وقت مبكر . فقد تمسكوا بها وفكروا فى إقامة عَلاقات مع بعض المناطق التى لم يسبق للإسكندر أن قام مطلقا بالسيطرة عليها ، وقد سمعنا عن حملة فى عهد سيليوقوس الأول (ت ٢٨١) ، أو أنطيوخوس الأول

(٢٨١-٢٦١) إلى إقليم جاكسارتيس Jaxartes سيرداريا الحديثة Syrdarya بقيادة ديموداماس من ميليتوس Demodamas of Miletus ، الذى شيد هناك "مذبحًا للإله أبولون من ديديما Apollo of Didyma " (Pliny,Natural History vi ,49) ، وكانت هناك محاولة لاكتشاف بحر قزوين بإشراف ضابط سيلوقى آخر اقتفاء لخطة الإسكندر ، وهو باتروكوليس Patrocles ، الذى نشر عملا جغرافيا حوالى عام ٢٨٠ أشار الكُتاب المتأخرون إليه فيما يتعلق بالمسافات بصفة رئيسية ، كما ضم الكتاب فقرات وصفية ، وعلى أى حال فقد كان يعتقد أن نهر أوقوس Oxus الذى يصب فى بحر قزوين (Strabo,xi,7,3) كان فرعًا من المحيط الشمالى (Strabo,ii,1,17) ؛ و لذلك ربما لم يُنظر إلى - عمل - باتروكولوس على أنه كان على درجة كبيرة من الدقة .

أرسل سيليوقوس الأول فى فترة مبكرة نسبيا ميجاستنيس Megasthenes نيابة عنه لزيارة إمبراطور الماورنيين شاندراجوبتا Chandragupta فى بتاليبوترا Pataliputra على نهر الجانجيس Ganges ، وكتب ميجاستنيس كتابا عن الهند ، وعلى الرغم من زعم استرابون من أنه كاذب (ii,1,9) ، فقد تضمن قدْرا كبيرا من المعلومات التى يمكن الاعتماد عليها ، من بينها وصف نظام الطبقات caste system ، الذى وصلنا فى رواية ديودوروس (ii,40-1). كما ذكر-جزيرة - سيلان Ceylon (تابروبانى Taprobane) . وعَبر الإغريق مرة أخرى إلى الهند من خلال باكتريا عقب سقوط إمبراطورية الماوريين عام ١٨٤ ، ولكن لم يقدر لهم جمع قدر كبير من المعلومات الفرعية عن شبه القارة ؛ لأن الفتوحات الفارسية سريعا ما أدت إلى تقليص هذا الاتصال بوضعها حاجزا بين إغريق الشرق الأقصى وبين المملكة السلوقية.

وجاءت أهمية الهند بالنسبة للغرب من تجارة التوابل spices ومنتجات الترف precious goods ، واهتم كل من السلوقيين والبطالمة مثلهم بتأمين هذه البضائع والأرباح التى كانت تعود عليهم منها . وكان الطريق الرئيسى من الهند عن طريق البحر من نهر هندوس Indus ثم على طول سواحل بلوخستان Baluchistan

ثم صعوداً إلى الخليج الفارسى إلى سيلوقية على دجلة Seleuceia -on-the-Tigris ، التى كانت تمثل هى أيضا محطة لنهاية الطريق البرى القادم من الغرب عبر هندو- كوش Hindo-Kush ومدن باكترا Bactra وهيكاتومبيلوس Hecatompylus التى تقع الآن فى شمال إيران . ومن سيلوقية كان يتم اختيار أحد الطرق ، إما باستخدام طريق الفرات أو طريق دجلة للوصول إلى البحر المتوسط عبر أنطيوخ Antioch ، وبعد ذلك تنقل البضائع من أنطيوخ براً عبر طورسوس Tarsus وأباميا Apamea فى فريجيا Phyrgia للوصول إلى البحر الإيجى وإفسوس Ephesus ، وقد وقع هذا الطريق التِّجارى تحت سيطرة السيلوقيين ، وكان يخضع لبعض الضغط من البطالمة حتى انتصار أنطيوخوس الثالث فى معركة بانيوم Panium عام ٢٠٠ الذى حول جوف سوريا Coele -Syria إلى ولاية سيلوقية ، أما من جانب البطالمة فقد كان لديهم وسيلة أخرى للحصول على البضائع الشرقية عن الطريق البحرى ، و اعتمدوا عليه بصفة كلية بعد معركة بانيوم ، وكانت الرحلة تغطى كل الشاطئ الجنوبى لشبه الجزيرة العربية على طول طريق عدن ، حيث تدخل البضائع الهندية وتجارة التوابل إلى العربية بصفة خاصة . وكتب استرابون" (Strabo,xvi,4,19) أن السبئيين هم قبيلة كبيرة تنتج بلادهم المر myrrh والبخور frankincense والقرفة cinnamon ؛ ويوجد لديهم البلسم balsam على الساحل" كان (السبئيون) يقطنون ما يعرف باليمن الآن ، وكانت كل من البضائع السبئيية والهندية تأتى بالقوافل من عدانا Adana (عدن Aden الحديثة) وتتجه إلى الشمال عبر العربية لتصل إلى البتراء Petra مدينة الأنباط ، ومنها تواصل سيرها إلى رباتامانا Rabbatamana ، وجيراسا (جرش) Gerasa وبطلمية Ptolemais فى فلسطين أو إلى السويس Suez والإسكندرية . وأدى فقدان البطالمة لجوف سوريا عام ٢٠٠ إلى حرمان البطالمة من الاقتراب من القسم الشمالى لهذا الطريق ، الذى أصبح يخدم الآن دمشق Damasscus وأنطيوخ Antioch ، وأرغمهم ذلك على البحث عن اتجاه آخر والاستفادة من الطرق الأخرى التى تم فتحها إلى البحر الأحمر فى القرن السابق(*) .

(*) عن التجارة الشرقية ونشاط البطالمة فى البحر الأحمر ؛ راجع كرون (باتريشيا) ، تجارة مكة وظهور الإسلام، ترجمة ودراسة آمال الروبى ، مراجعة محمد إبراهيم بكر ، القاهرة ٢٠٠٥ ،ص ١٠٩ -١٥٧ ؛ وعن دور الأنباط فى نقل البضائع الشرقية من رأس البحر الأحمر إلى البحر المتوسط راجع : بورسوك (جلين)، الأنباط ، ولاية الرومان العربية ، ترجمة الروبى (آمال محمد) ، مراجعة محمد إبراهيم بكر ، القاهرة ٢٠٠٧ (المترجمة) .

وقد أصبحت الحدود الجنوبية لمصر تقع أبعد شمالا مما كانت عليه فى عهد الفراعنة الوطنيين . وأصبحت الحدود عند أسوان ، و اعتبرت المنطقة السفلى من النوبة كمنطقة عازلة buffer zone بين مصر والمملكة المروية (الكوشية) Ethiopian Kingdom of Meroe (جنوب الشلال الثانى)(*) وسجل استرابون (Strabo,ii,1,20) بعثة كشفية وصلت بعيدا حتى مروى بإشراف شخص يدعى فيلو Philo فى أوائل القرن الثالث ، ولكن أدى قيام ثورة وطنية فى المرحلة بين ٢٠٦-٢٠٥و١٨٧-١٧٦ إلى اقتطاع كل الجزء الجنوبى من مصر والمنطقة التى تقع خلفها عن الإسكندرية ، ووضع حد لهذا الانشقاق بهزيمة آخر المدعين المصريين ، خاؤنوفريس Chaonnophris فى عام ١٨٠ ، وكان توسع البطالمة والكشوف التى حدثت فى جنوب الصحراء الشرقية على طول البحر الأحمر تعد أكثر أهمية من ذلك بالنسبة للتجارة البطلمية .

بدأ ذلك واستمر خلال حكم البطالمة الأربع الأوائل . وارتبط جزئيا بالبحث عن طرق تجارية بديلة تتحول إليها التجارة العربية الكثيفة والسرية لجنوب العربية(**) ، بل ارتبط أيضًا بصيد أكثر للفيلة ، ومنذ معركة الإسكندر مع بوروس Porus على نهر هيداسبيس Hydaspes (جهلوم Jhelum) ، أصبح من الملاحظ زيادة قيمة الفيلة كسلاح حربى ، وغدا وجودها مطلوبا كمظهر للمكانة الاجتماعية فى الجيوش الحديثة . ولقد حُرم البطالمة ، مثل سيليوقوس الأول ، من الحصول على احتياجاتهما من الفيلة من الهند ؛ لذلك كان على البطالمة الحصول على الفيلة الإفريقية من الصومال . وزخر الشاطئ الغربى للبحر الأحمر بفضل المكتشفين بسلسلة من الموانئ . كان هناك فيلوتيرا Philotera "مدينة تروجودتيس Trogodytice التى أسسها ساتيروس Satyrus

---

(*) هى مملكة كوش فى السودان الشمالى ، وكانت عاصمتها مروى حينذاك (المراجع) .

(**) اعتقد بعض الكتاب الكلاسيكيين بأن عرب جنوب العربية أخفوا مصادر بضائع الترف الشرقية التى كانوا يقومون بنقلها إلى شمال غرب الجزيرة العربية عن التجار الأجانب للمحافظة على نشاطهم التجارى ، وهو أمر غير مستبعد نظرا لتنامى الأطماع الأجنبية فيها منذ العصر الهيلينستى (المترجمة) .

الذى أرسل لدراسة مدينة تروجودتيس وصيد الفيلة" . (Strabo,xvi,4,5) وعُرف قائد بطلميوس الثانى هذا بتكريسه إهداء إلى الملكة أرسينوى فيلاديلفوس Arsinoe Phila-delphus عثر عليه فى ريديسيجى Redesije فى طيبة (OGIS,30) . ولحق بتأسيس فيلوتيرا سلسلة مدن أخرى ، تحمل أسماء الأسرة الحاكمة بصفة عامة - أرسينوى ، تروجودتيس Trogodtice ، برنيس تروجودتيس Berenice Trogodytice ، وبطلميوس صائد الفيلة فى حين كان ميناء ميوس هرموس Myus Hormus ، الواقع أبعد شمالا ، استثناء من ذلك . وأخيرا كان هناك صف من المستوطنات على ذلك الساحل وصل حتى مضيق باب المندب .

ترك صائدو الفيلة إهداءات أيضا . وعثر على واحد منها فى إدفو Edfu قُدم إلى بطلميوس الرابع (٢٢١-٢٠٤) وملكته :

"إلى الملك بطلميوس والملكة أرسينوى الإلهين المحببين لوالدهما ، ولسيرابيس ، وإيزيس ، [أقام النُّصب] ليخياس بن بيرهوس ، الأكرانانى ، الذى أرسل كضابط قائد لصيد الفيلة للمرة الثانية (OGIS,82) .

وصف بوليبيوس فى تقريره عن الحرب فى معركة رفح Raphia بين بطلميوس الرابع وأنطيوخوس الثالث عام ٢١٧ ، كيف اشتركت الفيلة من الجانبين فى المعركة وحاربت فى بعض الأحيان رأسا برأس.

"لكن معظم فيلة بطلميوس رفضت النزال ، كما هى عادة الفيَلة الإفريقية ؛ لعدم قدرتها على تحمل رائحة ونفير الفيلة الهندية وفزعها منها ، وأزعم أن ذلك كان أيضا بسبب كبر حجمها وقوتها ؛ لذلك كانت الفيلة الإفريقية تدير ذيلها وتهرب فورا قبل الاقتراب منها (V,84,5) .

كانت تلك هى النظرة المتحفظة للرأى القديم لسنوات عديدة ، والتى ربما ترجع إلى مؤرخى حملة الإسكندر ، وقد رُفضت لأنها مغلوطة ، حيث إنه تم الاتفاق على أن الفيلة الإفريقية أكبر حجمًا من الهندية ، ولوحظ منذ عام ١٩٤٨ ، عندما قام سير وليام جوورس William Gowers بنشر مقالته العلمية عن الموضوع فى مجلة الشئون الإفريقية African Affairs (1948),pp.173ff. ، أن فيلة بطلميوس لم تكن تأتى من مراع فسيحة متنوعة ، لكنها كانت تأتى من مراع أصغر حجما تسمى غابة الفيلة ، وكانت

حشائشها أقصر قدما فى الارتفاع . وعلى ذلك يكون تقرير بوليبيوس ثبتت صحته .

خدم توسع بطلميوس جنوبا على امتداد ساحل البحر الأحمر ضرورات التجارة ، وفى نفس الوقت الحصول على الفيلة للجيوش البطلمية ، وربُطت الموانئ الجديدة بالطرق التى يمكن استخدامها لإنزال البضائع من الشرق وإرسالها بعد ذلك غربا عن طريق القوافل إلى النيل لتركب النهر حتى الإسكندرية ، ويخبرنا نقش عمود بيثوم Pithom أيضا ، أن بطلميوس الثانى فيلاديلفوس افتتح عام ٢٧٠-٢٦٩ القناة الفرعونية القديمة التى كانت تمتد من النيل عند بوبسطة Bubastis إلى البحر الأحمر عند بيثيوم . (ZÄS,40 (1902),66-75) على طول خط قناة المياه العذبة الحديثة (ترعة الإسماعيلية) ، وقدم ذلك طريقا مائيًا بديلاً ، لكن يبدو أنه لم يكن يستخدم كثيرا ، وبعد أن فقدت مصر جوف سوريا اعتمدت كلية على الطريق الجنوبى لتجارة الشرق الأقصى ، واستفادت هذه التجارة من اكتشاف الرياح الموسمية ، الذى تم فى سلسلة من الخطوات فى المرحلة بين نهاية القرن الثانى وبداية عصر المواطن الأول (عام ٣٠) ، وتتبع بلينى فى تقريره أربع مراحل فى تطور الإبحار فى أثناء هبوب الرياح الموسمية إلى الهند والعودة منها . لكن مما يؤسَف له أنه لا يمكن تأريخها على نحو مؤكد . كما أنه لا يمكن التقريب بينها وبين روايتين مشهورتين يتم الربط فى العادة بينهما وبين اكتشاف الرياح . الأولى ينسبها سترابون إلى بوسيدونيوس Poseidonius ، بخصوص كيزيكينى Cyzicene المسمى يودوكسوس Eudoxus الذى قام فى الأصل بالاستعانة بإرشاد بحار هندى نجا من سفينه جانحة ، وتمكن من القيام برحلتين إلى الهند ، الأولى فى عهد بطلميوس يورجتيس الثانى (ت١١٦) ، والثانية فى عهد كليوباترا الثانية أو الثالثة ، وسوتير الثانى (١١٦-١٠٨) ؛ وفى كلتا الحالتين جُرد من شحنته التجارية (صودرت) طبقا للقوانين البطلمية . والرواية الثانية ترتبط بالعمل الذى لا اسم لصاحبه والمعروف باسم" الطواف حول البحر الإرترى The Coastal Voy- age of the Erythraean Sea " فى القرن الأول الميلادى ، وهو الاسم الذى أطلقه الإغريق على ما يعرف الآن بالبحر الأحمر ، بحر العرب والخليج الفارسى .

"لقد اعتادوا على الإبحار على طول الساحل من قنا Cane إلى العربية السعيدة Arabia Felix في قوارب صغيرة ، وكان الملاح هيبالوس Hippallus هو أول من اكتشف موقع الموانئ وتكوين المحيط ؛ لذلك اكتشف الطريق المباشر إلى المحيط ، وذلك بينما تهب الرياح الشرقية معنا ، تندفع الرياح الجنوبية الشرقية فى المحيط الهندى ، التى تسمى هيباللوس(51 §) .

ويبدو من المحتمل أن اكتشاف هيباللوس للطريق المباشر عبر المحيط كان ينتمى إلى مرحلة تالية ، ربما أن آخرها هو ذلك الذى يشير إليه بطلميوس . لكن يبدو أن رحلة يودوكسوس Eudoxus قد تطابقت مع عصر كان له اهتمام عظيم بالتجارة الشرقية يدل عليه تعديل لقب حاكم – إقليم – طيبة Thebaidإلى حاكم عام epistrategos.

من المعروف من نقوش من أوائل القرن الأول وربما منذ أواخر القرن الثانى أن هذا الموظف البطلمى المهم مُنح لقبًا إضافيًا هو "قائد البحر الأحمر والبحر الهندى " ، ويبدو أن إدخال اللقب الجديد وضع فى الاعتبار نمو التجارة البحرية الهامة مع الهند ، على الرغم من غياب الدليل الإيجابى الذى قاد الباحثين إلى الاختلاف بشدة حول حجم التجارة التى استخدمت هذا الطريق . وأصبح أخيرا فى الإمكان استخدام الرياح الموسمية بالكامل فى كل اتجاه ، للقيام برحلة دائرية إلى ساحل مالاابارMalabar فى خلال سنة ، ولكن يبدو عدم حدوث ذلك على نطاق كبير ، حتى أوائل عصر الإمبراطورية الرومانية .

وفى الوقت نفسه ظل حجم التجارة فى البحر الأحمر ومن خلاله كبيرا . وسجلت بردية (SB,7169) من منتصف القرن الثانى قرضا بحريا لتمويل رحلة "إلى بلاد إنتاج التوابل "عن طريق شخص يدعى أرخيبوس يوديموس Archippus son of Eudemus تم ترتيبه عبر أحد رجال البنوك الإيطاليين ، ويدعى جنايوس Gnaeus ، وكان يوجد بدون شك فى الإسكندرية . ولعلنا نترك هذا الجانب من التجارة البطلمية والكشوف بإلقاء لمحة سريعة عن إهداء من عام ١٢٠ يقول :

"[قدم هذا النقش] نيابة عن الملك بطلميوس يورجتيس الثانى وزوجته الملكة كليوباترا ، الإلهين الخيرين ، وأبنائهما ، من سوتيريخوس بن إكاديون من جورتين Soterichus son of Icadion of Gortyn ، أحد رؤساء هيئة الحراس ، الذى أرسله باؤوس Paos ؛ نسيب حاكم عام- إقليم - طيبة ليصبح مسئولا عن جمع الأحجار الكريمة وعن الملاحة و قوافل الطيوب وشحنات البضائع الأجنبية الأخرى من قفط Coptos(OGIS,132) .

كان سوتيريخوس ضابطًا مرتزقًا من كريت ومسئولا عن سلامة وصول القوافل من موانئ البحر الأحمر مثل برينيس Berenice وميوس هورموس Myus Hermus وليوقوس ليمن Leukos Limen على البحر الأحمر عن طريق قفط Coptos إلى النيل وتأمين سلامة تجارة البحر الأحمر .

ثانيا:

قمنا حتى الآن بالنظر فى الكشوف والتجارة نحو الشرق والجنوب الشرقى ، وفى مطلع العصر الهيللينستى ، ربما حوالى عام ٣٢٠ تم القيام بعمل بحرى مذهل فى المحيط الأطلنطى على يد بيثياس Pytheas ، وهو قبطان بحرى من ماساليا Massalia (مارسيليا Marseille) ، وتعتمد معلوماتنا عن هذه الرحلة على إشارات عدد من الكتاب إليها واسترابون بصفة خاصة ، فى مناقشة له فى متن الكتاب معترضا على بوليبيوس الذى كان تقريره هو مصدر سترابون ، وعلى الرغم من وجود اعتراض على كثير من تفاصيل الرحلة ، وعلى وجه التحديد فيما يتعلق بالأرض الغامضة التى تسمى ثولى Thule ، التى قد يكون بيثياس سمع عنها ، والاحتمال الأكبر قيامه بزيارتها ، وكتب بيثياس نفسه عن ثولى التالى:

" أطلعنا البرابرة عن مكان مراقبة الشمس فى الليل ؛ لأن الليل حول هذه المناطق قصير جدا ، ويبلغ ساعتين فى بعض الأحيان ، وفى أحيان أخرى ثلاث ساعات ؛ لذلك تمر فترة قصيرة بين غروب الشمس وشروقها مرة أخرى (Geminus,6,9) .

يتطابق ظهور شمس منتصف الليل الصيفية بعد ساعتين أو ثلاث ساعات ، مع ارتفاع ٦٥ درجة* ، ولكن سواء كانت ثولى هى جزيرة أيسلاند Iceland وفاروِيس Faroes وشيتلاند Shetland أو الساحل النرويجى فهى موضع خلاف ، وكان لدى بيثياس المزيد ليقوله عن منطقة القطب الشمالى حيث ذكر أنه :

" لا يوجد هناك أراض صالحة أو بحر أو جو ، ولكن نوع من مزيج مركب من العناصر الثلاثة معا له سُمك هلامى تعوم فيه الأرض والبحر ، وهو الوسط أو البيئة التى لا يمكن للفرد السير فيها أو الإبحار عليها ، ولذلك نقول إنه المكان الذى يجمع كل هذه الصفات معًا (Strabo ,ii,4,1,based on Polybius) .

من الصعب أن نرى ماذا كان يصف بيثياس بالتحديد . وتتدرج الفروض بين خليط طينى من الثلج والمياه إلى وميض فسفورى phosoresscence ، إلى انعكاس ضوء القطب الشمالى the aurora borealis ، والمياه الضحلة ، أو إنه بمثابة تخيل illusion مرّ به رجال كانوا يجدفون فى بحر يغطيه الضباب .

لذلك فنحن غير متأكدين من التفاصيل التى تبدو كما لو أن بيثياس كان منطلقا من جاديس Gades (قاديز الحديثة Cadiz) مبحرا شمالا على طول الساحل الإسبانى وغالة Gaul (فرنسا) إلى جزيرة يوشانت Ushant فى بريتانى Brittany ومن هناك وصل إلى بيليريون Belerion غرب رأس جبل كورنول Cornwall (نهاية الأرض) ، فى أربعة أيام . ومن هناك واصل طريقه شمالا فى طواف بحرى حول بريطانيا فى اتجاه عقارب الساعة . وجمع فى طريقه معلومات عن الأراضى البعيدة ، والأوركنيس Orkneys والشتلاندس Shetlands ، وكما سبق أن رأينا فإنه وصل إلى خط طول قريب جدا من ذلك الخاص بشمس منتصف الليل(*) ، ومن المحتمل أنه فى طريق عودته إلى وطنه عبر القناة (ربما يقصد بحر المانش) من جنوب فورلاند Foreland مواصلا رحلته إلى أعلى ساحل

(*) سبق لمترجمة هذا النص أن شاهدت هذه الظاهرة الفلكية الفريدة " شمس منتصف الليل" فى النرويج فى أثناء زيارتها لها عام ١٩٩١ ، وفيها تغرب الشمس فى الليل أواخر شهر يوليه لمدة ساعتين فقط .

أوروبا – ربما بعيدا حتى جوتلاند Jutland ، لكن ذلك الأمر غير مؤكد . وبالرغم من أن بيثياس كان تاجرا ، فإنه كان مهتما برسم الخرائط العلمية التى تَحَمل مَشقة حملها فى أثناء الرحلة ، وقام بعد ذلك بتسجيلها بالمسافات فى كتاب بعنوان" فى المحيط "On the Ocean

قوبل بيثياس مثل رواد كُثر بقدر كبير من عدم التصديق ، ولكن ديكايرخوس Di caearchus وتيماايوس Timaeus وإيراتوثينيس Eratosthenes قبلوا كشوفه واستخدموها ، ولكن كان القدر الأكبر من الاستقبال معاديا له ، وتعد ملاحظات بوليبيوس المتعالية نموذجًا للمعترضين فى هذا المجال عن عدم إمكانية قيام"شخص بمفرده ورجل فقير بقطع مثل هذه المسافة الشاسعة على ظهر سفينة وعلى الأقدام (Polybius mxxxiv,5,7-Strabo,ii,4,2) . لقد كان لدى بوليبيوس أسبابه الخاصة لتحدى أى مكتشف منافس له فى الأطلنطى . فقد قام هو نفسه بالمشاركة فى مهمة فى الكشوف هناك ، وكان يريد فى الواقع أن يقدم صورة عن نفسه على أنه أوديسيوس Odysseus الثانى ، وأكثر من ذلك فقد كان هو الذى غامر بالخروج من منطقة أعمدة هرقل Pillars of Heracules (عند جيبرلتار = Gibraltar جبل طارق) . ومعلوماتنا عن رحلة بوليبيوس التى قام بتنفيذها برعاية القائد الرومانى الكبيرسكيبيو أيميليانوسScipio Aemilianus جاءت فور قيام الأخير بتدمير قرطاجة عام ١٤٦ ، وتعتمد(معلوماتنا) على فقرة وردت لدى بلينى(Pliny,Natural Hisory,v,9) يخبرنا فيها :

"أنه عندما كان سكيبيو أيميليانوس مطلعا بالقيادة فى أفريقيا قام المؤرخ بوليبيوس برحلة رباعية squadron جهزها القائد بهدف اكتشاف تلك القارة".

ومن سوء الحظ أن بعض مخطوطات بلينى (وليس جميعها) تضمن جملة تذكر أجريبا Agrippa (صديق الإمبراطور أغسطس) الذى فى حالة قبولها على أنها أصلية ، سيترتب عليها حقيقة كون أن تقرير بلينى عن غرب أفريقيا مشتق من أجريبا وليس من بوليبيوس ، وإذا كان الأمر كذلك فمعنى هذا أننا فى الحقيقة لا نعرف شيئا عن رحلة بوليبيوس . وعلى أية حال إذا كان تقرير بلينى مأخوذا من بوليبيوس

فإنه سيكون من الغريب بعض الشيء إذا كان قد انقاد مع الجملة التى اقتبستها عن رحلة بوليبيوس ثم اقترح ألا يشار إليها - ويبدو من المحتمل أنه أبحر هابطا إلى ساحل أفريقيا حتى رأس جوبى Cape Jupy فى جنوب مراكش ، وأيا كان الأمر فإن توافر المعلومات الكاملة عن سواحل الأطلنطى لإسبانيا وغالة سوف تنتظر الغزو الرومانى لهذه المناطق ، وكان من العلامات الفارقة فى هذه العملية غزو جلاكيا Galicia عام ١٣٨/٧ على يد جونيوس بروتوس D.Junius Brutus ، وحملات قيصر على بلاد الغال وبريطانيا خلال عقد السنوات العشر ٥٩-٥٠ ؛ لكن هذه الأحداث تقع خارج إطار العالم الهيللينستى ؛ لأنها أكثر انتماء إلى العصر الرومانى الذى أعقبه .

ثالثًا :

انعكس اتساع الأفق الذى بدأ أولا مع الإسكندر والكشوف التى تلت ذلك والتى قمنا بمعالجتها - انعكس فى كتب الرحلات وصاحبه تطور مذهل فى النظرية الجغرافية ، من قبل الباحثين فى الإسكندرية وجزيرة رودس بصفة خاصة . وقد سبق أن ذكرت بالفعل فيما يخص الأولى (الإسكندرية) بعض الكتاب الذين صاحبوا الإسكندر فى حملته، وسجلوا خبراتهم - كاليسثينيس Callisthenes ، ونيارخوس Nearchus ، وأونسيكريتوس Onesicritus ، وأرستوبوليس Aristobulus (راجع الفصل الأول). وهناك مثال متأخر وهو عمل "عن البحر الأحمر" On the Red Sea كتبه أجاثارخيديس من كينيدوس Agatharchides of Cnidus فى عهد بطلميوس يورجتيس الثانى (١٤٥-١١٦) ، عندما انبثق الاهتمام المفاجئ بالطريق إلى الهند كما سبق أن رأينا هناك أيضا ؛ و لسوء الحظ ضاع هذا العمل ، وتبقى منه ما جاء فقط فى ملخصات فوتيوس Photius وديودوروس Diodorus واسترابون Strabo . وأيا كان الأمر فالأكثر أهمية من ذلك هو التطور الذى حدث فى الجوانب النظرية للجغرافيا والتفكير فى الكرة الأرضية ، فى حجمها وأقاليمها والعلاقة بينها وبين العالم المعروف بالنسبة للمساحة الكلية ، التى

كانت موجودة فى القرنين الثالث والثانى . وفى حوالى عام ٣٠٠ ابتكر ديكايارخوس من ميسينى Dicaearchus of Messene خريطة للعالم ترتكز على خط مركزى للعرض central line of latitude يسير من أعمدة هرقل Pillars of Heracules على طول جبل طوروس Mount Taurus فى آسيا الصغرى ، متجها إلى الشرق ، متابعا سلسلة مرتفعات إيماوس Imaus ، ممتداً نحو آسيا ، وعلى دائرة خط الطول التى رسمها عبر ليسيماخيا -Lysimachia الواقعة على الدردنيل Hellespont . وقد انتقد بوليبيوس فيما بعد هذه الخريطة بالنسبة لأبعاد قياساتها ، لكن مضايق ميسينا Straits of Messina ، ورأس ماليا Cape Malea وردس أصبحت قواعد لمراكز مفترضة canonical points فى خط مركزى.

أعيد النظر فى خريطة ديكايارخوس ، وقام إيراتوستينيس بمحاولات نظرية لتركيب جغرافى معارض جديد synthesis (راجع ص ٢١٣-٢١٥) وحتى بدون تقديره الممتاز لطول محيط الأرض ، فقد كان إيراتوستينيس يمثل من وجوه كثيرة أعلى قمة بالنسبة لنظرية الإغريق الجغرافية ، ومن المحتمل أنه قام بنشر عملين منفصلين ، "عن قياس الأرض " On the Measurement of the Earth ، "وعن الجغرافيا " On Geography ؛ ويتكون الأخير من ثلاثة كتب ، وهى التى تضم الجغرافيا الطبيعية . وبدأ بمسح عام لأعمال أسلافه من بينهم هومر Homer ، ثم ناقش فى الكتاب الثانى الجغرافيا مناقشة كاملة من جميع الجوانب - شكل الأرض وحجمها ووضعها ، والمناطق المناخية ، وتوزيع الأرض والمياه ، ووصف فى الكتاب الأخير ظهور العالم والتفاصيل الجوهرية لبناء خريطة العالم ، التى ترتكز على مزيج من المعلومات الفلكية والملاحظات مثل تلك الخاصة ببيثياس والإسكندر القياس bematists (الذى قام بقياس وتسجيل المسافات فى المناطق التى قطعها فى أثناء السير) والمعلومات المأخوذة من كتاب الجغرافيا المتأخرين ، كانت خريطته تشبه خريطة ديكايارخوس Dicaearchus ، حيث تضم خطا مركزيا للعرض يرتكز عليه وعلى تقاطع دائرة خط الطول الذى يمر خلال رودوس ، لكن إيراتوستينيس أضاف ستة خطوط دائرية إضافية ، رسمها فى المسافات بين

الحدود الشرقية والغربية للعالم المأهول ، وأضاف أيضا ستًا آخرى متوازية تتجه عبر مـــروى Meroe (فى شـــمـــــال الســـودان) وأســـوان Syene والإسكندرية وليسيماخيا Lysimachia ومصبات بوغاز بورسثيميس Borysthenes (دينيبرDnieper) وثولى Thule.

أضاف هيبارخوس النيقى Hipparchus of Nicaea إلى إنجازاته العامية المتعددة التى قام بها (راجع ص٢١٤) اهتمامًا بالاطلاع على النظرية الجغرافية ، وانتقد إيراتوسثينيس بشدة لاستخدامه وسائل غير علمية ، على سبيل المثال فى مناقشة التشابه فى الكساء النباتى الأخضر كوسيلة لتعريف مجال خط العرض ، بالإضافة إلى قيامه بتحليل نقدى لجزء من خريطة العالم لإيراتوسثينيس . وعلى الرغم من أنه لم يقدم بالفعل خريطة خاصة به ، فقد قدم هيبارخوس سلسلة من الأسس العلمية التى يجب أن تبنى الخريطة عليها ، ومن هذه الملامح الجديدة والقيمة قبول القسمة المنتظمة (على سبيل المثال لسبعمائة ٧٠٠ ستاديس ، حوالى ٨٠ ميلا) التى يجب أن تنقسم إليها الخريطة كلها ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان أول رجل يقترح أن خط الطول يجب تقريره بملاحظة وقت كسوف الشمس من مراكز مختلفة ، لكنه لم يُقدر الصعوبات التى تكمن فى تنظيم فِرق العمل الضرورية للملاحظة وافتقاد وجود أجهزة القياس الدقيقة التى كانت تمثل عقبة إضافية أخرى .

وبخلاف الأعمال الثانوية فلم يبق شىء من عمل هيبارخوس بصورة مباشرة ، وتأتى معرفتنا بنظرياته مما اقتبسه كلوديوس بطلميوس Claudius Ptolemy فى كتابه المجستى Almagest ، الذى كتبه فى القرن الثانى الميلادى ، ويبرز من هذا العمل بوضوح الصفة الممتازة لتأملاته النظرية ، ويبدو أنه ظهر لدى هيبارخوس تألق النظريات الجغرافية الإغريقية التى فاقت إمكانات العصر ومصادره . إن قائمته الخاصة بخطوط العرض والطول كانت خُطوه نحو فهم جديد لتنظيم المعرفة العلمية ، كما أن عمله وضع الجغرافيا فى مأزق ، ربما يساعد على شرح رد الفعل الذى تلاه ،

والتحرك صوب الناحية العملية الصرفة ؛ لذلك أهملت الرياضيات والفلك لصالح الجغرافيا الوصفية ، وبلغت الذروة فى نهاية العصر الذى نقوم بدراسته ، خلال عصر المواطن الأول أغسطس Augustus ، ممثلة فى جغرافية استرابون الضخمة ، التى لم تجمع فقط بين نقد عدد كبير من الأعمال المبكرة ، ولكنها تعد اليوم أحد المصادر الرئيسية لمعرفة عدد كبير من الكتاب الذين نضعهم فى اعتبارنا.

الفصل الثانى عشر
تطور المعتقَدات الدينية - Religious Developments

واجهت المعتقدات الأولمبية منذ القرن الخامس وما بعده حالة هجوم . فقد تولد عن انتشار الحركة السوفسطائية خلق حالة من الشك فى معظم المعتقدات التى كانت مقبولة ، إضافة إلى أن كثيرا من المعتقدات الدينية الأجنبية وجدت لها موطنا فى مدن إغريقية . وكثيراً ما اشتركت الآلهة التقليدية مع عبادة أفكار مجرَّدة ، مثل الصداقة ، والسلام ، والثروة أو الديموقراطية . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد خُفف التمييز بين الإله والإنسان جزئيا بإنشاء عبادة أو تقديس الرجال البارزين وإلى حد ما بما طالب به بعض الفلاسفة من أنه بمساعدة العقل يمكن للبشر أن يعيشوا مثل الآلهة :

" فنحن يجب ألا نفكر فى تعبيرات أخلاقية فقط ، ولكن إلى الحد الذى نستطيع فيه أن نجعل من أنفسنا مثل الخالدين،وأن نعمل كل شىء بهدف العيش بأسمى جوهر يوجد بداخلنا (أى بالعقل)، فهو على الرغم من صغر حجمه فهو كبير فى قوته وفى قيمته النفسية لأنه يفوق كل شىء آخر........فالحياة بالنسبة للإنسان إذن هى التوافق مع العقل – الإدراك -الصرف pure intellect (لأن هذا الجوهر هو فى حقيقة الصرفة الإنسان" (Aristotle,Nicomachean Ethics,1177b-8a) .

لقد انتهى الاعتقاد فى الأمور اليقينية على الرغم من أن الشعائر الدينية القديمة كانت ماتزال تؤدى بحماس ،وعن اعتقاد راسخ بأن أداء الطقوس الدينية القديمة يجب الحفاظ عليها جريا وراء التقاليد ، على الرغم من أن عدداً كبيراً من الناس كانوا فى حقيقة الأمر يعتقدون بعدم كفاية العقل agnostics أو حتى ملحدين atheists ، ويبدو أن ممارسة الطقوس الدينية أصبحت تعنى القليل بالنسبة لعدد كبير من المتعبدين .

كان يمكن عن طريق الانتشار فى الأراضى الجديدة فقط تعضيد الاتجاهات المعارضة . ونتيجة لعدة أسباب شعر العالم الجديد للدول الملكية بمدنه الجديدة ، والمدن القديمة لبلاد الإغريق الأصلية وحوض البحر الإيجى بنفس القدر ، بوطأة وضع المعتقدات الجديدة وأصبح عليهم تبنى أشكال جديدة للممارسة الدينية . وقد أدى الاتصال بشعوب غير إغريقية تعبد آلهة مختلفة ، إلى القيام بالتشجيع المقصود لعبادات معينة لأسباب تتعلق بسياسة الدولة ،وجاء التبنى لها إما عفويا ، أو استجابة لتوجيه رسمى أو بضغط من عبادة الحاكم ، إضافة إلى يقظة أفراد لهم احتياجات شخصية جديدة فى وسط اجتماعى منعزل ،واستجابة للالتباس فى النظرة إلى الوجود(الكون) الذى ترتب عليه حدوث تغيرات سريعة نتج عنها تحولات كبيرة فى الثروة مثيرة للانتباه (على الرغم من أنه كثيرا ما كان يتم التضرع إلى الثروة نفسها كمعبود قوى) . اجتمع كل ذلك معًا ليؤدى إلى خلق صورة من البلبلة والتغيير فى الألوان الجميلة فى الصورة ؛ مما أدى إلى صعوبة تجمعها فى البؤرة.

لذلك فمن الأفضل أن نقوم فى المقام الأول بالتمييز بين التطورات الدينية التى حدثت نتيجة لمبادرة هؤلاء الموجودين فى السلطة ، من الملوك والحكومات ، وتلك الطقوس والممارسات التى تبناها الناس بكامل إرادتهم ؛ لأنهم رأوا أنها تُرضى احتياجهم الفطرى .

ثانيا:

كان الملوك الذين خلفوا الإسكندر يُعدون جميعا بطريقة أو بأخرى مغتصبين للحكم ؛ لذلك لجأوا إلى طلب الدعم الدينى للمساعدة فى إضفاء شرعية على ادعاءاتهم وتعزيز مطالبهم بتوريث أسرهم الجديدة ،وفى الواقع كانت هناك ظاهرة عامة لجميع البيوتات الملكية ، تتمثل فى قيامهم باختيار إله راع خاص بهم ، وكان بالضرورة من بين الآلهة الأولبية ؛ لأن تلك الآلهة كانت لا تزال تحتفظ بالاحترام النابع من التقاليد الراسخة ؛ ولذا ادعى الأنتيجونيون فى مقدونيا أنهم ينحدرون من أرجيف هيراقليس

Argive Heracles، ووضـعـوا هراوته كشعـار على عـملتـهم ، وعـبـر ذلك بـوضـوح عن رغبتـهم لربط أنفسـهم بـالأرجيـادس Argeads، أسـرة فيليب والإسكندر، كـمـا أشـار بوليبيوس "إلى أن فيليب الخامس جاهد طوال حياته ليثبت أنه يرتبط بصلة الدم مع فيليب الثانى والإسكندر " (v,1o.10) ، كما يخبرنا ليڤيوس بذلك (فى فقرة اعتمد فيها على بوليبيوس) ، حيث قال :

"يعتقد الأرجيڤيون Argives أن ملوك مقدونيا ينحدرون منهم ،وبالإضافة إلى ذلك فإن كثيرين منهم ارتبطوا بروابط المودة والصـداقة الأسـرية مع فيلـيب الخامـس (xxxii,22,11) .

إن ذلك الانتساب الأسرى المفترض هو الذى ربط الأنتيجونيين بالتالى مع مدينة أرجوس Argos، وأُخِذ بمحمل الجد وطبقا لما ذكره بلوتارخ Plutarch أنه فى أثناء معركة بيدنا Pydna(١٨٦) ، التى وضعت حدا لحكم الأنتيجونيين :

"قام الملك المقدونى (برسيوس Perseus) ،كما يخبرنا بوليبيوس ،.......... بإدارة لجام الجواد وامتطاه متجها إلى المدينة بطريقة فيها جبن ،متظاهرا بأنه كان ذاهبا لتقديم التضحية إلى هيراقليس"(Aemilius Paulus,19) .

و تحول تفسير تصرف بيرسيوس على أنه تصرف جبان ضده فيما بعد.

أما السيلوقيون فقد وجدوا حاميا خاصا لهم فى الإله أبوللون Apollo، فقد اشتهر سيليوقوس كابن للإله أبوللون ،واتخذ شعاره الهلب anchor ، كعلامة (كوحمة) الميلاد على فخـذه (Justinus,xv,4,2) ، وتم قبول هذا الإدعاء فى عام ٢٨١ فى إيليوم Ilium (طروادة) التى أقيم نقش فيـها لتكريم سـيليـوقـوس ، الذى حـرر المدينة من ليسيماخوس Lysimachus ، وسُجل فيه منح عدة امتيازات للملك الجديد ،من بينها مذبح يقوم مدير معهد التربية gymnasiarch بالتضحية عليه سنويا ،وتسمية أحد الشهور باسم سيليوقيوس Seleuceius، وتأسيس احتفال "متوج "يتم الاحتفال به كل أربع سنوات quadrennial (راجع ص ١٧١ - ١٧٢) بالموسيقى والمباريات الرياضية

والفروسية "كما كان يحتفل بالإله أبوللون ، جد الأسرة الحاكمة ".(OGIS,212) وتم ترميم الجملة الأخيرة جزئيا ، ويبدو أن الكلمات مؤكدة ، فقد تم التأكد منها عن طريق نقوش أخرى تشير إلى صلة عدد من السيلوقيين بالإله .

قام البطالمة بتكريس عبادة ديونيسيوس على وجه الخصوص ، وربما منذ فترة مبكرة ترجع إلى بطلميوس الأول (إذا ما كان التمثال النصفى البرونزى الصغير للإله ديونيسيوس فى معرض والتر للفنون Walters Art Gallery فى بلتيمور Baltimore يحمل بالفعل ملامح سوتير Soter أى بطلميوس الأول المنقذ) ، وفى كل الأحوال ، فقد رَعَى بطلميوس الرابع على وجه التحديد عبادته ، ويبدو من المحتمل أنه هو الذى أصدر مرسوما خاصا ينظم فيه عبادة ديونيسيوس.

"بناء على مرسوم صدر من الملك ، على الأفراد الذين يقومون بتأدية شعائر ديونيسيوس فى الداخل بين هنا (الإسكندرية) ونقراطيس Naucrates الإبحار إلى الإسكندرية خلال عشرة أيام منذ اليوم الذى تم فيه إعلان المرسوم ، وعلى هؤلاء الذين يقيمون فيما وراء نقراطيس الحضور خلال عشرين يوما ، وعليهم تسجيل أنفسهم أمام أريستوبولوس Aristobulus فى مكتب التسجيل خلال ثلاثة أيام من يوم وصولهم ، وسوف يعلن من بينهم عن أسماء الذين كانوا يقومون بإجراء الطقوس المقدسة من ثلاثة أجيال سابقة ، وسوف يتسلمون الكتاب المقدس (عن أسرار ديونيسيوس) مختوما ، ومكتوبا عليه اسم كل واحد منهم " (BGU,1211-Select Papyri,208) .

فُسِّر هذا المرسوم على أنه إجراء قمعى ، ورأى آخرون فيه دليلا على الإشراف الملكى على تلك العبادة ، والرأى الأكثر احتمالا أنه يمثل محاولة من جانب الحكومة لتشجيع شعائر احتفالات ديونيسيوس الرسمية وعدم تشجيع الاحتفالات غير الرسمية . وإذا كان الأمر كذلك ، فهو يُعد إرهاصة لمحاولة مشابهة من قبل الحكومة الرومانية "فى وضع ديونيسيوس فى رداء ضيق " وهذه العبارة خاصة بدودس E.R.Dodds,The Greeks and the Irrational.p.279 ، عندما صدر عام ١٨٦ مرسوم مجلس السناتو الشهير عن احتفالات باخوس Bacchanals . وتدل الإشارة التى وردت فى المرسوم

البطلمى بخصوص الأجيال الثلاثة على أن عبادة ديونيسيوس قد تم تأسيسها منذ فترة طويلة فى الريف المصرى (حيث كثيرا ما اشترك الإله مع كل من أوزيريس Osiris وسيرابيس: Sarapis راجع ص ١٤٠). ولدينا نقش شهير قام كوزماس إنديكوبليوستيس Cosmas Indicopleustes بنسْخه بالقرب من أدوليس Adulis فى القرن السادس الميلادى ، وقدم به تقريره عما حققه بطلميوس الثالث ، مع وصف له على أنه ينتمى إلى هيراكليس بن زيوس من ناحية والده ، وإلى ديونيسيوس بن زيوس من جانب والدته (OGIS,54) .

كثيرا ما ارتبط اختيار هذه الآلهة الراعية من قبَل الملوك الهيللينستيين (على الرغم من عدم وجود ذلك فى مقدونيا) مع تأسيس عبادة الحاكم ، وهى عبادة الموتى وبعد ذلك عبادة الحاكم الحى (وزوجته) بوصفهما إلهين . ولم تكن عبادة الأحياء شيئا جديدا ، ووفقا لما ذكره دوريس من ساموس Duris of Samos فإن ليساندر الإسبرطى : Lysander

"كان أول إغريقى تقيم له المدن المذابح ، وتقدم له التضحية كإله ، وأول من أنشدت له أناشيد النصر .... وصوت السميانون Samians أيضا على أن يسمى احتفالهم بالمعبودة هيرا Hera باسم لايسندريا Lysandreia (Plutarch,Lysander,18,3) .

حدث ذلك فى أواخر القرن الخامس ، وقام السيراكوزيون Syracusans فى عام ٣٥٧ بعد تحرير ديون Dion لمدينتهم:

"بإعداد الموائد ولحوم التضحية وتبادل كئوس الشراب ، وعندما حضر إليهم(ديون) نثره الجميع بالزهور ورددوا الابتهالات والصلوات كما لو كان إلها" (Plutarch,Dion,29,)

إن هذه النماذج المتفرقة كانت إرهاصة لعبادة الإسكندر فى حياته ، التى سبق مناقشتها (فى ص ٥٢ -٥٣).

جاء أول مثال على تلك العبادة الرسمية بين خلفاء الإسكندر من مصر، حيث أقام بطلميوس الأول عبادة الإسكندر ، ربما في فترة مبكرة عام ٢٩٠، وبالتأكيد قبل عام ٢٨٥ . وأعلن بطلميوس الثاني والده – بطلميوس الأول – إلها بعد موته عام ٢٨٣، وعند موت أرملة الأخير عام ٢٧٩، أقام عبادة مشتركة للاثنين على أنهما آلهة منقذة ، وألحق بتلك العبادة احتفالا سمي باسم بطوليمايا Ptolemaieia (راجع ص١٧٠) . وتعتمد معلوماتنا عن تطور عبادة الأسرة الحاكمة في مصر في معظمها بالكامل على إمكانية تأريخ الوثائق التي تضم أسماء وألقاب كهنة مختلف أفراد الأسرة الملكية الذين كانت العبادة تقام من أجلهم ، ويبدو منها حدوث تطور جديد عندما أضاف بطلميوس الثاني نفسه وأخته والملكة أرسينوي على عبادة الإسكندر بعنوان "الإلهين الأخوين Theoi adelphoi" ، والدليل على ذلك مستخرج من قائمة لأحداث وقعت في أثناء عهد عدد من الكهنة للفترة التي تقع حول عام ٢٧٠ (P.Hibeh,199) ، وتتضمن هذه البردية المدخل التالي : "في تلك السنة (الرابعة عشرة لبطلميوس الثاني) .... اسم كاهن الإسكندر وأولئك المختصين بالإلهين : الأخوين اللذين تمت إضافتهما إلى العقود ".

ومن سوء الحظ أننا لن نستطيع التأكد مما إذا كان جلوس بطلميوس على العرش يؤرخ هنا منذ وفاة والده عام ٢٨٣–٢٨٢ أو (كما كان الحال سابقا) منذ بداية حكمهما المشترك عام ٢٨٥ ، ولكن حيث إنه من المعروف الآن أن أرسينوي توفيت في يولية ٢٦٨ (وليس كما كان الاعتقاد لفترة طويلة ، في يوليه ٢٧٠) ، أيا ما كان التاريخان ، فإن تأسيس العبادة الجديدة قد حدث في أثناء حياته .

على ذلك أضاف عدد من البطالمة أسماءهم (مع تلك الخاصة بملكاتهم) إلى العبادة خلال فترة حياتهم ، إلا أن ذلك لم يحدث قبل عهد بطلميوس الرابع فيلوباتور عندما أضيفت أسماء الآلهة المنقذة ، وربما يلاحظ أن نمو هذه الممارسة في تشبيه البطالمة الأحياء بالآلهة كانت تسير جنبا إلى جنب مع التدهور في سلطتهم الحقيقية ، وفي مدى استقلالهم في مواجهة vis-a-vis الكهنوت الوطني ، وأعلنت أرسينوي المتوفاة في عهد فيلاديلفوس Philadelphus "أنها إلهة مشاركة (synnaos theos)" في

معابد جميع الآلهة الوطنية ،وهنا تم تمويل العبادة ، كما سبق أن رأينا (ص ١٢٨) ، بتحويل ضريبة السدس على الإنتاج التى كانت قائمة من قبل كمورد جانبى إلى المعابد الوطنية . وفى الحقيقة كانت كل من أرسينوى Arsinoe وبرنيقى Berenice ،وهما ابنتا بطلميوس الثالث اللتان أعلنتا بالمثل إلهتين مشاركتين synnaos theos فى معبد أوزيريس Osiris فى كانوب Canopus (أبوقير) من قبل الكهنة المصريين ، قد قوبلتا فيما يبدو بإهتمام تلقائى غير عادى وترحيب بين الشعب المصرى ، الذى جعل من عبادتهما شيئا أكبر من كونها عبادة فرضت عليهم من أعلى . وعلى سبيل المثال فقد استخدم أفراد من أسر الكهنة المصريين اسميهما .

ولا نستطيع أن نتطرق بالكامل إلى البواعث التى قادت البطالمة إلى القيام بتلك الخُطوات فى المزْج بين الدين والسياسية ،لكنهم ربما استمدوا التشجيع على ذلك من موقف المدن الإغريقية الذى عكسته فى الخارج ،فقد أبدى عدد منها رغبته بالفعل فى إسباغ التشريف الذى يقترب من حد التقديس على البطالمة وعلى أى ملوك آخرين من الذين حازوا على تأييدهم المؤقت ، أو الذين مارسوا السلطة عليهم . وعلى ذلك فإنه طبقا لباوسانياس Pausanias فقد"منح الرودوسيون (بطلميوس الأول) اسم المنقذ "(بسبب مساعدته لهم ضد هجوم الأنتيجونيين Antigonid the فى عام ٣٠٥) , (I,8,6) بعد أن استشاروا نبوءة الإله آمون oracle of Ammon (فى سيوة):

"ليعرفوا ما إذا كان يمكنهم القيام بتكريمه كإله ،وقد كرسوا له بموافقة الإله بناءا مربعا فى المدينة محاطا بسياج ، وقاموا ببناء رواق على جانبيه بطول ستاد (الاستاد يساوى ٢٠٢ ياردة) ؛ سُمّى بطوليمايون Ptolemaion (Diodorus ,xx,100)"

سبق أن أسس الأثينيون عام ٣٠٧ عبادة لأنتيجونوس Antigonus وديمتريوس Demetrius ، سادة المدينة الآن باسم المنقذين Saviours (Plutarchus,Demetrius,10,3)، وربما كان اللقب الروديسى يقصد به منافسة ذلك ، وسمعنا فى عام ٢٩٤ عن تكريم مشابه قدم إلى ديمتريوس ، الذى أصبح له الآن عبادة مستقلة ،وطبقًا لما ذكره دوريس من ساموس Duris of Samos فقد كانت له ترنيمة hymn فى عام ٢٩٠ تغنى بها على شرفة تتضمن هذه الأبيات :

"أيها الابن للإله القدير بوسيدون وأفروديتى تحية ! والآلهة الآخرون سواء كانوا موجودين بعيدا أو الذين ليست لهم آذان ، أو غير الموجودين ، أو الذين لا يبالون بنا على الإطلاق ؛ إننا فى الحقيقة نصلى لأولئك الذين نراهم فى الوجود ، وليس فى الخشب وليس فى الحجر (Athenaeus,iv,23=53e) .

ويواصل أثينايوس القول بأن المتسابقين فى مباريات المارثون Marathon لم ينشدوا هذه الترنيمة فى العلانية فحسب بل فى منازلهم أيضا . ويعلق دودس "أنه عندما انسحبت الآلهة القديمة كانت العروش الخالية تصرخ مطالبة بخليفة ، وكان يمكن بإعداد جيد أو حتى بدون إعداد ، وغالبًا لأى جوال من العظام النخرة ، القفز لشغل المقعد الخالى " (Dodds,The Greeks and the Irrational,p.242) . أما ترنيمة ديمتريوس Demetrius فربما كانت تعبيراً عن العجز العقلى والسياسى لمدينة كانت من المدن القيادية فى بلاد الإغريق ، لقد وجدت عبادة الحاكم تربة خصبة لها فى المدن اليونانية ،ولم يتباطأ الملوك أنفسهم فى استغلال الميزات المتاحة من ورائها . كان تطور - عبادة الحاكم - فى كل الأحوال بطيئا فى مملكة السلوقيين وغير مُنتظم،وتُرك لمدة طويلة لمبادرة المدن الإغريقية داخل المملكة ،وبالإضافة إلى ذلك كان هناك عدة مراحل على طريق الاعتراف الكامل به كإله ،وعلى ذلك فقد سبق أن ذكر فى مرسوم إليان Ilian decree من قبل (OGIS,212,see p.211) ، أن سيليوقوس الأول من سلالة أبوللون ومُنح فيه إقامة احتفال ،إلا أنه لم يطلق عليه إله من الناحية العملية . لكن تأسيس مبنى مقدس ومذبح ،والأضاحى ، وموكب الاحتفال والألعاب والترنيمة وتقديم تيجان الذهب ،وإقامة التماثيل واستخدام اسم السلالة للإشارة إلى قبيلة أو شهر فى التقويم المحلى - كل ذلك يترك خيطًا رفيعًا فقط ليفصل بين المُتلقى وبين التشريفات المقدسة.

وقد أعلن أنطيوخوس الأول والده إلها بلقب سيليوقوس نيكاتور Seleucus Nicator ولكن أنطيوخوس الثالث ١٨٧-٢٢٣ كان أول السيلوقيين الذى أسس عبادة رسمية state cult لنفسه ولجميع خلفائه ،ويأتى الدليل على ذلك فى خطاب عام ١٩٢-١٩٣ كتبه بنفسه إلى أناكسيمبروتوس Anaximbrotus والى كاريا Caria فى آسيا الصغرى) عين فيه كاهنة لعبادة زوجته (زوجة الملك أنطيوخوس) :

"من الملك أنطيوخوس إلى أناكسيمبروتوس Anaximbrotus ، تحية . حيث إننا لدينا الرغبة فى إضفاء مزيد من التكريم على أختنا الملكة لاوديكى .... Laodice فقد قررنا الآن ، أنه نظرا لوجود كهنة كبار يتم تعيينهم فى جميع أنحاء المملكة لعبادتنا ؛ لذلك فسوف يتم تعيين كاهنات كبيرات لها أيضا فى نفس المناطق ، وسوف ترتدى كل واحدة منهن تاجا من الذهب عليه صورتها وسوف تذكر أسماؤهن فى العقود بعد ذكر أسماء كبار كهنة آبائنا وكهنتنا" Hellenica،Welles,R.C.no 36; Robert (1949),pp.17-18).

(مع أنه كان يوجد فى مصر عبادة رسمية واحدة فى الإسكندرية ، ففى مملكة السلوقيين التى كانت أقل منها فى مركزيتها كان يتم تعيين كاهنة كبرى لكل ولاية على حدة) . و يوجد نقش من سيلوقية فى بيريا Seleuceia-in -Pieria بخصوص الصور (الأشكال) التى جرت بها عبادة "آبائنا وعبادتنا"، يؤرخ من عهد سيليوقوس الرابع (١٨٧-١٧٥) ، ويضم قائمة بالصور التى تضمنتها حتى الآن على النحو التالى :

"سيليوقوس الأول زيوس نيكاتورSeleucus I Zeus Nicator ، وأنطيوخوس الأول أبوللون سوتير Soter Antiochus I Apollo، وأنطيوخوس الثانى ثيوس (حرفيا : الإله -الرب) Antiochus IITheos، وسيليوقوس الثانى كالينيقوس Seleucus II Callincus، وسيليوقوس الثالث سوتير Seleucus III Soter ، وأنطيوخوس (من المحتمل أن يكون ابن أنطيوخوس الثالث Antiochus III الذى خلفه) ،وأنطيوخوس الثالث الكبير الكبير Antiochus III the Great" (OGIS,245=Austin,177) .

لم يُعد آل آتالوس Attalids آلهة فى أثناء حياتهم على عكس السيلوقيين ، كما لايوجد لدينا دليل على وجود عبادة رسمية للأسرة فى برجامون Pergamum ، إلا أنه اعترف لهم بالعبادة فى مدن عديدة ، والأمر الذى يستحق الاعتبار ذلك التشريف الذى مُنح إلى أبوللونيس Apollonis زوجة أتالوس الأول Attalus I التى حصلت على عبادة بلقب يوسيبيس Eusebes (التقية -الورعة pius) فى أثناء حياتها (OGIS,308) وتم تكريمها فى عدة مدن . ومثال ذلك مدينة تؤس Teos، التى قدم واحد من نقوشها

تفصيلات كانت التضحية فيها من مسئولية "كاهن الملك يومينيس Eumenes والإلهة أبوللونيس يومينيس Apollonis Eusebes وكاهنتها والملكة ستراتونيكى" Stratonice، وكان يتضمن إنشاء معبد لأبوللون ، بالإضافة إلى عبادة باسم أبوباتيريا Apobateria (حرفيا :موطئ النزول : Stepping down) حيث كان يتم إقامة المعبد فى البقعة التى يأتى منها أبوللون على الشاطئ لزيارة تؤس (OGIS,309) ، وهناك نص أفضل من ذلك نشر فى : L. Robert,´Etudes anatoliennes (Paris ,1937),p,17

ليس من السهل تحديد المعنى الحقيقى لعبادة الحاكم . إن الجانب السياسى فيها واضح ، وعلى الرغم من وجود جانب كبير من العبادة والتقديس فيها ، فإنها كثيرا ما توافقت تلقائيا والاعتراف بمكانة الملكية royal status وفى دورها بالمثل فى تعزيز سلطة الملك وأسرته وشرعيتهما ، إن وجود حق الأسرة فى وراثة العرش كان بطبيعة الحال هو الفارق الجوهرى بين الملك والطاغية ،كما رسخت العبادة الصلات بين المدن التى كثيرا ما كانت تبدأ منها المبادرة بالتاليه ، والتى اشترك فيها الملك وزوجته وأباؤه مع عبادات المدينة ،ومن المؤكد أن ذلك لم يغير فى الصلة القانونية بين الملك والمدينة ، لكنه كثيرا ما أوجد روابط من حسن النية والمشاعر الطيبة. لكن الوضع فى مصر كان معقدا بعض الشيء لوضع بطلميوس المطلق تماما فيها كفرعون Pharaon، وبالتالى فهو شخص مقدس ، فهو حورس Horus الإله الصقر Falcon god ، وبعد موته يتحد مع أوزيريس Osiris ويصبح خالدا . ومع زيادة نفوذ الكهنة المصريين لا شك أن هذه المعتقدات لعبت دوراً كان له تأثيره فى موقف الشعب تجاه البيت الملكى .

أما ماذا كان يعنى تقديم ذلك التشريف المقدس من قبل المدن بخصوص المشاعر الدينية فهو شيء آخر . ولقد أوضحت ترنيمة ديمتريوس فى أثينا وجود خلفية من الشك نحو الآلهة التقليدية ، الأمر الذى أدى إلى استبدال الأسر الحاكمة بها ، التى مارست سلطة حقيقية ،ولكن بأى معنى اعتبر مثل هؤلاء الملوك كآلهة ؟من الصعب وبنفس المعنى اعتبار زيوس إلها (أو أنه كان كذلك مرة) . وكما لاحظ ويل E.Well ، فإنه عندما سمى أنطيوخوس بإله Theos، فإن ذلك كان لتحديد قدسيته بطريقة ما ؛ إن أحدا لم يتحدث إطلاقا عن زيوس الإله Zeus Theos . وما هو كنه ذلك الإله الذى كان يتقرب إليه الفرد فى صلواته إلى الآلهة التقليدية؟

ثالثا:

تحمل كل من عبادة الحاكم واختيار آلهة راعية لحماية الأسر الحاكمة تعقيدات سياسية واضحة ،وكان كثير من التطورات الدينية الجديدة عبارة عن رد فعل لتغيرات فى المواقف الفردية وللظروف الاقتصادية الجديدة . فمع تقلص سلطة المدينة الدولة بدأ اتجاه نحو تدهور ثقة الأفراد فى العبادات التقليدية وتنامى الاهتمام بالعبادات الغامضة ،وشجّع على ذلك ذبول التفكير العقلى الذى ميز الفكر السوفسطائى لمعظم القرن الخامس . لقد اشتملت هذه العبادات الغامضة على إدخال طقوس ووعود بالخلاص الفردى ؛ ومثال على ذلك طقوس إيليوسيس rites of Eleusis ، أو تلك الخاصة بكابيرى Cabiri فى ساموطراقيا Samothrace ، اللذين ظلت طقوسهما إغريقية أساساً خلال العصر الهيللينستى ،وجاءت شهرتهما (مثل تلك الخاصة بعبادة ديونيسيوس) من أنهما كانا يمثلان التشكيل للجانب الآخر الذى كان موجودا بصفة دائما فى الديانة الإغريقية ، إن ذلك الاتجاه نحو الرؤى واللامعقول والعاطفة ،والذى يمكن أن يتضح من مدينة إبيداوروس Epidaurus ، حيث توجد عبادة أسكلبيوس Asclepios ومعجزات الشفاء التى كان لها تأثيرها بين الحجاج الذين كانوا يقضون ليلة نائمين هناك فى المعبد ، ويشهد على ذلك القرابين العديدة والنقوش ،التى وصلت إلى ذروتها فى العصر الهيللنستى.

كان فقدان الثقة فى آلهة المدينة يعنى ازدياد الشك فيها بالنسبة لعدد كبير ، على الرغم من أن ذلك كان كثيراً ما يتم التستُّر عليه . وعلى سبيل المثال فإن معظم الفلاسفة وافقوا على عدم رفض الآلهة رفضا كليا ،وعلى هذا رفع الرواقيون Stoics على يد زينون Zenon (٣٣٥ – ٢٦٣) وخريسيبوس Chrysippus (٢٨٠ – ٢٠٧) من قيمة العقل wisdom ، لكن كليانثيس Cleanthes (٣٣١ – ٢٣٢) ، طابق أصل الرواقية مع زيوس فى ترنيمته الشهيرة ،وبينما جادل أبيقوروس Epicurus ، (٣٤١ – ٢٧٠) بأن الآلهة كانت لا تهتم بشئون البشر ، فإنه كان حريصا على عدم رفض وجودها أو رفض تأدية واجب الشعائر لها . إن تلك المحاولات لوضع الآلهة فى إطار فلسفى جديد يكشف عن حيرة الفلاسفة ،ويقود إلى اتخاذ وضع شاذ . وبُذلت جهود جادة لتحديد

الآلهة فى صيغ مقبولة للناس الذين كانوا يتشككون أساسا فى وجودها ،ويمكننا تتبع اتجاهين كانا على طرفى نقيض . فمن جانب ،كان هناك خط فكرى يرتبط فى الأصل باسم يوهيميروس من مسينى Euhemerus of Messene الذى كان يكتب فى أثناء حكم كاساندر Cassander بين عام ٣١١ و٢٩٨). وقد كتب يوهيميروس عن نوع من المدينة الفاضلة utopia بخصوص زيارة لجزيرة باناخايا Panachaea فى المحيط الهندى ،حيث يوجد الآلهة الأولمبيون ،الذين كانوا فى الأصل رجالا حكموا هناك لمرة واحدة كملوك ،وأصبحوا يعبدون الآن كآلهة . وكان يوجد فى الجزيرة نُصب تذكارى مع عمود ذهبى :

"نُقش عليه أعمال يورانوس Uranus وزيوس Zeus، وأضاف هرميس Hermes بعد ذلك تقريراً عن أعمال أرتيميس Artemis وأبوللون Apollo ". (Diodorus,v,45,7,cf.vi,2,4-10) .

لم تشتهر اليوهيميرية Euhemerism فى الحقيقة حتى دخلت أعمال يوهيميروس Euhemerus إلى العالم الرومانى فى الترجمة اللاتينية التى قام بها الشاعر إنيوس Ennius ، لكن مذهبه doctrines كان معروفًا من قبل ، فهناك على سبيل المثال ما يدل على أن بوليبيوس قد رجع إليها فى ترجمته لتقرير هوميروس Homer عن رحلة أوديسيوس -Odysseusالتى كان من الواضح ارتباطها بعبادة الحاكم .

وعلى العكس يمكن أن يكون التأليه غير شخصى ، وذلك عن طريق نمو التجريد، وهو اتجاه كُشف عنه بالفعل من قبل خلال القرن الرابع (راجع ص ٢٤١) ، فقد ادعى بوليبيوس أن دكايارخوس Dicaearchus زعيم القراصنة الذى قام بنهب الأيجيين لصالح فيليب الخامس المقدونى أنه:

"قام ببناء مذبحين فى المكان الذى رست عليه سفنه الأول لعدم التقوى (Impiety)، والآخر للخروج على القانون (Lawlessness) ،وقدم الأضاحى عليها ، وكرّم هاتين القوتين كما لو أنهما كانتا مقدستين" (Polybius,xviii,54,10).

كانت أكثر أنواع التشدد تجريداً إلهة الحظ Tyche. وقد لعبت ربة الحظ دورا هامًا فى تاريخ بوليبيوس نفسه ،وكان دورها مبهمًا ؛ لأن هدف المؤرخ العملى من

تقديم تعاليم سياسية لقرائه يتضمن افتراض أن التاريخ يتبع خطوطا منطقية ؛ ولذلك فإنه يمكن للمرء بدراسة الماضى التعامل بفاعلية مع الحاضر ، فى حين كان هدفه الثانى نشر الدروس الأخلاقية بتقديم نماذج عن التقلبات التى أصابت البشر فى الماضى ، وكان الافتراض يتضمن بنفس القدر أن الحظ يلعب دوراً له معنى فى حياة الناس ، وينبغى تحذيرهم منه ، أو على الأقل أخذه فى الاعتبار . ويتطابق اللبس فى موقف بوليبيوس تجاه الحظ Tyche مع الغموض المتوارث مع الطبيعة الصرفة لمفهوم الحظ ، الذى يمكن أن يكون خيراً أو شراً ، وما هو أكثر أهمية من ذلك أنه يتأرجح بين كونه "مجرد صدفة عرضية haphazard chance " وأنه " فِعل مقصود من قبل العناية الإلهية "(الذى يمكن أن يكون من عمل إما قوة خيرة أو شريرة " . وعند تشكيل حظ المدينة تخيلوها وهى تحمل صورة تاج الاختراق mural crown(*) وقرونا تعنى الرخاء. وحاول الرجال أن يعبدوا الحظ كربة خيرة ، ولكن إلى أى مدى استطاعوا تجسيم ذلك التجريد فى الواقع ؟ هل لديهم ثمة رأى محدد عن تلك المشكلة ؟ هى أسئلة من الصعب فى الغالب الإجابة عليها .

كانت الطقوس الشرقية هى التى لها أهمية أكثر بالنسبة للرجل العادى والمرأة ، وخاصة تلك التى تتعلق بمصر على نحو خاص ، حيث ازداد تغلغلها فى العالم الإغريقى لملء الفجوة التى تخلفت بسبب تدهور أى عتقاد فى الآلهة المحلية.

وقد سبق أن لاحظنا (راجع ص١٤٠) الشعبية الكبيرة التى حققتها عبادة سيرابيس فى العالم الإغريقى ، وهى العبادة الجديدة التى أدخلت فى عهد بطلميوس الأول ، وساوتها فى الشهرة عبادة إيزيس ، التى كانت معروفة فى القرن الرابع ، لكنها أصبحت أكثر انتشارا فى القرن الثانى ، وتدين إيزيس ببعض من أهميتها إلى قدرتها على احتواء التوافق مع الآلهة الأخرى ، بما فى ذلك آلهة أوليمبوس Olympus ، وتتضح عملية الاحتواء هذه فى الترنيمة التى كتبها كاهن مصرى يدعى إزيدوروس

(*) يمنح هذا التاج لأول شخص يقوم باقتحام أسوار العدو . راجع , and Short,A Latin Dictionary art mural crown,p.117. Oxford 1969,

Isidorus فى القـرن الأول ، والمسـجلة على مـعـبـد إيزيس فى مـعـبـد مـدينة ماضى Madinet- Madi فى الفيوم :

" يطلق السوريون عليك عشتروت – أرتيميس – نانايا Astarte-Artemis-Nanaia ، وتسـميك قبـائل الليكيين Lycians الملكة ليتـو queen Leto ، والطراقيـون Thracians يطلقون عليك فى الحقيقة أم الآلهة ، وقام الإغريق بتعظيم كل من هيرا Hera وأفروديت Aphrodite وهيستيا Hestia الطيبة وريا Rhea وديميترDemeter ، أما ثيؤيس Thiouis المصرية ، فأنت فقط التى تجمعين فى أقنومك – شخصك – كل الربات الأخريات اللاتى تسميها الشعوب "(SEG,viii(1937),548) .

وإذا كانت الربات جميعا أصبحن فى الواقع ربة واحدة وكل الآلهة إلها واحدا ، فحينئذ يكون المرء بالفعل فى الطريق إلى التوحيد .

ولم تكن الآلهة المصرية هى الآلهة الوحيدة التى استوعبها الإغريق ، فقد كانت مـثل سـيـبـيل Cybele الربة الأم الأناتوليـة الكبـرى - The great Anatolian mother goddes أقل شـهرة من إيزيس وسيـرابيس ،وكـان يرافقـهـا آتيس Attis إله الرجال الفريجى Phrygian god Men ، والآلهة الأشورية أتارجـاتيس Atargatis وحدد Hadad (اللذان طابقـوهمـا بأفـروديت وزيوس) ومـيلجـارت Melgart (الذى طـابقـوه بهـرقل) وعشتروت Astarte التى ساووها بأفروديت ، وسابازيوس Sabazius ، وأدونيس Adonis، وآلهة أخرى غيرها وجدت لها موطنا فى المدن الإغريقية ، وخاصـة فى مثل تلك الأماكن العالميـة Cosmopolitan مـثل (جزيرتى) رودس وديلوس ،أو (مـدينة) ديمـترياس Demetrias فى تسـاليـا Thessaly، التى اكـتـشـف فيـهـا حـديثـا نـص مقـدس مقـدم إلى أتارجـاتيس (V.von Graeve in V. Milojcič D.Theocharis Demetrias,I (Bonn,1976) pp.145-.56) كانت العبادات التى لها شـهرة على نحو خاص تلك التى لها اتصال شـخصى مع الإله أو كانت تَعِد ببعث الشخص بعد الموت ، وأصبح لقب المنقذ (سوتير) Soter ينطبق الآن على زيوس وعلى آلهة آخـرين ،والشىء نفسه على الملوك الذين خصصت لهم عـبادة الحاكم كدليل على تلك الرغبة ،التى كثيرا ما قادت إلى تطعيمها بإدخال احتفالات

على الطقوس الشرقية ، لم تكن فيها من قبل بهذا الشكل . وقد حدث فى الحقيقة بالنسبة لإيزيس التى وصلت طقوسها السرية المتأثرة بالهيللينية إلى ذروتها فى الكتاب الحادى العاشر لأبوليوس Apuleius ، نسخ الكائنات Metamorphoses، وهو عمل كُتب فى القرن الثانى الميلادى ، ولكنه يرتبط بالممارسات الدينية للعصر الهيللينسيتى .

رابعا:

لقد قمنا حتى الآن بالنظر فى التغييرات فى مواقف الإغريق تجاه الآلهة التقليدية والأشكال الجديدة للممارسات الدينية التى تحول الناس إليها الآن ، وبعضها مع جذورها التقليدية للمعتقدات الإغريقية ، وبعضها الآخر استعير من مصر ومن الشرق ، ولا يمكن لأى مسح للأفكار الدينية فى ذلك العصر إهمال التاريخ الخاص للشعب اليهودى خلال العصر الهيللينستى ، وعلى وجه الخصوص ثورة المكابيين Maccabees فى منتصف القرن الثانى ؛ لأن دوافعها كانت تتكون فى حالتهم من مزيج من الدوافع الدينية والقومية التى بلغت الذروة فى ثورة الهاشمونيين Hasmonean ضد المملكة السلوقية ، وساعد ذلك على خلْق ظروف فى فلسطين جعلت منها تربة خصبة لظهور المسيحية بعد مائتى سنة تالية ونحن محظوظون ؛ لأننا نمتلك مصادر غنية ومتنوعة لهذه الأحداث ، التى يرجع بعضها إلى النصف الأول من القرن الثانى .

ولا يشير سِفر دانيال Daniel الذى يبدو أنه دُوِّن قبل عام ١٦٣ إلى موت أنطيوخوس الرابع فى تلك السنة ، ولا إلى ترميم جوداس المكابى Judas Maccabaeus لمعبد القدس Jerusalem . ويجب قراءته إلى جانب تعليقات هيرونيموس Hieronymus (القديس جيروم St. Jerome) وخصوصا الكتاب الحادى عشر من عمله ، وهناك أيضا كتاب المكابيين الأول والثانى المستمد من السجلات والتقاليد العائلية المستحدثة ، والأول عمل يمثل القومية اليهودية بقوة ودون ليس قبل ، وربما بعد فترة وجيزة من عام ١٠٤ ، ويغطى السنوات من ١٧٥ حتى ١٣٥ ، والكتاب الثانى موجَز لخمسة مجلدات للتاريخ اليهودى كتبها جاسون القورينى Jason of Cyrene باللغة اليونانية فى عام ١٤٢ ،

ويغطى السنوات١٧٥-١٦٠، وكُتب ملخصه حوالى عام ١٢٥ ،ويمكن أن يضاف إلى هذه المصادر الأصلية خطابات أريستياس Letter of Aristeas إلى فيلوكراتيس Philocrates ، وهو عمل ليهودى متأغرق من الإسكندرية ، وكتاب المكابيين الثالث والرابع وهو أقل منها أهمية . وكتب يوسف Josephus فى القرن الأول الميلادى ،تقريرا مقارنا عن التاريخ اليهودى ، يقُص فى الكتاب الثانى عشر منه عن ثورة الهاشمونيين .

وسواء كان اليهود يعيشون فى فلسطين أو مبعثرين ، حيث كان كثير منهم كذلك بالفعل ، فى بلاد أخرى ، فقد كان لليهود عقيدة توحيدية خاصة ،أصبح من الصعب معها على المتشددين منهم التوافق مع الإغريق الذين – يعيشون – من حولهم أو الإذعان لمطالب الملوك الهيللينستيين . إن معتقداتهم الخاصة جعلتهم هدفًا لكراهية جيرانهم ، ومن المحتمل أن ديودوروس ربما تبع بوسيدونيوس Poseidonius كاتب القرن الأول ، فى تقريره عن النصيحة التى قُدمت إلى أنطيوخوس السابع ، يورجتيس (الرحيم) Antiochus VII Eurgetes بإبادة اليهود تماما ،وعندما سألوا عن سبب حصارهم عام ١٣٤، انتشر الواشون أعداء السامية فرادى بين خصومهم .

و"يتحاشى اليهود من دون الأمم التعامل مع غيرهم من الشعوب ، وينظرون إلى الناس جميعًا على أنهم أعداء لهم ،وقد أشاروا إلى أن آباء اليهود سبق طردهم من مصر على اعتبار أنهم كفار وينفرون من الآلهة . وجُمع جميع الأفراد الذين كانت لديهم علامة بيضاء أو لديهم علامات الجذام على أجسادهم وقابوهم إلى الحدود كوسيلة لتطهير الدولة منهم ،كما لو أنهم ملعونون ؛ وشغل اللاجئون الإقليم الذى يحيط ببيت المقدس Jerusalem،وأصبحوا يكونون أمة اليهود ،وجعلوا من كراهية الجنس البشرى تقليدا لهم ،وعلى أساس هذه القناعة وضعوا قانونًا مستهجنًا تماما : بعدم كسر خبز مع أى جنس آخر وأن لا يكونوا على وئام معهم على وجه الإطلاق (Diodorus,xxxiv/xxxv,1)" .

لقد كان هذا التطرف رد فعل على خصوصية اليهود الأورثوذوكس Orthodoxy

Jews ، بيد أن عدداً كبيراً من اليهود انشق عن الأورثوذكسية Orthodoxy(*)، وخصوصا فى الشتات diaspora ؛ نظراً لظروف العالم الهيللنيستى.

وقد استقر عدد كبير من الشعب اليهودى فى مصر ،وتواتر أن الإسكندر نظم بعضهم بنفسه فى الإسكندرية (Josephus ,Against Apian,ii,36-41) وربما تم أخذ آخرين أسرى حرب فى حملة البطالمة على فلسطين كما روى (أجثارخيديس Agathar-chides)، ومما لا شك فيه حضور آخرين كجنود مرتزقة . وفى فترة مبكرة كان ما يزال هناك يهود فى إلفانتين–أسوان– Elephantine فى القرن الرابع . كما عاشوا مبعثرين فى أنحاء الريف ، ووجدت جالية كبيرة من اليهود فى الإسكندرية ، عاش أفرادها بين الإغريق حتى منتصف القرن الثانى ،وأعقب ذلك تجمعهم معا فى الجيتو ghetto . واقتبس يوسف من استرابون Strabo ما أخبرنا به من أنه :

"كان يوجد على رأسهم إثنارخ Ethnarch ، يدير شئون الجماعة ، ويقوم بالتحكيم بينهم فى المحاكم ،وتقع العقود تحت مسئوليته ، وكان يُصدر المراسيم ، كما لو أنه رئيس مدينة مستقلة ".

لقد كان مثل هذا الموظف موجوداً بالفعل فى العصر الهيللينستى ،ويتضح ذلك بجلاء من فقرة أخرى وردت لدى يوسف (Antiquities of Judaea,xv,5,2) يشرح فيها فقط تجديد أغسطس للمنصب ،وتطبع عدد كبير من اليهود فى مصر بالطابع الهيللينستى ،وهجروا اللغة العبرية لصالح اللغة الإغريقية . وينسب خطاب من أرستياس Letter of Aristeas وربما زورا إلى بطلميوس الثانى المبادرة بترجمة العهد القديم إلى اللغة اليونانية المعروفة لنا بالترجمة السبعينية Septuagint . ومن المحتمل أن اليهود قاموا بترجمتها لأنفسهم ؛ لأن الترجمة الإغريقية كانت جوهرية لأولئك الذين لم يعودوا قادرين على قراءتها فى لغتها الأصلية ، أو لا يستطيعون قراءتها بسهولة . وهناك إشارة أخرى على تَطبع هذه الجماعة بالطابع الهيللينستى لكاتب يهودى متأثر

(*) الأورثوذكسى اصطلاح يونانى ὀρθοδοξια يعنى صاحب المذهب الصحيح ، راجع Liddell & Scott , op.cit.,p.1248 .

أيضـا بالهـيللينسـتـيـة ، وهو أرسـتـوبولوس Aristubulus الذى يعـرف فـقط من خـلال الكتاب المتأخرين)،والذى قام بكتابة تعليق على أسفار موسى(عليه السلام) الخمسة Pentateuch، وشرع فى المقارنة بين الأسفار والكتابات الوثنية الإغريقية بافتراض أن الترجمة الإغريقية المبكرة للعهد القديم قد استخدمها كتاب إغريق منذ هوميروس Homer وحتى أرسطو Aristotle .

وبالنسبة ليهود فلسطين فقد أدى غزو أنطيوخوس الثالث لها عام ٢٠٠ إلى تغييرات ضئيلة ،وهنا أيضا وجدت الهيللينية طريقا لها. وكتب كُتاب آخرون السفر الجامع من التوراة Ecclesiastes حوالى عام ٢٥٠ تحت التأثير الكامل للأفكار الإغريقية ،ويمكن مشاهدة الفكر المضاد للأورثوذكسية اليهودية Jewish orthodoxy فى حِكم المسيح Wisdom of Jesus لابن سيراخ (Ecclesiasticus) ben Sirach) التى كتبها بالعبرية عام ١٩٧ ،وترجمت إلى الإغريقية فى الإسكندرية عام ١٣٢ ،وعُثر على قصاصات من النص العبرى لهذا العمل فى قُمران -Qumran فى فلسطين عام ١٩٤٧ تُكمل تلك التى تم كشفها فى معبد عذرا Ezra synagogue فى القاهرة قبل خمسين عاما(*) ، وتدل على شعبية هذا العمل بين الأورثوذكس اليهود الذين كانوا يقاومون الهيللينية ، وكانت مقاومتهم عنيفة وفى معظمها متعصبة لكل محاولة للتوفيق مع الهيللينية ، سواء فى تعديل القواعد التقليدية ، أو فى القوانين والمحرمات وإطار اليهودية ،واعتبرت كشكل من أشكال الردة ، مما رفع درجة مقاومة اليهود ،ونحن لا نستطيع هنا متابعة ثورة جوداس المكابى Judas Maccabaeus ومؤيديه بالتفصيل . وقد ثار النزاع بسبب محاولة الملك مصادرة دخل المعبد فى عصر سيليوقوس الرابع الذى فشل فى ذلك خلال عيد الغطاس المقدس (epiphàny: 2 Macc.,13-28) ثم بعد ذلك حين أصبح جاسون Jason المتأثر بالطابع الهيللينيستى كبيرًا للكهنة فى عهد أنطيوخوس الرابع ،وعد الملك بجمع مبالغ كبيرة من المال :

"إذا سمح له بمقتضى سلطته بإقامة معهد تربية gymnasium وتدريب الشبيبة

(*) أثناء تأليف الكتاب وصدور طبعته الأولى ١٩٨١ (المترجمة) .

ephebic وتســجــيل الأنتــيــوخــيــين Anticheniana الموجــودين فى بيت المقــدس . (2Mecc.,iv.9)"

والجملة الأخيرة غامضة ، وأدت إلى كثير من الاعتراض عليها ، وفهمها بيكرمان Bickerman الذى ترجمها بالطريقة السابقة على أنها تعنى إقامة رابطة – نقابة – politeuma إغريقية مع منظمة شببية معهد التربية ، فى بيت المقدس ، مما كان سيؤدى إلى خلْق حكومة ثانية– مناظرة – للأولى فى المدينة إلى جانب دولة المعبد ، لكن تشيريكوڤر Tscherikover ترجم العبارة "بجعل أولئك الموجودين فى بيت المقدس أنتيوخيين "، الأمر الذى يعنى أن تصبح بيت المقدس مدينة إغريقية باسم أنطيوخ Antioch. ويمكن الرد على كل منهما ومناقشتهما بطريقة أو بأخرى.

من هنا أصبح النزاع حاداً ، وقام أنطيوخوس الرابع بالضغط بسياسته الهيللينية ، على أمل توحيد مملكته ، التى ضعُفت بشدة نتيجة لقرار الإنذار الأخير ultimatum الذى حمله من السناتو جايوس بوبيليوس لايناس C.Poplius Laenas عام ١٦٨، والذى أرغم (أنطيوخوس الرابع) بمقتضاه على الانسحاب من مصر (راجع ص٢٧٤) ، وقام بحرْق المعبد لحاجته إلى الأموال ، وقام اليهود فى البداية بتنظيم عمل فدائى بقيادة ماتاثياس Mattathias ، وبعد ذلك بقيادة ابنه جوداس المكابى Judas Macca-baeus الذى قام بتجهيز جيش مُعد بالكامل فى عام ١٦٤لاستعادة المعبد وتطهيره ، الذى تم تلويثه عندما استفزهم أنطيوخوس بالتضحية بذبح خنزير فيه ، وبدأ مُسلسل الحرب ، وهلك نيكانور Nicanor ممثل ديمتريوس الأول Demetrius ثم قتل جوداس نفسه عام ١٦٠ . ووقعت الثورة اليهودية فى حيرة مع النزاع الأسرى فى المملكة السلوقية . وتم شن سلسلة من الحملات قادها يوناثان Jonathan أخو جوداس ، وبعد ذلك سيمون Simon، وأخيرا اقتحم سيمون عام ١٤١ قلعة بيت المقدس ، وقام ديمتريوس بتقديم تنازل خطير:

" لقد قمت بإعفائكم – منذ– الآن من جميع الضرائب وجميع المدفوعات الأخرى التى أعادها الملوك من قبلى ، وأمنحكم الحق فى صك عملتكم المختومة فى وطنكم "

(I Macc.,xv,5-6)

وكان نادرًا ما يتم منح حق صك العملة ، وفى العادة كان يُحجم عنه .

وتواصل الصراع اليهودى بعد ذلك ، لكنه يصبح عند ذلك الحد جزءا من التاريخ الرومانى للشرق الأدنى . وكان يدخل بين الجماعات اليهودية فى كل من فلسطين والشتات diaspora أولئك اليهود الذين يعيشون فى مصر وآسيا الصغرى وأوروبا ، وظلت هناك هُوة بين الأورثوذكس المتشددين وأولئك الذين يعتنقون بعض درجات من الهيللينية ، لكن هذه الخطوط كثيرا ما كانت غير واضحة المعالم . وكرَّر الأورثوذكس اليهود ثوراتهم تحت الحكم الرومانى حتى ثورة بارخوبا Bar Kochba الأخيرة فى عصرالإمبراطور هادريان ، ولكن بجانب هذه الثورات العنيدة كان يوجد يهود آخرون أكثرعددا ينظرون من الخارج –للأمور بسطحية – وهم من اليهود الهيللينيين الذين ظهرت المسيحية بينهم . كان بولس Paul يهوديًا ورعًا كما كان مواطنا رومانيا ، ومارس الدعوة للتبشير بين الكفار ، التى كان لها تأثيرها على الإغريق أو المجتمعات الهيللينية فى آسيا الصغرى وبلاد الإغريق (Galatians,1,16). ويصف خطابه الأول إلى الكنيسة فى كورنثة Corinth (1 Cor,m12,12-26) المجتمع المسيحى فى عبارات تشبه تلك التى يستخدمها الرواقيون Stoics فى وصف خصائص المجتمع السياسى ، وبعد ذلك اعتمد عدد من المسيحيين فى أثناء القرن الثانى الميلادى من الذين كانوا يطالبون بالغفران كثيرا على تعاليم الفلاسفة الإغريق ولغتهم ، وعلى تلك المتعلقة بالفلاسفة الكلبيين Cynics ، خاصة لعرض قضية المسيحية . وعلى ذلك فإن الشكل الذى مكن المسيحية أخيرا من قبولها كديانة رسمية فى الإمبراطورية الرومانية ، جاء من أن المسيحية كانت فى جوهرها إنتاجًا مشتركًا من اليهودية والبيئة الهيللينستية .

الفصل الثالث عشر

وصول روما - The Coming of Rome

أولا:

فى الوقت الذى بدأ فيه الرومان يجعلون الإغريق فى الشرق يشعرون بوجودهم ، كانت القوى الأساسية للممالك الهيللينستية قد بدأت فى الضعف ،وعلى الرغم من الوَقع الذى نتج عن حملة أنطيوخوس الثالث الشرقية فى آسيا الوسطى (راجع ص ١٤١) ، فقد كانت مملكة السلوقيين واقعة فى الشرق تحت ضغط الفرس Parthians، ونتيجة ضغط سلسلة من الثورات الداخلية فى مصر، كانت سلطة الحكام الإغريق تتآكل لصالح الكهنة الوطنيين .إن أهمية هذه العوامل كعناصر أدت إلى تحطيم نظام الدولة الهيللنستية ، وهو ما يُعد على أى حال شيئا ضئيلا بالنسبة لرغبة الرومان الحاسمة فى التوغل فيها. وبدأ ذلك مع الحرب الإليرية Illyrian war عام ٢٢٩ ، وبعد مضى عقود قليلة هُمشت جميع مراكز القوى الهيللينستية ووضعت تحت وصاية مجلس السناتو (الشيوخ) الرومانى . إن شخصية الرومان وقيم ونظام دولتهم جعلتهم فى معزل عن الإغريق وعن كل شعوب العالم الهيللينستى فى الحقيقة . وكانت روما دولة عسكرية على مستوى عال ،وارتبطت قيم الأرستقراطية الحاكمة فيها ارتباطا وثيقا بالإنجازات العسكرية ، وفيها كانت الشهرة والمجد gloria مكافئة للفضيلة virtus، وجاءالتعبير عن الشجاعة الخليقة بالرجال فى الشعور الوطنى patria بشغل الوظائف العليا وشن الحرب ،وكانت المطالبة بتقدير النجاح للحصول على جائزة الاحتفال بموكب النصر تقاس بما تم الحصول عليه من غنائم وما تم ذبحه من الأعداء .

مَجدت بعض النقوش الرومانية المبكرة المعروفة إنجازات القناصل الرومان العسكرية على النحو التالى :

"لوكيوس كورنيليوس سكيبيو بارباتوس Lucius Cornelius Scipio Barbatus بن جنايوس Gnaeus الرجل الصنديد الحكيم ، الذى تتوافق طلعته البهية مع بسالته ، الذى استولى على تاوراسيا Taurasia وكيساونا Cisauna ، فى (إقليم) سامنيوم Samnium (فى شبه الجزيرة الإيطالية) ؛ وقهر كل أراضى لوكانيا Lucania ، وساق الأسرى" ، (CIL i,2,l,7= Remains of Old Latin .iv,2) .

يقدم هذا النُّظم المدوّن على شاهد قبر من أوائل القرن الثانى ، الخاص بسكيبيو قنصل عام ٢٩٨، نموذجًا على قيم مجتمع عسكرى أرستقراطى .

لم تكن الحرب الإليرية أول اتصال لروما مع العالم الإغريقى ، فمنذ القرن السادس وما تلاه كانت المدن اللاتينية (داخل شبه الجزيرة الإيطالية) خاضعة للنفوذ الإغريقى فى كمبانيا Campania أيضا ، وعلى امتداد إتروريا Etruria كذلك بطريقة غير مباشرة ، وعلى الرغم من أن الرومان بدا أن لديهم القدرة دائما على نقل ما يحتاجون إليه من الإغريق ، فإنهم كثيرا ما قاموا بتغيير سمات مانقلوه فى أثناء عملية النقل . فقد سبق استعارة كلمة موكب النصر triumphus على سبيل المثال منذ فترة مبكرة من الكلمة الإغريقية thriambos وهى ترنيمة لديونيسيوس ، لكن كلمة موكب النصر triumph تشير فى اللغة اللاتينية إلى نظام رومانى خالص . وكان يوجد أوان يونانية فى القرن السادس فى روما ، ومع القرن الخامس تم تقديس الديوسكورى Dioscuri بالقرب من لاڤينيوم Lavinium ، ومن الجانب الآخر لم يجهل الإغريق روما . فقد سجل هيلانيقوس من ليسبوس Hellanicus of Lesbos رواية عن أن (البطل) أينياس Aeneas هو الذى قام بتأسيس روما (-Dionysius of Halicarnas sus,Roman Antiquities,I, 72,2)؛ وبعد قرن من الزمان كان ثيوبومبوس Theopompus وأرسطو Aristotle وهيراكليديس بونتيقوس (البرجامونى) Heracleides Ponticus وثيوفراستوس Theophrastus يعرفون جميعهم عن وجود روما ؛ حقيقة ادعى هيراقليديس كذبا أن روما مدينة إغريقية . ولكن هذه المعلومة لم تعد تثير الدهشة ؛ لأن الرومان كانوا قد توسعوا بالفعل فى وسط إيطاليا وجنوبها مع نهاية القرن الرابع . ووضعتهم الحرب السمنية Samnite Wars التى يشير شاهد قبر سكيبيو بارباتوس إليها) فى مواجهة المستعمرات الإغريقية القديمة حول أصبع وكعب وظاهر قدم

إيطاليا فى المرحلة من ٢٨٠-٢٧٥ فى أثناء انشغالهم فى الحرب مع بيرهوس من إيبيروس Pyrrhus of Epirus الذى كان أحد المغامرين من الجيل الذى تلا الإسكندر وينتمى إليه ،وكان قد حضر بجيشه إلى إيطاليا لكى يحارب إلى جانب تارنتوم Tarentum إن فشل بيرهوس فى وقف التقدم الرومانى قاد إلى سيطرة الرومان على كل الأنحاء الجنوبية والوسطى لشبه الجزيرة الإيطالية ، وأصبح على العالم الهيللنيستى منذ الآن فصاعدا أن يضع فى اعتباره مراقبة الرومان بجدية.

وقد دخل الرومان عام ٢٦٤ فى صراع مع قرطاجة Carthago حول السيطرة على ميسانا Messana الواقعة على مضايق صقلية . وكانت نتيجتها الحرب البونية الطويلة الأولى(٢٦٤-٢٤١) ضد الدولة الرئيسية (قرطاجة) غير الهيللينستية فى البحر المتوسط ،وانتهت بأن أصبحت روما قوة بحرية ، وامتلكت جزيرة صقلية . وواكب مصلحة الرومان عدم إلحاق الجزيرة بكاملها بروما ،وتمت الموافقة على أن يظل الملك هيرون الثانى حاكما على مساحة كبيرة فى شرق الجزيرة، وظل تابعًا مخلصًا حتى موته عام ٢١٥ . أما الجانب الغربى من العالم الإغريقى -صقلية وجنوب إيطاليا - فقد أصبح يقع الآن بحق داخل سيطرة الدائرة الرومانية ، وأدرك إغريق شرق المتوسط جيدا الأحداث التى كانت جارية ،لقد كان هناك بطبيعة الحال روابط تجارية منتظمة بين الشرق والغرب ،حيث عُثر على عديد من مقابض الأوانى الروديسية فى جنوب إيطاليا تؤرخ حول عام ٣٠٠ ، وقد التقطت سفينة رومانية أراتوس من سيكيون Aratus of Sycion فى المياه الإغريقية فى عام ٢٥٢ (Plutarch,Aratus ,12) ومن المحتمل أنها كانت فى الواقع من جنوب إيطاليا ؛ لأن الإيطاليين سرعان ما تعلموا كيف يستغلون اسم روما ، وظهرت بعض الشخصيات الرومانية كسفراء proxenos على قائمة أيتولية Aetolian list من عام ٢٦٣ (IG,ix,I,7a,2i,I.51) وكان ظهورهم على وجه الخصوص كحلقة اتصال بين رومان الغرب والبطالمة ،وعلى سبيل المثال يقف نظام هيرون الضرائبى الذى أخذه الرومان فيما بعد(نعتمد بصفة أساسية فى معلوماتنا عنها على خُطب شيشيرون Cicero المعروفة ضد ڤريس Verres حاكم صقلية الفاسد) - يقف على قدم المساواة مع قوانين الدخل revenue Laws، الخاصة ببطلميوس الثانى (راجع ص ١٢١) . وكانت العلاقات وثيقة بين المملكتين ، وعلى الرغم من أن قوانين الدخل

تُحدد السدس كنصيب على منتجات الكروم والحدائق التى تدفع للحكومة ، وكان نظام هيرون يحدد ضريبة الثلث tithe، فهناك ذكر لضريبة الثلث فى مكانين فى قوانين الدخل Revenue Laws (P.Rev.Laws,cols. 24and 80) ، كما ذُكرت ضريبة الثلث أيضا فى نقش من تليميسوسTelmessus ، يؤرَّخ بعام ٢٤٠ عندما كانت تحت حكم البطالمة ، وأكثر من هذا فقد أصبح معروفا الآن أن المدن والحكام الذين كانوا يمنحون حق الحماية من الثأر asylia لمعبد أسكليبيوس Asclepios فى قوس عام ٢٤٢ كانت تتضمن من بينها نابلس Naples وإليا Elea فى إيطاليا،وكامارينا Camarina وفينتياس Phintiasفى صقلية (Akad. Abh.Berlin (1952),1) ويمكن أن يكون هناك شك طفيف حول أن اقتراب المبعوثين المقدسين من قوس كان بموافقة روما ،وفى الوقت نفسه كانت لقوس مصالح مع الدائرة البطلمية.

عَبَرت القوات الرومانية إلى البحر الإدرياتى لأول مرة عام ٢٢٩ لتنفيذ سياستها ضد الإليريين : Illyrians

"وهو أمر لا يمكن المرور عليه بسهولة ، ولكنه يقتضى الانتباه الشديد من هؤلاء الذين يرغبون فى الحصول على رؤية صادقة لشكل الأملاك الرومانية ونموها . (Polybius ,II,2,2)

نشب الصراع بسبب القرصنة الإليرية ،وواجه الرومان الملكة الإليرية تيوتا Teuta بإنذار ultimatum (قرار السناتو الأخير)(*) كان سيؤدى غالبا إلى الحرب ، حتى لو لم يقم الإليريون بقتل أحد الرسل الرومان ،وتركت الحملة الناجحة لروما مجموعة من الدول الصديقة التى ترتبط معها برباط وثيق ، مثل كوركيراCorcyra وأبولونيا Apol-loni وإبيدامنوس Epidamnus وإسا Issa بارثينى Parthini والاتينتانى Atintaniعلى أراضى الإليرين الأصلية (Polybius ,ii,12 ,12,4-8) وعلى ذلك ففى عام ٢٢٠ وبداية الحرب مع هانيبال ، كان الرومان قد سبقوا وقاموا بأول اتصال متواضع مع عالم إغريق شرقى الإدرياتى ، وأنشأوا علاقات صداقة مع بعض الدول القيادية فى بلاد الإغريق الأصلية ، وفى عام ٢١٩ كان ضمن العوامل المهيجة للأحداث فى

(*) عن قرار السناتو الأخير ، الروبى (أمال) ، نظام الحكم الرومانى ، ص ٣٣ .

إسبانيا، التى أدت إلى إشعال الحرب البونية الثانية ، وإرسال روما قوة عسكرية استطلاعية جديدة ضد ديمتريوس الفاروسى Demetrius of Pharos وهو من الأسرة الحاكمة الإليرية المحلية التى أصبحت صديقة لروما في عام ٢٢٩ ، ولكنه عندما خان صداقتها أبحر جنوبا فى حملات قرصنة فى تحد لمعاهدة عقدها مع الملكة تيوتا. طُرد ديمتريوس واستولى الرومان على فاروس وشددوا من قبضتهم على إلليريا .

ثانيا:

اختار بوليبيوس عام ٢٢٠ كنقطة بداية لروايته الرئيسية عن الأحداث التى قادت الرومان من كوارث السنوات الأولى لحرب هانيبال إلى السيطرة على العالم المعروف تقريبا خلال الأعوام الخمسين التالية (راجع ص ٢٨) . ونستطيع تتبع أربع مراحل عريضة فى تقدمهم (الرومان) نحو الشرق : تتمثل المرحلتان (ا) و(ب) فى حربين ضد فيليب الخامس المقدونى ٢١١-٢٠٥ و٢٠٠-١٩٧) ؛ المرحلة (ج) الحرب ضد الأيتوليين وأنطيوخوس الثالث من سوريا (١٩٢-١٨٨) ، والمرحلة (د) الحرب ضد بيرسيوس المقدونى (١٧٢-١٦٨) . كانت وما زالت الدوافع التى دفعت الرومان إلى خوض تلك الحروب تثير جدلا شديداً ،وهى على أى حال لا تتعلق بتحقيقنا الحالى ، الذى يتجه أكثر إلى تتبع مراحل التوغُّل الرومانى وفرض نتائجه على المدن والممالك التى واجهته .

انفجرت الحرب المقدونية الأولى عندما عقد فيليب الخامس معاهدة مع هانيبال على أمل تأمين إقليم إيلليريا Illyria بعد أن وصل الأخير عقب ثلاثة انتصارات باهرة على الرومان فى معارك تريبيا Trebia وتراسيمينى Trasimene وكناى Cannae، إلى أن أصبح فى مركز مسيطر فى حربه ضد روما فى إيطاليا (صيف عام ٢١٥) . إن التهديد الذى امتد من هذه الحرب إلى الدول الواقعة شرق الإدرياتى لم يكن يقدر له المرور بدون أن يلاحظه أذكياء الإغريق . ومنذ عام ٢٢٠ كانت الخطى تتجه بسرعة نحو حرب بين تحالفين يتمركزان على الحلف الأيتولى Aetolian League والحلف الآخى Achaean League (ضد فيليب الخامس والمقدونيين) على التوالى ،وفى المؤتمر

الذى دعى إليه فى ناوباكتوس Naupactus فى نهاية هذه الحرب عام ٢١٧ قام أجيلاوس من ناوباكتوس Agelaus of Naupactus، الأيتولى بتقديم دعوة مثيرة للانتباه لضم الصفوف قال فيها :

" لقد أصبح من الواضح حتى لأولئك الذين ينتمون إلينا ولا يبدون غير اهتمام ضئيل بشئون الدولة من أنه سواء هزم القرطاجيون الرومان أو هزم الرومان القرطاجيين فى هذه الحرب ، فليس من المحتمل مطلقا أن يكتفى المنتصرون بالسيادة على إيطاليا وصقلية فقط ، بل من المؤكد أنهم سوف يحضرون هنا لبسط أطماعهم وقواتهم العسكرية متجاوزين حدود العدل .... وإذا حدث وانتظرتم – تجمع – هذه السُحب التى تظهر فى أفق الغرب لتستقر فوق بلاد الإغريق ، فإن أكثر ما أخشاه أننا جميعا سنجد أن هذه الفترات من الهدنة والحروب والألعاب التى ننظمها الآن سيتم وقفها بخشونة ؛ لذلك سيكون من الأفضل أن نصلى للآلهة حتى تواصل منحنا القوة لنحارب معًا ، ونحقق السلام بإرادتنا ، وتمنحنا القوة فى كلمة حاسمة لتسوية الخلافات فيما بيننا من أجل مصلحتنا ".(Polybius,v,104,3ff.) .

وثار جدَل حول أن خُطبة أجيلاوس قام بوضعها بوليبيوس ، وكتبها عندما أصبح التنبؤ الضمنى حقيقة ، لكن المناقشات كانت بصفة عامة تؤيد بشدة القبول الأصلى لتدخُّل أجيلاوس ؛ لأنه يبدو من المستبعد أن يقوم بوليبيوس باختيار أحد الأيتوليين الذين يكرههم ليتحدث باسمه عن رأيه الشخصى .

تأكد اهتمام فيليب بروما حول هذا التاريخ من الحصول على خطاب يثير الاهتمام كتبه إلى لاريسا Larissa بعد عامين من سلام ناوباكتوس Naupctus، ذكر فيه أن الرومان يتزعمون سياسة متحررة لتجنيد مواطنين جدد (راجع ص ١٧٥) وحال خروج الحرب مع أيتوليا من يده أصبح حرًا ليولى اهتمامه إلى إلليريا والصراع مع روما ، وكانت المعاهدة التى عقدها مع هانيبال عام ٢١٥ ذات أهداف محددة ، وصيغت بصفة خاصة لتأمين مركزه فى إيلليريا ، كما توضح العبارات التالية :

" إذا طلب الرومان منا عندما تحقق الآلهة النصر لنا فى الحرب ضد الرومان وحلفائهم ، القيام بعقد سلام (كما فعل هانيبال والقرطاجيون) ، فإننا سنعقد مثل

هذا السلام الذى سوف يشملكم بالمثل على أساس الشروط التالية : أن لا يشن الرومان عليكم حربًا على الإطلاق ، وأن لا يسيطر الرومان على كوركيرا Corcyra وأبولونيا Apollonia وإبيدامنوس Epidamnus وفاروس Pharos وديمالى Dimale والبارثينى Parthini أو الاتينتانى Atintani بعد ذلك (Polybius,vii,9,12-13).

توضح هذه العبارات بالمصادفة أن كلا من فيليب وهانيبال لم يتصورا أن الحرب سوف تؤدى إلى نهاية روما .

وبعد الارتباك الذى حدث بعد مواجهتهما بحرب إضافية فى بلاد الإغريق عقد الرومان مع الأيتوليين معاهدة فى عام ٢١١، حفظت بعض من فقراتها فى قصاصة نقش مهشم عثر عليه فى ثيرهيوم Thyrrheum فى أكرانانيا : Acarnania

"وعلى العكس من كل ذلك ....فسوف يقوم حكام magistrates أيتوليا باتخاذ مثل هذا الإجراء ، كما قام هو (؟) به ،وإذا استولى الرومان على أى من مدن هذه الشعوب بالقوة ، وما دامت مصلحة الشعب الرومانى فى ذلك فسوف يسمح للشعب الأيتولى بامتلاك هذه المدن وإقليمها ؛ ولكن إذا استولى الرومان على أخرى فيما عدا المدينة وإقليمها ، فسوف يحصل الرومان عليها . ولكن إذا ما استولى الرومان والأيتوليون على أى من هذه المدن معا ، فإن الأيتوليين يمكنهم الاحتفاظ بالمدن وأقاليمها ما دامت مصلحة الشعب الرومانى فى ذلك ؛ وإن أى شىء آخر يحصلون عليه غير المدينة سوف يشتركون معا فى امتلاكه ،وإذا قبلت أى من هذه المدن الالتحاق بالرومان أو الأيتوليين ، ففيما يتعلق بالرومان فسيسمح للأيتوليين بالحصول على هؤلاء الناس ،والمدن والأراضى فى اتحادهم .... مستقلين .... للرومان .... السلام " (SVA.536-Austin,62 B) .

إن هذا الاتفاق الدولى وطبيعة الحرب التى تلته أثارت استياء كبيرا بين الآخيين وبين حلفاء فيليب الآخرين ؛ لأنها بينما أوضحت أن الرومان غير مهتمين فى إلحاق إقليم من الأقاليم ، إلا أن رغبتهم فى السلْب والنهب قد اتضحت ،ومن ضمنها سلب البشر ،والوحشية التى شنوا بها الحرب على بلاد الإغريق(فقد نهبوا مدينة ديمى Dyme الآخية واستعبدوا سكانها (Livy,xxxii,22,10) أثارت كثيراً من مشاعر الاستياء التى احتاجت بالتالى لتنظيم حملة دعائية لاستئصال نتائجها .

وانتهت الحرب المقدونية الأولى عام ٢٠٥بعقد سلام مع الفينيقيين ، بعد أن أنهى الأيتوليون عقد معاهدة منفصلة مع فيليب ،ولكنها لم تستمر . ففى عام ٢٠٠ كان يوجد قائد رومانى فى شبه جزيرة البلقان مرة أخرى ، وهوجم فيليب هذه المرة داخل حدود مقدونيا .وفى الحرب المقدونية الثانية ٢٠٠-١٩٧ لم يكن موضوع حرية الإغريق يستحق أن يهتم الرومان بالقيام باستغلاله (وعن استخدام أنتيجونوس الأول المبكر لها واستخدامها بالتالى كشعار راجع ص٦٣/٦٤ ؛ ١١٠) . وفى كثير من المواقف الفاصلة فى الحرب كان يوضع شعار " تحرير الإغريق"فى المقدمة كضرورة لأى تسوية ،وتبع الانتصار الرومانى عام ١٩٧ تصريح بتحرير الإغريق ، الذى سبقت الإشارة إليه فى ص ١١٠ . أما الحقيقة فكانت غير ذلك . فقد ضغطت الحرب بشدة على استقلالية الدول الإغريقية القيادية ، والحلفين الايتولى والآخى . وبالاضافة إلى ذلك أثر الوضع المسيطر للرومان بالفعل فى المدن التى تقع على مسافة بعيدة مثل آسيا الصغرى التى بدأت تتجه الآن إلى مجلس السناتو الرومانى طلبا لحل مشاكلها.

وقد اتضح ذلك بجلاء فى نقش من عام ١٩٦ من لامباساقوس **Lampsacus** على الجانب الأسيوى من مضيق الدردنيل **Hellespont** ، مسجل عليه قرار يكرِّم أحد المواطنين ويدعى هيجيسياس **Hegesias** الذى قام بأداء مهمة خطيرة رفض أى فرد أخر القيام بها :

"الذى انتخبه الشعب وقضى بأنه جدير بالتقدير ، على الرغم من أنه لم يكن هناك مخاطر موجودة يمكن أن تعوقه، إلا أنه اعتبر أن مصالحه الخاصة أدنى أهمية من مصلحة المدينة ؛ لذلك ذهب إلى الخارج إلى بلاد الإغريق ومعه زملاؤه من المبعوثين وقابل القائد الرومانى المسئول عن الأسطول (لوكيوس كوينكتيوس فلامينينوس **L. Quinctus Flamininus** وهو أخو الجنرال) وشرح له باستفاضة أن شعب (لامباساقوس **Lampasacus**) بعضهم أقارب وأصدقاء الشعب الرومانى (منذ مدة) قد أرسلوه لمقابلته فى صحبة زملائه من المبعوثين يستحلفونه ويرجونه ،حيث إن الرومان هم أقاربنا ، أن يفكِّر فى أمر مدينتنا ،ويعمل على ما هو فى صالح شعبها نظرا لقرابتنا مع الرومان ؛ لأنه ينبغى عليهم (أى الرومان) العمل دائما على حماية مصالح مدينتنا بسبب صلتنا بهم ، حقيقة أن شعب ميساليا **Messalia** أصدقاء الشعب

الرومانى وحلفاؤه ، هم إخوتنا ، عندما وصلهم رد مناسب منه (لوكيوس فلامينيوس) قاموا بإيصاله بكامله إلى المدينة ؛ ولذا أصبح الشعب نتيجة لها فى حالة أفضل ؛ لأن (لوكيوس فلامينيوس) أوضح أنه يعرف صِلتنا وقرابتنا مع الرومان ، ووعد بأنه إذا أعلن الصداقة أو تبادل القسم مع أى جانب فسوف يُدخِل مدينتنا فيه ، وسوف يحافظ على ديمقرطيتنا واستقلالنا وعلى السلام ، وسوف يقوم بعمل ما فيه صالحنا ، وإذا حاول أى فرد الإساءة إلينا فلن يسمح له بذلك ، وفوق كل ذلك سوف يحول دونه ، وقابل [هيجيسياس Hegesias] مع زملائه المبعوثين مسئول خزانة الأسطول (وزير المالية quaestor الملحق بلوكيوس فلامينينوس) ، وأقنعه بمواصلة المساعدة ، وحصل منه كذلك على خطاب لشعبنا ، لإدراكه أنه سيكون فى صالح شعبنا ؛ لذلك ضمه إلى الملف الرسمى........(فُقد هنا أحد الأسطر)......و[الرغبته فى إتمام ما يتعلق بكل ما حصل عليه من مراسم ، أبحر إلى ماساليا Massalia ، على الرغم من مخاطر الرحلة البحرية ، وهناك قابل الستمائة (وهو مجلس المدينة) ، كما طلب ، وسعى بأن يلحق المبعوثين الذين حضروا معه فى سفارته من ماساليا إلى روما ؛ وأجيز طلبهم وحصلوا من "مجلس الستمائة" على خطاب توصية نيابة عنا لشعب الجلاتيين التوليستواجيين .Galatian Tolistoagii وعند وصوله إلى روما مع زملائه المبعوثين ، وأولئك الذين أرسلوا من ميساليا ، وبعد مقابلة السناتو معهم ، سَمِع (المساليين) يعلنون نيتهم الطيبة ونزعتهم الودية تجاهنا ، وتجديد صداقتهم القائمة معنا، وبعد أن شرحنا لهم (أى للسناتو) أنهم إخوة شعبنا ، وأن نيتهم الطيبة تنبع من قَرابتهم ، وأوضح (هيجيسياس Hegesias) أيضا [الموقف] والأمور التى من أجلها أرسل الشعب تلك السفارة وحثهم هو والمبعوثون من زملائه ، فى أن يفكروا فى سلامة أصدقائهم الآخرين وأقاربهم وحماية (الدفاع عن) مدينتنا بسبب قرابتنا ومن أجل الروابط الطيبة بيننا، أما بخصوص خطاب التوصية الذى حصلنا عليه من المساليين Massalitotes ، فهو يعد ردا لمصلحة الشعب ؛ وحث المبعوثين على أنه يجب أن يلحقوا بالمعاهدة التى عقدها الرومان مع الملك (فيليب الخامس) ، وقد أضافنا السناتو إلى المعاهدة مع الملك ، كما كتبوا أيضا ، أنه فيما يخص الموضوعات الأخرى فقد أحالهم السناتو إلى القنصل الرومانى تيتوس Titus (تيتوس كوينكتوس

فلامنينيوس T. Quinctius Flamininus) ، الذى كان فى الواقع بروقنصل- proconsul نائب قنصل- فى ذلك الوقت) وعشرة من ..... وعند وصولهم إلى كورنثة مع .... أبوللدوروس Apollodorus قابل القائد والعشرة، وتحدث معهم عن الشعب وحثهم بحماس كبير على الاهتمام بنا ، والمساهمة فى حفاظنا على ديمقراطيتنا واستقلالنا بخصوص ما حصل عليه ......مرسوم وخطابات إلى الملك (أغلب الظن يومينيس من برجامون Eumenes of Pergamum وبروسياس من بيثينيا Prusias of Bithynia . (Syll.,591=Austin,155)"

إن الإسهاب والتَّكرار فى ذلك النقش ربما يعكس عدم كفاءة القائمين على كتابة المسودة ، لكنه يعطى فى الوقت نفسه فكرة عن الخطابات المملة التى بدأ القادة الرومان ، والمبعوثون والسناتو يرضخون لها منذ الآن فصاعدا ، كما يلقى الضوء - لهذا السبب كان يستحق اقتباسه بذلك الطول - على الخطوات التى رأت مدينة فى آسيا الصغرى ما ينبغى اتباعها فى عام ١٩٧-١٩٦ عشية السلام الرومانى مع فيليب للحصول على الوئام مع الرومان ، والبحث عن السبب لذلك ليس ببعيد ، فعلى الرغم من أنه لم يذكر فيما تبقى من النقش السبب الذى كانت تخشى منه لامبساقوس Lampsacus فقد كان يأتى من طرف أنطيوخوس الثالث الذى كان يتقدم حول ذلك الوقت ضد أزمير Smyrna ولامبساقوس Lampsacus. إن سفارة هيجيسياس Hegesias التى قادته من بلاد الإغريق ، ميساليا وروما والعودة إلى بلاد الإغريق وإلى فلامينينيوس والمندوبين العشرة الذين تم إرسالهم للمحافظة على السلام ، يجب أن تكون قد بدأت(أى السفارة) عام ١٩٧ . ونعلم من ليڤى Livy أنه عندما كان أنطيوخوس يحاول فى عام ١٩٦ إرغام جميع مدن آسيا الصغرى على قبول سُلطانه المطلَق :

"ادعت أزمير Smyrna ولامبساقوس Lampsacus حريتهما ، وكان هناك خطورة ، من أنه إذا قبلنا ما طالبهم به (أنطيوخوس) ، فإن مدنا أخرى فى أيوليس Aeolis وأيونيا Ionia سوف تقتفى أثر أزمير ، وسوف تتبع مدن أخرى واقعة على الدردنيل مدينة لامبساقوس"(xxxiii,38,3) .

وقد اتجهت لامبساقوس بالفعل فى ورطتها إلى روما ، وكان شعبها ينظر إليها على أنه من أقارب إيليوم Ilium (طروادة) ، وبالتالى فقد ادعوا قرابتهم للرومان لقيام

أينياس الطروادى Trojan Aeneas بتأسيس روما ،وكان سكان ماساليا إخوة لسكان لامبساقوس ؛ لأن المدينتين كانتا مستعمرتين لفوكايا Phocaea ، وليس هناك دليل على ما يراه بعض الباحثين من أنه كان هناك خطورة على لامبساقوس من قبل الجلاتيين التوليستواجيين Galatian Tolistoagii ، لقد انتهز هيجيسياس Hegesias فرصة زيارته إلى ماساليا للحصول على خطاب من هذه المدينة الكبيرة ،التى تقع فى منطقة محاطة بالشعب الغالى ، وكانت بالتالى لها تأثيرها على الغال فى آسيا الصغرى ،وربما لتحسين العلاقات مع الغال ، عن طريق تأجير الجنود المرتزقة (على الرغم من أن ذلك مجرد تخمين) ،وعلى ذلك فإن النقش يوضح بشدة ليس فقط الطريقة التى تدخلت بها روما فى شئون أسيا ،بل أيضا إنشاء شبكة من العلاقات ، كان على الرومان أن يضعوها فى حساباتهم فى دبلوماسيتهم الجديدة .

ثالثا :

تركت الحرب مع فيليب الأيتوليين معادين وساخطين . واعتبروا أن معركة كينوسكيفلاى Cynoscephalae انتصار لهم إلى حد كبير ، على الرغم من أن الرومان قد رفضوا بخشونة مطالباتهم بمدن عديدة فى ثيساليا Thyssaly كانت من أملاك فيليب ، وفى الوقت نفسه كان تقدم أنطيوخوس الثالث إلى الدردنيل يؤثر فى علاقته بروما ، والتقى التياران ، ففى عام ١٩٢ حلَّ الأيتوليون الموقف بسرعة "بأنه يجب دعوة أنطيوخوس لتحرير بلاد الإغريق ، لكى يتوسط بين الأيتوليين والرومان (Livy,xxxv,33,8) ، وكان ذلك يعنى الحرب ، التى انتهت كما هى العادة بالانتصار المدوى للرومان ،وأدت هزيمة الأيتوليين إلى تقوية النفوذ الرومانى فى بلاد الإغريق الأصلية (على الرغم من أن الرومان لم يقوموا بعد بإلحاق بلاد الإغريق بهم) . وأقصت التسوية السلوقيين فى آسيا من جميع المناطق الواقعة غرب سلسلة جبال طوروس Taurus range،ولكن لم تمارس فى المناطق المحررة مبادئ الحرية الإغريقية التى كثر الإعلان عنها . وتمثلت المبادئ العامة وراء التسوية الرومانية فى النحو الآتى :

-تعفى من الجِزْية جميع المدن التى كانت تتمتع بالاستقلال الذاتى سابقًا ، وكانت

تدفع الضرائب لأنطيوخوس ،وظلت مخلصة لروما حتى الآن ؛ أما جميع المدن التى كانت تدفع الجزية إلى أتالوس Atalus (ملك برجامون) فعليها دفع المقدار نفسه إلى (خليفته) يومينيس Eumenes؛ وأى مدينة تخلت عن التحالف الرومانى وانضمت إلى أنطيوخوس فى الحرب عليها أن تدفع إلى يومينيس أى ضرائب كانت تدفعها لأنطيوخوس(Polybius,xxi,46,2-3) .

ثَبَّتت هذه الترتيبات الرومانية أسرة أتالوس كقوة مسيطرة فى آسيا الصغرى ، وقام الرومان بإدراج قائمة من التنظيمات الخاصة لمكافأة رودس مثلها فى ذلك مثل برجامون ،وعلى ذلك فقد تحولت جميع المشاكل الإقليمية والسياسية فى آسيا الصغرى ، وبالمثل فى بلاد الإغريق إلى الرومان ، الذين مالوا إلى القيام بحلها ليس بمقتضى الأحكام العرفية – المتعارف عليها – (كما توقع الإغريق) ، ولكن فى ضوء المصلحة الرومانية إلى حد ما بطبيعة الحال .

احتاجت الدبلوماسية الآن إلى إرسال سفارات إلى روما فى معظم السنة ،ومما لاشك فيه أن ذلك كثيرا ما أدى إلى ضجر الرومان ،لكنها ألقت فى الوقت نفسه عبئا كبيرا على الإغريق ، وفى الحقيقة انشغل الإغريق فى تعلم النظام المعقد للولاية بالكامل ، والتماس المساعدة من روما . وصدر قرار من أبدارا Abdera عام ١٦٦ لتكريم اثنين من السفراء اللذين توجها إلى روما يتضح منه :

"أنهم فى القيام بسفارة إلى روما نيابة عن الشعب أصيبوا بالعناء البدنى والمعنوى ،فى مناقشة القادة الرومان واستمالتهم بصبر يوما بعد يوم ،وفى وضع قائمة تضم أسماء حكامنا– سادتنا – لتقديم المساعدة لها بالنيابة عن شعبنا ،وعن طريق تقديم الحقائق إلى جانبها ،وبالحضور اليومى فى القاعات atria (القاعات الملحقة بالمنازل الرومانية التى ينتظر الأتباع فيها لإلقاء التحية الصباحية) ، تمكنوا من إحراز النجاح على هؤلاء الذين كانوا ينتظرون أن يمنح الرومان حمايتهم لمعارضينا (على سبيل المثال كوتيس Cotys ملك تراقيا Thrace، الذى كان يطالب– باسترداد – عدة أقاليم) بخصوص قراءات جديدة راجع:.Syll.,656,cf) P.Herrmann,ZPE,7(1971),72-7) .

ويقدم هذا النقش فكرة عن العمل الذى قدِّر له أن يقع على عاتق سفارة إغريقية كلفت بمأمورية هامة إلى روما ،حتى قبل أن تأخذ جلسة استماع السناتو مجراها الفعلى.

رابعا :

حارب فيليب كحليف لروما خلال الحرب مع أنطيوخوس ، متوقعًا مكافأته بأقاليم . وأخذت العلاقة تزداد مرارة بين روما ومقدونيا منذ نهاية تلك الحرب حتى موته عام ١٧٩ بصدور قرار بعد الآخر كان فى غير صالح الملك بخصوص منازعات إقليمية (راجع ص ١١٥). ومنذ البداية كان خليفته برسيوس (١٧٩-١٦٨) مكروها من الرومان ؛ لأنهم كانوا يؤيدون تولى ديمتريوس أخيه الأصغر خلافة العرش ، ولكن فيليب أعدمه بتهمة الخيانة العظمى ، ونظروا بشك إليه (برسيوس) لأنه كان يحاول استعادة النفوذ وتحقيق الوفاق مع بلاد الإغريق . وفى عام ١٧٢قرر السناتو إقصاءه ،وبعد حرب ثبت أنها كانت شاقة أكثر مما توقع الرومان هُزم برسيوس فى معركة بيدنا Pydna فى جنوب مقدونيا ،وتم عزْله عام ١٦٨ ؛ ومات بعد ذلك فى أحد سجون إيطاليا ،وفى الصيف نفسه ،وعقب انتصار الرومان فى معركة بيدنا مباشرة وجه السناتو صفعة دبلوماسية إلى أنطيوخوس الرابع فى سوريا الذى كان يقوم بغزو مصر ،وكان قد فرغ لتوه من عبور فرع النيل عند إليوسيس Eleusis، على بعد أميال من الإسكندرية ، عند مقابلته المبعوث الرومانى ،جايوس بوبليوس لايناس C.Popilius Laenas.

"حين كان أنطيوخوس يقوم بتحيته من على بعد مسافة ،وعندما هم بمد يده له، سلم بوبيليوس للملك نسخة كانت معه من قرار السناتو، وطلب منه أن يقرأه أولا ؛ ولكنه لم يفعل ،ويبدو لى ،أنه كان يعتقد أنه من الأفضل أداء التحية التقليدية للصداقة قبل التعرف على أهداف الرجل الذى كان يحييه وما إذا كان صديقًا أم عدواً . قال الملك بعد أن قرأ الرسالة إنه يرغب فى التشاور مع أصدقائه بخصوص هذه الرسالة ، وتصرف بوبيليوس بطريقة يبدو منها الضيق والعنجهية المتزايدة ،وكان يحمل عصا مقطوعة من شجرة كروم (من المحتمل أنها كانت دليلا على منصبه) ،

ورسم بها دائرة حول أنطيوخوس، وقال له إنه يجب أن يظل فى داخل تلك الدائرة حتى يعطيه قراره عن مضمون الخطاب ، تعجب الملك من تلك الطريقة الآمرة لكنه قال له بعد عدة دقائق من التردد إنه سوف يفعل جميع ما طلبه الرومان منه :عندئذ قام بوبيليوس بمصافحته مع معيته باليد وحيوه بحرارة . كان فحوى الخطاب أنه يجب عليه وضع نهاية فورية لحربه مع بطلميوس (Polybius ,xxix,27,1-7)(*) .

إن الخشونة والحركات الفظة التى قام بها النبيل الرومانى تجاه ملك سوريا كانت مقصودة ،وكان الهدف منها توضيح أين توجد السطوة الآن ،وكما وضح بوليبيوس ، أن عام معركة بيدنا وضع حدا للاستقلال الحقيقى لكل بلاد الإغريق ،كان هذا هو الوضع الحقيقى فى بلاد الإغريق الأصلية حيث يوجد الحلف الآخى الذى تمت معاقبته لافتراض – روما – فتور إخلاصه لها ،وقامت بعمل عنيف فور الانتهاء من الحرب ، يتمثل فى إرسال ألف من القادة السياسين من آخيا Achaea بمفردها – كان من بينهم بوليبيوس – إلى روما للقيام بالتحقيق الشخصى معهم،ومكثوا فى إيطاليا لمدة ستة عشر عاما ؛ ولا نعرف شيئا عن العدد المماثل الآخر الذى رُحِّل من الدول الأخرى ، وتم تقسيم مقدونيا نفسها إلى أربع جمهوريات مستقلة ، وبعد الثورة التى قادها مدع للعرش عام ١٤٩ تم تحويلها إلى ولاية رومانية ،وفى عام ١٤٦ واجه الآخيون إنذارا رومانيا نهائيا ultimatum – كان قبوله سوف يؤدى إلى تمزيق الحلف إرْبا ، من أجل ذلك واجهتهم ثورة بدون طائل سرعان ما قضى عليها ، أما كورنثة التى أهين فيها رسل الرومان ، فتم تسويتها بالأرض بقرار من السناتو.

أصبح لايمكن الآن تحدى التسلط الرومانى (عام ١٤٦) . بيد أن روما كما وَضَّحت تلك الصورة المختصرة – التى سبق تقديمها– كانت تمارس نفوذا مزعجا على جميع أنحاء العالم الهيللينستى منذ الوقت الذى قامت فيه بغزوتها الأولى شرق الإدرياتى ،وعلى الرغم من عدم وجود دليل على أن الدول الهيللينستية اعترفت فى أى وقت من الناحية الرسمية أو غير الرسمية بمبدأ توازن القوى ، فقد كان مثل ذلك

(*) عن مراحل تطور العلاقة بين الإمبراطورية المصرية فى عهد البطالمة وهى فى أوج قوتها والجمهورية الرومانية منذ القرن الثالث ق.م حتى استيلاء الرومان عليها عام ٣٠ ق.م راجع : الروبى (آمال)،مصر فى عصر الرومان، ص١١ – ٤ .

التوازن فى الحقيقة موجوداً لعدم وجود دولة كبيرة فى وضع يمكنها من القضاء على أى من الدول الكبرى الأخرى . وكان يمكن للدول القيام بذلك ، لكنها كانت تُكتسح (كما حدث مع مانتينيا Mantinea التى كانت فى يد الآخيين والمقدونيين عام ٢٢٣) ، وكان ذلك دائما هو الوضع الفعلى الذى كان ينعكس عند انسلاخ الدول الصغيرة فقط . و يبدو فى الواقع أن الدول الهيللنستية الكبرى قد واجهت القضاء الكامل على مقاومتها ؛ وعلى سبيل المثال فإن المعاهدة بين فيليب الخامس وهانيبال (ص ٢٦٤) افترضت سلفًا بقاء الرومان على قيد الحياة بعد أملهم فى هزيمتها ،وكان أحد أسباب سخط بوليبيوس العنيف على فيليب الخامس وأنطيوخوس الثالث يرجع لادعائهما الاتفاق على سلب أملاك الملك الطفل بطلميوس الخامس ومبالغته فى الاعتقاد أن الهدف كان"تقسيم المملكة والقضاء على الطفل اليتيم" (Polybius,xv,20,6) .

كانت المدن تستطيع فى القرن الثالث أن تؤيد إحدى القوى ضد الأخرى ، ولكن فور ظهور الرومان على المسرح ، كان كل فرد يتوجه إليها أكثر وأكثر ،وإذا نظرنا فيما يتعلق بالمدن والاتحادات ، وحتى الممالك إلى حد ما ،نرى كيف شجعت روما ديمتريوس الابن الثانى لفيليب الخامس على التطلع إلى تولى العرش (فى هذا الجو) ، ونمت الأحزاب التى تعضد الرومان ،بل إن الرومان أنفسهم فى حقيقة الأمر رحبوا بها واستغلوها،وفى شتاء عام ١٧٠-١٦٩ أرسل القنصل -الرومانى - كلا من بوبيليوس جايوس C. Popilius وجنايوس أوكتافيوس Cn. Octavius إلى وسط بلاد الإغريق من تساليا Thessaly وجنوبها .

"لزيارة مدن البيلوبونيز ليتولوا إقناع السكان بمدى رفق السناتو وتعاطفه ، مستشهدين بالقرارات الحديثة (التى كانت على سبيل المثال تقيد سلطة الحكام الرومان فى إصدار أوامر بدون تعليمات من السناتو) ،كما أشاروا أيضا فى خطابهم إلى أنهم يعرفون فى كل مدينة هؤلاء الذين ما زالوا يتمسكون بالماضى أكثر مما ينبغى وأولئك الذين يسارعون فى تقديم المساعدة".(Polybius,xxviii,3,3-4) .

لم يعد الحياد كافيا لفترة أطول من ذلك، ونظرا لازدياد الخطر نمت صراعات شديدة بين المؤيدين والمعارضين لروما ، ففى رودوس على سبيل المثال :

"كـــان هـنـاك خـــلاف أهـلـى ؛ لأن كـــلا مـن أجـــاثـاجـــيـــتـــوس Agathagetus وفيلوفرون Philophron ورودوفون Rodophon وثياديتيس Theaedetus كانوا يضعون كل آمالهم على روما ، فى حين كان دينون Deinon وبولياراتوس Polyaratus يستندون إلى بيرسيوس Perseus وإلى المقدونيين " .(Polybius,xxviii,2,3)

كانت رودس هى إحدى الدول العديدة (كما أشار بوليبيوس xxx،(6-9) التى اكتشف السياسيون فيها وهم الذين اختاروا الجانب الخطأ أن الموت كان عقوبة خطئهم ، سواء على يد الرومان أو على يد مواطنيهم ، وآخرين بالانتحار . وصرح أستيميديس Astymedes فى الدفاع عن رودس ضد تهمة مساعدة برسيوس Perseus بالآتى :

"إن الشعب بكامله مسئول عن خطئنا والإعراض عنكم ، وربما يمكن بإظهار بعض الإنصاف أن تظلوا على استيائكم وترفضوا العفو ، لكنكم كما تعلمون أن الذين تصرفوا بهذا الغباء كان عددهم قليلا ، وقامت الدولة نفسها بإعدامهم جميعًا ، فلماذا ترفضون إذن التصالح مع الرجال الذين لايقع أى لوم عليهم؟" (Polybius,xxx,31,13-14) .

تفادت رودس كارثة حملة الرومان التأديبية . ولكن الرومان قلصوا دخل رودس ماديا بجعل ديلوس Delos ميناءً حُرًا . وعلى ذلك تدهورت قوة رودس ، وانهارت قدرتها على حراسة البحار ، وازهرت القرصنة مرة أخرى فى شرق المتوسط .

خامسا :

أدت السيطرة الرومانية على مدن بلاد اليونان الأصلية والبحر الإيجى إلى تمزيقهم إربا ، وعقب ذلك قام الرومان بتجريدهم بعد عام ١٦٨ من زعمائهم الرئيسيين وترحيلهم إلى إيطاليا . كما تأثرت الممالك ولكن بطريقة مختلفة ، وينبغى عدم المبالغة فى المدى الذى تدخلت به روما فى الشئون اليومية للممالك ؛ إذ كان هناك هامش للعمل المستقل ، ولكن العمل المستقل كان فى بعض الأحيان يحمل معه دائما عنصر المخاطرة أكثر من غيره . ونحن نملك ملفًا مهمًا من النقوش يؤرخ بالمرحلة من ١٦٣-١٥٦ من بيسينوس Pessinus فى جلاتيا Galatia ، يتضمن عدة خطابات من

أتالوس الثانى ملك برجامون إلى أتيس Attis ، كبير كهنة معبد سيبيل Cybele فى بيسينوس Pessinus ، يصف فى واحد منها مناقشة موضوع فى بلاط أتالوس أدى إلى تخليه عن مشروع عسكرى ، كان من الواضح أنه تم التخطيط له بالاتفاق مع الكاهن (ومن سوء الحظ أن النقش غامض بخصوص تفاصيل ذلك المشروع) :

"من الملك أتالوس إلى الكاهن أتيس Attis ،تحية . أرجو أن تكون فى صحة جيدة ؛ اننى شخصيا فى صحة جيِّدة . اجتمعت عند حضورنا إلى برجامون ليس فقط مع أثينايوس [أخو أتالوس] وسوساندر Sosander [كاهن ديونيسيوس كاثيجيمون Dio-nysius Kathegemon فى برجامون] ومينوجينيس Menogenes [رجل دولة له مركز هام فى عهد يومنيس Eumenes وأتالوسس Attalus] ومع آخرين أيضا من أقاربى [وهو تعبير تشريفى] ،وعندما عرضت عليهم ما قمنا بمناقشته فى أباميا Apamea، وأخبرناهم بالقرار الذى قررناه ، دار حوار طويل جدا ،فى البداية وافق الجميع على نفس الرأى معنا ، لكن خلوروس Chlorus نوه بحدة إلى النفوذ الرومانى ، ونصحنا بأنه لا سبيل إلى القيام بشىء بدونهم . وفى البداية وافق عدد ضئيل على ذلك ،ولكن بعد أن أمعنّا التفكير يومًا بعد يوم ، ومع المداولة أكثر وأكثر ، اتضح أن الشروع فى التنفيذ بدونهم يحيط به خطر كبير؛ لأنه إذا قدر لنا النجاح فإن المحاولة ستجلب علينا الحسد واللوم والشك المدمر،وهو ما شعروا به تجاه أخى [يومينيس الثانى Eumenes أيضا؛راجع أدناه] ، فى حين إذا قدر لنا الفشل فسنواجه الدمار بالتأكيد ؛ لأنه يبدو لنا أنهم لن ينظروا إلى الكارثة التى تصيبنا بأى تعاطف ،ولكنهم سيسعدهم أكثر رؤية ذلك لقيامنا بالمشروع بدونهم ،وعلى أى حال فبالنسبة إلى الأوضاع الآن – التى حال الله دونها – وفى حالة فشلنا فى أى موضوع ، تصرفنا فيه بموافقتهم الكاملة ، فسوف نحصل على المساعدة ، وربما أمكننا تعويض خسائرنا ، بعون من الله . وعلى ذلك قررت إرسال رجال إلى روما فى كل مناسبة لتقديم تقارير منتظمة عن القضايا التى نشك فيها ، على أن نقوم باتخاذ الترتيبات لنكون حينئذ مستعدين للدفاع عن أنفسنا عند الحاجة (Welles,R.C.,no.61) .

ويوضح هذا الخطاب الكاشف – الذى من المحتمل أنه لم يتم نقشه على الرخام إلا بعد مضى فترة لم يعد يترتب عليه أى مشاكل أو أى ضرر سياسى – ورطة أحد

الملوك الهيللينستيين عند التفكير فى عمل مستقل ؛ ويوضح أيضا أنه بعد أن سقط آخوه يومينيس فى جفوة الرومان ، لأنه لم يوثق من تعاطفه معهم خلال الحرب المقدونية الثالثة (وهى نقطة ذُكرت فى الخطاب) ، وبعد الإهانة التى لحقت أنطيوخوس الثالث فى إيليوسيس Eleusis، فلم يحدث أن قام أتالوس من تلقاء نفسه بإحالة كل موضوع فى السياسة الخارجية إلى السناتو ، ومضى بعض الملوك فى طريقهم باختيار طريقة مهينة عند التعامل مع السناتو، وأفرد بوليبيوس كمثال على هذا النوع من السلوك الملك برُسياس الثانى Prusias II من بيثينيا ، ووصف أحداث عام ١٦٧-١٦٦ على النحو الآتى :

"فى المقام الأول عندما حضر بعض المبعوثين legates الرومان إلى البلاط (ربما عام ١٧٢) ، ذهب لمقابلتهم بشعر مقصوص ، مرتديا كابا أبيض وعباءة وحذاء ، تماما على نفس عادة العبيد الرومان الذين تم تحريرهم حديثا أو من يطلق عليهم الرومان اسم المحرّرين liberti.

"وقال إنكم ترون فى شخصى عبدكم المحرر libertus الذى يريد أن يعزز نفسه ويقتبس كل ما هو رومانى ؟" من الصعب بمكان أن نجد ما هو أكثر إذلالا من تلك الملاحظة .... أنه فى أثناء دخوله إلى دار مجلس السناتو (فى روما) فى المناسبة الحالية ، وقف عند ممر الباب فى مواجهة الأعضاء واضعا كلتا يديه على الأرض ورأسه مُنْحنٍ إلى الأرض وخاطب الجالسين من أعضاء السناتو عند الدخول من عتبة الباب بهذه الكلمات : "سلام على الآلهة المنقذين ! Hail saviour gods" ، وذلك يجعل من المستحيل أن يتجاوزه أى شخص يأتى بعده ، بطريقة معدومة الشهامة ، مخنسة فيها عبودية ، وعند دخوله تصرف فى أثناء المقابلة بطريقة مشابهة ، وقام بفعل أشياء ليس من المناسب حتى ذكرها ، ولما كان قد أظهر عجزه الكامل فقد حصل على الرد الذى يرضيه" (Polybius,xxx,18,3-7) .

وعلى العكس من استقبال برسياس Prusias الحار كانت المعاملة التى تلقاها الملك يومينيس فى نفس الشتاء ، الذى سبق أن رأينا توا أنه استبعد من تعاطف الرومان ، قد أُحرج عندما طلب الحضور إلى روما للدفاع عن نفسه لأن السناتو :

"أبدى عدم سروره بزيارة الملك بصفة عامة ، وأصدر قرارا بأنه يجب على أى ملك عدم الحضور بنفسه إليهم ؛ وعندما سمعوا بوصول يومينيس إلى إيطاليا عند برنديزيوم Brundisium بعثوا الكويستور quaestor(*) حاملا ذلك القرار ، وبتعليمات ليخبر الملك أن ينتظر إذا كان فى حاجة إلى خدمة : وعليه إن لم يكن فى حاجة إلى شىء أن يأمره بمغادرة إيطاليا بأسرع ما يمكن". (Polybius,xxx,19,6-8) .

وتوضح هذه الفقرات تهميش دور الممالك الهيللنستية وملوكها ، بحيث أصبح دورهم عقيما ، والاعتماد المزْرى على مجلس السناتو .

سادسًا :

كانت السيطرة الرومانية تمثِّل أيضا كارثة اقتصادية على إغريق الشرق . لقد حقق الرومان مكاسب ضخمة نتيجة للحروب المتتابعة ، وفى تحليل بالأرقام تقدر تعويضات الحرب التى فُرضت والغنائم التى حملها القادة الرومان فى مواكب النصر من بلاد الإغريق وحدها فى الحروب حتى عام ١٦٧، J.A.O.Larsen in T.Franks Economic Survey of Ancient Rome,Vol.IV,p.323 - يقدر ما أفادته روما من هذه الحروب بحوالى مبلغ ٧٣,٢٥٠,٠٠٠ دينار denarii الجنيه الفضة الرومانى يساوى٨٤ دينارًا) ، وتضيف غرامة الحرب التى فرضت على أنطيوخوس الثالث (Polybius ,xxi,17,4-5) والغنائم التى عُرضت فى موكب نصر سكيبيو (Livy,xxxvii,59,3-5L.Scipio) إليها مبلغ٨٥,٠٠٠,٠٠٠ ، وبعد عام ١٦٧ امتدت سياسة فرض الجزية التى طبقتها روما بالفعل فى صقلية وكورسيكا وسردينيا إلى العالم الإغريقى ، ويقول ليفى فى تقريره:

" تقرر تقسيم مقدونيا إلى أربع مناطق ، لكل منها مجلسها ، على أن تدفع للرومان نصف الجزية التى كانت تدفعها للملوك "(Livy,xlv,18,7) .

(*) أحد وزراء المالية فى الحكومة الرومانية راجع: الروبى (آمال) ،نظام الحكم الرومانى ،ص ٤٩-٥١ ، (المترجمة) .

وبالمثل فى إيلليريا :

" فرضت روما ضريبة تساوى نصف التى كانت تدفعها الليريا للملك والتى كانت تفـرض على شـعب سكودرا Scodra، والداسـارينسـيس the Dassarenses ، والسيليبتيانى Selepitani وبقية الإلليريين Illyrians . وقسمت إلليريا إلى ثلاثة أجزاء". (Livy,xlv,26,14-15) .

وينبغى ألا يترجم فرض روما نصف الضريبة على أنه نوع من الكرم ، أومن عدم الاهتمام بالثروة ؛ ومن الإنصاف افتراض أن الرومان فرضوا حجم العبء على المنطقتين المجهدتين بحيث تستطيعان تحمله ،وإضافة إلى ذلك فإن مناجم الفضة المقدونية التى كانت أغلقت بعد إلغاء الملكية أعيد فتحها عام ١٥٨ . ويذكر كاسيودوروس Cassiodorus(Chron.Min(ed.Momms-en)ii,130 اكتشاف الفضة فى مقدونيا عام ١٥٨، لكن ذلك كان يترجم بصفة عامة بالإشارة إلى إعادة فتحها ، واقترح – البعض– أن إعادة فتحها تزامن مع عودة صك العملة الفضية فى روما عام ١٥٧ (M.h.Crawford,Economic History Review(1977),p.45) .

وطبقًا لما ذكره باوسينانياس " Pausenanias(vii,16,9) فقد {فرض الرومان} الجزية على بلاد الإغريق بعد عام ١٤٦". ويمكن أن يَصدُق هذا الأمر على المدن التى كانت قد اشتركت فى الحرب الآخية ، ولكنها وضعت الآن تحت سيطرة حاكم مقدونيا ، وأصبح عليها الآن دفع الضرائب إلى روما . وهكذا أصبح هناك نهر من أموال الجزية يصل إلى روما من بلاد الإغريق وآسيا الصغرى منذ النصف الثانى للقرن الثانى ، بل أكثر من ذلك أيضا خلال النصف الأول منه ، ومعظم الأموال الخاصة بالأخيرة (آسيا الصغرى) كانت تعود إلى المنطقة نفسها فى شكل قروض لمساعدة الجماعات البلدية سيئة الحظ، لمواجهة مطالب محصلى الضرائب الرومان لتسديد ضرائب الأرض التى ازداد حصول الرومان عليها فى الشرق ،ولدفع أثمان بضائع الترف التى كانت ترسل من الشرق إلى روما – ومن بينها العبيد ،وتضاعفت هذه العملية فى القرن الأول ، عندما أصبح هناك عدد أكبر من الولايات الرومانية ،ولكنها كانت موجودة بالفعل فى القرن الثانى ، وكانت السبب فى زيادة انتشار الفقر فى العالم الهيللينستى بلغة الثروة والسكان التى استمرت فى الانحدار حتى نشأة منصب المواطن الأول principate.

وزادت شراهة الموظفين الرومان الشخصية من تفاقمها(*) ، وهم أفراد طبقة لاحظ بوليبيوس أن إسرافها وبذخها أصبح نمطا للحياة منذ سقوط المملكة المقدونية ، وأخبرنا سكبيو أيميليلنوس Scipio Aemilianus الذى كان استثناء فى نزاهته :

"أنه، عندما أصبح حاكما على قرطاجة (فى عام ١٤٦) ، التى كانت تعد أغنى مدينة فى العالم ،لم يحصل مطلقا على شيء منها ليضيفه إلى ثروته ،سواء عن طريق الشراء أو بأى وسيلة أخرى من وسائل الاقتناء ، هذا على الرغم من أنه لم يكن ثريا ، ولكنه كان على درجة متوسطة من الثراء بالنسبة للرجل الرومانى" (xviii,35,9) .

وعلى أى حال ، اعتاد الحكام الرومان اعتبار أن القيام بالنهب فى أثناء شغلهم لمناصبهم أمر جوهرى للحفاظ على وضعهم الاجتماعى status، وللإنفاق على أمورهم الحياتية الأخرى، وقد أضيف كل ذلك إلى أعباء إغريق الشرق .

سابعا :

قادتنا مناقشتنا لأثر وطأة روما على العالم الهيللينستى للوصول إلى الجانب الآخر من الصورة ، وهو تأثير اتصال الرومان بالإغريق على الرومان أنفسهم . لقد رأينا توًا الجانب المظلم من تلك الصلة ،وردد الرومان وخاصة أولئك الذين كانوا من أكثر المتمسكين بالطراز القديم old fashion، وبوليبيوس الإغريقى صدى ذلك الطراز الذى كان ينطبق بدون شك على سكيبيو أيميليانوس النموذج الشهير له ، لكن كان هناك جانب آخر أكثر إيجابية ، وأصبح أكثر أهمية مع مرور الزمن ،وليس لدينا الوقت الآن ، كما أنه سوف يقودنا خارج إطار موضوع تلك الدراسة ،للنظر فى تفصيلات الوسيلة التى أثر فيها الاتصال مع الإغريق فى جميع جوانب الحياة الرومانية منذ القرن الثالث وما تلاه ؛ إذ نتج عن عودة الجنود من حملات الشرق وقدوم

(*) كانت جميع مناصب الحكومة الرومانية فى روما والولايات منذ تأسيس النظام الجمهورى بدون مرتب، وكان ذلك مع عوامل أخرى من أسباب فساد الجهاز الإدارى فى روما منذ أواخر العصر الجمهورى ؛ راجع : الروبى ، نظام الحكم الرومانى ، ص٤٧ .

الإغريق إلى روما كرهائن ،ومبعوثين ،ومعتقلين وتجار ،ورجال متخصصين أو عبيد جعلت الرومان على معرفة باللغة الإغريقية وأسلوب حياة الإغريق ،وجلب الأطباء والفلاسفة المهارات الإغريقية ونموذج التعليم الإغريقي ،وقاوم الرومان من المدرسة القديمة مثل كاتو Cato الاثنتين ،وكان النصف مؤيداً لها ،والنصف الآخر غير متأثر بها half-heartedly &ineffectively . وأدى سلْب مدن مثل سيراكيوز وكورنثة إلى جلب أعمال الإغريق الفنية إلى روما التى أثارت شهية النبلاء الرومان لمزيد منها ،وأصبحت المنازل الخاصة أكثر ترفا ومدينة روما أكثر ملاءمة للعيش فيها ، على الأقل بالنسبة للأثرياء ،وأصبحت تنافس فى ملذاتها تلك الموجودة فى المراكز الهيللينستية الكبرى .

شهد القرن الثالث بداية ظهور الأدب الرومانى ، تحت تأثير الإغريق مرة أخرى ، وكان الشاعر لڤيوس أندرونيقوس (٢٨٤-٢٠٤) Livius Anrdonicus ، أقدم الشعراء الرومان، إغريقيًا من تارنتوم ، درس اللاتينية والإغريقية وألف شعرا، وقام بترجمة الأوديسا Odyssey التى وضعها هومر . Homer أما كوينيوس إنيوس Q.Ennius (139-239) فكان شخصية لها تأثير أكبر ،كان قد قَدِم من كلابريا Calabria،التى اتصل فيها بالمدرسة الإغريقية الفلسفية فى جنوب إيطاليا ،وكانت حولياتهAnnales شعرًا حماسيًا عظيمًا عن ماضى الرومان . لقد كانت هناك حاجة فى البداية لتقديم ماضى الرومان (للدفاع عن سياسة روما فى الحاضر) للعالم الإغريقى ، التى أوعزت ببداية كتابة التاريخ الرومانى الذى كان أوائل كُتّابه فابيوس بيكتورFabius Pictor وكينيقوس أليمنتوس Cincius Alimentus، وبوستوميوس ألبينوس Postumius Albinus ، وهم من رجال الدولة الرومانية ، الذين كانوا لا يكتبون باللغة اللاتينية فقط ، ولكن بالإغريقية أيضًا ، وحتى كاتو Cato ، الذى جاء مؤلفه عن الأصول Origines وكان أول كتاب فى النثر اللاتينى يقدم التاريخ الرومانى باللسان الوطنى ، كان أكثر تأثرا بالنماذج الإغريقية مما كنا نتوقع ، على الرغم من شهرة كاتبه بازدراء كل الأشياء الإغريقية .

ونمى جانب هيللينستى آخر وهو المسرح الوطنى ،وكتب إينيوس الدوار the versatile Ennius مسرحية مستقاة من يوريبيديس Euripides استعاد فيها دور المرحلة الطروادية ، وكتب نايڤيوس Naevius تراجيديات ومسرحيات تاريخية اعتمدت على موضوعات رومانية ومسرحيات كوميدية (إضافة إلى شعر حماسى عن الحرب

البونية) ، لكن كان أهم كتاب المسرح الرومانى فى ذلك الوقت (أو فى الواقع طوال الوقت) توليوس ماكيوس بلاوتيوس (٢٥٤-١٨٤) T. Maccius Plautus، وبوبيليوس ترنتيوس أفير (١٩٥-١٥٩) P. Terentius Afer ، ولدينا عدة مسرحيات لكل من بلاوتيوس وتيرنس ، وحتى الاكتشاف الحديث لبعض المسرحيات الأصلية على أوراق البردى كان علينا الاعتماد عليها فى أى معلومة عن عمل الكاتب الكوميدى الأثينى الكبير ميناندر Menander، وقد أصبح من السهولة الآن معرفة المدى الذى وصل إليه كلا الكاتبين الرومانيين للمسرحيات بطرق مختلفة للاستفادة والاقتباس من النصوص الهيللنستية الأصلية لإنتاج عمل رومانى جديد ، وفى الحقيقة كان جزء من الذكاء الرومانى ليس فقط فى مجرد الاقتباس ، ولكن أيضا فى تغيير الشكل عند التحويل .

قدم تراث الإغريق لكل من المؤلفين الكلاسيكيين وكتاب العالم الهللينستى المعاصر والكتاب الرومان النماذج والدوافع لخلق الأدب الرومانى المحلى ، ومن المستحيل تخيل الأعمال المميزة لعصر الجمهورية المتأخر دون وجود العنصر الهيللينى ؛ فجميع إنتاج شيشيرون Cicero ، وساللوست Sallust ، وهوراس Horace ، فيرجيل Virgil ، وكاتوللوس Catullus ، وأوفيد Ovid يرجع إلى أصول إغريقية تقليدية ، كما أنها لم تكن أقل من ذلك بالنسبة للرومان ، وأصبح معظم المتعلمين الرومان يتحدثون اللغتين لمدة ثلاثة قرون ، منذ عصر فلامينيوس Flaminius وما بعده ، ومنفتحين على الزخم الكامل للثقافة الهيللينستية ، وكانت الفلسفة الرومانية جزءًا من الفلسفة الإغريقية ، كما نبع الفن الرومانى من الفن الإغريقى الرائد ، ومنذ تاريخ أقدم كانت الآلهة الإيطالية والأرواح numina ، والقوى غير البشرية التى تحكم العالم اللانهائى للديانة الرومانية قد أصبحت فى صورة أشخاص ، وكثيرا ما تم تشبيهها بالآلهة الإغريقية بصفات مشابهة ، وبدأت الشعائر تُكرس منذ القرن الثانى وما بعده لعبادة القادة الرومان من أمثال فلامينيوس Flaminius ، مما مهد الطريق إلى تقديس الأباطرة الرومان ، وشكَّل الرومان إطاراً لتاريخهم القديم ، ليتوافق مع المرحلة الطروادية ، وكانت روما ذاتها مثل الموانئ فى شرق البحر المتوسط ، قد استقبلت بترحاب المعبودات الشرقية من سوريا وآسيا الصغرى ، وبعد تكوين الإمبراطورية اندمجت جميع أنحاء البحر المتوسط فى ثقافة واحدة متواصلة مع كثير من المظاهر

التى عاش عليها العالم الهيللينستى، والتى وافقت نظام الولايات الذى فرضته روما ، و بشكل خاص عندما قُضى على الملكيات ، استمرت المدن تكون وحدات حيوية للحياة المتمدنة فى جميع أنحاء الشرق ، وظلت كذلك حتى زيادة المركزية والضغط الهائل من قبل البيروقراطية المتهاوية التى أدت إلى سحق كل المبادرات التى خرجت منها فى القرنين الثالث والرابع الميلاديين .

ثامنًا :

ترك العصر الهيللينستيى عدة مشاكل بلا حل : لم يحلها الزمن . لقد برزت مشكلة العلاقة بين الملوك والمدن لأول مرة فى عهد الإسكندر ،وظلت على هيئة حلول وسط مزمنة، ولم تتمكن أى مملكة من التغلب على الصراع لصالح هؤلاء الذين يعيشون فى المدن ، من أعضاء الجماعات الحاكمة وأولئك الذين يخدمون فى الجيش والبيروقراطية من جانب ،ومن الجانب الآخر العمال على الأرض ،سواءً كانوا من الأحرار أو من عبيد الأرض serfs، واستمر شر العبودية قائمًا بطبيعة الحال ، ولكنه كان أقل أهمية فى الأرجاء الواسعة لآسيا السلوقية أو فى مصر عنها فى بلاد الإغريق ، حيث تغلغل فى اقتصاد السوق الإغريقية ،إن التصادم بين الإغريق والوطنيين ، على الرغم مما رأينا ،لم يكن موضوعًا هينًا ؛ إذ إنه شمل كل الممالك فيما عدا مقدونيا (على الرغم من أننا لا نستطيع أن نتتبعها جميعا على قدم المساواة) . كان فقر الفلاحين العام مشكلة شرسة على نحو خاص ؛ وذلك لأنه لم يكن هناك حل فى غياب إصلاح جوهرى فى أسلوب الإنتاج ،وفى هذا المجال كما سبق أن رأينا ، جاء التقدم الوحيد فى ميدان الخدمة العسكرية ، ولا نستطيع أن نقول ما إذا كان تم حل بعض من هذه المشاكل فى ذلك الحين ،ومن المحتمل عدم حدوث ذلك ؛ لأن إنجازات العصر الهيللينستى الرئيسية تم تحقيقها فى القرن الثالث عندما كانت الأسر الحاكمة ما تزال تتحرك اجتماعيا ،وكانت الممالك الجديدة ما تزال تُظهر مرونة ،وتقدم فرصًا مفتوحة أمام المواهب (راجع ص٨١/٨٢ وما بعدها). وأحاط الملوك الأوائل أنفسهم برجال تم اختيارهم بحرية من جميع الأنحاء طبقا لقدراتهم ،وكذلك قدرتهم على التكيف ،وسجل المصريون فى القرن الثانى – وهوالسجل الوحيد الذى نستطيع أن نقرأه بالتفصيل –

أنه استبدل بنظام بيروقراطى تضاعفت فيه الألقاب الشرفية ، التى لم يكن لكثير من ألقابها معنى يتفق مع مراكز معينة ، ومن المحتمل أن قوة الإبداع كان قد قضى عليها بعد وصول الرومان .

ونحن بطبيعة الحال أقل اهتماما بالإنجازات التى لم يحققها العالم الإغريقى، ولكننا نهتم بالإنجازات التى تم تحقيقها ، وبالإضافات التى قدمها للتاريخ الثقافى للعصور التالية . لقد كان عصر المعرفة الذى دأبت فيه مؤسسات البحث العظيمة فى الإسكندرية على العمل ، حيث قامت بنقل نصوص الكُتّاب الكلاسيكيين . كما كان أيضا هو العصرالذى اتسع فيه الأفق ماديا بالرحلات التى قام بها المستكشفون مثل بيثياس **Pytheas** وميجاستينيس **Megasthenes** ، وفى الجوانب الفكرية بما حققه العلم على يد إيراتوستينيس **Eratosthenes** أو أرشيميدس **Archimedes** ، وإذا كان الإنتاج الأدبى لا يعد لدى الكثيرين من بين الإنجازات العالمية الكبرى ، فقد ترك ثيوكريتوس **Theocritus** وكاليماخوس **Callimachus** أثرا كبيرا لكل منهما فى روما ، وإلى جانب ذلك هيروندا س **Herondas** الذى كان ما يزال يقرأ بشغف . وكانت الفنون المعمارية والتخطيط البديع للمدن بمثابة طليعة لفنون عصر النهضة والقرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وعلى الرغم من أن فنون العصر كثيرا ما كانت صارمة ، فإنها كانت تحرِّك العواطف ، وتشد انتباهنا مما كان له أثر قوى فى تطور الذوق .

وعلى الرغم من أن شعلة البحث الفكرى بدأت فى الانطفاء ، فيمكننا أن نتبين تنامى جاذبية المعتقدات الغامضة ، والعبادات الشرقية ، فقد ظل عصرا فريدا متحررا من التعتيم والرقابة ، وكان يمكن للأفراد عند الوقوع فى مشكلة التحرك بسهولة حولهم وإيجاد موطن لهم فى مكان آخر ، وبطبيعة الحال كانت لديهم الحرية للتفكير ونشر معتقداتهم ومكتشفاتهم ، وتمثلت المدارس الفكرية أساساً فى الرواقية **Stoicism** والأبيقورية **Epicureanism** والكلبية **Cynicism** التى كان لها تأثيرها فى تاريخ الفلسفة ، والتى تقدم نموذجاً للاعتقاد ما زال يعترف به الناس حتى اليوم ، وإذا كانت شعائر العصر الدينية وعقائده قد توارت ، فستظل استمرارية أهداب ثقافة العالم الهيللينستى هى مهد ديانتين عالميتين(*) .

(*) المقصود بهما المسيحية والإسلام ؛ لأن اليهودية كانت سابقة على الحضارة الهيللنستية بأكثر من عشرة قرون من الزمان على الأقل (المترجمة) .

وعلى الرغم من أنه كان عصر حروب ،لمدة قرن من الزمان (حتى تدمير مانتينيا Mantineaعام ٢٢٣) فقد كانت الحرب الهيللنستية مجردة على الأقل من بعض بشاعتها ،وإذا كانت معاناة المدن واستعباد سكانها قد ازدادا بعد ذلك التاريخ، فإن كثيرا من اللوم يقع على الرومان ،وفى ميدان الخبرة السياسية فإن بلاد الإغريق الهيللينستية – وقد خطت خُطوة جديدة نحو تطوير الحكومة الفيدرالية – لم تكن بدون مغزى للنظرية السياسية التالية ، وتقدم البرهان ، إذا كانت هناك حاجة إلى برهان ، على استمرار حيوية الشعب الإغريقى الفكرية وإبداعه ،وخلال القرون الثلاثة طورت الممالك والمدن نظاما للتبادل الدبلوماسى الداخلى نقله الرومان عنهم ،وتم توصيله إلى العصور التالية من خلال ممارسة الإمبراطورية ، بحيث تداخلت– العلاقات – بشدة فيما بينها ، وتحولت أكثر وأكثر للتقارب معًا ،وهو ما يمكن أن يُسْتَنْتج من زيادة اللجوء إلى استخدام القضاة الأجانب (راجع ص١٤٣).

إن مرونة القانون الرومانى فى أثناء تطوره بواسطة منشورات برايتوريس الأجانب praetores perigrinus،وحكام الولايات والفكر(القانونى) كان محصلة لقانون الشعوب ius gentium(*) وكان يضاهى بقانون الطبيعة ، وهو ما سلَّم الرواقيون جدلا بأنه غير مثمر وعقيم ،ولم يتمكن الحكام الرومان من إيجاد درجة من الوحدة القانونية ، مثل تلك التى كانت قائمة بالفعل فى المدن والدول التى تقع فى ولاياتهم ،وفى هذا المقام أيضا يمكن تتبع إرث العالم الهيللينستى ، ولو بطريقة غير مباشرة ،ولذلك سوف نعود مرة أخرى إلى روما ،التى دمرت ، وفى نفس الوقت التى وَرِثتْ تراث العصر المزدهر للحضارة الإغريقية ؛ لأن معظم هذا التراث وصل إلى أوروبا الغربية عن طريق روما وتشعب منها ،ولم تكن فاعليته قليلة ،ولعله وصل بطريقة مباشرة أكثر، إلى بيزنطة وإلى العالم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

١٠ محرم ١٤٣٠

٧ يناير ٢٠٠٩

(*) راجع عن هذا الموضوع ، الروبى ، نظام الحكم الرومانى ، ص ٤٦ .

قائمة بأهم الأحداث

السنة	بلاد الإغريق ومقدنيا	مصر والشرق
٣٣٦	تولى الإسكندر العرش	
٣٣٤		عبور الإسكندر إلى آسيا معركة جرانيكوس Granicus
٣٣٣		معركة إسوس Issus
٣٣١		تأسيس الإسكندرية معركة جاوجاميلا Gaugamela
٣٣٠		موت (الملك) دارا
٣٢٦		معركة هيداسبيس Hydaspes
٣٢٥/٤		عودة الإسكندر إلى سوسا
٣٢٣		وفاة الإسكندر فى بابل Babylon
٣٢٣/٢	الحرب الليميانية Limian War	برديكاس Perdiccas يتولى السلطة فى آسيا
٣٢٠		مصرع برديكاس - اجتماع فى تريباداديسوس Triparadeisus
٣١٩	موت أنتيباتير Antipater	

السنة	بلاد الإغريق ومقدنيا	مصر والشرق
٣١٧	مصرع فيليب الثالث أرهيدايوس	
٣١٦	كاساندر يعدم أولمبياس – تأسيس مدينتي كاساندريا وتيسالونيكا	
٣١٦–٥		موت يومينيس
٣١١		السلام بين الولاة وأنتيجونوس
٣١٠(؟)	مصرع الإسكندر الرابع	
٣٠٥–٤		محاصرة ديمتريوس لرودس
٣٠١		معركة إبسوس : موت أنتيجونوس
٢٩٧	موت كاسندر	
٢٩٤	ديمتريوس الأول ملك مقدونيا	
٢٨٨	ليسيماخوس وبيرهوس يقتسمان مقدونيا	
٢٨٥		ديمتريوس يحاصر سيليوقوس
٣٨٣		موت بطلميوس الأول ، بطلميوس الثانى يخلفه على العرش
٢٨١	تأسيس الحلف الآخى – بطلميوس كيرانوس ملكًا على مقدونيا	مصرع ليسيماخوس فى كوربيديوم – مصرع سيليوقوس – أنطيوخوس الأول ينفرد بحكم البيت السليوقى

السنة	بلاد الإغريق ومقدنيا	مصر والشرق
٢٧٩	غزو الغال لمقدونيا وبلاد الإغريق أنتيجونوس الثانى يهزم الغال فى ليسيماخيا؛ ويصبح ملك مقدونيا	
٢٧٧	أنتيجونوس الثانى يهزم الغال فى ليسيماخيا ؛ ويصبح ملك مقدونيا	
١/٢٧٤		الحرب السورية الثانية بين أنطيوخوس الثانى وبطلميوس الثانى
٢٧٤	غزو بيرهوس لمقدونيا	
٢٧٢	موت بيرهوس فى أرجوس	
١/٢٦٨	حرب الخريموندیان Chremondean : استيلاء أنتيجونوس الثانى على أثينا	
٢٦٣		يومينيس الأول يخلف فيلتاريوس Philetarius فى برجامون
٢٦١		أنطيوخوس الثانى يخلف أنطيوخوس الأول
٢٦٠-٥٣(؟)		الحرب السورية الثانية بين أنطيوخوس الثانى وبطلميوس لثانى
٢٥١	أراتوس يحرر سيكيون	
٢٤٩(؟)	ثورة الإسكندر الكورنثى ضد أنتيجونوس الثانى	

السنة	بلاد الإغريق ومقدنيا	مصر والشرق
٢٤٦	تنظيم الأيتوليون - احتفالات السوتيريا Soteria	وفاة بطلميوس الثانى ، بطلميوس الثالث يخلفه على العرش وفاة أنطيوخوس الثانى ، سيليوقوس الثانى يخلفه على العرش
١/٢٤٦		الحرب السورية (لاوديكى Laodician) الحرب بين بطلميوس الثالث وسيلية قوس الثانى
٢٤٥	قيادة أراتوس الأولى أنتيجونوس الثانى يسترد كورنثة من أرملة الإسكندر	
٢٤٤	أجيس الرابع يتولى عرش اسبرطة	
٢٤٣	أراتوس يحاصر كورنثة	
٢٤١	وفاة أجيس الرابع	أتالوس الأول يخلف يومينيس الأول ، حرب سيليوقوس ضد أخيه هيراكس Hierax سيطرة هيراكس على آسيا الصغرى
٢٣٩	ديمتريوس الثانى يخلف أنتيجونوس الثانى . بداية الحرب بين مقدونيا والحلفين الآخى والأيتولى	ديودوتوس Diodotus (?) يقيم مملكة مستقلة فى باكتريا
٢٧/٢٣٧		- حرب أتالوس الأول ضد هيراكس والجلاتيين - سيطرة أتالوس على آسيا الصغرى -هيراكس سيد آسيا الصغرى

السنة	بلاد الإغريق ومقدنيا	مصر والشرق
٢٣٥	تولى كليومينيس الثالث فى اسبرطة – انضمام ميجالوبوليس إلى الحلف الآخى	
٢٢٩	ديمتريوس الثانى يخلف أنتيجونس الثالث – أثينا تحقق الاستقلال قيام الحرب بين أسبرطة وأثينا	
٢٢٧	ثورة كليومنيس فى اسبرطة – اتصال الآخيون بمقدونيا	حملة أنتيجونوس الثالث ضد كاريا
٢٢٦/٥	فوز إسبرطة على آخيا	وفاة سيليوقوس الثانى :خلافة سيليوقس الثالث : وفاة هيراكس
٢٢٥/٤	الاتفاقية الآخية – المقدونية	
٢٢٤	أنتيجونس الثالث فى البليبونيز	
٢٢٤/٣	تأسيس الحلف الهللينى	
٢٢٣		مصرع سيليوقوس الثالث – أنطيوخوس الثالث يخلفه على العرش
٢٢٣/٢		آخايوس Achaeus يسترد آسيا الصغرى
٢٢٢	هزيمة كليومينيس فى سيلاسيا Sellasia	
٢٢١	فيليب الخامس يخلف أنتيجونس الثالث	بطلميوس الرابع يخلف بطلميوس الثالث
٢٢٠/١٧	حرب الحلفاء ضد أيتوليا	
٢٢٠		أنطيوخوس الثالث يقهر المدعى مولون – الحرب السورية الرابعة بين أنطيوخوس الثالث وبطلميوس الرابع

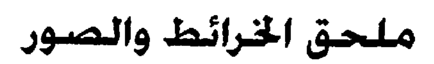
السنة	بلاد الإغريق ومقدنيا	مصر والشرق
٢١٨- ٢٠٢	حرب هانيبال Hannibalic war	
٢١٧	سلام ناوباكتوس Naupactus	معركة رفح Raphia
٢١٦-٣		أنطيوخوس الثالث يهزم الثائر آخايوس Achaeus
٢١٥	التحالف بين فيليب الخامس وهانيبال	
-٢١٢- ٢٠٥-٤	حملة أنطيوخوس الثالث الشرقية	
٢١١	التحالف بين أيتوليا والرومان فى الحرب المقدونية الأولى	
٢٠٧ ١٨٦		انفصال مصر العليا تحت حكم ملوك مستقلين
٢٠٦	عقد أيتوليا وحلفائها سلاماً منفصلا مع فيليب الخامس	
٢٠٥	معاهدة فينيقيا للسلام بانتهاء الحرب المقدونية (الأولى)	- عودة سيليوقوس الثالث إلى سلوقية

السنة	بلاد الإغريق ومقدنيا	مصر والشرق
٢٠٤		بطلميوس الخامس يخلف بطلميوس الرابع
٢٠٣/٢	تحالف فيليب الخامس وأنطيوخوس الثالث ضد مصر	
٢٠٢/٢٠٠		الحرب السورية الخامسة بين أنطيوخوس الثالث وبطلميوس الخامس
٢٠٠		معركة بانيوم Panium ، واستيلاء أنطيوخوس على جوف سوريا Coele Syria
٢٠٠/١٩٧	الحرب المقدونية الثانية	
١٩٧	معركة كينوسكيفلاى Cynoscyphlae	يومينيس الثاني يخلف أتالوس الأول
١٩٦	إعلان الرومان تحرير الإغريق فى إثموس Isthmus	
١٩٦/ ٧٩	فيليب الخامس يعيد بناء قوة مقدونيا	
١٩٤	جلاء الرومان عن بلاد الإغريق	

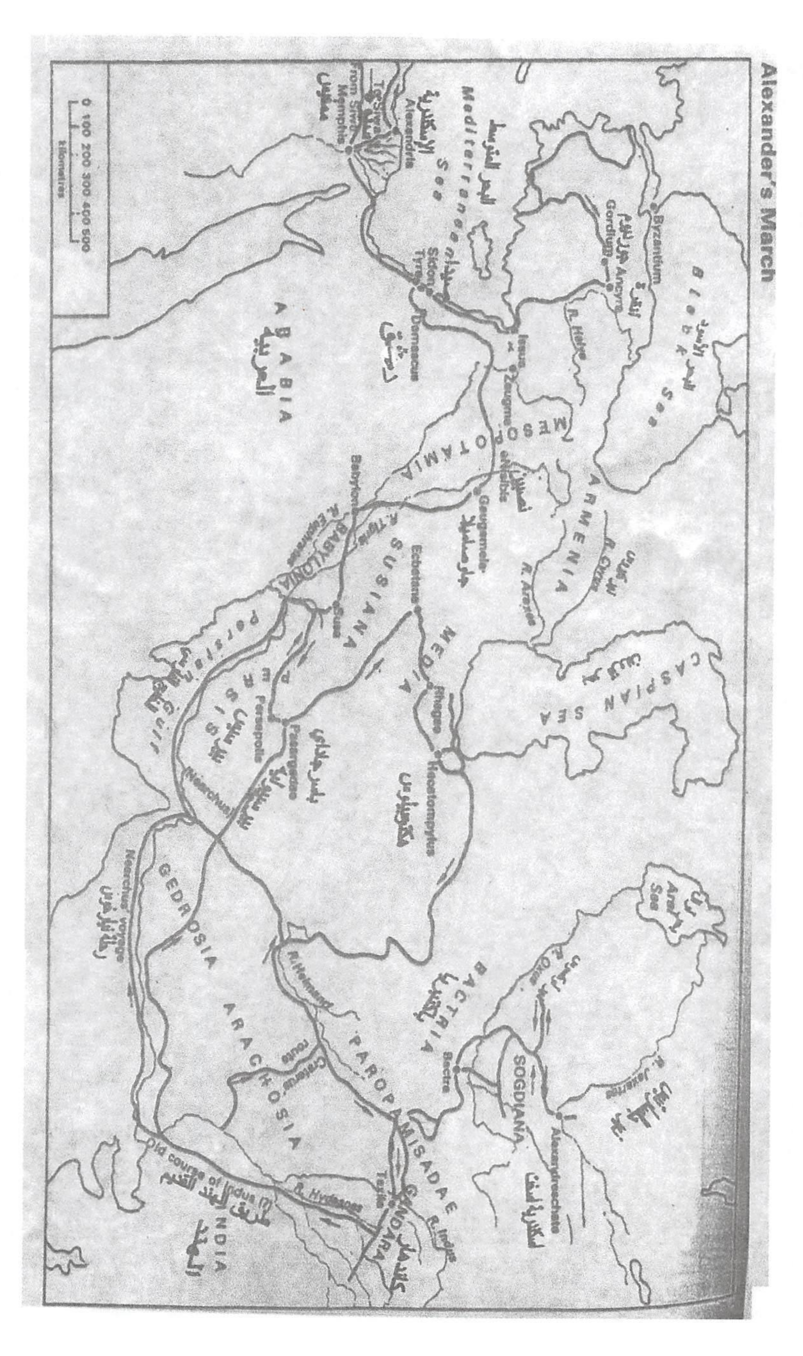
السنة	بلاد الإغريق ومقدنيا	مصر والشرق
٨٨/١٩٢	الحـــرب الســـورية بين رومـــا وأنطيوخوس الثالث	
١٩١	هـزيمـــة أنـطيـــوخـــوس فـى ثيرموبيلاى Thermopylae	
١٨٩	هزيمة الأيتوليين	هزيمة أنطيـوخـوس فى مـاجنيـسيـا Magnesua
١٨٨		سلام أباميا Apamiea
١٨٧		سيليوقوس الرابع يخلف أنطيوخوس الثالث
١٨٠		بطلميوس السادس يخلف بطلميوس الخامس
١٧٩	برسـيـوس Perseus يخلف فـيليب الخامس	
١٧٥		أنطيوخوس الرابع يخلف سيليوقوس الرابع
٦٤/١٧٣		ثورة المكابيين فى يهودية Judaea
١٧١/ ٦٨	الحرب المقدونية الثالثة	

السنة	بلاد الإغريق ومقدنيا	مصر والشرق
٦٨/١٧٠		الحرب السورية السادسة بين أنطيوخوس الرابع وبطلميوس الرابع الحكم المتشترك بين بطلميوس الثامن وكليوباترا الثامنة
١٦٨	معركة بيدنا Pydna نهاية حكم الأسرة الأنتيجونية لمقدونيا Antigon-id Dynasty إنشاء أربع جمهوريات فى مقدونيا	يوبيليوس ، وقرار السناتوا الأخير إلى أنطيوخوس الرابع فى إلوسيس Eleusis
١٦٠		أتالوس الثانى يخلف يومينيس الثانى
٨/١٤٩	ثورة أندريسكوس فى مقدونيا – تحول مقدونيا إلى ولاية رومانية	
١٤٦	الحرب الآخية :نهب كورنثة	
١٣٩		أتالوس الثالث يخلف أتالوس الثانى
١٣٣		وفاة أتالوس الثالث ؛ برجامون تتحول إلى ولاية رومانية
٣٠/١٣٢		ثورة أرستونيكوس فى برجامون

عن التواريخ بعد عام ١٣ راجع : Michal Crawford, The Roman Republic (1978)، المنشورة فى هذه المجموعة .



ملحق الخرائط والصور



حملة الاسكندر الأكبر

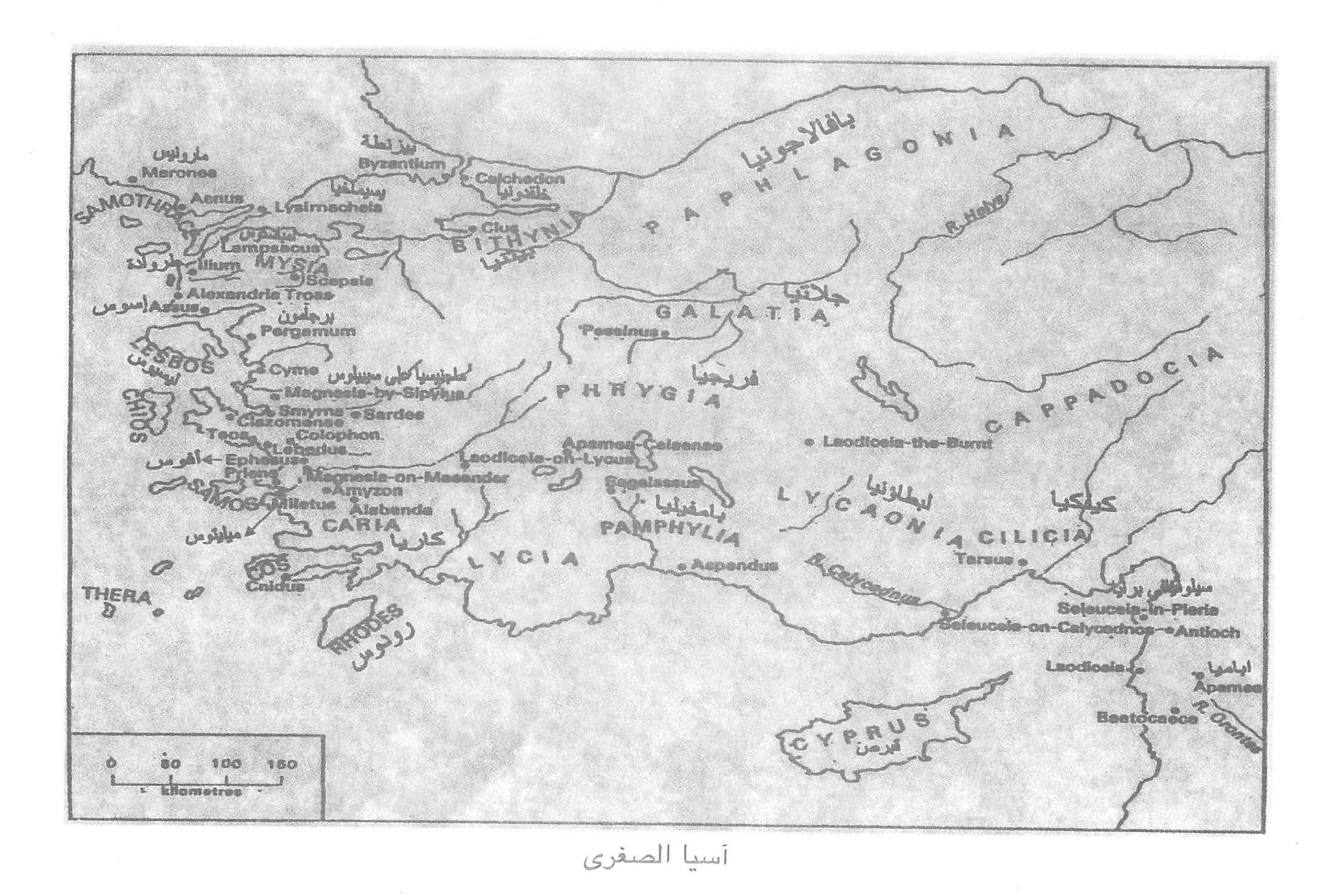
The Hellenistic Kingdoms c. 275

MACEDONIA
PTOLEMAIC EGYPT
SELEUCID KINGDOM

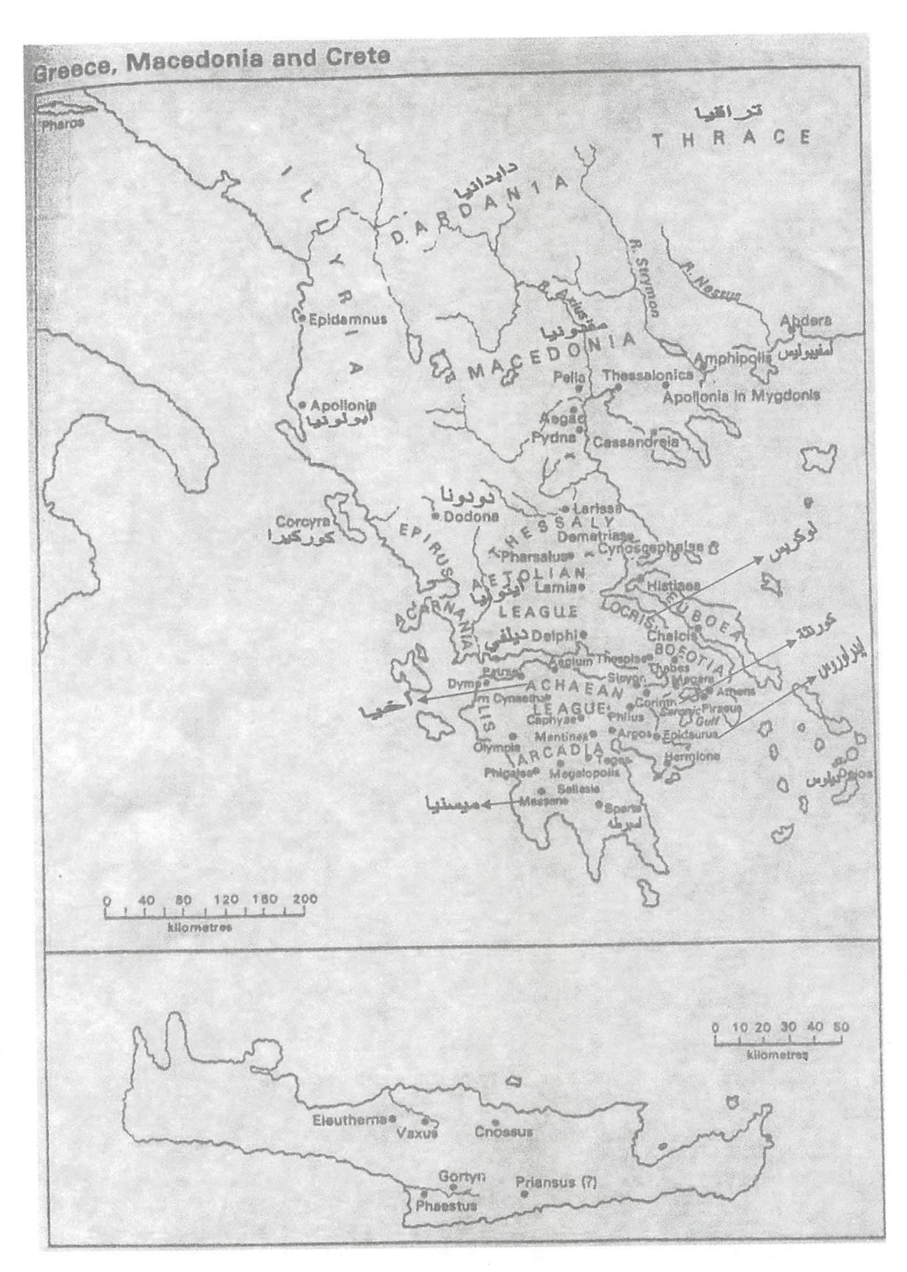
0 200 400 600 800 1000
kilometres

A = Bithynia
B = Paphlagonia
C = Galatia

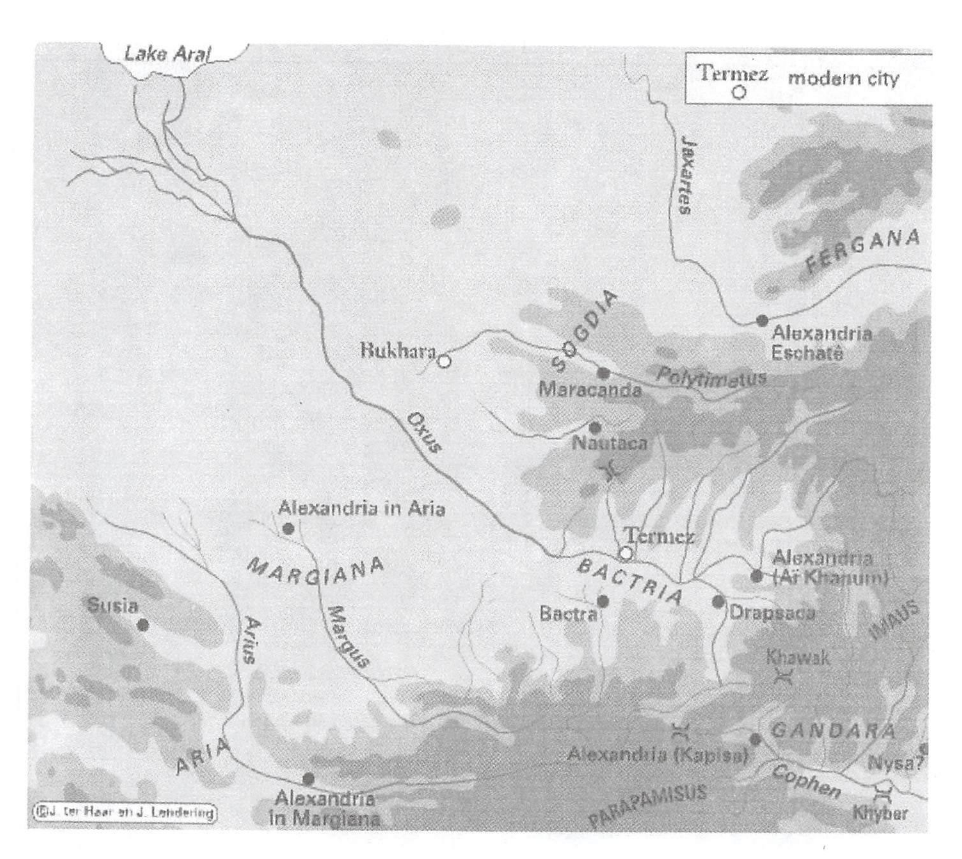
الامبراطوريات الهيلليينستية ٢٧٥ ق . م


مارونيا
Meronea
بيزنطة
Byzantium
Calchedon
خلقدونيا
بافلاجونيا
PAPHLAGONIA
Aenus
SAMOTHRACE
ليسماخيا
Lysimacheia
Clus
BITHYNIA
بيثنيا
R. Halys
Lampsacus
Ilium
MYSIA
Scepsis
Alexandria Troas
اسوس
Assus
برجامون
Pergamum
جلاتيا
GALATIA
Pessinus
LESBOS
Cyme
Magnesia-by-Sipylus
فريجيا
PHRYGIA
CHIOS
Smyrna
Sardes
Clazomenae
Teos
Colophon
Lebedus
Ephesus
افوس
Priene
Magnesia-on-Maeander
Amyzon
SAMOS
Miletus
Alabanda
CARIA
ميليتوس
كاريا
Apamea-Celaenae
Laodiceia-on-Lycus
Sagalassus
بامفيليا
PAMPHYLIA
LYCIA
Laodiceia-the-Burnt
ليكاونيا
LYCAONIA
CAPPADOCIA
كيليكيا
CILICIA
Tarsus
Aspendus
R. Calycadnus
THERA
COS
Cnidus
RHODES
رودوس
Seleuceia-in-Pieria
Seleuceia-on-Calycadnus
Antioch
Laodiceia
ابامية
Apamea
Baetocaece
R. Orontes
CYPRUS
قبرص
0 50 100 150
kilometres

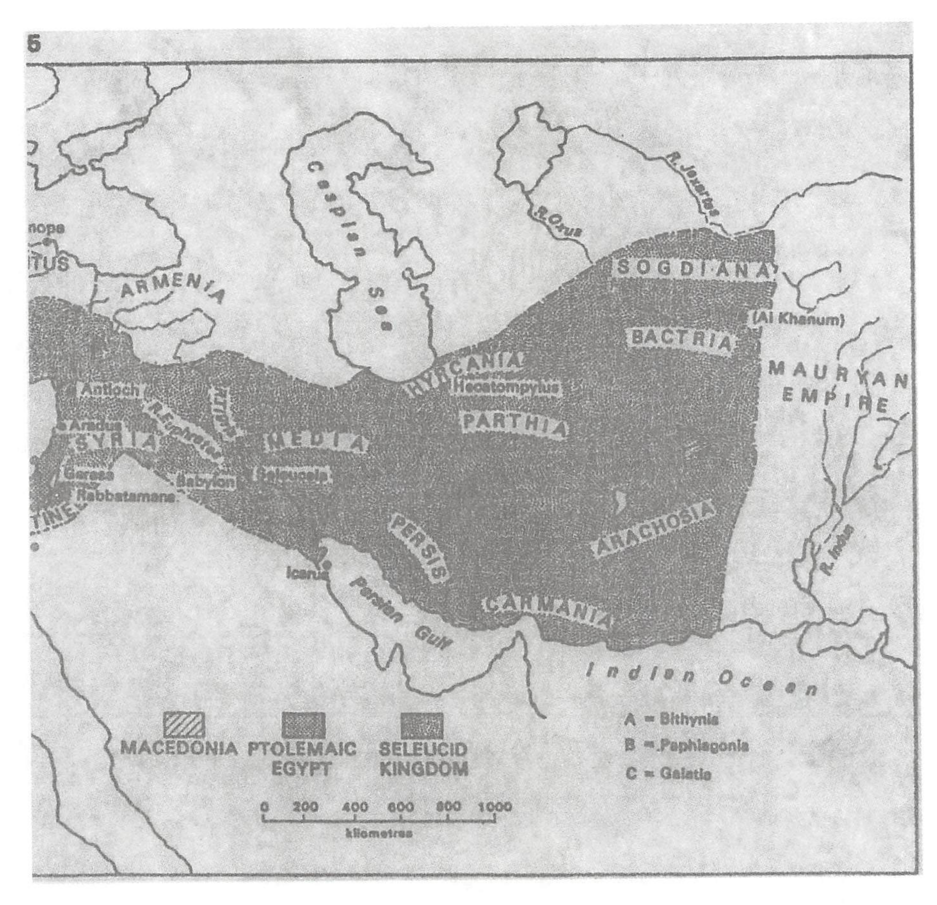
آسيا الصغرى



مقدونيا كريت



مدن الإسكندرية التى أسسها الإسكندر
فى الجزء الشمالى الشرقى من الإمبراطورية
(أفغانستان - الهند - إيران)



خريطة إيران فى العصر السيلوقى



بطلميوس الأول سوتير فى الرداء الفرعونى



عملة تترادراخمة (أربع دراخمات) ذهبية
عليها رأس بطلميوس الأول سوتير



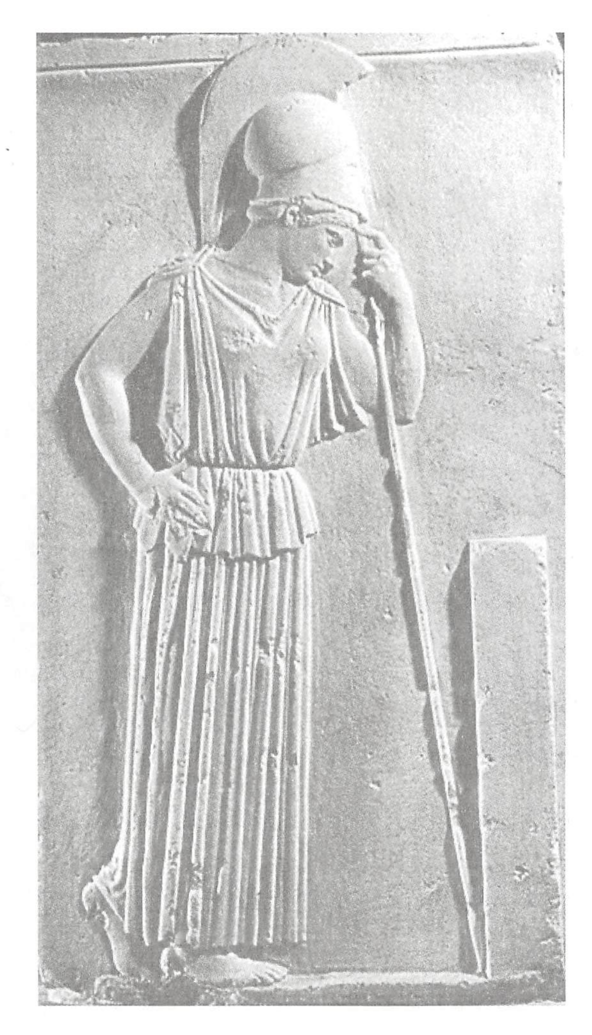
الإسكندر الأكبر



الإسكندر الأكبر



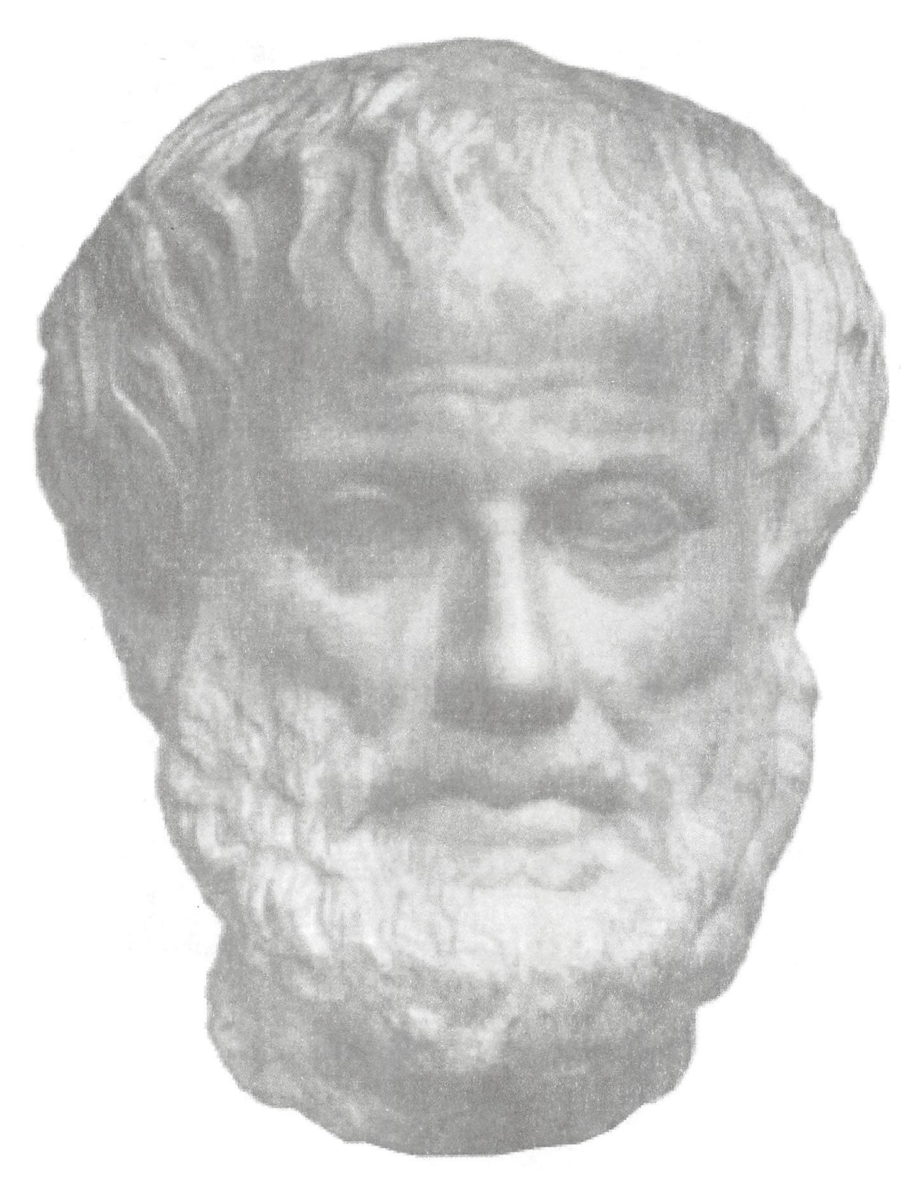
عملة عليها صورة لرأس الإسكندر الأكبر ، وعلى الظهر صورة للإله زيوس يحمل النسر على يده اليمنى



الإلهة أثينا اليونانية



يوضح هذا النقش البارز فى معبد آمون فى الأقصر فى مصر العليا الإسكندر الأكبر (على اليسار) ، مرتديا التاج المزدوج لمصر العليا والسفلى ، وهو يقوم بتقديم هدايا (للإله على اليمين) . والصورة توضح ما قام به الكهنة من فرض لأسلوب (طراز) الشعب المصرى على السلالة الملكية الأجنبية .



تمثال رأس أرسطو



عملة التترادرخمة البرونزية

«كليوباترا السابعة»



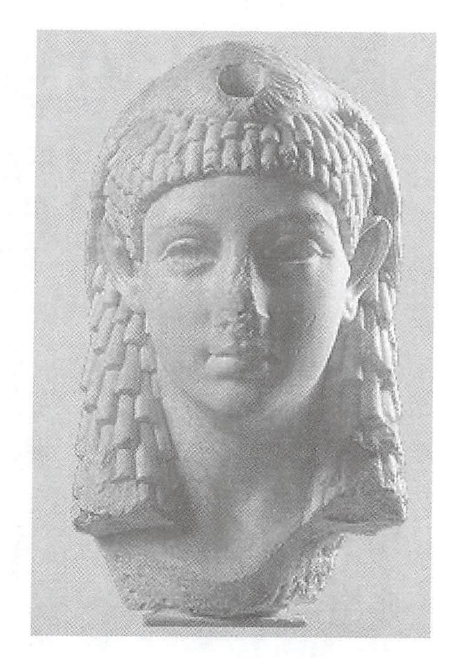
الجزء الأعلى من عمود على الطراز الكورنثى

أى خانوم - أفغانستان

المتحف الوطنى للآثار - كابول

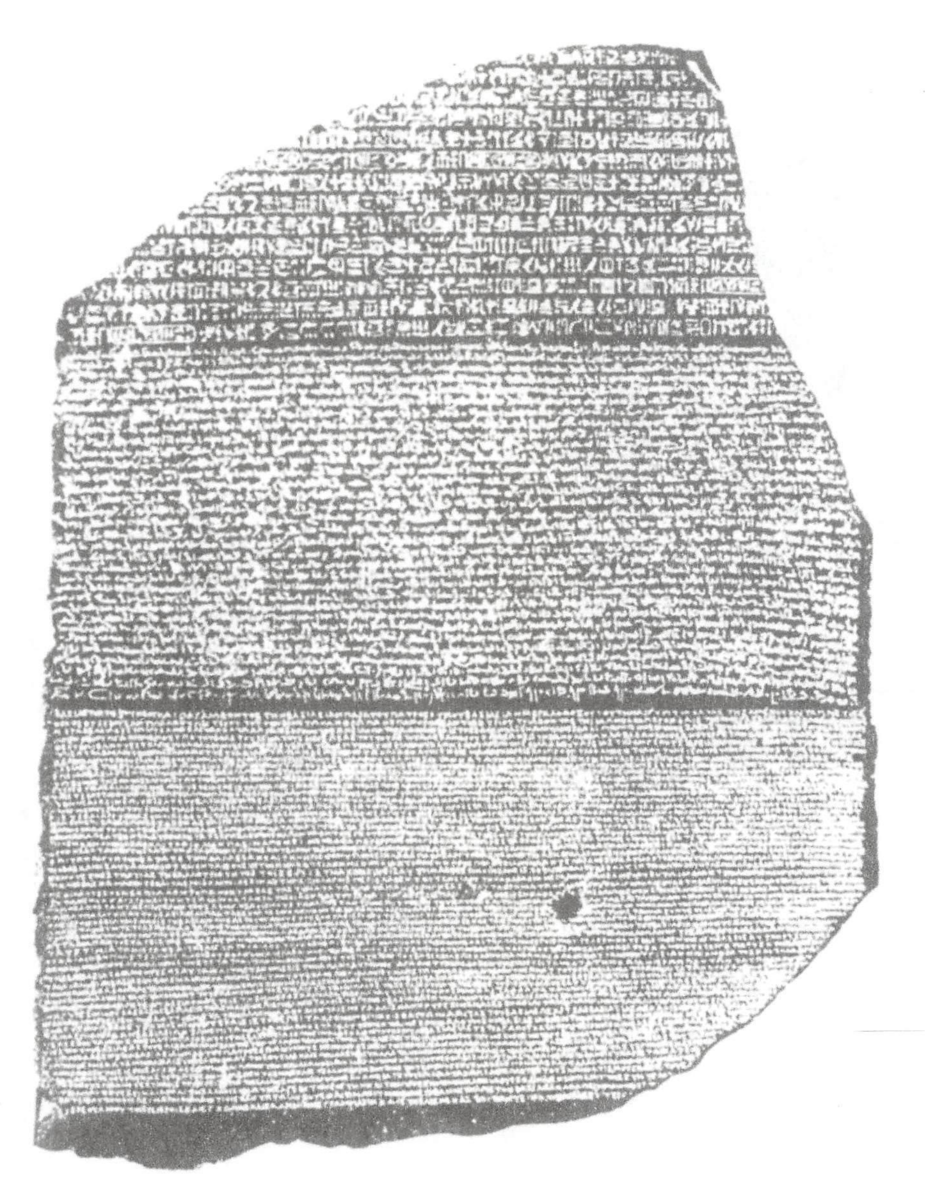


كليوباترا الرابعة

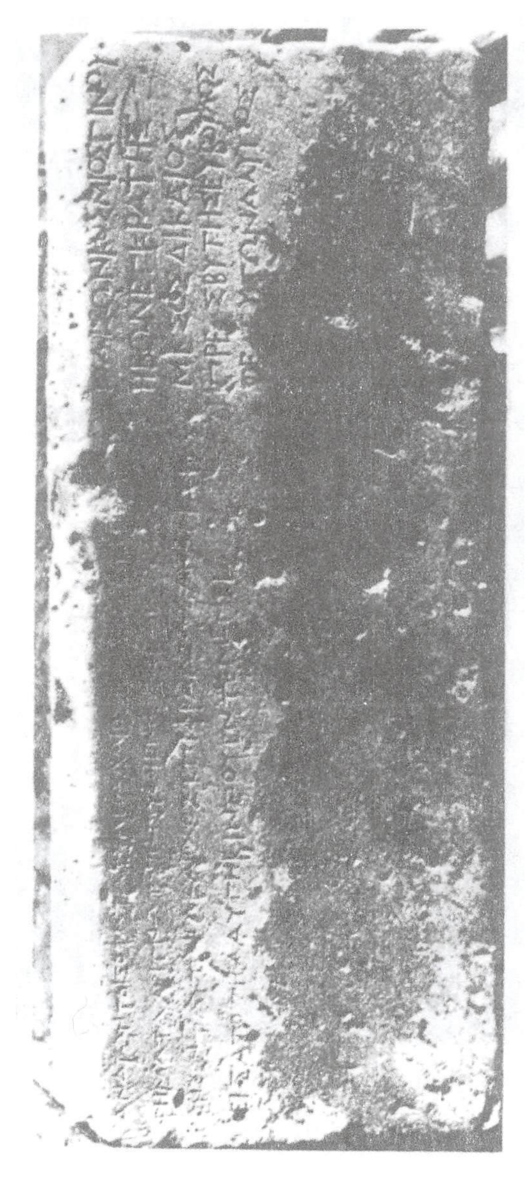


كليوباترا

نماذج لبعض التماثيل فى العصر البطلمى



حجر رشيد - المتحف البريطاني قرار كهنة "منف فى ٢٧ مارس ١٩٦ لتكريم بطلميوس الخامس أبيخاتيس مسجل باللغة اليونانية والمصرية بالخط الديموطيقى والهيروغليفى .



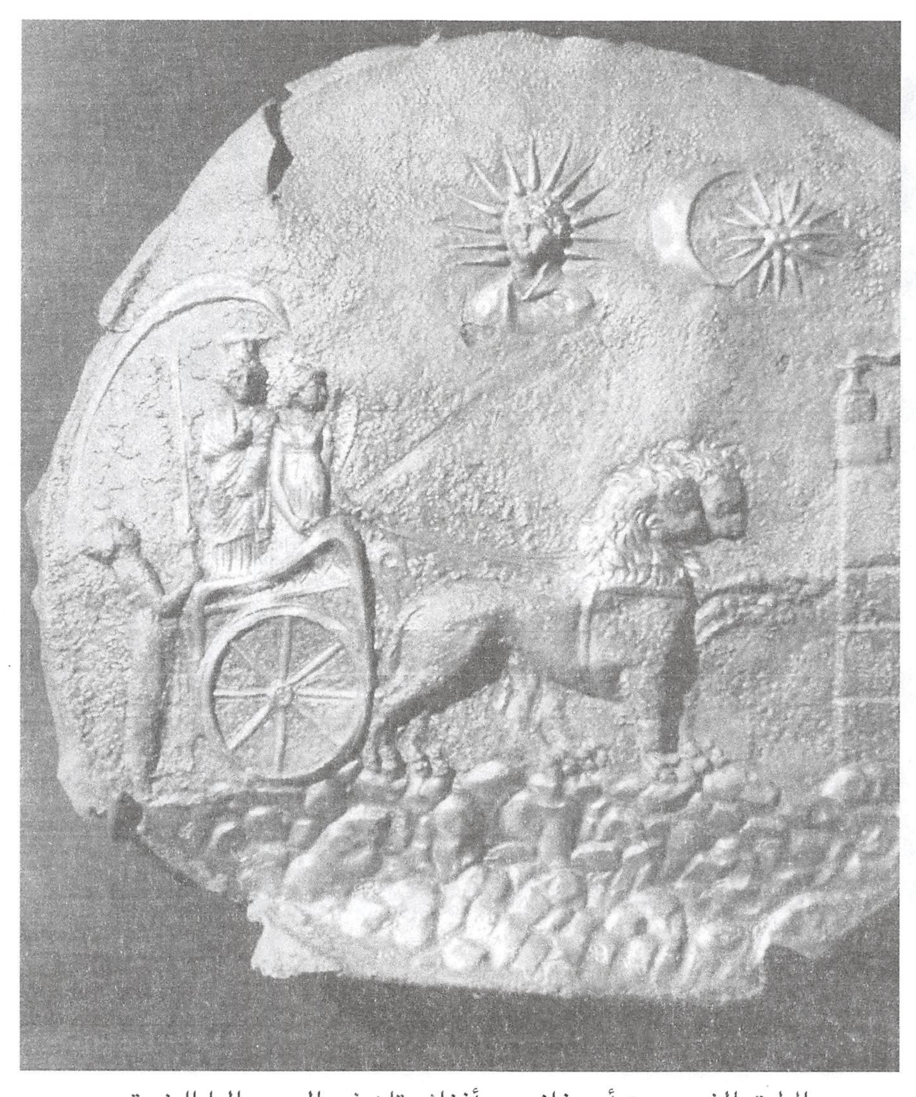
نقش مى آى خانوم يضم النظم وما تبقى من أقوال ديلفى المأثورة المترجمة فى ص ٧٣ ،
نشرت بتصريح من أكاديمية الفنون ، باريس .



رأس تمثال مهشم عثر عليه فى المركز التجارى

أى خانوم - أفغانستان

المتحف الوطنى للآثار - كابول

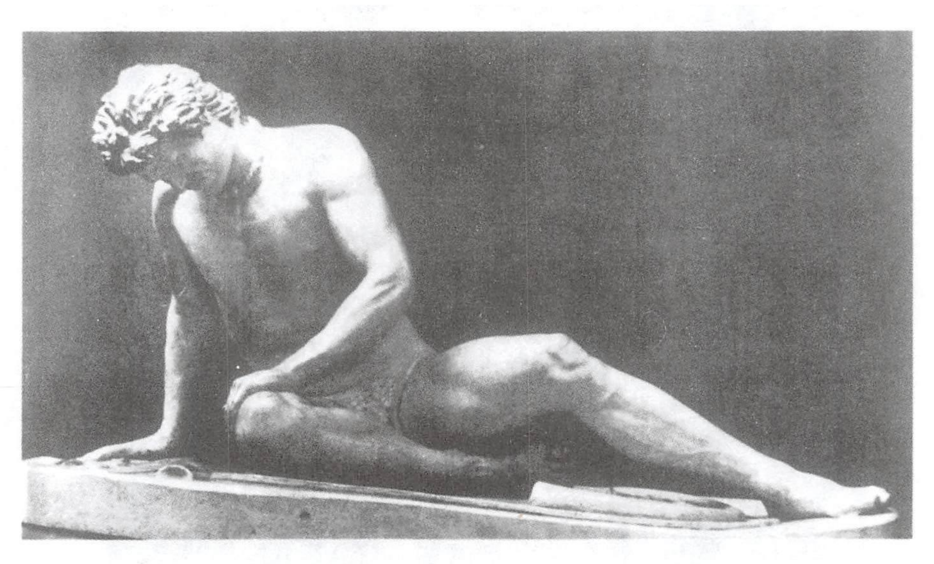


الطبق الشهير من أى خانوم – أفغانستان فى العصر الهليللينستى
مصور عليه صورة الربة سيبل **Cybele** بالعجلة التى يجرها
الأسد ، وإله الشمس الإغريقى هيليوس ومذبح للنار الفارسية



شعار An anutefix عثر عليه فى المركز التجارى

أى خانوم – أفغانستان المتحف الوطنى للآثار – كابول



نسخة لتمثال من البرونز قدمه الملك أتالوس الأول لمعبد الربة أثينا المقام على قلعة برجامون ، وهو جزء من أثر تذكارى شيد بمناسبة الاحتفال بانتصار الملك أتالوس على الجلاتيين .



ربة النصر المجنحة فى ساموقراطيا Samocthrace ، جزء من تمثال من القرن الثالث ويوجد الآن فى متحف اللوفر فى باريس ، وربما يمثل احتفال بحرى أحرزه الملك جوناتاس الثانى Gonatas II على بطلميوس فيلاديلفوس من جزيرة كوس Cos.

بعض حكام العصر الهيللينستى المبكر : هذه النقود من مجموعة متحف ڤتزيفليام Fitzwilliam فى مدينة كمبردج Cambridge - إنجلترا ، بتصريح من قسم العملة والميداليات .



أ - قطعة نقود من أربع دراخمات فضية (تترادراخمة) للإسكندر الأكبر من عصر بطلميوس الأول .



ب - قطعة نقود من أربع دراخمات فضية من مصر لبطلميوس الأول سوتير (المنقذ) .



ج - قطعة نقود من أربع دراخمات فضية من عصر بطلميوس الثانى أو الثالث لأرسينوى الثانية زوجة وأخت بطلميوس الثانى فيلاديلفوس .



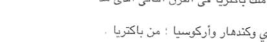
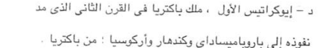
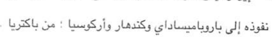
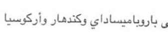
د - قطعة نقود من تترادراخمة فضية من سيكيون لديمتريوس الأول بوليوكريتيس .



س - قطعة نقود من أربع دراخمات فضية لأنطيوخوس الأول المنقذ ، من سليوقية التى على نهر الفرات .

هـ - قطعة نقود من أربع دراخمات فضية لأنطيوخوس الثالث الكبير من أنطيوخ التى على نهر العاصى .

بعض حكام العصر الهيللينستى من القرن الثانى : جميعها من التترادراخمة (الأربع دراخمات) tetradrachms الفضية ، من مجموعة متحف ڤتزيفليام Cambridge Fitzwilliam مدينة كمبردج إنجلترا ، وتم نشرها بتصريح من قسم العملة والميداليات








أ – سيليوقوس الرابع فيلوباتور ، من أنطيوخ التى على نهر العاصى .

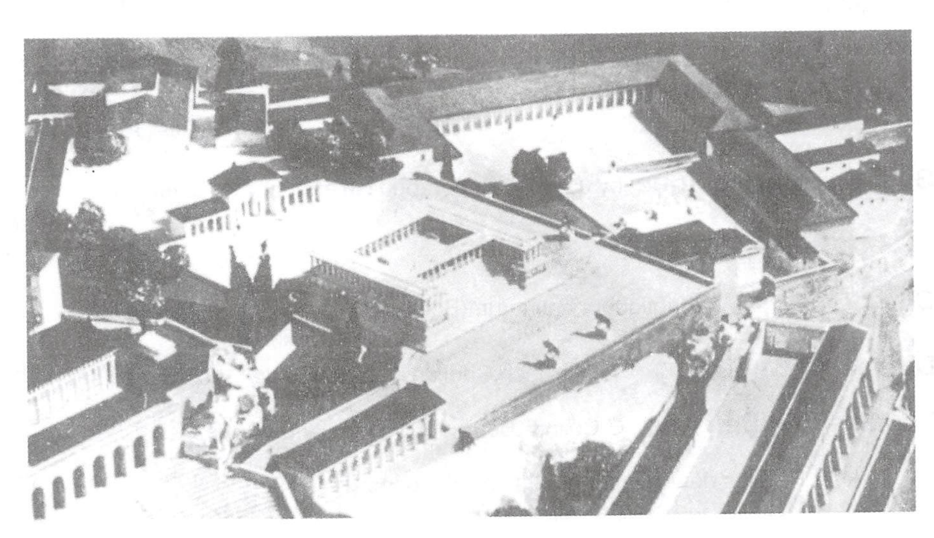
ب – أنطيوخوس الرابع إيبفانيس من أنطيوخ التى على نهر العاصى

ج – بطلميوس الخامس من مصر .

د – إيوكراتيس الأول ، ملك باكتريا فى القرن الثانى الذى مد نفوذه إلى باروباميساداي وكندهار وأركوسيا : من باكتريا .

س – فيليب الخامس من مقدونيا .

هـ – بيرسيوس من مقدونيا .



٨ أجزاء من قلعة برجامون Pergamum. حيث يوجد المذبح الكبير فى داخل السياج الأوسط ، الموجود الآن فى برلين ؛ وكانت المنحوتات تربط بين ماضى برجامون الأسطورى والخدمات التى أداها آل أتالوس (الأتاليون) للهللينية بانتصارهم على الجلاتيين . ويوجد السوق على يمين المذبح ، ويمكن رؤية المقاعد العليا من المسرح على الجانب الأيسر من الأرض .

Abbreviations الاختصارات

تم استخدام هذه الاختصارات فى الإشارة إلى النقوش وأوراق البردى فى طبعة واحدة أو اثنتين :

١- النقوش :Inscriptions

Bulletin épigraphique ,by J.and L. Robert,publish annually in Revue des Études Grecques.

CIL Corpus Inscriptionum Latinarum(Berlin,1869-).

Durrbach ,Choix F.Durrbach,Choix d'inscriptions de Délos(Paris,1921).

Fouilles des Delphes G.Colin,E.Bourguet,G.Daux and A.Salac (eds), Fouilles des Delphes,Vol.III, inscriptiones Paris,1909-) .

IG inscriptiones graecae(Berlin,1873-)

IG 2 inscriptions graecae,edito minor(Berlin ,1913-).

This is really a revised edition of the preceding item.

Ins.Cret. M. Guarducci (ed.), Inscriptiones Creticae,4 vols.,(Rome,1935-50).

Moreetti L.Moretti,Iscrizioni storiche ellenistiche,vol.i,Attica ,Peloponneso,Beozia;Vol.II,Grecia cenTtralee setenfrionale (Florence 1967 and 1976).

OGIS W.Dittenberger (ed.),Orients Graeci Inscriptiones selectae (Leizig,1903-5).

Remains of Old Latin E.H. warmington,Remains of Old Latin,vol. iv,Archaic Inscriptions (London(Leob edition),1940).contains texts and translations .

Roberto,Hellenica-L.Roberto,Hellenica: Recueil d'épigraphie de numismatique et d'antiqués greques, 13 vols.(Paris,1940-65).

Schwyzer E.Schwyzer,Dialectorum graecarum exampal la epigraphica potiora((Leipzg,1923).

SEG Supplementum epigraphicum graecum (Leiden. 1923).

SGDI Sammlung der griechischen Dialektinschriften Göttingen,1884-1915).

Sherk R.S. Sherk, Roman Documents from the Greek East (Blatimore ,1969).Contains Texts and translations.

SVA H.Bengston (ed.,Vol.II)and H.H.Schmitt (ed.,Vol.III), ,Staatsverträge des Alterums (Munich,1962 and1969). .

Syll. W.Dittenberger (ed.),Sylloge inscriptionum graecarum ,4 vols.(Leipzg ,1915-24).

Tod M.N. Tod (ed.),Greek Historical Inscriptions,2 vols(Oxford,Vol.I,2nd edn,1946:Vol.II,1948).

Welles,R.C.C.Bradford Welles,Royal Corresponance of the Hellenestic Age (Yale,1934).The texts are translated and discussed .

٢ – البردى : Papyi

BGU Berliner griechische Urkunden(Aegyptische Urkunden aus den Staatli chen Museen zu Berlin) (Berlin, 1895-.)

Corp. Ord.Pto;. M.- T.Lenger,Corpus des ordonnances des Ptolémées, Mémoires de l'Académie royale de Bruxelles (Brussels,1964).

P.Amherst B.Grenfell and A.S.Hunt (eds.) Amherst Papyri ,2 vols.,(London,1900-1).

P.Cair. Zen. G.C.Edger,Zenon Papyri,5 vols Catalogue général des antiquités égyptiennes du Musée du Caire.79 (Cairo,1925-40).

P.Cairo.Zen. W.L Westermann and E.S.Hasenoehrl(eds.) ZenonPapyri:Business Papers of the 3rd cent. B C, Vol.I, Columbia Papyri, Greek series,vol.3 (New York ,1934).

P.Hal . Halle Papyri Graeca Halensis (ed.),Dikaiomata: Auszüge aus alexandrinischen Gesetzen und Verordungen (Berlin,1913)

P,Hibeh B.Grenfel and A.S.Hunt (eds.),Hibeh Papyri,Pt.I Pt.I(London,1906).

P. Lille P.Joujuet and others (eds.) ,Institut Papyrologique de l'université de Lille : Papyrus grecs (paris,1907-28).

P.Petrie J.P.Mahaffy and J.G.Smyly (eds.),The Flinders Petrie Papyri,3 parts(Dublin,1891-1905).

P.Rev. Laws B.P. Grenfell (ed.),Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus (Ox ford,1896).

P.S.I Papyri greci e Latini (Pubblicazioni della Societa italiana per la ricerca dei paoiri greci e latini in Egitto(Flotence ,1912-).

P.Teb. Tebtunis Papyri,4 vols.(London- New York ,1902 -76).

P.Yale J.F .Oates,A.E.Samuel and C.B. Welles (eds.), Yale Papyri in the Beinecke Rare Book and Manuscript Library (New Haven-Toronto,1967).

SB Sammelbuch greichischer Urkunden aus Aegypten (Heidelberg,1931-). Contains both papyri and Inscriptions

SelectPapyri A.S.Hun and G C.Edgar (eds.),2 vols(London. (Leob edition),1932-4).Text and translations..

UPZ U.Wilken,Urkunden der Ptolemaerzeit,2 vols. (Berlin 1922-37).

Wilken, ChristomathieL.Mitteis and u. Wilken ,Grundzüge und Christomathie der Papyruskunde (Leipzig-Berlin, ,1912).

٣ – مطبوعات أخرى **Other publication**

Abh.Berlin.Akad, Abhandlungen der Preussischen Akademieder Wissenschaften, Berlin.phil,-hist.Klasse.

Bull.inst.franç arch.or. Bulletin de l'Institute Français d'Archaélogie Oriental (Cairo).

CRAI Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles -Lettres (Par is).

TAPA Transactions and Proceedings of the American Philological Association.

ZäS Zeitschrift für egyptische Sprache und Altertumskunde.

ZPE Zeitschrift für Paprologie und Epigraphik.

قراءات إضافية وقائمة المراجع

مراجع عامة

تتضمن الأعمال المقتبسة أدناه المصادر الإنجليزية بصفة رئيسية ، ولكنى أضفت إليها فى بعض الأحيان عناوين باللغة الفرنسية والألمانية أو الإيطالية .

تقارير مفصلة عن العصر الهيللينستي :

J.Boardman,J.Griffin and O.Murray,eds.,Greece and Hellenistic World (Oxford,1986).

M.Cary, A History of the World from 323 to146 BC,2nd edn with a new bibliography by Ehrenberg (London ,1963).

P. green ,Alexander at Actium: the historic evaluation of the Hellenistic age (Berekeley and London ,1990).

P.Grimal et al,Hellenism and the rise of Rome (London,1968).

M. Hadas,Hellenistic Culture:Fusion and difussion (NewYork ,1959).

W.W. Tarn and G.T. Griffith,Hellenistic Civilization,3rd ed. (London 1952).

هناك بعض الفصول الجيدة (والمصادر فى الأعمال القديمة) فى Cambridge Ancient History ,vols.6(2nd end,1933) , تغطى السنوات من عام (٤٠١ – ٣٠١) ، والمجلد التاسع (١٩٣٢) يغطى السنوات من (١٣٣ – ٤٤) ، وعن الفترة التى بينهما يوجد الآن طبعات جديدة للأجزاء للمجلدات ٧ ، ٨ والمجلد السابع ، الجزء الأول (١٩٨٤) يغطى العالم الهيللينسينى منذ موت الإسكندر (٣٢٣) إلى عام ٢١٧؛ والمجلد السابع ، الجزء التانى (١٩٨٩) من ظهور روما حتى عام (٢٢٠) ؛ والمجلد الثامن (١٩٨٩) ، يغطى روما والبحر المتوسط إلى (١٣٣) . وجميعها زاخرة بالمصادر .

وهناك تقريرممتاز عن الأحداث السياسية باللغة الفرنسية :

E.Will,Histoire Politique du Monde Hellenistique,2 nd edn,2 vols.(Nancy,1979-81).و

كما يوجد هناك كتابان ممتازان باللغة الفرنسية ، هما:

Claire Preaux ,Le Monde hellénistique:La Gréce et l'orient,323-146 av.j.-C.,2 vols (Paris.1978)

ويتضمن أحدث المصادر الخاصة بجميع النواحى الخاصة بالعصر .

E.Will,C.Mosse and Goukowsky,Le Monde grec et L'orient,vol.2 ,Le ive siècle et l'époque hellénistique (Paris,1975),especially pp.247-678.

ومن الأفضل ذكر الأعمال التالية هنا بدلا من ذكرها متفرقة بين الفصول :

M.I.Finley,The Ancient Economy(London ,1973).

T.Frank(ed.),Economy Survey of Ancient Rome ,6 vols .(Baltimore,1933-40:reprinted New York,1975). يتضمن هذا العمل الضخم الذى قام به عدة مؤلفين مادة تتعلق أكثر بالشرق الإغريقى ، قبل وقوعه تحت الحكم الرومانى وبعده.

M.Holleauex ,E'tudes depigraphie et histoire greques (L.robert,ed.),6 vols . (Paris 1938-68), تحتوى هذه المجموعة على مقالات هوليو Holleaux وهى تضم قدراً كبيراً من المادة المتعلقة بالعالم الهيللينيستى .

A.H.M. Jones , The Greek city from Alexander to Justinian(Oxford,1940).

A.D.Mpmigliano,Alien Wisdom:The Limits of Hellenization(Cambridge,1975). .

يتعلق هذا العمل المتميز برد فعل الإغريق لتحدى الثقافات الأخرى ، خاصة فى العصر الهيللينيستى .

L.Robert,Opera Minora selecta ,5 vols.(Amesterdam ,1969-)

يضم الكتاب مجموعة مقالات(باللغة الفرنسية) وضعها أهم علماء النقوش الإغريقية فى العصر الجديث .

M.I. Rostovezeff,Social and Ecomonic History of the Hellenistic World ,3vols . (Oxford,2nd,1953) وهو عبارة عن دراسة كلاسيكية غنية ومتعلقة بالموضوع ، مزودة بمصادر ضخمة .

وعن الفن الهيللينستى راجع :

J.J.Pollitt,Art in the Hellenistic Age(Cambridge,1986).

الفصل الأول :المدخل :المصادر

يتوفر الآن ترجمة قدر مناسب من المصادر الأدبية وغير الأدبية مترجمة لدى M.M.Austin ,The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquest (Cambridge,1971) , أشير إليه بـ :""Austin. كما أن ترجمة المصادر التى لها أهمية أكثر (والتى لها عدة ترجمات تتفاوت من الترجمة الممتازة إلى الترجمة غير الدقيقة) متاحة الآن فى مجموعة لويب للمكتبة الكلاسيكية , Leob Classical Library وهى على النحو التالى : أبيان Arrian ,أريان Diodorus ديدوروس Appian جوسيفوس,Josephus ليفى Livy, ، بلوتارخوس Plutarchs Lives ، بوليبيوس Polybius واسترابون Strabo . ويوجد مختارات من تراجم أخرى فى سلسة بنجوين Penguin من أريان لدى (A. de Selincourt), Livy,Rome and the Mediterranean books 31-45:H.Bettenson) Plutarch, The Age of Alexander (I. Scott Kilvert),Polybius,The Rise of Roman Empire (I.scott-Kilvert).

عن بوليبيوس : Polybius

F.W.Walbank,A Historical Commentary on Polybius,3 vols.(Oxford, 1957-69.: , Polybius(Berkeley,Los Anglos &London,1972;pbk,1990).

عن ليفى : Livy

J.Briscoe,A Commentary on Livy Books xxxi-xxxiii- - (Oxford,1973),Books xxxiv-xxxvii(1981) .This commentary is to be continued.

P.G.Walsh ,Livy, his Aims and,Methods(Cambridge,1961).

عن مؤرخى الإسكندر:

E.Badian, Yale Classical Studies ,24 (1975),146-70 , 'Onesicritusm'.

J.R.Hamilton ,Plutarch,Alexander : A Commentary (Oxford, 1969.)

N,g.L.Hammond,Three Historians of Alexander the great (London,1981),

يتعلق الكتاب بكل من ديودوروس Diodorus, جستينوس Justinus وكيرتيوس. Curtius

L.Pearson,The Lost Histories of Alexander the Great (American Philological Association ,1966).

W.W.Tarn, Alexander the Great,2 vols(Cambridge,1950 ;paperback,1979) (

يتعلق الجزء الثانى بالمشاكل التاريخية ومشاكل المصادر.

معظم المصادر المعاصرة المتبقية عبارة عن قصاصات fragments جُمعت فى الكتاب التالى :-

F. Jacopy,Die Fragmente der grischischen Historiker,3 parts in 15 vol- umes(Berlin-Leiden,1923-58).

عن هيرونيموس : Hieronymus :

J.Hornblower,Hieronymus of Cardia (Oxford,1981).

وراجع كذلك :

A.J. Sachs and D.J. Wiseman, Iraq,16 (1954),202-12,"A Babylonian King List of the Hellenistic Period ".

J.D. Ray,The Archive of Hor(London ,1976).

عن إصدارات النقوش والبردى راجع قائمة الاختصارات .

توجد دراسة عن مجموعة من العملات الهيللينستية الأصلية ، وهى :

O.Morkholm,Early Hellenistic Coinage From the accession of Alexander to the Peace of Apamea (336-186 BC (Cambridge,1991).

الفصل الثانى :الإسكندر الأكبر(٣٣٦-٣٢٣)

بالإضافة إلى أعمال تارن Tarn وبيرسون Pearson المذكورة فى القائمة أعلاه راجع :

P. Green, Alexander of Macedon (London, 1970, paperback With good bibibliography.

J.R. Hamilton ,Alexander the Great (London,1973).

N.G.L. Hammond,Alexander the Great : King,Commander and Stateman (London,1981;pbk,Bristol,2989).

R.Lane Fox, Alexander the Great (London ,1973).

تم جمع عدد من المقالات عن الإسكندر وضعها عدد من المؤلفين فى :

G. T. Griffith in Alexander the Great,The main Problems (Cambridge,1966).

راجع أيضا :

Greece and Rome ,12(1956),113-228 ، إصدار خصص للإسكندر ، قام به ميور J.V. Muir بمساعدة باديان . E. Badian وناقش فيه موضوع جريفث G.T.Griffith عن سكان مقدونيا .

وقام باديان بنقد وجهة نظر تارن فى سلسلة من المقالاتِ (ذكرت معظمها فى قائمة المراجع المذكورة فى سيرة biography جرين P. Green المذكورة أعلاه) .كما نشر باديان أيضا نقداً عن الأعمال التى قدمت عن الإسكندر فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ فى .The Classical World,65(1972),37-83

عن مناقشة منطقية لزحف جيش الإسكندر راجع D.W.Engels, Alexander the Great: and the Logistics of the Macedonian Army (Berbkeley,1978).

الفصل الثالث : تأسيس المملكة ٣٢٣-٢٦٧

أفضل تقرير قدمه : E. Will ,Histoire politique (راجع أعلاه تحت عنوان قراءات أخرى عامة) أو الفصل الخاص به فى الطبعة الجديدة لمجموعة كمبردج للتاريخ القديم Cambridge Ancient History ,vol .7.I

راجع أيضا :

R.M.Errington,Journal of Hellenic Studies,90 (1970),pp. 49-77 "From Babylon to Ttiparadeisos, 323-320 BC

وأثار فيها المشاكل التى تمثل العصربأكمله مرتبة ترتيبا زمنيا .

H.D. Westlake,Bulletin of the John Rylands Library,37 , (1954-5),309 27." Eumenes of Cardia".

R.A. Billows,Antigonos the One -Eyed and the creation of the Hellenistic state (Berkeley,Los Anglos ,1990).

P.Briant,Antigone le Borgne,Les Débuts de sa carrière et Les problémes de L'assemblée macédoienne (Paris 1973).

C.Wehrli, Antigone et Démétrios (Geneva,1969).

الفصل الرابع :العالم الهيللينستى:التجانس الثقافى

راجع عن الدول الهيللينستية التالى :

V.Ehrenberg,The Greek State,2nd ed (London,1969).

يتعلق الجزء الثانى من الدراسة بالدولة الهيللينستية .

عن آى خانوم Ai Khanum والشرق الأقصى راجع :

P.Bernard ,Proceedings of the Brtitish Academy, 53 (1967), 71- 95(with illustrations)," Ai Khanum on the Oxus".

L.Robert,CRAI (1968),41ff.,"Des Delphes á l'Oxus".

D. Schlumberger,CRAI (1964) , 126-40,"Une nouvelle inscription greque d'Açoka

وعن مقاومة الهيللينية راجع بالإضافة إلى موميجليانو Momigliano (القائمة المذكورة تحت قراءات أخرى ، عامة) التالى :

B.bar-Kochva ,Judas Maccabaeus ,The Jewish strggle against the Segeucids (Cambridge 1989).

S.K.Eddy,The King is Dead : Studies in the Near East Resistance to Hellenism (Lincoln,Nebraska,1961).

V.Tcherikover, Hellenistic Civilization and the Jews (Philadelphia & Jerusalem,1959).

جرت مناقشة دور الإغريق كطبقة حاكمة فى مقالة لها أهمية خاصة :

Chr.Habict,Vierteljarschrift für Soziologie und Wirtschaftsgeschichte 45 (1958),1-16,"Die herrschende Gesellschaft in den hellenistischen Monarchien .

عن الجنود المرتزقة راجع:

G.T.Griffith,Monarchies of the Hellenistic World (Cambridge 1935).

M.Launey,Recherches sur les armée hellenistiques,2 vols (Paris,1949-50).

الفصل الخامس :مقدونيا وبلاد الإغريق

عن مقدونيا :

N.G.L.Hammond and F.W. Walbank,A History of Macedonia ,vol.3: 336-167 BC (Oxford,1988).

R.m. Errington,A History of Macedonia (Berkeley,Los Anglos ,1990).

W.W.Tarn,Antigonos Gonatas (Oxford,1913)

كتاب قديم فى تفصيلاته ، وعلى الرغم من ذلك فما زال له قيمته ويستحق القراءة .

P.Lévèque,Pyrrhos(Paris,1957).

F.W.Walbank,Philip V of Macedon (Cambridge,1940).

P.Meloni,Perseo e la fine della monarchia macedone (Rome,1953).

عن بلاد الإغريق:

R.M.Errington,Philopoemen (Oxford,1969).

W.S.Ferguson,Hellenistic Athens (London,1911). مازال للكتاب فائدته

A. Fuks,Journal of Hellenistic Studies 90 (1970) ,78-89,"The Bellum Achaicum and its social Aspects".

N.g.L. Hammond,Epirus(Oxford,1967.

W.A.Laidlaw,A History of Delos (Oxford,1933).

J.A.O.Larsen,Representative Government in Greek and Roman History (Berkeley ,Los Anglos,1955).

J.A.O.Larsen,Greek Federal States(Oxford,1968).

J.A.O.Larsen,"Roman Greece "in T.Frank,Economic Survey,Vol.iv,259-435.

H.A.Ormerod,Piracy in the Ancient World(Liverpoo 1924; reprinted 1979).

F.W.Walbank,Aratos of Sicyon (Cambridge,1934).

راجع أيضا :

J.Bousquet,Mélanges hellénique offerts à Georges Daux (Paris,1974),21ff.

الفصل السادس : مصر البطلمية

كتابان فى التاريخ العام :

H.I Bell, Egypt From Alexander The Great to the Arab Conquest (Oxford,1948).

E.R.Bevan,A History of Egypt Under the Ptolmaic dynasty (London,1927).

الجوانب الإدارية:

R.S.Bagnal,The Administration of Ptolemaic Possessions outside Egypt (Leiden,1976).

L. Mooren, The Aulic Titlature in Ptolemaic Egypt : Introduction and Prosopography (Brussels,1975) .

عن تطور ألقاب البلاط ومعانيها

عن دراسة سياسة البطالمة الخارجية راجع تحت عنوان قراءات أخرى ، عامة) ، ١٥٣-٢٠٨ .

عن التنظيمات الاقتصادية (راجع بالإضافة إلى رستوفتزف الذى سبق ذكره تحت عنوان قراءات إضافية ، عامة) التالى:

C.Preaux,L'Économie royale des Lagides (Brussels, 1939).

C.Preaux,Les Grecs en Égypte d'après les archives de Zenon (Brussels,1947).

C.B.Welles,Jounal of Juristic Papyrology,3(1949),21-47,"The Ptolemaic Administration of Egypt".

C.B.Welles,Bulletin of the American Society of Papyrologists,7(1970),405-510,"The Role of the Egyptians under the First Ptolemies".

عن مدن مصر الرئيسية :

P.M. Fraser,Ptolemaic Alexanderia,3 vols.(Oxford,1972).

D.J.Thompson,Memphis under the Ptolemies(Princeton,1988)

عن مشكلة الأرض فى الفيوم :

D,J.Crawrord,Kerkeosiris:An Egyptian Village in the Ptolemaic Period(Cambridge ,1971).

الفصل السابع : السيلوقيون والشرق

E.R.Bevan,The House of Seleucus .(London,1902).

A.Bouche-Leclercq,Histoire des Seléucides,2 vols.(Paris,1913-1914).

الكتابان السابقان من الكتب القديمة . وتظل الكتب الأكثر شمولية لدراسة نظام الدولة السيلوقية هى :

E.Bikerman,Institutions des Séleucides (Paris ,1938);

وتتضمن دراسة بروتون T.R.S. Broughton,"Roman Asia Minor"in المذكورة لدى

T.Frank,Economic Survey,vol.iv,pp.499-590, وتتضمن دراسة قدر كبير من الأدلة المترجمة عن آسيا الصغرى السيليوقية ، خاصة فيما يتعلق بالتزام الأرض.

A.Kuhrt and Sherwin-White,eds.,Hellenism in the East (London,1987)

وتضم ست مقالات عن إعادة تقييم مهم عن التفاعل بين الإغريق والحضارات الأخرى من سوريا إلى وسط آسيا .

راجع أيضا:

Actes du colloque 1971 sur l'esclavage (Besancon)(Paris ,1972).

B.Bar-Kochva,The Seleucid Army,(Cambridge,1976).

ويناقش فيه أيضا المستوطنات السيليوقية.

W.H.Buckler and D.M.Robinson,Sardis,vii,i(Leiden,1932).

ويتعلق النقش الأول بهذا الفصل .

G.M.Cohen,The Seleucid Colonies : Studies in the foundting, Administeration and Oroganaisation (Wiesbaden, 1978)

A.H.M.Jones,The Cities of the Eastern Roman Provinces, 2nd (Oxford,1971).

تقدم هذه الدراسة التفصيلية معلومات عن المدن منذ تأسيسها والمرحلة التالية على ذلك .

H.Kreissig,Wirtschaft and Gesellschaft im Seleukidenreich (Berlin,1978) .

تقدم الدراسة تفسيراً ماركسيا لمشاكل التزام الأرض والبنية الاجتماعية .

D.Magie,Roman Rule in Asia Minor,2 vols.(Princeton,1950).

هذه الدراسة ضرورية بالنسبة للدراسة التفصيلية عن آسيا الصغرى فى العصر الهيللينستى وكذلك فى العصر الرومانى بالمثل .

O.Mørkholm,Antiochus IV of Syria (Copebhagen,1966)

حيث استفاد من أدلة النقوش استفادة كاملة .

D.Musti,Studi classici ed orientali ,15 (1966),61-197,"lo Stato dei Seleucidi .Dinastia,poppli ,città da Seleuco I ad Antioco III'.

P.Roussel ,Syria,23(1942/3),21-32,"Décret des Pelliganes de Laodicée-sur-Mer".

عن برجامون :

E.V.Hansen,The Attalids of Pergamom,2nd edn (Ithaca, New York,1971).

R.B.McShane,The Foreign Policy of the Attalids(Urbana,Illinois,1964).

عن رودس :

P.M.Fraser and G.E.Bean,The Rhodian Peraea and Ilands (Oxford,1954).

عن الشرق الأقصى راجع الأعمال المذكورة فى قائمة أى خانوم فى الفصل الرابع ، وأيضا:

M. A.R. Colledge,The Parthians (London ,1967).

A.K.Narain , The Indo - Greeks (Oxford,1957).

W.W.Tarn,The Greeks in Bacteria and India,3rd edn (Cambridge,1966).

الفصل الثامن :العلاقات بين المدن والدويلات الفيدرالية

عن الدويلات الفيدرالية راجع الأعمال المذكورة فى قائمة الفصل الخامس .

L. Casson ,Travel in The Ancient World (London,1974).

Ph.Gauthier,Symbola,Les Étrangers et la justice dans les cites greques (Nancy,1972).

W. Gawantka,Isopoliteia (Munich,1975).

R.f. willettes,Aristocratic Society in Ancient Crete (London,1955) ,

وعلى وجه خاص ص ٢٢٥ وما يليها عن القرصنة وخدمة الجنود المرتزقة .

P.Beule,La piraterie crétoise hellénistique (Paris,1978).

الفصل التاسع:الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية

راجع فنلى Finley ورستوفتزف Rostovetzeff (ذكرت أعمالهم تحت عنوان قراءات إضافية ، عامة) وذكرت أعمال كريسنج Kreissg (فى الفصل السابع).

عن العبيد :

Biezunska- Malowist,L'Esclavage dans l'Egypte gréco-romaine.I.Période ptolémaique(Warsaw,1974).

M.I.Finley,(ed.)Slavery in Classical Antiquity:Views and Controversies (Cambridge,1960).

وأعيدت طباعتها كمقالات من قبل ناشرين متعددين .

W.L.Westermann,The slave -systems of Greek and Roman Antiquity (Philadelphia,1955).

موضوعات أخرى :

L.Casson,TAPA,85(!954),168-87,"The Grain Trade of Hellenistic World".

M.I.Finley,(ed) Problemes de la terre en Grèce antique (Paris,1973).

وهو عدة مقالات لعدد من الباحثين ، بعضها بالإنجليزية وبعضها عن موضوعات هيللينستية.

J.U.Powell,Collectanea Alexandrina (oxford,1925).

تضم شذرات من أعمال كركيداس Cercidas.

C.Preaux,Recueils de la Société Jean -Bodin vii:la ville,2e Partie (Brussels, 1955),pp.89-135,"Institution economique et sociale des villes hellénistiques principalement en Orient".

عن الثورة الإسبرطية

T,W.Africa,Phylarchus and the Spartan Revolation (Berkley,Los Anglos,1961).

A.Fuks,Social Conflict in Ancient Greece(Jerusalem,1984),

مجموعة من المقالات ، يرتبط بعضها بذلك العصر .

P.Oliva,Sparta and her Social Problems(Amesterdam-Prague,1971).

B.Shimron,Late Sparta and the Spartan Revolution, 243 - 146 Bc,Arethusa Monographs (Buffalo,1972).

W.W Tarn ,The hellenistic Age (Cambridge,1923),pp.108-40,"The Social Question in the Third Century".

الفصل العاشر : الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية

مراجع عامة :

H.C. Baldry,The unity of the mankind in Greek Thought(Cambridge,1965).

PE.Easterling and B.M.M. Knox,eds.,The Cambridge History of Classical Literatur,Part4:The Hellenistic Period and the Empire Cambridge,1985).

A.A.Long,Hellenistic Philosophy:Stoics,Epicureans , Sceptics (London,1974).

A.A.Long and D.N. Sedly, Hellenistic Philosophers,2Vols (London,1987)

يضم المجلد الأول ترجمة للنصوص الأساسية مع تعليق عليها والمجلد الثانى النصوص نفسها بلغتها الأصلية مع ملاحظات عليها .

H.I.Marrou,A History of education in Antiquity (London,956).

عن العلوم والتكنولوجيا .

A.G. Drachman ,The Mechanical Tecnology of Greek and Roman Antiquity (Copenhagen,1963) . دراسة للمصادر الأدبية .

B.Farrington,Greek Science,revised edition (Harmondworth ;1961).

M.I. Finley,Economic History Review,18 (1965),29- 45, "Technical Innovation and Economic Progress in the Ancient World ".

T.L.Heath,Aristarchus of Samos ,2nd edn(Oxford,1959).

J.G.Landels, Engineering in the Ancient World (London, 1978).

G.E.R.Lloyd,Greek Science after Aritotle(London,1973).

مسح ممتاز مع قائمة مراجع كاملة فى الصفحات ١٧٩-١٨٤ .

O.Neugebauer,The Exact Sciences in Antiquity,3rd edn(New York,1962).

H. W. Pleket,Acta Histoirae Neerlandica ,2(1067),1-25," Tecnology and Society in the Graeco-Roman World".

G.Sarton,A History of Science ,Vol.II, Hellenestic science and culture in the-Last Three Centuries BC (Harvard ,1959).

التكنولوجيا العسكرية والحرب :

F.E.Adcock,The Greek and Macedonian Art of War (Berkeley,1957).

B. Bar-Kochva,see Chapter 7.

Y.Garlan,War in the Ancient World :A Social History (London,1975).

Y.Garlan,Recherches de poliorcetique Grecque (Paris, 1974).

P. Lévèque,'La Guerre à L'époque hellénestique"in J.-P.Vernant,Problémes de la guerre en Gréce ancienne (Paris,1968),pp.261-87.

E.W.Marsden,Greek and Roman Artillery,Vol.I Historical Development (Oxford, 1969). Vol II,Technical Treaties (Oxford,1971) ,

يضم المجلد الثانى النصوص وترجمتها المتعلقة بأعمال هيرون Heron ، وبيتون Biton ، وفيلون Philon ، وڤيتوڤيوس Vitruvius وكتاب آخرين .

H.H.Scullard,The Elephant in the Greek and Roman World (London,1974).

W.W.Tarn, Hellenistic Military and Naval Developments (Cambridge,1930),
F.E. Winter,Greek Fortifications (London,1971).
عن أعمال علماء الإسكندرية فى مصر راجع فريزر Fraser فيما تم اقتباسه تحت اسم الإسكندرية فى الفصل السابع .

راجع عن بوسيدونيوس :Poseidonius

L.Edelstein and I.G.Kidd,Posidonius Vol,I:Fragment ,2nd edn

(Cambridge1989);I.G.Kidd, Posidonius Vol II:The Commentary (Cabridge1989).

الفصل الحادى عشر حدود العالم الهيللينستى . دراسة جغرافية

M,Cary and E.H. Warmington,The Ancient Explorers (London,1929).

P.Pédech,La Géographie des Grecs(Paris,1976).

J.O.Thomson,History of Ancient Geography (Cambridge,1948).

الفصل الثانى عشر تطور المعتقدات الدينية

H.I.Bell,Cults and Creeds in Graeco -Roman Egypt,2nd edn(Liverpool,1954).
L.Cerfaux and J.Tondriau,Le Culte des souverains dans la civilisation gréco - romaine(Paris,1957).

E.R,Dodds,The Greeks and the Irrational (Berkeley,Los Anglos,1959).

تم الاقتباس من هذا الكتاب عن عبادة سارابيس فى الفصل السادس . P.M.Fraser Sarapis

Chr.Habicht,Gottmenschentum und grieschische Stadte,2nd edn (Munich,1970).

M.P.Nilsson,The Dionysiac Mysteries of the Hellehistic and Roman Age (Lund,1957).
A.D.Nock,Conversion.The Old and New in Religion From Alexander the Great to Augustine of Hippo (Oxford, 1933).

A.D.Nock,Essays on Religion and the Ancient World,2 vols.(Oxford,1972), أعادت طبع مقالات مؤلفين آخرين عن هذا الموضوع .

S.f. Price,Rituals and Power:the Roman Imperial Cult in Asia Minor (Cambridge.1984). الفصل الثانى مهم بالنسبة لعبادة الحالم الهيللينستية .

R.E.Witt,Isis in graeco -Roman World (London,1971).

الفصل الثالث عشر :قدوم الرومان

للحصول على قائمة كاملة لمصادر الموضوع راجع المراجع الموجودة فى الكتاب التالى من نفس السلسلة: Michael Crawford,The Roman Republic ، وسوف نذكر بعض الكتب القليلة المتعلقة بالموضوع هنا :

مراجع عامة :

R.M.Errington,The Dawn of Empire (London,1972).

E.Gruen,The The Hellenistic World and The Coming of Rome.2 Vols.(Berkeley,Los Anglos - London,1984).

H.H.Scullard,History of the Roman World ,753-146BC, 4ed, (London,1980)

عن الاستعمار الرومانى

W.V.Harris,War and Imperialism in Republican Rome (Oxford,1979).

عن روما فى بلاد الإغريق :

J.Briscoe,"Rome and the Class Struggle in the Greek States, 200-146'B.C in Finley (ed.),Studies in Ancient Society (London,1972),pp.53-73.

J.Deininger,Der Politische Widerstand gegen Rom in Griechenland,216 86v.Chr. (Berlin & New York ,1971).

L.Ferrary,Philhéllenisme et Impérialisme (Paris-Rome,1988)

وهى دراسة للأيديولوجية التى كانت تقف خلف غزو روما لبلاد الإغريق من عام ٢٠٠ إلى عام ٨٨ ق.م.

J.A.O. Larsen,"Roman Greece "in T. Frank ,Economic Survey

(راجع لمزيد من القراءة ، مراجع عامة) vol.IV,pp. 261-325. وقد أوضح هذا المجلد تكاليف غزو الرومان للدويلات الإغريقية .

المؤلف فى سطور

فرانك ولبانك

أستاذ متقاعد Emeritus Professor فى جامعة ليڤربول وزميل فى الأكاديمية البريطانية ، أستاذ الدراسات الكلاسيكية (اليونانية الرومانية) فى كلية بيترهاوس Peterhouse فى كمبريدج Cambridge حتى توفى فى ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٨ . عمل أستاذ كرسى راثبورن Rathborn للتاريخ القديم والآثار الإغريقية الرومانية فى ليڤربول من عام ١٩٥١ إلى ١٩٧٧، وأستاذًا زائرًا فى جامعة بيتسبورج Pittsburgh وجامعة بيريكلى Berekeley فى كاليفورنيا ، حيث كان زميلا فى معهد الدراسات المتقدمة فى برينستون Princeton . ومن بين أعماله المنشورة "فيليب الخامس المقدونى "Philip V of Macedon" ، بوليبيوس "Polybius". دراسة تاريخية لبوليبيوس A histori-cal Commentary on Polybius" وتقع فى ثلاثة أجزاء ،و"الثورة الرهيبة The Awful Revolution" ، اشترك مع ن.ج.ل. هاموند N.G.Hammond فى إصدار المجلد الثالث من عام ٣٣٦- ١٦٩ق.م.عن"تاريخ مقدونيا " A. History of Macedonia ,vol .III:336-169 ، وشارك فى إعداد المجلد السابع والثامن من "موسوعة كمبريدج للتاريخ القديم" The Cambridge Ancient History

المترجمة فى سطور :

آمال محمد الروبى

* حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦ فى التاريخ اليونانى الرومانى بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى .

* حصلت عام ١٩٧٣ على منحة المجلس البريطانى لدراسة الدكتوراه فى جامعة كمبريدج Cambridge ، كلية جيرتون Girton College ، وفيها أتمت جمع المادة العلمية وكتابة الرسالة .

* حصلت على الماجستير فى التاريخ اليونانى الرومانى من جامعة القاهرة عام ١٩٧١ ، وعلى الليسانس من الجامعة نفسها عام ١٩٦٣ ، وكان ترتيبها الثانية على الدفعة .

* تعمل وكيلة لكلية الآثار والإرشاد السياحى ، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا ، مدينة السادس من أكتوبر ، ورئيسة قسم شبه الجزيرة العربية بها .

* قامت بالتدريس فى جامعة القاهرة منذ تخرجها وحتى إعارتها إلى جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٨١ . وفيها تولت رئاسة قسم التاريخ فى قسم الطالبات فى الفترة من ١٩٨٣ – ١٩٨٧ .

* تم انتدابها للتدريس فى الجامعات التالية :

* كلية الآداب ، جامعة عين شمس – جامعة حلوان ، كلية الفنون الجميلة ، وكلية السياحة – كلية التربية ، جامعة القاهرة فرع الفيوم – كلية الآداب ، جامعة القاهرة فرع الخرطوم – جامعة المنوفية ، كلية التربية .

المؤلفات والكتب والوثائق المترجمة والأبحاث العلمية :

المؤلفات :

* أجهزة الحكم فى روما الطبعة الثانية ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٧
* مصر فى عصر الرومان ، دراسة سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية فى ضوء الوثائق البردية اليونانية ، الطبعة الثانية ، جدة ١٩٨٤
* الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر فى عصر الرومان ٣٠ ق . م - ٢٨٤ م . القاهرة ١٩٧٥
* هرموبيليس ماجنا فى العصر الرومانى ، ٣٠ ق . م . - ٢٨٤ م . القاهرة ١٩٧٢ .

الكتب والوثائق المترجمة :

* الأنباط ، الولاية العربية الرومانية ، تأليف ج . بورسوك ، ترجمة وتعليق آمال الروبى ، مراجعة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم بكر ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٦
* تجارة مكة وظهور الإسلام ، تأليف باتريشيا كرون ، ترجمة ودراسة آمال الروبى ، ومراجعة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم بكر ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٥ .
* الحياة اليومية فى مصر الرومانية ، تأليف نافتال لويس ، ترجمة وتعليق آمال الروبى ، ومراجعة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم بكر ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٥
* ترجمة عدد ١٦٨٥ وثيقة من وثائق أرشيف وزارة الخارجية البريطانية PFO ، موسوعة جدة التاريخية ، تحت الطبع .

المراجع فى سطور :

محمد إبراهيم بكر

أستاذ التاريخ القديم والآثار .

عميد المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم ١٩٨٧ - ١٩٩٤ ومؤسسه ، كأول معهد من نوعه فى مصر ، ويضم قسماً خاصاً بالجزيرة العربية (تاريخ آثار ولغات) .

عميد كلية الآداب جامعة الزقازيق ١٩٨٠ - ١٩٨٦ .

رئيس مجلس إدارة هيئة الآثار المصرية ١٩٩١ - ١٩٩٣ .

عضو المجمع العلمى المصرى .

عضو المجالس القومية المتخصصة .

رئيس اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين فى الآثار والتاريخ القديم .

مؤسس متحف آثار جامعة الزقازيق كأول متحف نوعى للموقع .

قام بتدريس مواد التاريخ القديم والآثار فى جامعات : مصر والسودان وليبيا وعمان وقطر والسعودية .

قام بإلقاء محاضرات فى ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية والنرويج وفرنسا واليابان .

قام بإجراء حفائر أثرية فى منطقتى آثار تل بسطة وكفور نجم بالشرقية .

أشرف على إنشاء عدد من المتاحف الأثرية والقصور والمبانى التاريخية فى القاهرة والإسكندرية وباقى أنحاء مصر وتجديدها ، وأنشأ متحف الوادى الجديد وامتداد متحف الأقصر .

حاصل على بعض الأوسمة وشهادات التقدير من هيئات مصرية وعالمية .

وله عدة مؤلفات وأبحاث منها :

* تاريخ السودان القديم - ١٩٧١
* قراءات فى تاريخ الإغريق القديم - ٢٠٠٠
* صفحات مشرقة فى تاريخ مصر القديمة - ١٩٩٠ .

التصحيح اللغوى : نبيل عبد الفتاح

الإشراف الفنى : حسن كامل